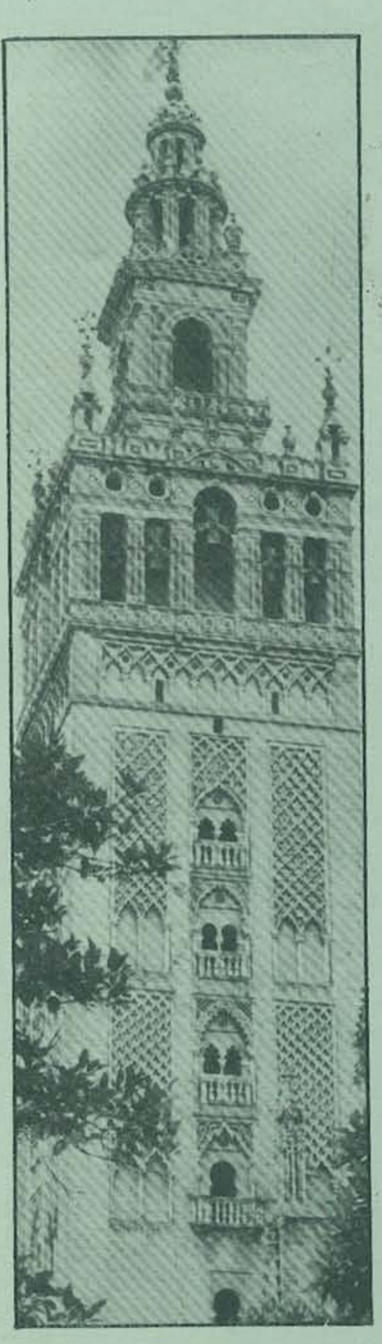


تاريخ
العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية
بالمغرب الأقصى

الجزء الثالث

عصر دولة الموحدين

تأليف

دكتور عثمان عثمان إسماعيل

أستاذ الآثار والفنون

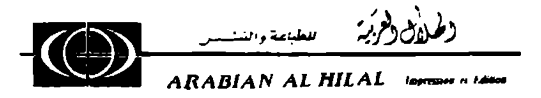
رئيس مشرف على الأبحاث بالتعليم العالي بالمملكة المغربية



مطبعة المعارف الجديدة
الرباط 947-08/09/15/38

ردمك × – 0 – 9507 – 9981 (المجموعة)

ردمك 4 – 3 – 9507 – 9981 (الجزء الثالث)



الرباط، 21 زنقة ديكارت حي الليمون تلفون : 99-60-70 فاكس : 707751

سلسلة حضارة الغرب الإسلامي

تاريخ
العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية
بالمغرب الأقصى

الجزء الثالث

عصر دولة الموحدين

تأليف

دكتور عثمان عثمان اسماعيل

أستاذ رئيس مشرف على الأبحاث التاريخية والآثرية
بالتعليم العالي للمملكة المغربية
أستاذ الحضارة والفن الإسلامي بجامعة وهران
وخبير بإدارة الفنون الجميلة والآثار بالرباط سابقا
وعضو اتحاد المؤرخين العرب

الطبعة الأولى

1993

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ النمل آية 75

صدق الله العظيم

الغرب الإسلامي

الغرب أحسن أرض ولى دليل عليه

البدر يرقب منه والشمس تسعى إليه

تصميم الغلاف من وضع المؤلف

الإهداء

إلى روح
الأستاذ الرئيس محمد الفاسي

العالم الموسوعي الذي جمع فأوعى شرفا ونبلا وعلما... ومقاما لا يتطاول إليه غير المصطفين من الرجال لجلائل الأعمال، رحالة العصر ومرآة علوم الاسلام في كل قطر ومصر... الذي التفت حوله التلاميذ الأقطاب من المشارق والمغارب، تنهل من فيض علمه وتلوذ بكريم رعيه.

ها أنا أستاذي الجليل بعد ثلث قرن مضى،
لازلت أسيرَ فضلك وثمرة من ثمار جهدك
أسيرُ في كنف ظلك الممدود
وأحظى بجميل رعيك المعهود
لا أشيم غير سمائلك المترعة بالحنان
العامرة بالحب والنور والفكر والعرفان

رحمك الله

الوفي

دكتور عثمان عثمان اسماعيل

تقريظ بقلم

معالي الأستاذ الرئيس الوزير محمد الفاسي

أول وزير للتعليم ورئيس أول جامعة عصرية
وزير الدولة في الثقافة
عضو الأكاديمية المغربية ومجمع اللغة العربية بالقاهرة
والمجامع العربية
ورئيس إدارة التنسيق بين اللجان العربية لليونسكو

يسعدني أن أقدم اليوم إلى الباحثين المتخصصين وجمهور المثقفين من قراء العربية والمتحمسين لاستعادة الوعي بالذات... عملا كبيرا يعتبر حصيلة سخية لاجتهاد وتمرس ومثابرة عكف عليها المؤرخ الأثري الدكتور عثمان عثمان إسماعيل سنوات طويلة.

إن موسوعة تارخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية التي اشتملت على خمسة مجلدات كبيرة كانت نتيجة مرجوة من باحث له تكوين علمي متخصص يقوم بدراسات جادة في نطاق الفكر العربي المتحرر من ضغوط المدرسة القديمة ومن ضغوط علماء الإستشراق الذين صحبوا حركة الزحف الإستعماري على العالمين العربي والإسلامي وقد استقر معظمها في أذهان الكثير من علماء العروبة والإسلام أنفسهم.

وأن الدكتور عثمان الذي تبنيت جميع أبحاثه العلمية التاريخية وكشوفه الأثرية منذ أكثر من ثلث قرن مضى لم يخيب الرجاء فيه وها هو بعد أن زود المكتبة العربية والفكر الإسلامي بموسوعته التاريخية والأثرية والفنية حول حضارة شالة الإسلامية التي جاءت نتيجة أبحاث تاريخية معمقة وكشوف أثرية موفقة صححت كثيرا من الأخطاء والمفاهيم السابقة عليها، وها هو اليوم يسد نقصا جوهريا في المؤلفات المتعلقة بالدراسات العربية والإسلامية العربية منها والأجنبية بتقديم موسوعة جديدة تتناول تاريخ العمارة الإسلامية بأنواعها الدينية والمدنية والحربية مع تخصص دقيق في جميع أنواع الصناعات الإسلامية والفنون الثابت منها والمنقول على مختلف المواد من حجر وجص ورخام ومعادن وعملة وخشب وخزف وفخار وغيرها بالإضافة إلى فنون الكتاب الإسلامي مما يجعل من هذه الموسوعة دائرة معارف شاملة وقاموسا جامعا لشوارد العمارة والفنون ووارداها.

لقد سبق لي أن أوضحت بالبحث المسهب الذي صدرت به موسوعته العلمية عن حضارة شالة الإسلامية منهجية المؤلف التي تقوم أساسا على البحث الميداني والعمل التطبيقي والدراسة المقارنة بعد استيعاب آراء القدامى والمحدثين شرقا وغربا عرباً وأجانب، وتقصي الأصول والمصادر في مظانها المبعثرة وآثارها المندثرة الأمر الذي أوصله إلى نتائج جديدة أصبحت تفرض نفسها في مجال الكشف عن الذات بالنسبة للمجالات الحيوية للعبقرية المغربية في إطار الفكر العربي الإسلامي الشمولي لجناحي الإسلام في المشرق والمغرب.

وسوف يلمس الباحثون من خلال هذا العمل الكبير مبدأ المؤلف المعتمد على النظرة الموضوعية والبحث الميداني والتحليل المقارن في نطاق الوعي بالذات للوصول إلى الحقيقة بعد تقصي الأصول ومتابعة الفروع لرد الفرع إلى الأصل وجمع النظير إلى النظير وتبويب الإنتاج وتحديد المعالم واستخلاص المميزات وتمييز الطرز وتحديد الأساليب.

لقد وفق المؤلف في الدفاع بموضوعية علمية منصفة عن معالم الحضارة المعمارية والفنية التي خلدتها عبقريات المبدعين من بنائي وفناني المغرب الأقصى مع التأكيد على ربط الصلات الحضارية بين مراكز الحضارة العمرانية بالمغرب الإسلامي ووحدتها مع مؤثرات وتأثيرات الحضارة الإسلامية المشرقية نتيجة الوحدة التاريخية الحتمية لحضارة الإسلام شرقا وغربا المدعمة ببحث الأصول والمصادر للعناصر المعمارية والفنية ومتابعة مسيرة العنصر الواحد من مشرق العالم الإسلامي إلى مغربه أو العكس واستجابة العوامل النفسية والإجتماعية والاقتصادية في ربوع الوطن العربي لانسجام واحد طوال أربعة عشر قرناً.

كما لا يعفينا الإيجاز . نا من الإشارة إلى نجاح المؤلف في الوصول إلى وضع فهرسة تاريخية وتبويب علمي للطرز والأساليب لم يُسبَق إليه فأقر لأول مرة تسلسلا حضاريا لتاريخ العمارة والفن كان البحث العلمي يفتقر إليه إذ جعل من ميراث العمارة والفنون المغربية قبيل الإسلام طرازا أسماه الطراز المغربي العربي القديم مؤكدا بذلك المصطلح العلمي عروبة المغرب القديم في دورة حضارية سابقة على حضارة الإسلام كان المستشرقون من مروجي سياسة الإستعمار الحديث يخفونها بكل افتراءاتهم المعروفة.

كما يبتكر المؤلف مصطلح الفن المغربي الإسلامي المبكر لفنون عصر الأشراف الأدارسة والزناتيين ثم يصحح مفهوم الطراز الاسلامي الذي ظهر بالعدوتين المغرب والأندلس ابتداء من ضم المرابطين للأندلس وإنقاذ الرجل المريض، فيما وراء البوغاز بفعل ملوك الطوائف إلى نهاية عصر المرينيين، وأبان عن دور المغرب الحضاري بالنسبة للأندلس سياسيا وحربيا وعمرانياً. لقد أطلق المؤلف اصطلاح الفن المغربي الأندلسي بدل اصطلاح الفن الأندلسي المغربي الذي يتمسك به المستشرقون مجافاة للحقيقة، وقد أيدتُ فكرة الدكتور عثمان براهين

أخرى جديدة أشرتُ إليها في تصديري لموسوعته حضارة شالة الإسلامية.

ويكمل المؤلف تبويبه للطرز الفنية بعد الفن المغربي الأندلسي بطراز الأشراف السعديين والعلويين بعد أن ظهر طراز جديد متميز بذاته في إطار التطور السياسي والحربي الذي أصاب المغرب والعالم المحيط به وما استجد من آلات عصرية ومنتجات آلية ومواد حديثة صناعية.

ومما تجدر الإشارة إليه أن المؤلف لم يترك مشكلة تاريخية معمارية أو فنية دون تشخيصها وفحصها والوصول إلى رأيي (ما وسعه الجهد) بفكر متخصص ونظرة موضوعية مما جعل من هذه الموسوعة دليلا تاريخيا لحضارة المغرب العربي المسلم وتطور مراحلها الذاتية اقتصاديا واجتماعيا وعمرانيا في إطار الوحدة الجهوية والعلاقات العرقية والفكرية للعالمين العربي والإسلامي شرقا وغربا.

الجمعة 5 رجب 1404
6 أبريل 1984

محمد الفاسي

تقريظ بقلم

الأستاذ الهاشمي الفلالي أمين
وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية

ليس بخاف ما لتاريخ الأمم والشعوب من أثر بالغ الأهمية في زرع روح التفوق والنبوغ والاستمرار الذاتي في الأفراد والجماعات والشعوب. وكلما علا شأن هذا التاريخ وعظم حظه من المجد والسؤدد وسما بمآثره وصفحاته الخالدة كلما كان ذلك أدعى إلى الاعتبار والاتعاظ وأقوى مفعولا في التربية القومية والتكوين العام وأشد إثارة للهمم والارادات.

ولقد كان من دأب السياسة الاستعمارية في العالم العربي والاسلامي خاصة والسياسة الفرنسية في أفريقيا والمغرب بصفة أخص العمل على محو تاريخ الأمم الاسلامية والعربية بطرق متطورة وأساليب متنوعة وأفانين من الخداع والتضليل والمغالطة ليس أقلها إحياء تاريخها الجاهلي والبدائي والوثني أو صرف العناية والاهتمام للتاريخ الأوربي بمختلف الأساليب المغريه المثيرة للإعجاب.

ولعل في مقدمة ما ساعد الاستعمار الأوربي على هذا المنهج أن معظم التاريخ الاسلامي والعربي تاريخ حكام وحكومات وحروب وانتصارات أو انهزامات، من غير إعطاء الاهتمام بالجوانب الحضارية من تاريخ الشعوب، أو أقل عناية بالنواحي الأخلاقية والاجتماعية، والتطورات الفكرية والأدبية ومظاهر الحضارة العمرانية. وعدم الاهتمام بهذه الجوانب كتاريخ للشعوب وحضارتها متسلسل المعالم مما جعل عامة المتعلمين والطلبة وجمهور الدارسين من غير الباحثين والمتخصصين ينصرفون عن التاريخ انصرافا كليا أو يعتبرونه أقرب إلى الحكايات منه إلى العلم.

ولعله من نافلة القول إن هذه العوامل بالذات هي التي جعلت الطلائع الأولى من رجالات الوطنية في المغرب تنصرف لهذا المجال الحيوي الهام. حفاظا على هوية المغرب العربي المسلم ودفاعا عن حضارته وذاتيته ومحاربة لعمليات الاندماج والاستلاب الفرنسي الذي كان الاستعمار يمهد له بالمدرسة والكتاب والصحيفة والقوانين الوضعية. ومن ذلك منع دراسة تاريخ المغرب في المدرسة الاسلامية الأمر الذي دفعنا نحن الثلة الأولى علال الفاسي وعبد العزيز بن ادريس رحمهما الله وكاتب هذه السطور لأن نشتغل بإحياء تاريخ المغرب عن طريق

تحقيق وتحرير وطبع ونشر أمهات الكتب التاريخية كابن خلدون والقرطاس، في أول محاولة منذ ما يقرب من خمسين سنة لمقاومة المخطط الفرنسي الصليبي الاستعماري في هذا المجال. وهذا ما دفعني شخصيا، وبصفة أخص لأن أألف للمدرسة الاسلامية (دروس تاريخ المغرب) متحديا بذلك قرار الاقامة العامة بمنع تدريس هذه المادة على نحو يشكل أزهى وأنصع صفحات الجهاد الوطني الذي خضناه على مدى نصف القرن الأخير.

ولهذه الأسباب جميعها، واعتبارا للمعطيات السالفة الذكر، كان سروري عظيما وتقديري كبيرا لفضيلة الأستاذ الباحث المحقق الدكتور عثمان عثمان إسماعيل الذي طلب مني أن أكتب مقدمة لهذا الكتاب الجامع والسفر القيم الذي يحوي فصولا شيقة عن العمارة المغربية والإبداع الحضاري الذي ساهم به شعبنا العربي المسلم في الفنون المعمارية الشاهدة على مدى الزمن على تفوقنا ونبوغنا وعلو كعبنا في الحضارة والذوق والفن والعلم.

وأود أن أغتنم هذه المناسبة لأشيد بجهود المؤلف العالم المتمكن الذي وفق إلى أبعد الحدود في إبراز دور المغاربة في تطوير أعرق الفنون الحضارية لدى أمتنا العربية الاسلامية والمحافظة عليها عبر الأحقاب والأزمان.

ومن الحق أن نقول، وقد وقفت على محتويات الكتاب، وأحطت بمدلولاته وأبعاده والأهداف الفكرية والتاريخية والحضارية التي يخدمها، إن عمل المؤلف في هذا المجال يعتبر خدمة للعالم العربي والاسلامي باعتبار أن حضارة المغرب المعمارية والعمرانية حضارة إسلامية عربية إستطاع المؤلف أن يبرزها في أشكال رسومها وصورها وكل مظاهر الجمال فيها المرتبطة بالحرف العربي والآية القرآنية والحكمة البيانية.

ولا شك عندي، أن هذا العمل الجليل خير ما ينير السبيل لأجيالنا الناشئة ويربط حاضرها بماضيها المجيد ويرسم لها طريق المستقبل الذي يحفظ على هذه الأمة دينها وحضارتها ومميزاتها وقيمها ومقوماتها وهذا ما يجعل المؤلف الفاضل الدكتور عثمان عثمان إسماعيل حقيقا بكل تقدير وجديرا بكل تنويه.

وفق الله العاملين لازدهار حضارة العروبة والاسلام، وكل في حقل عمله، والله المسؤول أن يجزي كل من أحسن عملا.

الرباط 27 جمادى الثانية 1403
موافق 11 أبريل 1983

الهاشمي الفلالي أمين
وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية

تقريظ بقلم

معالي الأستاذ محمد العربي الخطابي

وزير الاعلام الأسبق الباحث والمفكر والأديب
مدير الخزانة الملكية وعضو أكاديمية المملكة
المغربية

بسم الله الرحمٰن الرحيم

لايصبح تاريخ الدول والرجال ذا معنى إلا حينما يكشف عن معالم الحضارة ويبرز مقومات الفكر والثقافة، وهو بدون ذلك يبقى تاريخا جافا خاليا من الروح مجردا من الدلالات الإنسانية التي تتجلى في المعتقدات والعلوم والآداب والفنون والصنائع.

وقد دأب الأستاذ المؤرخ الدكتور عثمان عثمان إسماعيل على البحث والتنقيب عن معالم حضارة الغرب الإسلامي مستهينا بالصعاب التي يلقاها الدارس عادة في هذا الميدان لأسباب عدة منها تبعثر المعلومات في بطون المؤلفات القديمة، وضرورة غربلة ما هو موجود في المراجع الأجنبية المتخصصة التي قد لا تخلو من لمزات أو أخطاء في الفهم والحكم، فضلاً عن المشاق التي يتطلبها التنقيب الفعلي عن تلك المعالم ودراستها في عين المكان ومقارنتها بغيرها والكشف عن خصائصها ومميزاتها بكيفية تحترم منهج البحث العلمي وتفسح للنظر الفاحص والاستنتاج القويم مجالاً واسعاً. وكلُّ هذا لا يتاح لغير الباحث المتخصِّص الذي تجتمع لديه المعرفة والمراس والقدرة على الملاحظة والمقارنة والاستنباط، فضلاً عن الولع بمادة البحث والانسجام معها جملةً وتفصيلاً.

لذلك فإنني قدرت المجهود الذي بذله الدكتور عثمان عثمان إسماعيل في تأليف كتابه الجديد «تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى»، فهو لم يقف عند حدِّ جمع مادة الكتاب وترتيب أجزائها ولمّ أطرافها ــ وهذا في حد ذاته عمل شاق محاط بالصعاب ــ بل إنه استخدم فكره، فحصاً وتحليلاً واستنتاجاً ــ مستعيناً بما وهبه الله من علم في مسائل الآثار والتاريخ، وما منحه من عزيمة في سبيل الإبانة عن إسهام المغرب في بناء الحضارة الإسلامية الشامخة.

ولقد أحاط الدكتور عثمان بالموضوع إحاطة شاملة فتوسع في إبراز خصائص العمارة والصنائع الفنية المتصلة بها، وأفرد للخطّ والمسكوكات والصناعات المعدنية والرخامية والخشبية مكاناً رحيباً، وربط الفروع بالأصول، وفحص الأشباه والنظائر، وميَّز بين الأساليب والمدارس، ومهَّد لكل ذلك بمدخل ومقدمات لا بدّ منها، وحَلَّى كتابه بالصور والخرائط وما إليها، وأفرغ هذا الجهد كلَّه في قالب قوامه النظرة الإسلامية الشاملة التي تفسح لأجيال الإسلام وشعوبه مجالاً رحبياً للنبوغ والمهارة والإبداع، على اختلاف الناس والأزمنة والأمكنة.

ولا شكّ أن هذا الكتاب الحفيل سيملأ فراغاً كبيرا في الخزائن الإسلامية العربية، وسيجد فيه الطلاب والأساتذة وعموم القراء الفائدة المرجوّة والمتاع الفكري الذي تتيحه مطالعة الكتب الجادة.

والله تعالى يوفِّق كلَّ من يخدم أمة الإسلام بالعلم والعمل وابتغاء مرضاة الله في السرِّ والعلن.

الرباط 8 ربيع الأول 1402
4 يناير 1982

محمد العربي الخطابي

تصدير العلامة الأستاذ عبد الوهاب بن منصور

مؤرخ المملكة المغربية وعضو الأكاديمية الملكية
بكتابنا حفائر شالة الإسلامية

بقيت دراسة الآثار المغربية ــ إسلامية وغير إسلامية ــ قاصرة على العلماء الأوربيين والأمريكيين إلى سنوات متأخرة والكتابة عنها مما تنفرد به لغاتهم، فكان الباحثون عن ماضي المغرب والدارسون له من العرب يحسون بنقص كبير، بل ويشعرون بخجل عظيم، لأن دراسة الآثار واستنطاقها واستنتاجات الأركيولوجيين مصدر قيّم من مصادر المؤرخ، لا غنى له عن الاستعانة به للوصول إلى حقائق ملموسة كانت لولاها مجرد طلاسم وألغاز تحوم حولها الأفكار وتتضارب بشأنها الآراء لسكوت الصحف المكتوبة عنها وإغفال المؤرخين إياها.

وقد بدت بعض البوادر التي تبعث على التفاؤل بعد نهاية الحرب العالمية الأولى بما ألف بعض علماء المغرب من مؤلفات تاريخية ضمنوها أوصافاً لما تحتوي عليه مدن المغرب وقراه من مساجد ومدارس وقصور وحصون وحمايات وبروج، أو بما نقلوه إلى العربية بما كتبه عنها العلماء الغربيون، ولكن دراسة موضوعية متخصصة للآثار المغربية باللغة العربية لم تظهر لأول مرة إلا على يد الأستاذ الجليل العالم المقتدر الدكتور عثمان عثمان إسماعيل الذي ملكت آثارنا لبه وسلبت عقله فعاش إلى جانبها ومعها يوليها من عمله مثل الذي أولاها من حبه. ويرفع عنها الغبار ويجلو منها الصدأ لتبدو كالمرآة صقيلة تحدث رائيها وهي صامتة بأفصح لسان عما تقلبت فيه بلادنا المغربية من حضارة وعرفته طوال تاريخها من عمران.

عرفت الأستاذ عثمان عثمان إسماعيل منذ اختيار المغرب وطناً ثانياً له، ووصل بهجرته إليه وإقامته فيه ما لم ينقطع من هجرة العرب والمسلمين إليه وإقامتهم فيه على الرحب والسعة، فعرفت فيه الرجل المتواضع والعالم المقتدر، والمحب الصادق الذي أقام على حبه للمغرب وإخلاصه لملكه ألف دليل معرضاً نفسه أحياناً في سبيل الحب لأخطار الأنظمة الديكتاتورية المتربصة المتآمرة قريبها والبعيد، وأعجبت به وهو يقود الطلبة إلى خرائب شالة يكشف لهم

عن أسرارها ويشرح لهم ما يعمر به باطنها وظاهرها مثلما أعجبت به وهو يسير جندياً مجهولاً وسط مئات آلاف المتطوعين في المسيرة الخضراء، وطالعت بعض مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة فراعتني دقته في البحث وبداهته في الاستنتاج وإحاطته بالموضوع من جميع جوانبه وإلمامه بكل ما كتب عنه مثلما راعني أسلوبه الإنشائي وطريقته في الحجاج والمناقشة التي تدل على حيوية وروح نقادة وإذا كنت أراه يحمل التاريخ أحياناً مالا يتحمل ويفترض فروضاً تقوم قرائن كثيرة على ضعفها فما أراه إلا متأثراً بفكر العالم الأركيولوجي وطبيعته : يرى أثرًا قائماً ينطق بأنه راجع إلى عصر من العصور فيتشكك ويقول لابد من سبر للأغوار وبحث في الأعماق لعلنا نكتشف أنه قائم على أنقاض آثار أخرى ترجع إلى عصور سبقته، وعلى أي حال فإن فضيلة الرجل أن بصره وقاد وعقله نقاد، لا يسلم القول تسليماً لمجرد أنه صادر عن فلان أو وارد في كتاب.

نرجو أن يواصل الدكتور عثمان عثمان إسماعيل دراساته وأبحاثه عن الآثار المغربية، فكم في المغرب غير شالة من مدائن خربت، وربط درست، وقلاع طمست، وقصور ومدارس دثرت، انه ان فعل ذلك سيملأ فراغاً يحس به الباحثون والدارسون بمنتهى المرارة، ويفجر ينبوعاً غزيراً يرتوي منه كل متعطش لمعرفة ماضي المغرب الأقصى قريبه والبعيد.

وبما أن الخالق البارىء زاده بسطة في العلم والجسم فما أظنه إلا سيفعل اعترافاً بنعمه وشكراً لآلائه.

الرباط في يوم الأربعاء 21 شوال 1397
5 أكتوبر 1977

عبد الوهاب بن منصور

مؤرخ المملكة

المملكة المغربية
القصر الملكي

ضريح محمد الخامس

رقم 35

الرباط في 3 ربيع الثاني 1402
موافق 1982/1/29

من محافظ ضريح محمد الخامس
إلى جناب الدكتور عثمان عثمان اسماعيل
الرباط

الموضوع : كتاب عن ضريح محمد الخامس

السلام عليكم ورحمة الله

وبعد، فإن مديرية ضريح الملك المرحوم محمد الخامس ترغب تأليف كتاب عن ضريح محمد الخامس يبين بكيفية علمية فنونه وروائعه ويشرح طرافته وبدائعه.

ولما هو معروف في جنابكم من كفاية واقتدار وفهم واسع للفنون الاسلامية والمغربية ارتأت ان تقترح على جنابكم تأليف هذا الكتاب.

فالمرجو إذا صادف منكم هذا الاقتراح استجابة ان تتصلوا بمحافظة الضريح لدراسة طرق انجاز هذا الكتاب والسلام.

توقيع محافظ الضريح

عبد الوهاب بنمنصو

تقريظ بقلم

الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

مدير التعليم العالي ومدير مكتب تنسيق التعريب بالوطن العربي أستاذ الحضارة بالجامعات المغربية وعضو الأكاديمية الملكية بالرباط

يثري الدكتور عثمان عثمان المكتبة العربية وخاصة المغربية بفيض من الدراسات الميدانية في موضوع يكاد يكون بكرا هو (العمارة الإسلامية) وقد سبق للأستاذ أن أصدر الجزء الثالث من كتابه (حضارة شالة الإسلامية) ضمن سلسلة (حضارة المغرب العربي والأندلسي)، وهو يحتوي على سبعة فصول تنطوي على قسمين أولهما حول (الفنون الإسلامية بالمغرب الأقصى) والثاني بخصوص (النقوش العربية).

وهذا الجزء امتداد لجزئين سابقين (تاريخ شالة الإسلامية وحفائر شالة الإسلامية) قدم الدكتور خلالهما دراسة مقارنة رصينة كمحاولة لتأصيل جانب هام من معطيات الحضارة المغربية وإبراز الدور الطلائعي الذي قامت به مدينة شالة الإسلامية كمدينة رائدة في فترة حسبها الكثير من المؤرخين حقبة جمود وخمود.

ويصدر الأستاذ الفاضل اليوم سلسلة جديد في خمسة أجزاء من بحوثه الشيقة استكمالا للمسار العام لهذا المقوم الحضاري الحيوي مبرزا إسهام المغرب في بلورة كيان الأمة العربية من خلال الأضواء الملقاة على مظهر خلاب من مظاهر أصالتها وهو (العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية).

وقد وفق الأستاذ فيما أدلى به من حجج تاريخية وأثرية حيث استخلص مظاهر الروعة في بادرات الأدارسة والزناتيين في الفترة التي سماها Gautier بالعصور الغامضة في تاريخ المغرب وقد تجلت هذه البادرات خاصة في مجالات أخاذة من المعمار العربي متبلورة في فنون الزخرفة والنقش التي يستشف الباحث من دقة تعاريجها ورقة مقرنصاتها وعمق خطوطها وتناسق أجزائها مشاعر الفنان المغربي الذي أشرف على إبداعها.

كما وفق الأستاذ عندما قسم «طرز هذه العمارة» إلى أربعة مظاهر مبرزا معالم هذا الطراز خلال أربع فترات وهي عهود الطراز المغربي العربي القديم (طراز البربر) والطراز المغربي

الاسلامي المبكر (من نشأة الاسلام إلى بداية عصر المرابطين) وهو ما سماه كوتيي بالعصور الغامضة ثم الطراز الأندلسي المغربي الممتد من عهد المرابطين إلى آخر الوطاسيين (أفرد له ثلاثة أجزاء) وأخيرا طراز الأشراف السعديين والعلويين الذي ضمنه الجزء الخامس والأخير من بحثه الشيق.

وهو يعرف (الطراز الأندلسي) بأنه هو الفن الذي أنتجه المسلمون بالأندلس منذ بداية فتح الأندلس عام 93 هـ حتى تاريخ (وقعة الزلاقة) وهو فن عربي إسلامي جمع بين المؤثرات القوطية المحلية الضعيفة والتقاليد البربرية منذ الفتح ثم التقاليد الشرقية الأموية بعد نجاح الإمارة ثم الخلافة الأموية مع الطابع الاسلامي للفن الاسلامي المشترك (ج 2).

تلك سمات بادرة خلاقة تستهدف الأصالة والتجديد في حيوية مبدعة تتجلى في ثناياها تطلعات الفنان نحو التطور الموصول لتجلية أفضل وتحلية أمثل. وهو تطور استجلاه الأستاذ الدكتور من هيكل التخطيط المعماري في المساجد والمدارس ومختلف مجالات العمران منذ عهد الأدارسة للكشف عن خصائصها ومميزاتها وأبعادها الفكرية والدينية والاجتماعية مع التركيز على مواد بعينها مثل الفخار والخزف والزليج بمختلف أنواعه في صور ناصعة لمختلف تركيباتها الزخرفية.

وقد حاول الأستاذ الدكتور تحقيق تاريخ بناء مدينة الرباط بالجزء الثالث فلاحظ ورود اسم (مدينة رباط الفتح) في فترة حكم الخليفة عبد المؤمن بن علي سبع مرات في نصوص من كتاب (المن بالامامة) لابن صاحب الصلاة تغطي فترة تبتدىء من عام 553 هـ إلى 558 هـ وهو تاريخ وفاة الخليفة في حين لم يستعمل ابن صاحب الصلاة هذا الاسم قبل ذلك أثناء عرضه لأحداث المنطقة وقد أورد أمر عبد المومن ببناء الدور والأسواق بموقع رباط الفتح حول قضية المهدية منذ 545 هـ مع تكرار اسم (رباط الفتح).

وقد فرضت استنتاجات الدكتور عثمان الرصينة نفسها حيث برزت حقائق تاريخية جديدة قومت أود ما تداوله بعض المؤرخين من أخطاء.

وقد وضع الدكتور بيبلوغرافية عن شتى فروع الحضارة الاسلامية حول العمارة والنقوش والعملة فاكتمل بذلك نسق هذه الدراسة الشيقة التي أسهمت في بلورة حقائق كان بعضها مجهولا في سلم ومقاييس الحضارة المغربية.

فهنيئا للأستاذ الدكتور بهذا التوفيق الذي نرجو أن يعقبه بحث جديد للكشف عن جوانب أخرى من حضارتنا المغربية.

وحرر بالرباط

عبد العزيز بن عبد الله

المملكة المغربية

الديوان الملكي

مستشار صاحب الجلالة

1-1018

الحمد لله وحده

والصلاة والسلام على مولانا رسول الله

20 ذوالقعدة 1413

12 مايو 1993

ب .هـ/ م

من مستشار صاحب الجلالة

إلى

الأستاذ الدكتور عثمان عثمان اسماعيل

- الرباط -

الموضوع : الاعلام بوصول كتابكم " تاريخ العمارة الاسلامية والـ ـون التطبيقية بالمغرب الأقصى ".

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد ، تسلمت بيد الشكر والعرفان نسخة من كتابكم القيم " العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى - الجزء الثاني - عصر دولة المرابطين " الذي أرسلتموه هدية طيبة من فضيلتكم .

وأود بهذه المناسبة أن أعرب لكم عن عميق شكري وامتناني لهذه الالتفاتة الكريمة ، وأشيد بموسوعتكم التاريخية والأثرية والفنية ، التى أبرزت بكيفية جلية اسهام المعمار المغربي وتأثيراته على الفنون العربية والاسلامية ، وبالأخص الأندلس .

ولا شك أن هذا الانجاز العلمي الرفيع سيروي ظمأ أجيالنا المتعطشة لمعرفة جذور فنونها الضاربة بعمق فى تاريخ الحضارة الانسانية .

فجزاكم الله عن هذا العمل خير الجزاء ، واننا لنرجو الله سبحانه وتعالى أن يمدكم بالمزيد من الصحة والعافية والتوفيق ، لمواصلة أبحاثكم ودراساتكم الهادفة لخدمة التاريخ المعماري والفني لوطننا .

وتقبلوا فضيلتكم فائق مودتي وأزكى تحياتي

مستشار صاحب الجلالة



إمضاء : أحمد ابن سودة

لأستاذنا العالم المجاهد سيدي أحمد بن سودة خالص الود والتقدير على رعايته للباحثين في حقول الحضارة العربية الإسلامية.

دلائل الكتاب

دليل الموضوعات



دليل الأشكال

رقم بيان **صفحة**

دليل الخرائط الملحقة

1 ــ بيان أفقي ورأسي لدول وإمارات الغرب الاسلامي

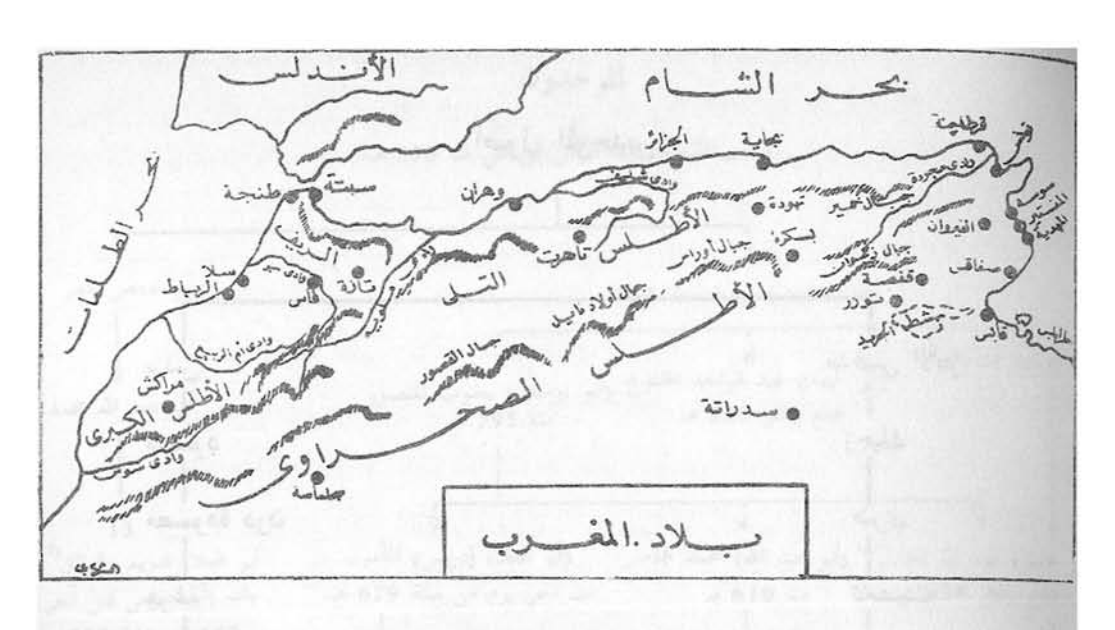
2 ــ خريطة الغرب الاسلامي الافريقي

3 ــ خريطة الغرب الاسلامي الأندلسي

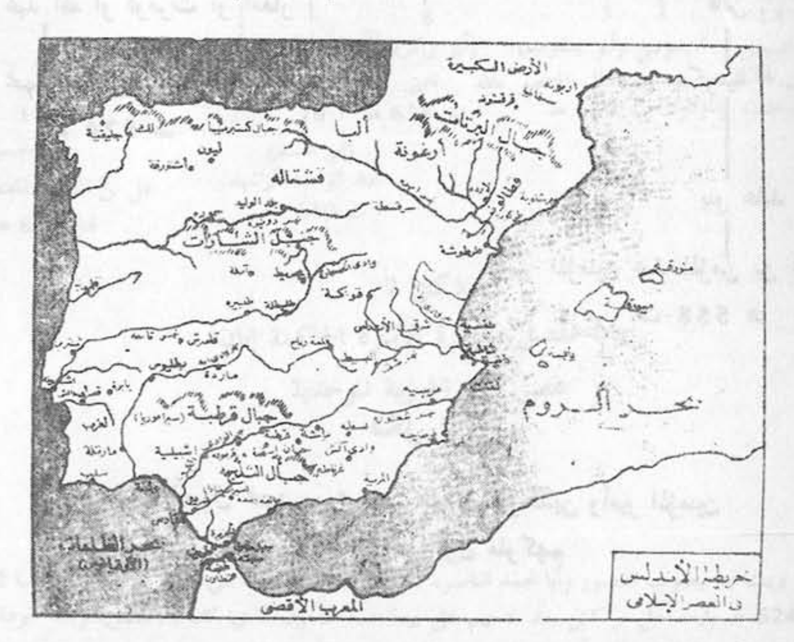
مصر	(إفريقية) تونس	المغرب الأوسط الشرقي	المغرب الأوسط الغربي	المغرب الأقصى	إسبانيا المسلمة
الدولة الأموية (40 - 132 هـ)					
الدولة العباسية من 132 هـ					الأمويون بقرطبة والدولة العامرية (422/138)
الدولة الطولونية (292/254)	الأغالبة (296 - 184)	الدولة الرستمية (292/144)	بنو مدرار 140 - 354	الأشراف الأدارسة (343/172)	
الأخشيدية 358/323	الدولة الفاطمية	بنو زيري 361 - 405	بنو حماد 405 - 547	الزناتيون 462/313	ملوك الطوائف بنو هود بنو عباد.. (484/422)
العبيديون (567 - 296)				المرابطون (539/462)	
الأيوبيون (648/564)	امبراطورية الموحدية (674/527)				
دولة المماليك (923 - 648)	الحفصيون	بنو عبد الواد ملوك تلمسان		المرينيون والوطاسيون (961 - 668)	بنو نصر بغرناطة سقطت 898
	العثمانيون من 923			الأشراف السعديون 956/916 1069	ملوك النصارى
	بايات تونس	دايات قسنطينة	البيلربكوات ثم الباشوات فالدايات	الأشراف العلويون من 1069	
دولة محمد علي من 1805 م	استعمار فرنسي			حماية فرنسية	
جمهورية من 1952 م	استقلال تام				

بيان أفقي ورأسي لدول وإمارات الغرب الإسلامي(*)

(*) – البيان بدون مقياس رسم، والدول لا تنشأ وتسقط في يوم وليلة وهو سبب تداخل تواريخ بداية ونهاية الدول.
– قصر المستشرقون اصطلاح شمال إفريقيا على تونس والجزائر ومراكش لعزلها عن مصر (وهي دولة شمال إفريقية جغرافياً) مركز ومحور اتصال المغرب العربي مع حضارة المشرق مهبط الوحي والموطن الأول للجنس العربي.

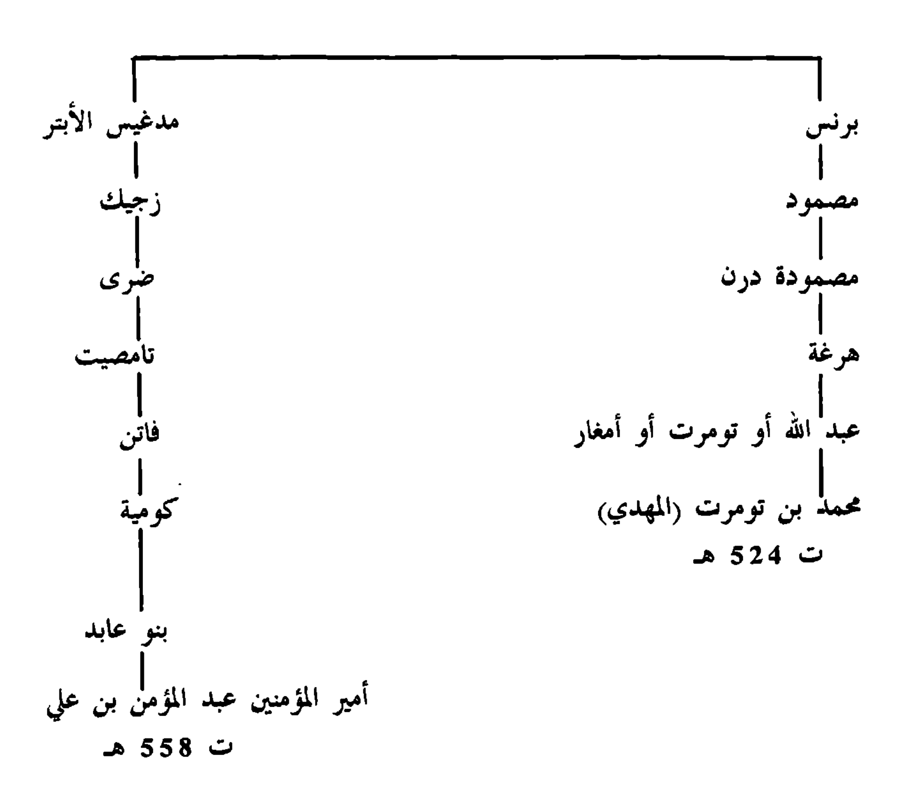


خريطة الغرب الاسلامي الافريقي



خريطة الغرب الاسلامي الأندلسي

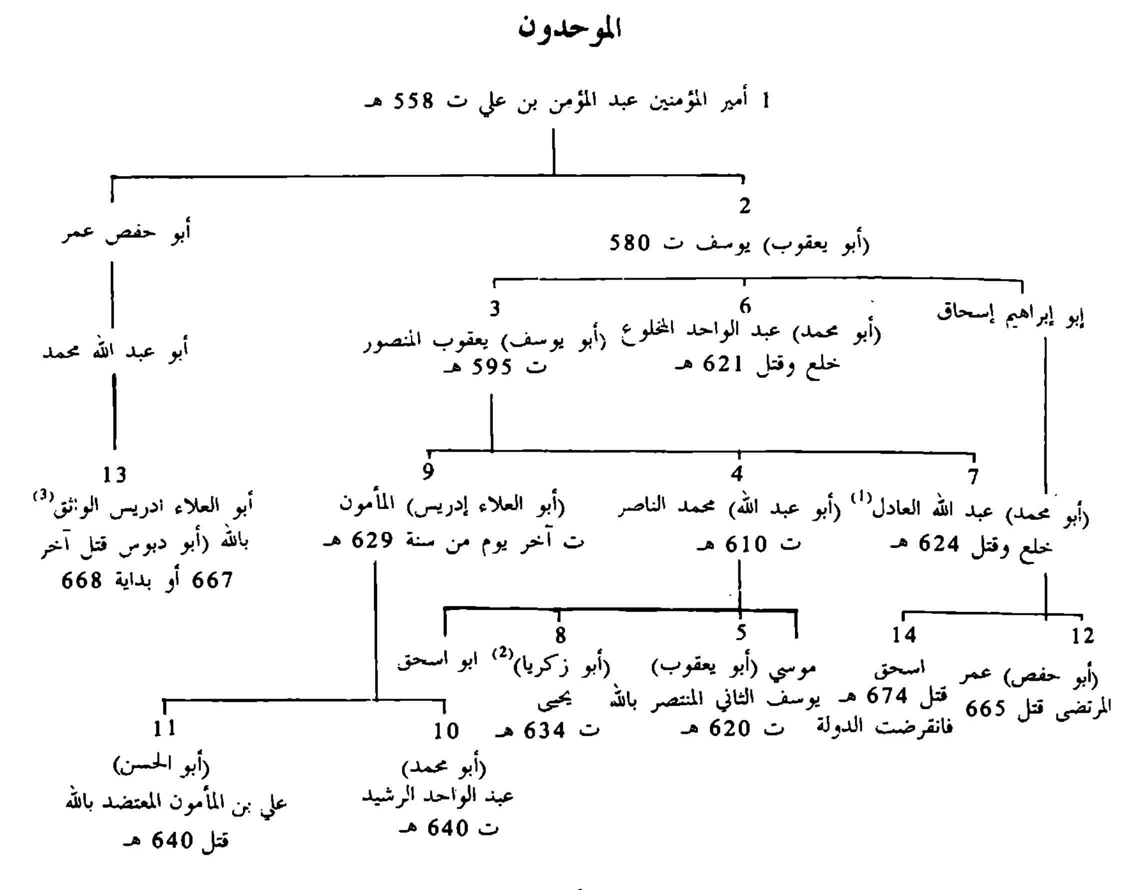
أصول الموحدين



شكل 1

بيان بأصول محمد بن تومرت مهدي الموحدين وأمير المؤمنين عبد المؤمن ابن علي أول ملوكهم

الموحدون



شكل 2

بيان مفصل بشجرة الأسرة الحاكمة إبان

عصر الامبراطورية الموحدية

---

(1) العادل جعله بريت ابنا ليعقوب المنصور وأبا لمحمد الناصر، كتاب بريت عن العملة ص 154 وراجع الاستقصا 206/2.

(2) بويع يحيى 624 هـ بايعه أهل مراكش بعد ندمهم على بيعة عمه المأمون الذي كان بالأندلس، وبعد عودة المغرب لبيعة المأمون فر يحيى 626 هـ إلى أن قتل في حرب الرشيد بن المأمون 634 هـ.

(3) أبو دبوس (عند بريت ص 154) هو أبو العلاء إدريس بن أبي عبد الله محمد بن أبي حفص عمر الرشيد بن أبي يعقوب يوسف، والصحيح عند السلاوي أن أبا حفص عمر والد أبي عبد الله محمد إنما هو أخ أبي يعقوب يوسف، أنظر الاستقصا 230/2.

المقدمة

الحمد لله وحده :

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَضْعِفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى﴾[1] صدق الله العظيم

وبعد، ﴿سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[2].

لقد حاولت بصدق وإخلاص في غير ما تعصب ولا محاباة، التأريخ لحضارة الغرب الاسلامي عامة، عن طريق محورها التاريخي وقلب تحركها النابض الذي صمد لحركات التبشير قديما، ووطأة الاستعمار ومحاولات التمسيح في أعقاب العصور الوسطى، ثم مختلف حيل الإلحاد والاديولوجيات المادية حديثا، وأعني بذلك دولة المغرب الأقصى.

وقد اخترت موضوع الآثار الحضارية من مآثر معمارية وفنون تطبيقية ساحة للكشف عن عبقريات الاسلام وملكات ومواهب المسلمين، للرد على خصوم الوحدة بين الدين والدنيا ومنكرى المزاوجة بين العلم والعمل في فلسفة الاسلام التي أتى بها الذكر الحكيم، ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾[3] ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَمَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ و ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[4]... هذا مقام العلم، أما مقام العمل فقد شرفه الله تعالى وكرمه بقوله سبحانه ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا[5] وَوَحْيِنَا﴾ كما قال في سورة الأنبياء ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾[6] صدق الله العظيم.

---

(1) الأعراف آية 137.

(2) البقرة الآية 32.

(3) النمل آية 40

(4) فاطر الآية 28﴿وَقَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ..﴾ النمل 40

(5) المؤمنين آية 27 وفي سورة هود الآية 37 ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ تعقبها الاستجابة للأمر بالصناعة بالآية 38 نفس السورة ﴿وَيَصْنَعِ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ...﴾ الآية

(6) سورة الأنبياء آية 80.

إن أصالة وتفوق الحضارة الاسلامية بالمغرب الأقصى واشعاعها التاريخي وامتدادها الجغرافي لأشمل وأعم وأكثر قيمة وأهم من أن يحصرها جهد محدود كهذا في خمسة أجزاء متواضعة، وأنه ليخطىء كل الخطأ من يتوهم أن عبقريات العرب الأقدمين بالمغرب الأقصى (البربر) قبل الفتح... وثورات الاسلام المتلاحمة المتكاملة (ضد التخلف الاقتصادي والتأخر الاجتماعي لتحقيق التحرر الانساني) فوق الأرض الطيبة (منذ عهد القادة الفاتحين ومن بعدهم الأشراف الأدارسة ومن تلاهم إلى عصر الأشراف العلويين)، يمكن فهمه (كما كان يدعى عالم الاستعمار هنري تيراس) في حدود المعطيات المعاصرة دون النظر في تاريخ الحضارة الفسيح للأمة المغربية العربية المسلمة.

وسبق أن كشفت في مقدمة الجزء الأول عن هدف تلك الدراسات وأوضحت المنهجية التي التزمتها في هذه الأبحاث وقسمت تاريخ العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية في المغرب الأقصى إلى أربعة طرز ابتكرت تصنيفها على الحقيقة دون تقليد لفكر سابق أو مسايرة موقف لاحق... وإنما احساسا صادقا واحتكاكا ومعايشة استغرقت حياتي العلمية المنكبة مباشرة زهاء ثلث قرن كامل على دراسة تاريخ الحضارة بهذا الجناح الغربي لمملكة الاسلام.

وعلى هذا النحو المبتكر المدعم بالأسانيد التاريخية النظرية منها والتطبيقية أسميت الطراز الأول ابتداء من تاريخ الحضارات القديمة إلى بزوغ فجر الاسلام بالطراز المغربي العربي القديم وهو الطراز الذي يسميه المستعمرون ومن نحا نحوهم عنتا أو جهلا بالطراز (البربري).

وقد شاء الله للمغرب الأقصى (منذ وصول الصحابي الجليل سيدي عقبة بن نافع وعهد القادة الفاتحين وتأسيس أهل بيت الله من الأشراف الأدارسة أول مملكة عربية إسلامية...) أن يعرف دورة حضارية جديدة متسامية ومتآخية كانت نتاج تلاقح وتكامل بين عبقريات عرب الاسلام الوافدين وبين مواهب عرب المغرب الأقدمين، ولهذا اطلقت على حركة العمارة والفنون بالمغرب الأقصى ابتداء من الفتح الاسلامي إلى بداية ظهور المرابطين اسم الطراز المغربي الاسلامي المبكر، وقد جعلت من هذين الطرازين المغربي العربي القديم والاسلامي المبكر موضوع الجزء الأول. وقد زودت ذلك الجزء عن قصد بمدخل خاص لدراسة الغرب الاسلامي بعدوتيه المغربية والأندلسية مع دراسة لجغرافية المغرب الأقصى وموجز للنظريات العامة الواجب معرفتها لدراسة الآثار الاسلامية متبوعة بدراسات موسعة وجديدة عن ينابيع وروافد الفن العربي الاسلامي ودور الاسلام العظيم وتأثيره على الفنون العربية الاسلامية وظهور الطرز والمدارس في رحاب الأقطار الممتدة شرقا وغربا تحت جناحي الامبراطورية الاسلامية الزاهرة.

وبعد ذلك نستطيع القول، بأن أسس وقواعد الدورة الحضارية الجديدة التي أرساها الأشراف الأدارسة من أهل بيت رسول الله بالمغرب الأقصى، كانت منطلقا لحياة جديدة

أصبحت أكثر ازدهارا وأشمل تأثيرا رأسيا وأفقيا على مستوى الخريطتين الزمنية والجغرافية، ابتداء من عصر المرابطين وعلاجهم وضع الأندلس المريض ثم احتضانه، وبسط جناح الأمان عليه وصد غوائل الارهاب العسكري المسيحي عنه، وسط انحلال مجتمعات ملوك الطوائف وتخاذلهم عن حماية الأرض ونصرة الدين. إن الواقع الجديد لحياة المسلمين بالجناح الغربي للاسلام بعدوتيه المغربية والأندلسية وتآلف المزاجين المغربي والأندلسي، كان بطبيعة الحال باعثا على إبداع طراز جديد يأخذ بعين الاعتبار إشباع رغبات كل من الحاكم والمحكوم والمنتج والمستهلك بكل من العدوتين فظهر الطراز الذي نسميه بالطراز المغربي الأندلسي وليس الأندلسي المغربي[1] كما يدعي علماء الاستعمار وذيولهم والساهون من بعدهم.

لكن الطراز المغربي الأندلسي الذي طبع إنتاج العدوتين الحضاري بميسم واحد متشابه متآلف متكامل، لم يسقط بالضربة القاضية التي أنهت دور المرابطين على مسرح البطولات الاسلامية (وكان موضوع الجزء الثاني من كتابنا هذا) إذا إذ لم يلبث المغرب الأقصى نفسه موطن المرابطين الذين اندفعوا سابقا من صحارى المغرب الجنوبية نحو الشمال مطهرين مجددين رافعين لواء الاسلام بشمال القارة السمراء وجنوب أوربا، لم يلبث المغرب الأقصى ذاته أن دفع إلى الحلبة بشباب دولة الموحدين الذين آثروا الصراع إلى آخر الجولات فبلغوا ذروة الأحداث عندما كتب لهم النجاح المدهش ما بين مشرق الشمال الافريقي إلى مغربه الأقصى وشمال الأندلس وجنوبه وسيادة بحر الحضارات (البحر الأبيض المتوسط) سيادة مطلقة وتأسيس امبراطورية موحدية إسلامية كبرى، وبهذا زاد نفوذ الطراز المغربي الأندلسي وتحقق له انتشار لم يبلغه منذ أيام مولده على عهد المرابطين، ولهذا الدور خصصنا الجزء الثالث من تاريخ العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية الذي نقدمه اليوم إلى الباحثين المتخصصين وعامة أهل الثقافة والفكر من العرب والمسلمين وغيرهم ممن بحثوا عن الانصاف وأرادوا الوصول إلى الحقيقة لذاتها في غير ما تعصب أو تعنت.

وعلى الرغم من أن الذرَّة حينما تتفتت تتولد عنها طاقة جبارة وهائلة، فإن امبراطورية الموحدين على العكس من ذلك (للأسف الشديد) تفتت إلى أربع دويلات ضعيفة تكاد تذروها الرياح.

لكن المغرب الأقصى ممثلا في دولة بني مرين حاول جهده السباحة ضد التيار المصيري والقدر المحتوم والأيام دول (وتلك الأيام نداولها بين الناس) وبذل قصارى الجهود لصيانة الحضارة عن طريق إعادة الوحدة ونجدة المسلمين من تونس إلى غرناطة واختزان عبقريات

---

(1) راجع تفاصيل فكرتنا بالجزء الثاني ومقدمة كتابنا تاريخ شالة وتصدير الأستاذ الرئيس محمد الفاسي به.

التكامل الحضاري بين العدوتين فاستحق بذلك أن يكون الوريث الشرعي لامبراطورية الموحدين وصاحب اليد الطولى في الدفع بالطراز المغربي الأندلسي طوال قرون أخرى على الأرض المسلمة بالمغرب والأندلس بل يصبح الوريث الوحيد لذلك الطراز الذي لم تغب شمسه عن مجال المغرب الأقصى بعد أن غربت عن الأندلس الحزين الذي ظل يستظيء ناحية المغرب من الضوء المستعار.

وتقديرا وتقييما عادلا لذلك الجهد الحضاري خصصنا الجزء الرابع من كتابنا هذا (وهو الجزء المقبل بحول الله) لعصر دولة المرينيين ودراسة الطراز المغربي الأندلسي في أيامهم.

غير أنه بسقوط دولة المرينيين تتغير الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالعالمين الاسلامي والمسيحي على السواء ويزحف الغرب المسيحي في حركة ردة عنيفة يتبعها مد استعماري عنيد ضد المغرب الأقصى بصفته قلعة الحضارة وقصبة السياسة وركن القوى الذي وحد الجهود العسكرية العربية والاسلامية منذ فتح الاسلام للأندلس إلى تاريخ انهيار دولة بني نصر (بني الأحمر) وسقوط غرناطة تحت أنات آخر حسرات العربي بمرابع الفردوس المفقود.

وبهذا تطرح خصائص جديدة نفسها على مسيرة الحضارة الاسلامية بالمغرب الأقصى وفي ركابها مختلف أنواع العمارة الاسلامية والفنون التي نسميها بطراز الأشراف السعديين والعلويين ونخصص لها الجزء الخامس بحول الله.

ولعله من المناسب الآن التذكير بأنني صدرت الجزء الثاني الخاص بدراسة الطراز المغربي الأندلسي أيام المرابطين بفصل للتعريف بالحدود التاريخية والجغرافية لهذا الطراز ودور المرابطين وفضلهم على الفن ومقومات وأصول ذلك الطراز ثم شرح فلسفة المرابطين التي انعكست على مظاهر منشآتهم المعمارية قبل دراسة العمارة بأقسامها الرئيسية حربية ودينية ومدنية واستكمال ذلك الجزء الثاني بدراسة للفنون والصناعات التطبيقية في عصر دولة المرابطين على مختلف المواد من خشب وحجر وجص وعملة ومعادن ونسيج وفخار مع أبحاث تخصصية لدراسة النقوش العربية والكتابات الاسلامية واختتام ذلك بنماذج من الشعر العربي الذي تناول بعض آثار المرابطين المعمارية والفنية.

وهذا هو الجزء الثالث بعونه تعالى نلتزم فيه نفس المنهجية ونواصل من خلاله نفس التنظيم، وهانحن نبدأ بفصل أول كمدخل تاريخي لتبيان الدافع الاستراتيجي لقيام دولة الموحدين مؤسسة الامبراطورية الاسلامية الفريدة في تاريخ الغرب الاسلامي بأسره وأهمية تلك الدولة ومميزاتها ثم المرور بالأحداث الشهيرة والوقائع الكبرى التي شهدتها عصور أقطاب وقادة من أمثال المهدي بن تومرت وعبد المؤمن بن علي وولده أمير المؤمنين يوسف وحفيد عبد المؤمن

يعقوب المنصور الشهير الذائع الصيت بَنَّاء الموحدين... ذلك أن أحداث (موقعة الارك) وما ترتب عليها، وعلاقة الموحدين بقادة المشرق العربي، واستقدام المنصور لعرب بني هلال على سبيل المثال... كانت كلها علامات بارزة ذات تأثير بالغ على مسيرة الحضارة الاسلامية بالجناح الغربي للاسلام لا يخل من آثار قليلة أو كثيرة على فنون وصناعات المشرقين الأدنى والأوسط. وهذا كله أثر لا تقل عنه أهمية معرفة نتائج سقوط الددولة وانحلال أواصر العلاقات الثقافية المتينة بين دول وممالك المغرب العربي والأندلس بعد هزيمة العقاب وبداية ضعف الامبراطورية تمهيدا لانقسامها.

ونظرا لضرورة الرد على مزاعم بعض غلاة علماء الاستعمار أمثال هنري تيراس الذي وصف امبراطورية الموحدين بأنها لم تكن دولة ولم تكن سوى قبيلة كبيرة، أفردت الفصل الثاني بعنوان (الموحدون أصحاب مدرسة في الفن والعمارة) لشرح جهد الموحدين العسكري وأثره في الفن والعمارة من حيث النتائج التي ترتبت على امتداد الدولة الموحدية شرقا وشمالا، وتلك التي ترتبت على قوة الدولة ووحدتها وثرائها، وتنوع البيئات التي ضمتها الامبراطورية، لتتضح أمامنا أهمية الاتساع الجغرافي الوحدوي تاريخيا وحضاريا، وقيمة الوحدة السياسية والعسكرية والثقافية الشاملة لمجموع بلدان المغرب العربي والأندلس، تلك الوحدة التي سمحت لتيارات الفكر والفنون والصناعات أن تسبح حرة على ضفاف المحيط وثلثي البحر المتوسط، ودفعت بعناصر العمارة والزخرفة طليقة فيما بين طليطلة وجبل الفتح (جبل طارق) ومراكش وسلا ورباط الفتح وفاس، ومن ورائها تلمسان وجزائر بني مزغنة وبجاية ثم سوسة وتونس، والقيروان تلك المدينة التي تحتضن مؤثرات الصناعة ومؤشرات الفن الوافدة من الاسكندرية والقاهرة ودمشق وبغداد ومايلي ذلك من ثقافات مملكة الاسلام بالمشرقين الأدنى والأوسط وميراث حضارتهما العريقة.

كما لم نغفل في ذلك الفصل الرد على فكرة المستشرقين الظالمة، ودحضها، وذلك فيما يخص الأثر الأندلسي في الفن المغربي محاولين الدفاع عن تاريخ الحضارة المغربية المفترى عليها قصدا أو عن جهل.

ولهذا، كشفت بما لا يدع مجالا للشك عن اكتمال شخصية الطراز المغربي الأندلسي وأوضحت كيف كان الموحدون أصحاب مدرسة متميزة في الفن والعمارة، وأبنت عن شغف الموحدين وكلفهم المرموق بتشييد روائع المنشآت المعمارية بالعدوتين المغرب والأندلس حيث ظلت تلك الروائع التي أنتجها المغاربة والأندلسيون ضمن ما خلفوه من بدائع الطراز المغربي الأندلسي قائمة إلى اليوم في بر العدوة من القارة الأوربية رغم انسحاب المسلمين عنها منذ عدة قرون.

ولما كانت الحضارة التاريخية بمعالمها الفكرية والمادية عادة ما تتخذ لها محاور من مراكز العمران الحية النشيطة المؤهلة للدوام والبقاء والتأثير، فقد خصصت الفصل الثالث لدراسة التجمعات البشرية وتأسيس المدن الاسلامية في عصر الامبراطورية الموحدية.

ولعلي في هذا السبيل، قد مهدت لسلسلة من الأبحاث والدراسات الحضارية التي يمكن تنشيطها حول عدة مدن عريقة وتجمعات بشرية شهيرة بالغة التأثير على نسق الحضارة الاسلامية عامة والمغربية على وجه الخصوص، على هدى الجهود التي خصصت بها موقع مدينة شالة[1] وتاريخها وحضارتها منذ القديم إلى أن لفظت آخر أنفاسها أواخر عصر المرينيين والوطاسيين دون أن تفقد تأثيرها الفكري والسياسي والعسكري والحربي طوال عصور الحضارة والجهاد الاسلامي المغربي.

ولهذا الهدف ألقيت في الجزء الأول أضواء على تأسيس مدينة فاس حاضرة المغرب وأم قراه وقطب الرحى في أحداثه السياسية وسماته الاجتماعية واتجاهاته الفكرية والثقافية، كما ساهمت بنصيب متواضع في الجزء الثاني عندما قدمت لمحات عن تأسيس وعمران مدينة مراكش قاعدة المرابطين الكبرى ومن ورائهم الموحدين إلى حين ظهور رباط الفتح، وها نحن في الجزء الثالث هذا نلقي أضواء جديدة على تأسيس رباط الفتح عاصمة الموحدين الكبرى وحاضرتهم التي احتوت ضمن ما احتوت على عدد من أشهر آثار الاسلام بالجناح الغربي على الاطلاق.

وحسبما مر بنا في الجزء الثاني خصصنا هنا ثلاثة فصول مستقلة لأنواع وأقسام عمائر ومنشآت الموحدين الحربية والدينية والمدنية ثم قفينا بدراسة الفنون التطبيقية في الفصل السابع الذي اختتمناه بنماذج من الشعر العربي التي تناول ذكر آثار الموحدين المعمارية والفنية حتى

---

(1) نشرنا ثلاثة كتب حول حضارة وآثار مدينة شالة الاسلامية : تاريخ شالة الاسلامية، وحفائر شالة الاسلامية، والفنون الاسلامية والنقوش العربية ومن نص التصدير الذي تفضل به الأستاذ الرئيس محمد الفاسي لتلك الكتب نذكر (أن الدراسة التاريخية الحديثة التي ترتكز في الوصول إلى الحقيقة على علوم شتى ووسائل عدة... ومؤلفات مطبوعة وخطية ووثائق ونقود وآثار وما يستخرج من الحفريات، لم تحظ بعد في بلادنا بمن يعتني بها... وإذا كان الفرنسيون والاسبان... اهتموا بهذه الدراسات... فإن اهتمامهم كان ينصب... على تاريخ الرومان... وأن الدكتور عثمان عثمان إسماعيل مؤلف هذا الكتاب الذي نقدمه اليوم لجمهور المثقفين العرب بالمغرب والمشرق يعتبر أول من اتجه هذا اتجاه.وأول من وضع كتابا بالعربية حول تاريخ مدينة أثرية مغربية لها ماض عريق في الحضارة بعد أن قام بحفريات... مدة طويلة... وتبنيت أعمالها... وفي هذه الصفحات التي تتصف بالموضوعية والنقد العلمي روح حماسية في الدفاع عن التراث العربي الاسلامي المغربي... ولقد جاء الدكتور عثمان بنظريات جديدة... مستعرضا كل الحقب التي مرت عليها ومتتبعا علائق كل الدول بها، وهكذا يمر أمام عينك تاريخ المغرب... وهي دراسة جديدة من نوعها باللغة العربية وبحث قيم للأساليب المعمارية في الهندسة المغربية ومقارنة أنواعها التاريخية ودراسة عميقة للفنون المعمارية من تزليج ونقش على الرخام والجص والخشب... ينقلنا من شالة إلى عواصم الفن المغربي،... ولهذا تعتبر تلك الموسوعة التاريخية الأثرية الفنية مرجعا أساسيا ليس فقط لتاريخ شالة ولكن لتاريخ المغرب مطلقا ولمعرفة الفن المعماري العظيم الذي نبغ فيه أبناء المغرب ونقلوه إلى الأندلس...)

يقف القارىء على حقيقة ما كان لتلك المعالم والمآثر الحضارية من تأثير وانفعال لدى الشعراء والمفكرين الذين ترجموا مشاعر وإحساسات المواطن المغربي عبر عصوره الفكرية المختلفة تجاه تلك المعالم والمآثر والمنشآت.

وأخيرا، فقد عهدني القارىء الكريم ـــ من خلال إهداء واستفتاح جميع مؤلفاتي وما أبثه تلميحا وتصريحا بين السطور ـــ محبا للعرفان بالجميل... سباقا إلى الشكر الجزيل، شديد الولاء... كثير الوفاء، غير أنه ما الحيلة وقد يؤتى الحذر من مأمنه... !

لكم لاقيت من عنت وتضييق ومجافاة منذ سنوات خلت، وكم كابدت من جحود وجمود لا يفلهما غير صبر من حديد... من جانب جهات كان مفروضا عليها أن تكون حريصة على ازدهار الثقافة مشجعة لها دافعة إليها، وعلى الخصوص في مجال إحياء التراث بقصد إعادة بناء المواطن العربي المسلم من الداخل كأهم وأمضى سلاح وسط عالم المتناقضات...

لقد كاد هذا العنت وذلك التعسف أن يصرفاني نهائيا عن جمع شتات حصيلة العمر ونتاج التضحيات الجسام، وزبدة التنقل والاغتراب، والتأمل والمعاناة والصبر والتقشف... وما وفقني الله إليه من نظريات علمية جديدة وابتكارات فكرية قد لا تخلو من رؤًى مفيدة، لولا أن تداركني الله برحمته فهداني إلى حكمة قوله الكريم لنبيه المصطفى عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم «ياأ يها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس»[1] وقوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ...﴾[2].

لقد ناء كاهلي بعبء العنت البغيض حتى أوشكت الشجرة العجوز أن تحجب عن عيني رؤية جمال الغابة الشابة لولا الأمل المتجدد في قوله تعالى عز من قائل ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ﴾[3] ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ[4] مِنْ عِبَادِهِ﴾.

وآخر دعواي أن ﴿رَبِّ هَبْ لِي حِكْماً[5] وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ﴾[6] ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ[7]﴾ صدق الله العظيم.

الرباط، المملكة المغربية

دكتور عثمان عثمان اسماعيل

---

(1) قرآن كريم، يورة المائدة آية 67.
(2) قرآن كريم، سورة الفرقان آية 20.
(3) قرآن كريم، سورة المائدة آية 54.
(4) قرآن كريم، سورة يونس آية 107.
(5) تعني (علما)
(6) قرآن كريم، الشعراء 84.
(7) قرآن كريم، سورة البقرة آية 127.

الفصل الأول

تاريخ العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية
عصر الموحدين

مدخل تاريخي لعصر الموحدين

أبحاث هذا الفصل :

أولا : قيام دولة الموحدين وأهميتها ومميزاتها :

1 – الدافع الاستراتيجي لقيام الدولة

2 – أهمية دولة الموحدين ومميزاتها

ثانيا : أقطاب عصر الموحدين :

1 – المهدي بن تومرت (مهدي الموحدين)

2 – عبد المؤمن بن علي (موحد الغرب الاسلامي)

3 – يوسف بن عبد المؤمن (أشهر شهداء الاسلام بالأندلس)

4 – يعقوب المنصور (صانع انتصار الأرك وبطل التعريب وبَنَّاء الموحدين)

1 – واقعة الأرك

2 – علاقة المنصور بقادة المشرق العربي

3 – استقدام المنصور عرب بني هلال وجشم

4 – المنصور بَنَّاء الموحدين

ثالثا : ضعف الدولة وسقوطها وانقسام الامبراطورية الموحدية :

1 – الناصر وهزيمة العقاب

2 – ضعف الدولة

3 – انقسام الامبراطورية الموحدية

الفصل الأول

مدخل تاريخي لعصر الموحدين
(541 - 668 هـ = 1147 - 1282 م)

أولا قيام الدولة وأهميتها ومميزاتها

1 - الدافع الاستراتيجي لقيام الدولة :

في فترة العصور الوسطى ساد التخلف الفكري والانحطاط الاقتصادي والظلم الاجتماعي شتى أرجاء العالم المسيحي الغربي وقامت جماعات من المتعصبين للدين يموهون به لتحقيق أغراض اقتصادية وسياسية مختلفة، وهكذا كانت نشأة وظروف الحروب الصليبية الطامعة في الأرض العربية تحت ستار الدين.

في ذلك الوقت أفاق المسلمون وإذا بالعالم الاسلامي وكأنه بيت متداع يوشك أن ينقض. فالغرب الاسلامي المواجه لمصدر القوة العسكرية والروحية المسيحية بأوربا يفلت من دورة الحضارة المتدفقة للمرابطين فيعود الأندلس إلى سباق هوايته من التفكك السياسي والتراجع المصيري باستقلال القضاة والقواد وظهور أدعياء الامارة والحكم. في ذلك الوقت يعيث الأعراب فسادا في المغربين الأدنى والأوسط بزعامة البيت الزيري المنشق أصلا على العبيديين ثم المنقسم على نفسه إلى معسكرين يقودهما ينو زيري وبنو حماد أبناء العمومة، ليس ذلك فحسب بل إن جزيرة صقلية التي عرفت الحضارة على عهد الاسلام وأمدت بها دول أوربا قد ضاعت ودخل النورماند إلى افريقية واحتلوا حاضرتها المهدية.

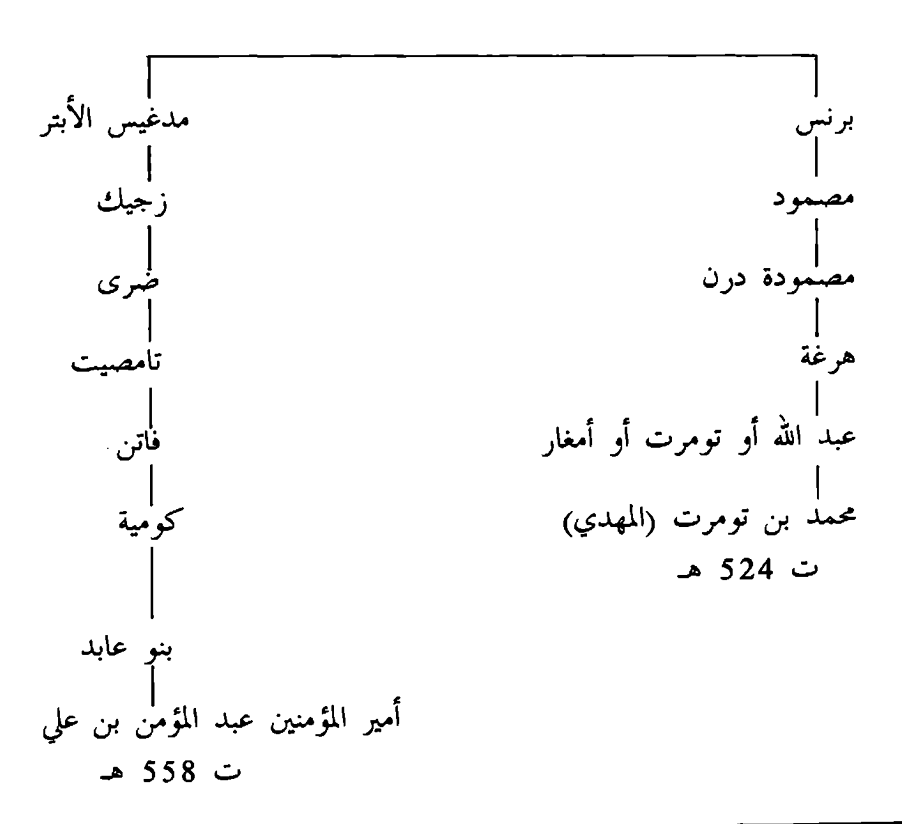
غير أن الجناح الشرقي لمملكة الاسلام لم يكن بأسعد حظا أو أكثر تماسكا، فدولة الخلافة الكبرى (العباسية) التي عمرت أكثر من خمسة قرون (132 - 656) قد شاخت وأصبحت تتهاوى أمام معاول الخطر المغولي لتصبح بغداد عاصمة الاسلام الكبرى ومدينة النور والحضارة والسلام وكأنها لا حاكم لها يسوسها ولا جيش يذود عنها.

أما في مصر، فقد أخذ الصراع بين شاور وضرغام كل مأخذ واستمر تكالبهما على مركز القوة الحقيقي بمصر وكان أن وقع حريق الفسطاط التاريخي وما تلاه من المآسي التي قتلت الآمال في نصرة البيت الفاطمي ونجدة قاهرة المعز لعالم الاسلام.

أفاقت مصر والمغرب الأقصى على دقات ناقوس الخطر الصليبي فانتزع صلاح الدين الأيوبي علم القيادة وامتطى فرس الجهاد وامتشق حسام الفداء لتوحيد المشرق الاسلامي استعدادا لمواجهة الصليبيين ونجح في تأسيس الدولة الأيوبية التي قضت على تخادل الحكم الفاطمي وتصدت للدفاع عن بيضة الاسلام.

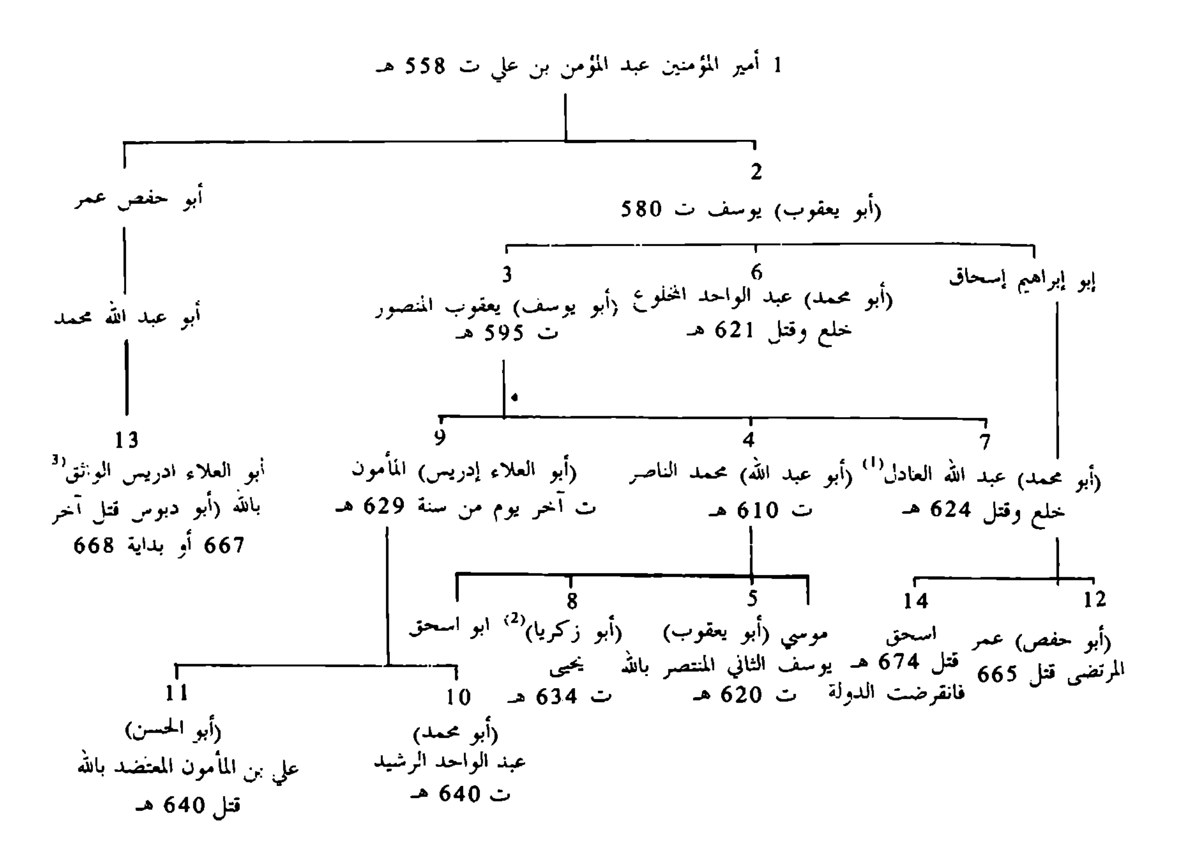
في نفس الوقت كان مقدرا أن يشهد التاريخ قيام دولة أخرى تجمع شتات الغرب الاسلامي وتعد العدة لارسال المدد والعون إلى المجاهدين بالمشرق لانتزاع بيت المقدس واسترجاع الامارات الصليبية التي أسسها الصليبيون بالشام، ثم مناوشة المسيحية الغربية في عقر دارها بالقارة الأوربية ذاتها، وهكذا قامت دولة الموحدين بالمغرب الأقصى[1] (أشكال 1 – 2) ووحدت المعسكر الغربي للاسلام. طولا وعرضا فأعادت سيطرة الإسلام على

أصول الموحدين



(1) إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ 313/1 عن استقبال المنصور الموحدي لمبعوث صلاح الدين الأيوبي الذي حضر برسالة من إنشاء القاضي الفاضل بقصد الاعانة ضد خطر الصليبيين.

الموحدون



(1) العادل جعله بريت ابنا ليعقوب المنصور وأبا لمحمد الناصر، كتاب بريت عن العملة ص 154 وراجع الاستقصا 206/2.

(2) بويع يحيى 624 هـ بايعه أهل مراكش بعد ندمهم على بيعة عمه المأمون الذي كان بالأندلس، وبعد عودة المغرب لبيعة المأمون فر يحيى 626 هـ إلى أن قتل في حرب الرشيد بن المأمون 634 هـ

(3) أبو دبوس (عند بريت ص 154) هو أبو العلاء إدريس بن أبي عبد الله محمد بن أبي حفص عمر الرشيد بن أبي يعقوب يوسف، والصحيح عند السلاوي أن أبا حفص عمر والد أبي عبد الله محمد إنما هو أخ أبي يعقوب يوسف، أنظر الاستقصا 230/2.

الأندلس وجزر إسبانيا وبسطت سيطرة مملكة الاسلام العسكرية والاقتصادية على بحر الحضارات، ووضعت ثقلها في المغرب العربي كله ابتداء من برقة وطرابلس الغرب إلى المحيط الأطلسي.

2 – أهمية دولة الموحدين ومميزاتها :

نجح الموحدون نجاحا سياسيا وعسكريا كبيرا قاد[1] إلى نجاحات أخرى اجتماعية واقتصادية وحضارية جمة أدخلت امبراطورية الموحدين التاريخ الحضاري من بابه الواسع. لم تطل فترة الاهتزاز والضياع التي عرفها الغرب الاسلامي كله أواخر دولة المرابطين فلم يلبث الموحدون أن نهضوا لاحياء حركة الاسلام ودفع رسالته وبعث حضارته وجمع شمله و لم شتاته.

انتصب المغرب الأقصى فاستقام وصلح حال الأندلس. ذلك أن الموحدين أخذوا على عاتقهم صد غارات الممالك والامارات الاسبانية على ربوع الأندلس الاسلامية وأوقفوا زحفها وبسطوا رعايتهم وحمايتهم على جميع أراضي المسلمين التي كانت في حماية المرابطين وأخروا سقوط الأندلس المسلم إلى حين، وضمنوا بقاء شعلة الاسلام وازدهار حضارته في جنوب القارة الأوروبية زهاء ثلاثة قرون.

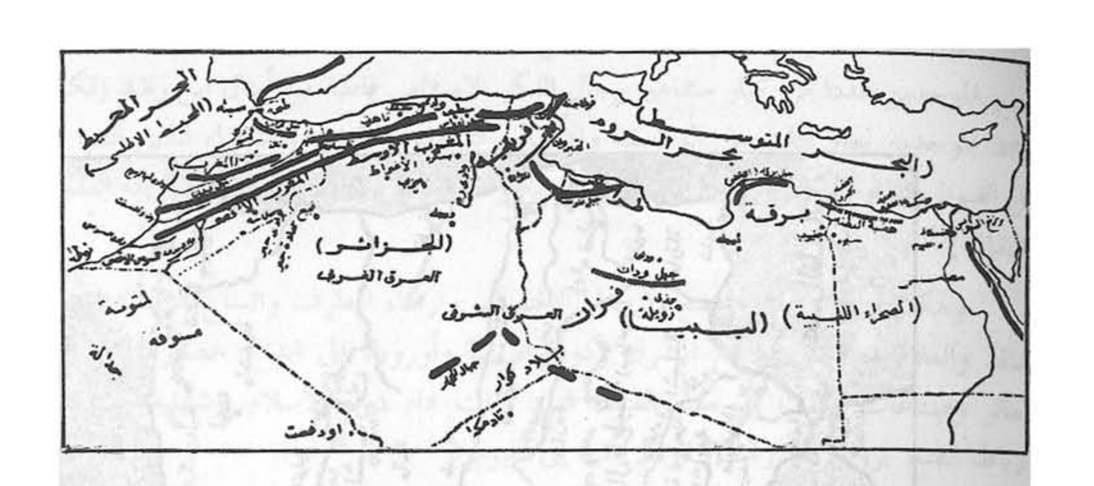
توحد الغرب الاسلامي الافريقي إذن من برقة وطرابلس الغرب إلى المحيط الأطلسي تحت راية واحدة ودولة قوية أنقذت المغرب الأدنى (أفريقية) من فتن الأعراب التي أشعلها صراع الصنهاجيين من بني زيري وبني حماد، استعادوا صقلية للاسلام بعد مدافعة خطر النورمنديين، ومن الجدير بالملاحظة هنا أن الموحدين وهم كما نعرف من المصامدة، قد أسقطوا صنهاجة المرابطية بالمغرب الأقصى وأبناء عمومتهم صنهاجة من بني زيري بالمغربين الأدنى والأوسط (أشكال 3 – 5) :

استقرت الأوضاع بممالك الغرب الاسلامي بالمغرب العربي والأندلس طولا وعرضا بفضل جيش الموحدين القوي وتنظيماتهم العسكرية وخططهم الحربية وبفضل أساطيلهم البحرية الكبيرة المتطورة التي سيطرت على مياه البحر الأبيض المتوسط وتجارته سيطرة كاملة.

وفي عصر الموحدين تم انصهار عناصر المجتمع المغربي عربا وبربرا (عرب المغرب القدماء) وأندلسيين انصهارا نهائيا ومصيريا لا رجعة فيه إلى اليوم، كما عرفت اللغة العربية انتشارها الكبير وانتصارها الحاسم بفضل انتشار قبائل بني هلال وسليم الذين استقدمهم المنصور الموحدي إلى المغرب فتم تعريب البلاد النهائي وتآلفت الثقافات وزادت في تماسك البنيان الاجتماعي، وإلى جانب ذلك، ساعد استقرار الأمن واتساع الرقعة وتوحيد اللغة وتبادل

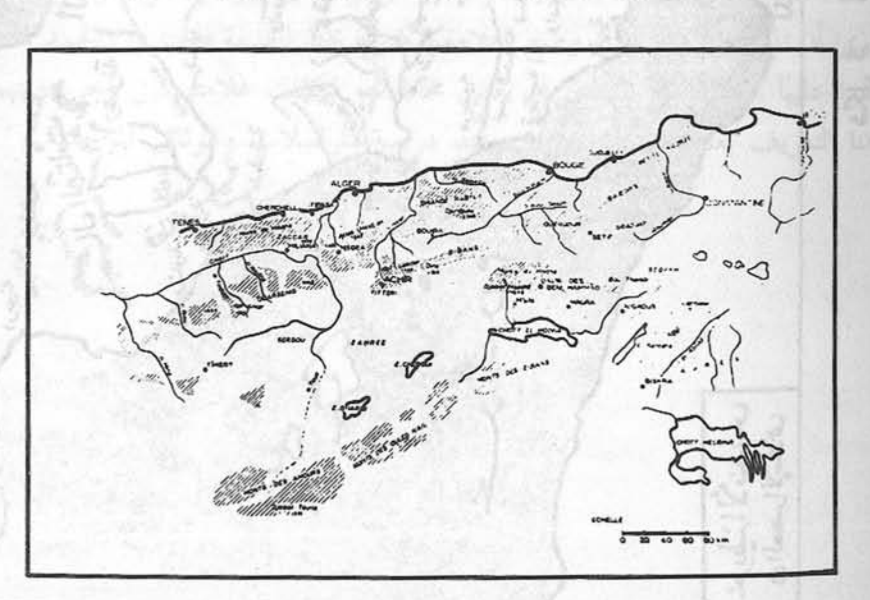
---

(1) المغرب عبر التاريخ 311/1 الرد على ادعاء (تيراس) بفشل الموحدين سياسيا.



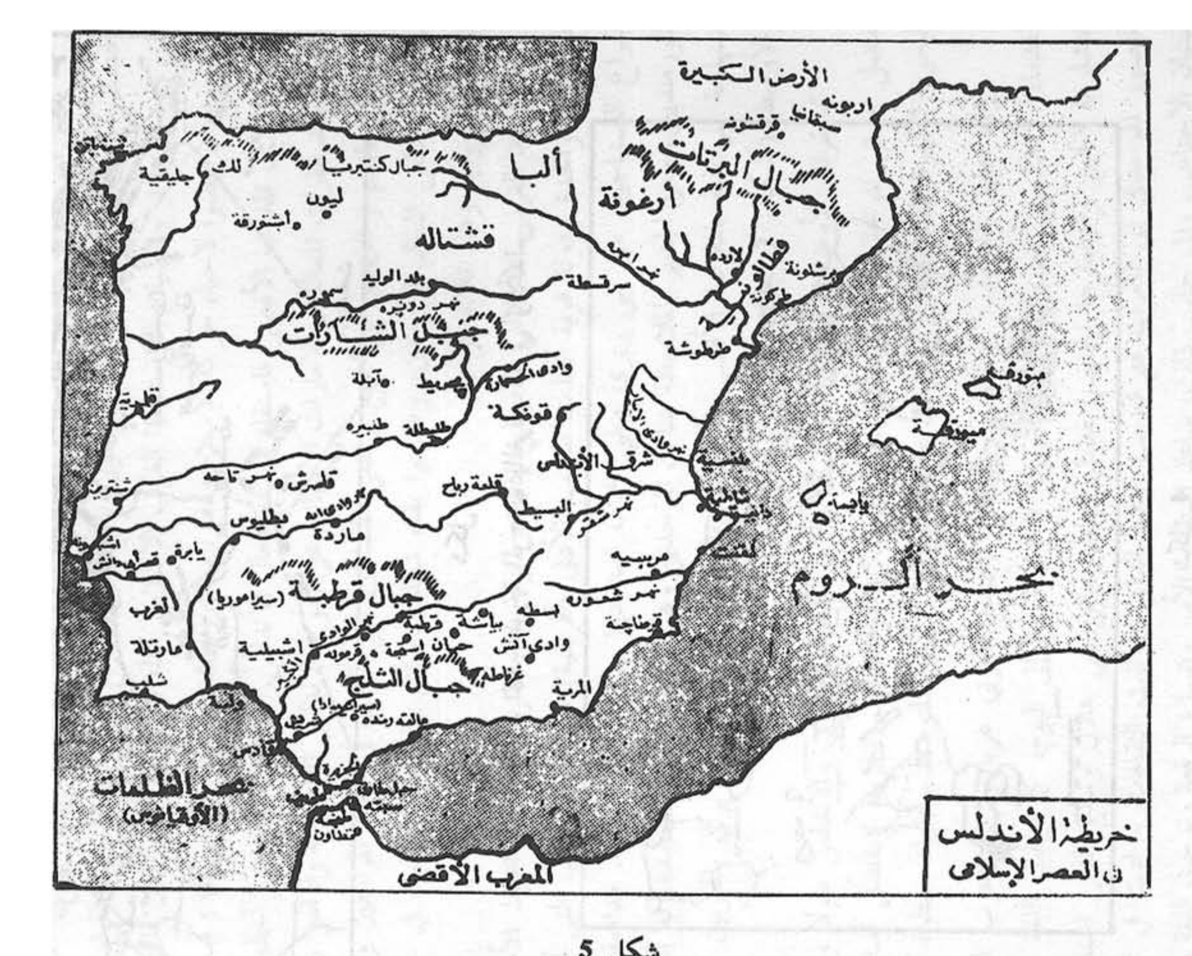
شكل 3

امتداد نفوذ الامبراطورية الموحدية بالمغرب العربي والأندلس



شكل 4

تفصيل طبيعة وعمران المغرب الأوسط



شكل 5

خريطة الأندلس في العصر الاسلامي

الخبرات وسهولة انتقال المفكرين بين أنحاء الامبراطورية على انتعاش وازدهار الاقتصاد.

لقد صحبت وحدة التركيب الاجتماعي وسلامة البناء الاقتصادي ثقافة مبدعة فأنتج عصر الموحدين عددا من كبار مشاهير رجال الفكر الاسلامي قاطبة من أمثال ابن رشد (فكان بلاط الموحدين يعج بمئات من الفلاسفة والأطباء والفقهاء والكتاب والشعراء الذين ألفوا في كل الفنون والعلوم وكان من بين خلفاء الموحدين وأمرائهم من شارك بنفسه في الحركة العلمية والثقافية)[1].

وهكذا أدى تماسك المجتمع وازدهار الاقتصاد، وارتقاء المعارف واتساع الرقعة، وتنوع المنافذ والعلاقات الخارجية مع المشرق ودول افريقيا وأوروبا، إلى ابداع حضارة يانعة من عمائر وصناعات ارتقت إلى مقام الفنون التي كللت هام دولة الاسلام بإشبيلية ومراكش ورباط الفتح بروائع لا زالت آثارها باقية إلى اليوم.

ولا زال من مميزات عهد الموحدين علامتهم الشهيرة، وقد ذكر ابن صاحب الصلاة في المن بالامامة أن الاتفاق قد تم بين الموحدين أعزهم الله على أن يكتب الأمير العلامة المباركة وهي ــ الحمد لله وحده ــ بخط يده وتنفذ الأوامر العلية ببركتها عن أمره وجده. وقال السلاوي أن الموحدين نظروا في وضع العلامة المكتوبة بخط الخليفة فاختاروا (الحمد لله وحده) لما وقفوا عليها بخط الامام المهدي في بعض مخاطباته، فكانت علامتهم إلى آخر دولتهم. وقد لزم هنا التعريف بعلامتهم لأهمية ذلك عند دراسة المراسلات والوثائق الموحدية.

---

(1) قبائل المغرب ص 128.

ثانيا – أقطاب عصر الموحدين

1 – المهدي بن تومرت : (مهدي الموحدين)

نقل السلاوي عن ابن خلدون أن أصل المهدي من هرغة من بطون المصامدة ويسمى أبوه عبد الله وتومرت وكان يلقب في صغره أيضا أمغار... وكان أهل بيته أهل نسك ورباط(1).

وكان للمصامدة في صدر الاسلام بجبال درن عدد وقوة... وكان منهم قبل الاسلام ملوك وأمراء(2). وفي هذه البيئة ولد المهدي سنة 485 وشب قارئا محبا للعلم (ولما كانت سنة 515 قام بسوس محمد بن عبد الله بن تومرت في صورة آمر بالمعروف وناه عن المنكر... وكان مولده بضيعة تعرف (بايجلي أن وارغن) من قوم يعرفون (بايسرغينن) وهم الشرفاء بلسان المصامدة...)(3). وقد اختلف المؤرخون في نسبه، وادعى لنفسه صفة المهدي المنتظر وقال : أنا محمد بن عبد الله... ورفع نسبه إلى النبي ﷺ وصرح بدعوى العصمة لنفسه وأنه المهدي المعصوم...)(4).

تلقى المهدي دراسته بالمغرب وقرطبة والاسكندرية والعراق وكان من شيوخه الغزالي وأبو بكر الشاشي(5) وكانت رحلته عن بلاد المشرق ربيع الأول عام عشرة وخمسمائة فكان حيثما حل من مدن افريقية وبلاد المغرب يدرس العلم ويظهر التقشف إلى أن نزل تلمسان وتعرف بقرية تاجرة علي عبد المومن بن علي الذي انضاف إلى خدمته...(6)).

وعندما عاد إلى المغرب الأقصى بدأ يؤسس هيئة للدعاة ويشرع في قتال المرابطين الذين أسماهم المجسمين بينما سمى أنصاره الموحدين(7). وقد هاجم المهدي المرابطين في خلافة علي

---

(1) الاستقصا 71/2.
(2) نفس المصدز والصفحة.
(3) المعجب 178.
(4) نفس المصدر 187 وعن نسب المهدي : القرطاس 100/2 والاستقصا 71/2 والمغرب عبر التاريخ 260/1.
(5) المغرب عبر التاريخ 260/1.
(6) القرطاس 106/2.
(7) قبائل المغرب 126/1.

ابن يوسف وأخذ يطعن فيهم ويقول (هم كفرة مجسمون وغزوهم واجب على كل مسلم...) ولما أحس الخوف «خرج مختفيا حتى بلغ تينمل[1] سنة 514 ولحق به أصحابه»[2].

يذكر عبد الواحد المراكشي مؤرخ دولة الموحدين أن المهدي صنف أتباعه طبقات فجعل منهم العشرة[3] وهم المهاجرون الأولون المسمون بالجماعة، وجعل منهم الخمسين وهم الطبقة الثانية وكانوا من قبائل شتى وكان يسميهم المؤمنين[4]. ومن هذه التسمية اتخذ أميرهم لقب (أمير المؤمنين) ويسمون الموحدين أيضا لأنهم أول من تحدث في التوحيد وعلم الكلام بالمغرب وكان ذلك محرما على المغاربة في عهد المرابطين[5].

ولما كانت سنة 515 هـ خرج المهدي في شهر رمضان إلى مسجد تينمل مع أصحابه العشرة وخطب الناس وأعلمهم أنه الامام المنتظر... فبايعه كافة أهل تينمل ومن جاورهم[6].

وفي سنة 517 هـ بدأت الحرب بين المرابطين والموحدين منذ جهز المهدي (جيشا عظيما من المصامدة... وقال لهم اقصدوا هؤلاء المارقين الذين تسموا بالمرابطين فادعوهم إلى اماتة المنكر وإحياء المعروف... وأمر على الجيش عبد المؤمن بن علي وقال أنتم المؤمنون وهذا أميركم فاستحق عبد المؤمن من يومئذ اسم امرة المؤمنين... وخرجوا (قاصدين مدينة مراكش إلى أن توفي ابن تومرت سنة 524[7] بعد أن أسس الأمور وأحكم التدبير[8] ورسم لهم ما هم فاعلوه).

---

(1) تينمل أو تينملل بجبال السوس بينها وبين مراكش ثلاثة فراسخ. بالقرطاس تينمل 112/2 وكذلك المعجب 314 وقبائل المغرب 128. يكتبها البعض تينملل الاستقصا 92/2 والمغرب عبر التاريخ 262/1 وكذلك المن بالامامة.

(2) القرطاس 111/2.

(3) عن أسماء العشرة القرطاس 113/2.

(4) المعجب للمراكشي ص 188.

(5) المعجب تحقيق سعيد العريان ص 188 هامش 1، ويقول ابن أبي زرع أن المهدي يسمى كل من دخل في طاعته...بالموحدين وعلمهم التوحيد باللسان البربري...وقال من لا يحفظ التوحيد ليس بمومن القرطاس 115/2.

(6) القرطاس 114/2.

(7) المعجب 192.

(8) غزوات المهدي وحروبه ضد لمتونة وصفاته ووفاته وأحواله القرطاس 117/2 ـ 126 والاستقصا 85/2 ـ 88

2 – عبد المؤمن بن علي (موحد الغرب الاسلامي) :

هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي الكومي الزناتي، ذكر ابن أبي زرع اسمه ونسبه حسبما نقله المؤرخون عن حفيده أبي محمد عبد الواحد، وذكر السلاوي أن بنى عبد المؤمن لم يكونوا من المصامدة وإنما هم من كومية، ونقل عن ابن خلدون أن عبد المؤمن كان من بني عابد أحد بيوتات كومية وأشرافهم وموطنهم بتاكرارت وهي حصن في الجبل المطل على هنين من ناحية[1] الشرق. وقال لسان الدين بن الخطيب في ختام القسم الثالث من أعمال الأعلام أنه من زناتة من كومية الساكنين بأحواز هنين. وقد لقبت أمير المؤمنين بن علي في كتابي أصحاب الميمنة أبطال الاسلام في المغرب بلقب (موحد الغرب الاسلامي) ولعلها أهم صفة تميز حياته في نطاق جميع التفاصيل التي أمدنا بها المؤرخون.

قال ابن خلدون أن الموحدين أجمعوا على بيعته بمدينة تينملل سنة أربع وعشرين[2] فقام بأمر الموحدين وبادر بتوحيد الصف الداخلي وإقرار أوضاع المملكة ثم الاقدام على توحيد الغرب الافريقي ثم توحيد الغرب الأندلسي ليقيم للعروبة والاسلام تلك الامبراطورية الكبرى في الغرب الاسلامي.

وفي سنة ثمان وعشرين وخمسمائة تسمى عبد المؤمن بأمير المؤمنين وكان اللقب قاصرا على خلفاء الأمويين ثم العباسيين إلى أن تسمى به عبيد الله المهدي أول ملوك الفواطم بافريقية ومن بعده عبد الرحمن الناصر بالأندلس فجمع عبد المؤمن بين السلطتين الزمنية والروحية[4].

لكن الملاحظ أن عبد المؤمن لم يتعجل فتح المغرب الأقصى فاستغرق ذلك منه ما بين عامي 534 هـ و543 هـ، حيث خرج عبد المؤمن من تينمل سنة 534 هـ متجها شمالا نحو سبتة التي قاومته بريادة القاضي عياض ثم سار شرقا لمحاربة بني عبد الواد إلى أن تم له فتح تلمسان سنة 540 هـ وفتح فاس 541 هـ ثم حصار مراكش واقتحامها على المرابطين وحصار مكناس وفتحها سنة 543 هجرية[5].

---

(1) الاستقصا 89/2.

(2) كتابنا أصحاب الميمنة طبع دار الكتاب الدارالبيضاء ص 73 وعن صفته وسيرته القرطاس 169/2 والمغرب عبر التاريخ 267/1 للوقوف على شخصيته.

(3) عن البيعة الخاصة ثم العامة القرطاس 132/2، بنوه وكتابه ووزراؤه وقضاته المن بالامامة 222 والمعجب 198 — 200.

(4) عن اتخاذ اللقب : الاستقصا 98/2 روض القرطاس 134/2 وكتابنا أصحاب الميمنة 73 – 74.

(5) فتح المغرب الأقصى : المغرب عبر التاريخ 267/1 وفتح فاس الاستقصا 96/2 وفتح مراكش الاستقصا 97/2 وعن فتوحات عبدذ المؤمن : المغرب الكبير للسيد سالم : تلمسان ووهران ص 782 وفتح فاس ص 783 ومراكش 785 وفتح الأندلس ص 787 وفتح المغربين الأدنى والأوسط ص 792.

لقد ذكر عبد الواحد المراكشي أخبار فتوحاته وقال أنه ملك جميع أقطار المغرب الأقصى مما كان يملكه المرابطون وخرج من مراكش يقصد مملكة يحيى بن العزيز بن المنصور ابن المنتصر الصنهاجي فدخل بجاية وملكها سنة 540 هـ وملك قلعة بني حماد[1] فتشوف إليه أعيان الأندلس فعبر أمير المؤمنين إلى جبل طارق وسماه جبل الفتح وابتنى به قصورا عظيمة وبنى هناك مدينة عظيمة.

وقال لسان الدين بن الخطيب في القسم الثاني من أعمال الاعلام الذي نشره (بروفنسال) أن ظهور الدولة المؤمنية اشتهرت بعد افتتاح دار الملك مراكش فتعلقت آمال المسلمين بالموحدين واستصرخهم الناس فأجابهم الأمير عبد المؤمن بن علي وبعث إليهم جيشه في شعبان من سنة 541 هـ وأطاعت عبد المؤمن الكثير من البلاد الأندلسية بجهة الغرب : اشبيلية وشريش ولبلة فتحرك هو إلى الأندلس عام 555 وحل بجتل الفتح وأنشدته الشعراء[2].

وعن غزو افريقية وفتح المهدية قال المراكشي أن عبد الله ولد عبد المؤمن الذي ولى بجاية نزل بجيش عظيم على تونس وكان يملكها في ذلك الوقت لوجار بن لوجار... صاحب صقلية فانهزم عبد الله ورجع إلى بجاية فخرج عبد المؤمن أواخر سنة553 هجرية حتى نزل مدينة تونس فافتتحها عنوة وفصل عنها إلى مهدية بنى عبيد وفيها الروم فحاصرها أشد الحصار إلى أن فتحها ودخلها مع أصحابه فملكوها[3].

يقول مؤرخ تونس المعاصر المرحوم حسن حسني عبد الوهاب (في القسم الأول من كتابه ورقات عن الحضارة) أن الحسن بن علي آخر الأمراء الصنهاجيين التحق بالمغرب الأقصى واستعاث بخليفة الموحدين الطائر الصيت عبد المؤمن بن علي لاستمرار استيلاء النرمند على مدائن الساحل التونسي، فاستجاب عبد المؤمن وجهز جيشا عرمرما وأسطولا فخما قصد بهما افريقية وفتح المدائن، وفي أقل من عام واحد قضى على أمراء الطوائف المستبدين بالنواحي كما أخضع شوكة الأعراب الهلاليين وحاصر المهدية برا وبحرا إلى أن أقتكها من يد الافرنج ودخلها منصورا سنة 555 هـ (1160 م) وتم له امتلاك سائر البلاد.

بعد ذلك افتتح عبد المؤمن طرابلس الغرب وأرسل إلى بلاد الجريد وهي توزر وقفصة

(1) عن فتح المغربين : الاستقصا 93/2 ـــ 95 والمغرب عبر التاريخ 269/1 وعن فتح بجاية والقلعة أنظر المعجب 204 ـــ 207.

(2) القسم الثاني من أعمال الاعلام نشره بروفنسال تحت عنوان (تاريخ اسبانيا الاسلامية) ص 265، وعن فتوح الأندلس راجع الاستقصا 104/2 والمغرب عبر التاريخ 271/1.

(3) المعجب ص 228 - 230.

وما إلى هذه البلاد فافتتحها وأخرج الفرنج منها فمحا الله به الكفر من افريقية... وتم له ملك افريقية كلها منتظما إلى مملكة المغرب فملك في حياته من طرابلس الغرب إلى سوس الأقصى من بلاد المصامدة وأكثر جزيرة الأندلس، (وهذه مملكة لم أعلمها انتظمت لأحد منذ اختلت دولة بني أمية إلى وقته)[1].

ثم عندما توفي أمير المؤمنين عبد المؤمن موحد الغرب الاسلامي (حمل إلى مدينة تينمل ودفن بجانب قبر المهدي رضي الله عنهما)[2].

---

(1) نفس المصدر ص 230.

(2) المن بالامامة 221 ـ 222 وانظر الاستقصا، وروض القرطاس 168/2 والمغرب عبير التاريخ 275/1.

3 – أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (أشهر شهداء الاسلام بالأندلس) :

قال صاحب الصلاة في المن بالامامة (كان الأمير أبو يعقوب يوسف رضي الله عنه كاملا فضلا ورعا جزلا مستظهرا للقرآن، حافظا له على وقفه وابتدائه عالما بحديث رسول الله ﷺ : صلبا على الأعداء... زائدا عن الأمن راغبا في العمارة مثابرا في الجهاد مشيعا للعدل...)[1].

وأعاد ابن صاحب الصلاة في غير موضع ـــ متأثرا باحساسه المباشر من صحبة أمير المؤمنين ـــ ذكر تفاصيل حبه للصدقة والحنان والانعام والاحسان[2] والوفاء بالعهد[3]. ويتأكد لنا تعلقه بالله وجهاده في سبيله من وصف المؤرخين لموكب خروجه من عاصمة ملكه بمراكش سنة 566 بقصد الجهاد في الأندلس واعتاق المسلمين من عنت النصارى الكافرين، وها هو ابن صاحب الصلاة المعاصر للأحداث يقول (كانت الحركة السعيدة من الحضرة بمراكش... رجب الفرد... من سنة ست وستين وخمس مائة... على عادة الأمر العزيز من الترتيب في المشى... وقد قدم أمامه مصحف صاحب رسول الله ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه... والمصحف المكرم منظم حوله حفاظه بالجوهر النفيس والياقوت الأحمر...)[4].

ويقول عبد الواحد المراكشي أنه كان أعرف الناس كيف تكلمت العرب وأحفظهم لأيامها ومآثرها... صرف عنايته إلى ذلك أيام كونه بإشبيلية واليا عليها في حياة أبيه ولقي بها رجالا من أهل علم اللغة والنحو والقرآن منهم الأستاذ اللغوي المتقن... المعروف عندهم بابن ملكون... أخبرني من لقيته من ولده كابن زكريا[5]، أنه كان أحسن الناس الفاظا بالقرآن... مع إيثار للعلم شديد وتعطش إليه مفرط... ولم يزل يجمع الكتب من أقطار الأندلس والمغرب ويبحث عن العلماء وخاصة أهل علم النظر إلى أن اجتمع له منهم ما لم يجتمع لملك قبله...

ويضيف المراكشي في كتابه (المعجب) أنه كان ممن صحبه من العلماء المتقنين أبو بكر

---

(1) بقية النص ونصوص أخرى بكتابنا أصحاب الميمنة أبطال الاسلام في المغرب ص 79.
(2) المن بالامامة 421 وعن صفته الشخصية القرطاس 172/2.
(3) نفس المصدر ص 223 ـــ 237.
(4) المن بالامامة 438 ـــ 440 ويذكر المحقق ان ابن صاحب الصلاة يعتبر من أبرز المصادر وأدقها وصفا للمصحف العثماني ويورد تاريخ انتقال المصحف ومصيره، أنظر هامش 1 ص 439، وعن المصحف العثماني أنظر المعجب 253.
(5) المعجب 237، وملكون بضم وسكون.

محمد بن طفيل أحد فلاسفة المسلمين، كان متحققا بجميع أجزاء الفلسفة[1]... و لم يزل أبو بكر هذا يجلب إليه العلماء من جميع الأقطار،... وهو الذي نبهه على أبي الوليد محمد ابن أحمد بن محمد بن رشد.

ويعود المراكشي إلى نفس الموضوع فيقول : (أخبرني تلميذه الفقيه الأستاذ أبو بكر بندد بن يحيى القرطبي قال : سمعت الحكيم أبا الوليد يقول غير ما مرة : لما دخلت على أمير المؤمنين أبي يعقوب وجدته هو وأبو بكر بن طفيل ليس معهما غيرهما... فسألني ما رأيهم في السماء ــ أي الفلاسفة ــ أقديمة هي أم حادثة، فأدركني الحياء والخوف... فالتفت إلى ابن طفيل وجعل يتكلم على المسألة، ويذكر ما قاله أرسطوطاليس وأفلاطون وجميع الفلاسفة ويورد مع ذلك احتجاج أهل الاسلام عليهم فرأيت منه غزارة حفظ لم أظنها في أحد من المشتغلين بهذا الشأن المتفرغين له...)[2].

وبسبب ما تواتر من روايات المؤرخين عن دينه وتقواه وحبه في الجهاد ثم استشهاده غازيا غريبا بأرض الأندلس لقبته في كتابي أصحاب الميمنة بأشهر شهداء الاسلام بالأندلس[3] (باستثناء عبد الرحمن الغافقي).

وولد أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن في شهر رجب سنة 533 هجرية[4] وبويع بيعة الجماعة سنة 560 هجرية بعد وفاة والده بعامين[5] وخرج أبو يعقوب من مراكش قاصدا بلاد افريقية في أول سنة 575 فقصد مدينة قفصة التي قام بها ابن الرند وتلقب بالناصر لدين النبي فاستنزله الموحدون وقطعوا دابر الخلاف وحسموه وصالحه في هذه السفرة ملك صقلية وأرسل إليه بالاتاوة[6].

وجاء في تاريخ الدول الاسلامية في المغرب من كتاب العبر لابن خلدون أنه (لما استوثق الأمر للخليفة أبي يعقوب بالعدوة وصرف النظر إلى الأندلس والجهاد واتصل به ما كان من غدر العدو... فنهض إلى الأندلس... واحتل بقرطبة سنة 567 هـ ثم ارتحل إلى إشبيلية...

(1) نفس المصدر 240 وعن مكانة أطبائه عنده مثل ابن طفيل وابن رشد وابن زهر أنظر القرطاس 176/2 وعن الفقهاء ص 181، وعن كتابه وحاجبه وأولاده وقضاته : المعجب 244 والقرطاس 174/2، وراجع المغرب عبر التاريخ 276/1 عن أعماله بالمغرب وص 278 عن جهوده بالأندلس ثم ص 280 عن جهوده في افريقية.

(2) المعجب 242.

(3) كتابنا أصحاب الميمنة 79.

(4) القرطاس 172/2.

(5) أصحاب الميمنة ص 79 والاستقصا 131/2 والقرطاس 182/2 وتجديد البيعة بالمن بالامامة 338.

(6) المعجب 252 والاستقصا 136/2.

ونازل وبدة وارتحل عنها إلى مرسية... ثم رجع افلا إلى مراكش سنة احدى وسبعين) لقد قضى أربع سنوات مجاهدا غازيا بعيدا عن كرسي المملكة.

وفي سنة 577 هـ كان الجواز الثاني إليالأندلس وهو الجواز الذي قال فيه السلاوي (لما قدم أمير المؤمنين من فتح قفصة سنة 577 قدم عليه ولاة الأندلس ورؤساؤها... وأبلغوه... بأن اذفونش من سانجة تغلب على حصن شقيلة). ويروي الأنيس المطرب أخبار الجواز الثاني سنة 580 هـ ونزوله لمرسى جبل الفتح ثم الجزيرة الخضراء والتحرك إلى غزو شنترين من بلاد غرب الأندلس[1].

ففي هذه الغزوة استشهد أمير المؤمنين يوسف نتيجة خطأ مقدر غير مقصود من جانب ولده السيد أبي اسحاق والي اشبيلية، فقد أمره أمير المؤمنين بالرحيل من غد تلك الليلة إلى غزو لشبونة وأن يكون رحيله نهارا، فأساء ولده الفهم وظن أنه أمره بالرحيل في جوف الليل... فرحل من الناس طائفة بالليل فلما كان قرب الفجر أقلع أبو اسحاق وتتابع الناس بالرحيل فارتحلوا وأمير المؤمنين مقيم بمكانه لا علم عنده بذلك... فلما أصبح الصبح لم يجد حوله أحدا من أهل محلته... وتطلع النصارى المحصورون من سور المدينة على المحلة وقد اقلعت وارتحلت ولم يبق غير أمير المؤمنين... فتحوا أبواب المدينة وهم ينادون : الراي... الراي... أي السلطان، يقول لسان الدين بن الخطيب في القسم الثاني من أعمال الاعلام أنه أصيب بجراح من قبل حامية النصارى لم تخطئه، فكانت منها وفاته بمحلة غزاته ليلة الثامن والعشرين لربيع الآخر سنة 580 هجرية[2].

يقول عبد الواحد المراكشي (أخبرني من كان معهم في تلك السفرة أنه سمع النداء فيما بين العشائين في المعسكر كله : الصلاة على الجنازة فصلى الناس لا يعرفون على من صلوا ولم يعلم بذلك إلا خواص أهل الدولة وساروا حتى بلغوا أشبيلية فنزلوها وصبروه وبعثوا به في تابوت إلى تينمل فدفن هناك مع أبيه عبد المؤمن وابن تومرت[3].

وقال السلاوي (كانت وفاته... قرب الجزيرة الخضراء فحمل إلى تينمل فدفن بها إلى جنب قبر أبيه، وقيل أنه لم يمت حتى وصل إلى مراكش وأن ولده يعقوب الخليفة بعده كان يصرف الأمور بين يديه من يوم طعنه إلى أن مات وكتم خبير موته حتى وصل إلى مدينة سلا فأفشاه[4].

---

(1) الاستقصا 134/2 + 137 والمغرب الكبير 399 والمن 374 والمعجب 256.
(2) والمعجب 260 والاستقصا 139/2.
(3) المعجب 260 — 261.
(4) الاستقصا 139/2.

وإلى خلاصة جهاد أبي يعقوب يوسف بالأندلس واستشهاده يشير بروكلمان في كتابه تاريخ الشعوب الاسلامية إلى أن (يوسف بن عبد المؤمن أتم اخضاع اسبانيا الاسلامية ليقتل بعدئذ إبان حصار شنترين... وأنه قرب إليه الفلاسفة... فوفد على بلاطه من الأندلس أعظم فلاسفة أنجبهم الغرب الاسلامي : ابن طفيل وابن رشد...

وكان يعقوب هذا قد تأثر برقة الحياة في الأندلس وحضارتها منذ أن كان واليا على اشبيلية من قبل أبيه فزالت عنه جفوة البربر[1]. وهكذا أقام في عاصمته الأندلسية كثيرا من المنشآت الرائعة كالمسجد الجامع، والجسر، والقصبة، والزلالق للسور، والأرصفة على الوادي الكبير[2].

(1) المغرب الكبير 799.
(2) المغرب الكبير 800.

4 – أمير المؤمنين يعقوب المنصور

(صانع انتصار الارك وبطل التعريب وبناء الموحدين) :

قال عبد الواحد المراكشي (هو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ابن علي يكنى أبا يوسف بويع له [1] في حياة أبيه وسنه اثنان وثلاثون سنة وتوفي 595 هجرية فكانت مدة ولايته ست عشرة سنة وثمانية أشهر وأياما...)[2].

توفي المنصور في مطلع سنة 595 هـ[3] واختلف المؤرخون في مكان دفنه، وقد زودنا الشيخ أبو العباس أحمد الناصري السلاوي[4] بعدة وايات تاريخية جاءت على لسان ابن خلكان الذي جمع تلك الروايات وأشار إلى مصادرها، كما ذكر الأستاذان العريان والعلمي محققا كتاب المعجب بعض تلك الآراء ومؤيديها ومعارضيها[5] كالمقري صاحب نفح الطيب. وقد ختم السلاوي بحثه برواية علماء المغرب وأورد قول ابن الخطيب في رقم الحلل بأن المنصور توفي في شهر ربيع الأول سنة 595 هـ ودفن بمجلس سكناه من مراكش وكذب العامة بموته ولوعا وتمسكا به فادعوا أنه ساح في الأرض[6].

وكنت أثناء أبحاثي عن تاريخ شالة الاسلامية والحفائر الأثرية التي أنجزتها بعين المكان واجهت مشكلة مكان دفن المنصور الموحدي احتراما لنص عثرت عليه أورده الحسن الوزاني (ليون الافريقي) :

يقول الحسن الوزاني : (ثم جاء المنصور وأعاد بناء الحوائط وبنى مستشفى فخما وقصراً لسكنى جنوده كما بنى ضريحا جميلا... وقرب موته عبر عن رغبته في الدفن بها[7] وبعد موته نقل جثمانه من مراكش وأقبر بها[8]، ووضع على قبره لوحتان من الرخام... تعبر عن الأسف لموته).

---

(1) تفاصيل البيعة بالمعجب 26 والاستقصا 142/2.

(2) المعجب 261.

(3) المغرب عبر التايريخ 288/1.

(4) الاستقصا 181/2 ــ 183.

(5) المعجب 284 هامش رقم 1.

(6) الاستقصا 183/2 : ونحن ننبه هنا إلى الفرق الذي يدفع البعض إلى الخلط أحيانا : فيعقوب (المنصور) كنيته أبو يوسف وهو ابن يوسف المكنى بأبي يعقوب الموحدي بينما يعقوب المريني الشهير يأتي أولا قبل يوسف المكنى بأبي يعقوب صاحب حصار تلمسان الشهير، والأربعة مشاهير.

(7) يقصد مدينة شالة الأثرية.

(8) أي قاعة الدفن التي بناها المنصور بشالة.

وكان ليفي بروفنسال وزميله هنري باسيه وكتابهما عن اليحث الكبير الذي أعداه ونشراه حول تاريخ وآثار شالة[1] قد استنكرا رواية (ليون) وسخرا منه لجهله — في زعمهم — بقراءة النقوش العربية. لقد فندت ادعاءهما ونقدته بشيء من التفصيل في دراسة سابقة[2] لي ورجحت عدم امكان خلط الحسن الوزان بين اسمي المنصور الموحدي والمنصور المريني لأن شاهد القبر المريني الموجود بشالة إلى اليوم يحمل اسم أبي يعقوب يوسف وليس أبي يوسف يعقوب المريني الذي لم نعثر على أي نقش جنائزي باسمه خلال حفائرنا ودراساتنا الميدانية بشالة لعدة سنوات.

لقد بسطت القول في تحقيق رواية الحسن الوزان الذي أكد قراءته للنقش الذي يحمل اسم المنصور بضريحه بشالة وخاصة عندما اكتشفت بناء أثريا أسفل أرضية الموقع الذي أسميته بقاعة شهداء طريف، وقد عقدت مقارنة بين تصميم ذلك البناء وتصميم بعض القبور الفاسية لوضع احتمال صحة رواية الحسن الوزان موضع الدرس قبل رفضها نهائيا ولينظر ذلك من أراد الوقوف على التفاصيل بكتابنا حفائر شالة الاسلامية[3].

لقد عرضت مختلف الروايات التي أمكن الحصول عليها حول مكان دفن المنصور الموحدي وأضفت إليها رواية الحسن الوزان مع ملاحظاتي عن البناء الذي كشفتُ عنه بالموقع المذكور داخل خلوة شالة لصق الجدار الشرقي للمسجد العتيق دون رفض أو تأكيد رواية الحسن الوزان، وإنما اكتفيت حاليا بطرح توضيحات جديدة حول رواية الحسن الوزان :

ونعود مرة أخرى إلى شخصية المنصور، فقد كان لا يكاد يظن شيئا إلا وقع كما ظنه وقد وصف المراكشي تكوينه الفكري والعلمي بقوله (ولي الوزارة أيام أبيه فبحث في الأمور بحثا شافيا وطالع أحوال العمال والولاة والقضاة وسائر من ترجع إليه الأمور مطالعة أفادته دقة جزئيات الأمور فدبرها بحسب ذلك).

وقد وصفه ابن أبي زرع بقوله (كان ذا رأي وعزم ودين وسياسة[4] وهو أول من كتب العلامة بيده من الموحدين علامة (الحمد لله وحده)، وهو واسطة عقدهم الذي ضخم

---

(1) Chella une Necropole Mérinide

(2) كتابنا تاريخ شالة الاسلامية 257 — 261.

(3) كتابنا حفائر شالة الاسلامية، دراستنا للموقع رقم 7.

(4) عن شخصية المنصور : المغرب عبر التاريخ 281/1، عن صفته وأولاده ووزرائه : المعجب 262. عن حجابه : المعجب 263. كتابه وقضاته : المعجب 264. سيرته : 284 — 288. عن أسباب تخليه عن ابن رشد بعد رعايته أولا : كتابنا أصحاب الميمنة 87 — 88 وقد نقلنا تحليل بروكلمان بكتابه تاريخ الشعوب الاسلامية... فقد اضطر المنصور أخيرا إلى التخلي عن ابن رشد لشدة حاجته إلى تأييد فقهاء الأندلس في نضاله ضد النصارى الذين كان يطلب عندهم ثأر أبيه إلى أن تم له النصر المؤزر عند الأرك.

الدولة وشرفها... صنع الله في أيامه الأمن بالمشرق والمغرب والأندلس) وهو الذي صنع عام الارك المشهور وحصن البلاد وضبط الثغور وبنى المساجد والمدارس في بلاد افريقية والمغرب والأندلس وبنى المارستان للمرضى والصوامع والقناطر.

وفيما يتعلق بحياة ومنجزات يعقوب المنصور الموحدي، ففضلا عن إعادة ترميمه لدولة الاسلام في المغرب العربي واخضاع أطماع بني غانية بافريقية واسترجاع بجاية من الميورقيين[1] واسترجاع قفصه[2] للكيان الموحدي بالجناح الغربي للاسلام، فإن جهود المغرب الموحدي عسكريا وجهاد يعقوب المنصور الديني الذي منح تاريخ الاسلام العام انتصار الارك ومد في عمر حضارة الاسلام هناك بالفردوس المفقود، بالاضافة إلى خفايا وأسرار علاقات المنصور بقادة المشرق الاسلامي وخاصة صلاح الدين الأيوبي، ونتائج استقدام العرب إلى المغرب الأقصى، ومنجزات المنصور الحضارية فيما يتعلق بالعمائر والمنشآت والمؤسسات الإسلامية، إن تلك المجالات الأربعة لا زالت في نظري بحاجة إلى مزيد من البحث والاستقصاء وإعادة التقييم المنصف والصحيح.

1 - وقيعة الأرك :

لقد أقام المنصور الموحدي للجهاد صرحا منيفا نحته من هزيمة الأذفنش صاحب غرب جزيرة الأندلس القائم بطليطلة في موقعة الأرك أخت معركة الزلاقة التي أوقعها يوسف ابن تاشفين بنصارى شبه الجزيرة الايبيرية.

قال لسان الدين بن الخطيب في القسم الثاني من أعمال الاعلام يصف دولة يعقوب المنصور قائلا : وكان ملكا جليلا فاضلا ورعا فتح البلاد الافريقية واستخلص ميورقة وأوقع بطاغية الروم الوقيعة العظمى المنسوبة إلى الأرك بلغ عدد القتلى بها ثلاثين ألفا[3].

وقال المراكشي أنه لما كان في سنة 90 انتقض ما بينه وبين الأذفنش من العهد فخرجت خيل الأذفنش تدوس البلاد وتجوس خلالها إلى أن كثر عبثها بالأندلس. وتجهز أمير المؤمنين وأخذ في العبور سنة 591... ونزل مدينة اشبيلية... وخرج يقصد بلاد الروم... والتقوا بموضع يعرف بفحص الحديد وكان الأذفنش قد جمع جموعا لم يجمع له مثلا قط وكانت الدائرة على اذفنش... وأصحابه ولم ينج إلا هو في نحو ثلاثين من وجوه قواده... ودخل أمير المؤمنين بعدها إلى قلعة رباح فغير كنيستها مسجدا... واستولى على طليطلة ثم رجع إلى

---

(1) التفاصيل : المعجب 272 والمغرب عبر التاريخ 281/1 والاستقصا 142/2 والمغرب الكبير 802.
(2) المعجب 174 والمغرب الكبير 805 وعن استرجاع شلب : المعجب 280 والمغرب الكبير 805.
(3) أعمال الاعلام (تاريخ اسبانيا المسلمة) ص 269.

مدينة اشبيلية منصورا مفتوحا عليه وكانت هذه الهزيمة أختا لهزيمة الزلاقة في مدة يوسف ابن تاشفين أمير المرابطين[1].

وقال ابن أبي زرع : لما طالت غيبة المنصور عن الأندلس بافريقية... اغتنم العدو الفرصة... فنال من المسلمين مراده... ونزل ملك قشتالة بظاهر الجزيرة الخضراء فكتب منها إلى المنصور يستدعيه للقتال قائلا (وقد علمت الآن ما عليه رؤساء الأندلس من التخاذل والتواكل... وأنا أسومهم بحكم القهر وخلاء الديار وأسبي الذرارى وأمثل بالرجال، ولا عذر لك في التخلف عن نصرهم، فلا أدري أكان الجبن قد أبطأ بك أم التكذيب بوعد ربك) يروي صاحب روض القرطاس أن المنصور مزق الكتاب وكتب على ظهر قطعة منه (الجواب ما ترى لا ما تسمع) وكان أول من تكلم بها فصارت مثلا.

ووصف ابن خلدون اللقاء قائلا : ثم ارتحل للقاء العدو ونزل بالأرك... وزحف إليه العدو من النصارى وأمراؤهم يومئذ ثلاثة ابن أذفونش وابن الرنك والببوج... فكانت الهزيمة المشهورة على النصارى واستلحم منهم ثلاثين ألفا بالسيف[2].

2 – علاقة المنصور بقادة المشرق العربي :

تعددت روايات المؤرخين حول علاقة أبي يوسف يعقوب المنصور مع القائد صلاح الدين الأيوبي (مؤسس الدولة الأيوبية بمصر بعد زوال دولة العبيديين) الذي كان يمثل مركز القوة الضاربة بمصر والشام والموجهة ضد الصليبيين وأطماعهم في الامارات التي أقاموها بالرها وأنطاكية وطرابلس وبيت المقدس.

فمنذ استولى السلطان صلاح الدين على ديار مصر والشام اعتزم جهاد النصارى وصار يفتتح حصونهم الواحد تلو الآخر إلى أن افتتح بيت المقدس سنة 583 هجرية فتوافدت أساطيل أمم النصارى على الثغور القريبة من بيت المقدس واعترضوا أسطول صلاح الدين في البحر فاستغاث صلاح الدين بالمنصور سنة 586 هـ يطلب إعانته بالأساطيل لمنازلة عكا وصور وطرابلس الشام[3]، وكان الموحدون قد اختصوا أيامهم باعداد الأساطيل الجهادية ولا سيما في أيام المنصور، لكن المنصور الموحدي تبعا لبعض الروايات لم يرقه مخاطبة صلاح الدين له في خطاب الاستغاثة بلقب (أمير المسلمين) دون (أمير المؤمنين) فلم يجب الرسول إلى حاجته.

---

(1) المعجب 282 ــ 283.

(2) عن الأرك : الاستقصا 162/2 + 165 ــ 172 والمغرب الكبير 804 ــ 811 والمغرب عبر التاريخ 285/1 وكتابنا أصحاب الميمنة 86 ــ 87.

(3) الاستقصا 162/2.

ويرى البعض أن سبب تلك المجافاة كان أعمق من ذلك، فقد بدأ الموحدون يتعرضون لأخطار تزحف إليهم من الشرق حيث كان مماليك الغز المصريون وعلى رأسهم شرف الدين ابن أخ صلاح الدين حالفوا عرب بني هلال وأغاروا على الأطراف الشرقية لدولة الموحدين كإشارة إلى أطماع صلاح الدين غربا بعد أن وحد مصر والشام[1] واليمن، لقد تحالف مماليك مصر مع بني غانية الميورقيين وأعراب بني هلال ضد الموحدين[2] وهكذا وجد الميورقيون حلفاء في افريقية جمعته بهم الظروف السياسية وهم بني هلال وسليم والمماليك الغز وعلى رأسهم قراقوش وكان مملوكا لتقي الدين ابن أخ صلاح الدين وكانوا يعملون لحسابهم الخاص بالمغرب ضد الموحدين، وكان طبيعيا أن ينضم هؤلاء إلى الميورقيين[3]، فكان انضمام مماليك مصر إلى بني غانية أعداء الموحدين سببا آخر في غضب المنصور على سلطان مصر صلاح الدين ورفض نجدته للجهاد ضد الصليبيين.

ومع هذا نجد من بين المؤرخين من يتخطى تلك الأسباب ويرفض اعتبارها كافية لتخلف المنصور عن نصرة المسلمين بالمشرق العربي في ساحة الجهاد المقدس ويرون أنه أمد فعلا قوة المشرق البحرية بمدد مغربي إذ جهز إلى الشرق مائة وثمانين أسطولا فمنع النصارى من سواحل الشام[4].

3 – استقدام المنصور عرب بني هلال وبني جشم إلى المغرب :

كان من جملة قبائل مضر[5] بنو سليم بن منصور وبنو جشم بن معاوية وبنو هلال ابن عامر، وكان من ضمن قبائل كهلان القحطانيين بنو الحرث بن كعب، وقد ذكر المؤرخون أن تلك القبائل الأربعة انتقلت إلى افريقية والمغرب.

وكان بنو سليم أصلا مما يلي المدينة المنورة وبنو هلال في جبل غزوان عند الطائف ولكنهم انحازوا إلى البحرين وعمان وصاروا جندا للقرامطة الذين غلبوا على بلاد الشام وظاهرهم بنو سليم وبنو هلال ثم انتزع العبيديون الشام بعد انتقالهم إلى مصر وردوا القرامطة إلى البحرين ونقلوا أشياعهم من بني سليم وبني هلال فأنزلوهم بالعدوة الشرقية للنيل من صعيد مصر.

---

(1) المغرب عبر التاريخ 284/1.

(2) المغرب الكبير 797.

(3) المغرب الكبير 802 وسعد زغلول عبد الحميد : العلاقة بين صلاح الدين وأبي يوسف يعقوب المنصور، بحث بمجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية 1958 مجلد 6 – 7.

(4) الاستقصا 163/2 والمغرب عبر التاريخ 285/1 (يروي ابن خلدون من غير اسناد أن المنصور ربما كان قد بعث فيما بعد بمائة وثمانين قطعة من أسطوله...).

(5) جعل النسابة أمة العرب قسمين : عدنان وقحطان وجعلوا عدنان قسمين : ربيعة ومضر، التفاصيل بقبائل المغرب لمؤرخ المملكة ص 344 – 352.

ولما ساءت العلاقة بين المعز بن باديس الصنهاجي ممثل العبيديين بافريقية وبين الخليفة المستنصر بالله بالقاهرة وقطع ابن باديس الخطبة للفاطميين سنة 443 هجرية وخطب للعباسيين سرح له المستنصر الفاطمي العرب من بني هلال وبني جشم واستمال مشايخهم بالعطاء وتولية أعمال افريقية بدل صنهاجة فتقارعوا على البلاد وكان لبني سليم شرقها ولبني هلال غربها وانظم إلى بني هلال بنو جشم بن معاوية فزادوا قوتهم وانتشروا في أقطار افريقية ونازلوا أمصارها[1].

يقول مؤرخ تونس المرحوم حسن حسني عبد الوهاب في كتابه (ورقات عن الحضارة العربية) أن هؤلاء الأعراب انسابوا كالسيل العرم على سهول البلاد التونسية،... وعبثا حاول المعز إيقاف هذا التيار الجارف، فأوقعوا به هزيمة نكراء... واضطر إلى الالتجاء إلى المهدية لحصانة أسوارها سنة 449 (1057 م) ولم يغن خلفاؤه بعده شيئا عودتهم إلى الاعتراف بالسيادة للفاطميين بمصر.

اتخذ المعز بن باديس المهدية قاعدة له وللملك أبنائه وعمت الفوضى فاستقل الولاة الصنهاجيون بنواحيهم وصارت المدائن الافريقية الكبيرة خاضعة لحكم أمراء الطوائف واتخذ كل منهم الدواوين في عاصمته وضرب السكة باسمه واستعان كل أمير بطائفة من الأعراب جندا مرتزقة يدافعون عنه ويخربون ديار جاره من عدوه أو منافسه، وقد أطلق لهم العنان بالامعان في أعمال الشغب والتخريب.

وفي دولة يعقوب المنصور الموحدي ثار بنو غانية بافريقية وظاهرهم العرب[2] وأوقعوا بمقدمة المنصور لكنه نهض إليهم فأوقع بالملثمين أولا ثم بالعرب ففل جمعهم وشردهم إلى صحاري برقة فراجعوا بصائرهم وأتوه طائعين، وكان الذين قاتلوه أولا ثم رجعوا إلى طاعته هم قبائل هلال وجشم أصحاب غرب افريقية. أما بنو سليم فلم يقاتلوه منذ البداية فبقوا بأرض افريقية بينما نقل المنصور بني هلال وبني جشم إلى المغرب[3] الأقصى سنة 584 هجرية وأنزل قبيلة رياح من بني هلال ببلاد الهبط المعروفة بالغرب وأنزل جشم بتامسنا المعروفة بالحوز أواسط المغرب الأقصى بين سلا ومراكش.

---

(1) الاستقصا 145/2 – 151، تفاصيل الأحداث وتحليلها ونقدها بقبائل المغرب للأستاذ عبد الوهاب بن منصور 388 – 406.

(2) التفاصيل بقبائل المغرب ص 407 وما بعدها.

(3) تفاصيل أنساب العرب الداخلين إلى المغرب وأخبارهم شافية وافية من مصدر ثقة مختص : بقبائل المغرب ص 412 وما بعدها.

ويبدو حسب روايات المؤرخين أن بعض تلك القبائل عاد إلى ممارسة أعمال الشعب الغريزية[1] فندم المنصور على ادخالهم المغرب، ويقال أنه أسف عند وفاته قائلا : (ما ندمت على شيء فعلته في خلافتي إلا على ثلاث وددت أني لم أفعلها[2]، ادخال العرب من افريقية إلى المغرب... وبناء رباط الفتح... واطلاق أسارى الارك...).

وكنتُ قد أوضحت مفصلا بمقدمة كتابي تاريخ شالة الاسلامية[3] أن حركة الغزو الهلالي التي شهدها القرن الخامس الهجري والتي وصفها هنري تيراس بأنها أحدثت صرما عميقا بين المشرق والمغرب[4]. كانت على عكس ذلك أهم حدث بالنسبة للمغرب في (العصور الوسطى) بل لعلها كانت أهم من الفتح الأول نفسه. وقد أشرت في كتابي أصحاب الميمنة إلى ماثرة المنصور الكبرى بنقله قبائل العرب من بني هلال وبني جشم إلى المغرب الأقصى[5] ونقلت قول السلاوي عن ابن خلدون وابن حزم وكيف أحيت تلك القبائل بالمغرب ألوان الحياة اليومية ووسائل المعيشة ومظاهر التعريب والأدب لغة وعادات وتقاليد.

وها هو مؤرخ المملكة المغربية وصاحب موسوعة قبائل المغرب يصف النتائج الايجابية قائلا أن البلاد المغربية أخذت شكلها القومي الجديد وصارت لها لغة جديدة تتخاطب بها العوام بعد أن كانت العربية قاصرة على الدواوين الرسمية وبعض الحواضر التي أنشأها عرب الفتح... فقد ظلت البربرية سائدة في المغربين الأوسط والأقصى إلى الزحف الثاني الكبير.

ان خطب الجمع في حاضرة عربية مثل فاس وفوق منبر جامع إسلامي كبير مثل جامع القرويين كانت تلقى باللغة البربرية إلى ما بعد قيام دولة الموحدين. لكن دخول العرب هذه المرة جعل السيادة للغة العربية على جميع بلاد المغرب كما جعل أهل البلاد الأصليين تتلاقح دماؤهم بدماء عناصر قوية جديدة تشترك معهم في كثير من الخصال مما كان له أكبر الأثر على الأجيال المغربية جسمانيا وفكريا.

---

(1) يقول صاحب قبائل المغرب (... حتى انبرى مؤرخ وطني عربي نبيه هو عبد الرحمن بن خلدون... يحمل عليهم وعلى أمتهم... ويحكم عليهم وعليها أحكاما قاسية... متأثرا مما عاين من آثار وحشيتهم وثمار همجيتهم...) قبائل المغرب ص 410. وإنني أقول أنه استقر في أذهان العرب المعاصرين بتأثير المستشرقين المغرضين المسموم أنها (إذا عربت خربت...) فقد أوضحت في بحث مطول مدقق المدلول العلمي للفظة (عرب وأعراب) وتطور ذلك تاريخيا وأبنت ما كان يقصده ابن خلدون وسابقوه ولاحقوه بتلك الألفاظ، وذلك ببحثنا (انصاف ابن خلدون من تهمة التهجم على العرب) مجلة المناهل وزارة الثقافة الرباط العدد الأول نوفمبر 1974 ص 198 – 215. بقلم د. عثمان عثمان.

(2) قبائل المغرب 408 – 409.

(3) تاريخ شالة الاسلامية 18 – 19.

(4) هنري تيراس المؤرخ الاستعماري المتعصب : تاريخ المغرب (بالفرنسية) 76/2.

(5) كتابنا أصحاب الميمنة أبطال الاسلام في المغرب ص 86.

وقد تسربت بالضرورة مع هؤلاء الأعراب (عدد كبير من وسائل العيش[1] وأدواته التي لم تكن معروفة من قبل كالخيمة وكثير من النظم والعادات التي تلائم حياة الرحل كنظام الدوار الذي هو عبارة عن مخيم مستدير الشكل تسكنه عشيرة أو عمارة أثناء اقامتها وتحمل خيامه وأدواته أثناء ظعنها... وعلى الجملة فإن الزحف العربي الثاني الكبير على بلاد المغرب لم يكن يضارعه في قوة فعاليته وسرعة تأثيره إلا الزحف الأول الصغير، كلاهما أعطى للمغرب شيئا وكيف حياة أهله تكييفا حاسما...)

إن هذه النتيجة الأخيرة هي كل ما أهدف من وراء ذلك الاسهاب الذي قد يبدو زائدا بكتاب وضع أصلا لدراسة الآثار المعمارية والفنية. ان دخول نماذج وأدوات وعينات جديدة من مستلزمات الحياة اليومية لم تكن معروفة بالمغرب من قبل، وأن أنماط حياة جديدة وإن لم تكن معاكسة لما يعرفه المغرب قبل دخول العرب، وأن التشكيل الجديد لنمط المجتمع على ضوء انصهار الوافد مع المحلي، وأن الآثار العربية العميقة التي دخلت تكوين الأجيال المغربية جسمانيا وفكريا، وأن سيادة اللغة الجديدة بما تحمله من أدب وتصور وتشكيل الحياة المغربية تشكيلا نهائيا وحاسما... كل ذلك قد أدى بالضرورة إلى انتاج أنواع من العمارة بعينها، ونماذج من الفنون والصناعات بذاتها... لم يكن من الممكن مطلقاً التعرض لدراستها دون معرفة حقيقة المكونات الأصلية المحلية ومدى ونوعية المقومات الأخيرة للكل المتكامل بعد التعريب قلبا وقالبا.

4 - المنصور بَنَّاءُ الموحدين الكبير :

قد لا يجانبنا الصواب إن قلنا بأن المنصور الموحدي كان بناء المغرب كله على الاطلاق وليس بناء الموحدين فحسب ـــ إذا استثنينا المولى إسماعيل والحسن الثاني بناء المغرب المعاصر والعلويين ـــ إذ أنه على الرغم من احتواء تاريخ المغربين الأوسط والأقصى على سلسلة من مشاهير الملوك المعروفين بميلهم إلى الانشاء والتعمير، وعلى الرغم من تمتع بعض المؤسسات بشهرة تاريخية مقدسة خاصة كما هو الشأن بالنسبة لجامع القروين، وعلى الرغم مما تتميز به مباني المرينيين من الوفرة العددية وما تتميز به مدارسهم من رقة حس ونعومة ملمس وأناقة وجمال، وما توفر للمنصور السعدي من قدرات اقتصادية هائلة أتاحت له انجاز عمله العظيم بقصر البديع عمارة وهندسة وزخرفة، فإن منجزات المنصور الموحدي منفردا في مجال العمارة الدينية وتأسيس المدن الكبرى وتحصين الأسوار وتدعيم الأبواب، وما اشتملت عليه تلك المباني من مظاهر العظمة والهيبة والجلال لايدانيها إنجاز آخر.

---

(1) قبائل المغرب ص 410 - 411.

لقد كان صانع انتصار الأرك وبطل التعريب (من حيث لا يدري) مقدما خطة البناء على حد سواء مع خطة[1] الجهاد، فكما أعلى صرح الجهاد بهزيمة الاذفونش صاحب طليطلة في غزوة الارك الشهيرة، أعلى المنصور للاسلام منارات شامخة بمراكش والرباط وأشبيلية.

أرخ عبد الواحد المراكشي لبعض منشآت أبي يوسف يعقوب المنصور الموحدي بالأندلس تحت عنوان (اهتمامه بالتشييد والبناء) قائلا : وكان عند رجوعه من السفرة التي استنقذ فيها مدينة شلب... أمر أن يبنى له على النهر الأعظم، نهر اشبيلية، حصن، وأن تبنى له في ذلك الحصن قصور وقباب، جاريا في ذلك على عادته من حب البناء وايثار التشييد فإنه كان مهتما بالبناء، وفي طول أيامه لم يخل من قصر يستجده أو مدينة يعمرها، زاد في مدينة مراكش في أيامه زيادة كثيرة يطول تفصيلها فتمت له هذه القصور المذكورة على ما أراد وفوقه، وسمى ذلك الحصن (حصن الفرج).

ويستطرد المراكشي قائلا : ولما رجع من غزوته العظمى — المتقدم ذكرها — في سنة 591 جلس للوفود في قبة من تلك القباب مشرفة على النهر الأعظم، وأذن فدخلوا عليه على طبقاتهم ومراتبهم وأنشده الشعراء[2].

وكان المراكشي في مستهل تاريخه لعصر المنصور ذكر بعد التعريف بقضاته وأخبار بيعته بناء مدينة الرباط وقال أن المنصور شرع في بنيان المدينة العظمى... وكان أبو يعقوب... هو الذي اختطها... فعاقه الموت... فشرع أبو يوسف في بنائها إلى أن أتم سورها وبنى فيها مسجدا عظيما كبير المساحة واسع الفناء جدا لا أعلم في مساجد المغرب أكبر منه، وعمل له مأذنة في نهاية العلو لى هيئة منار الاسكندرية... فتمت المدينة في حياته وكملت أسوارها وأبوابها... وهي مدينة كبيرة جدا... فلم يزل العمل فيها وفي مسجدها المذكور طول مدة ولايته إلى سنة 594...[3].

وذكر المراكشي بيمارستان مدينة مراكش وقال ما أظن أن في الدنيا مثله... تخير مساحة فسيحة بأعدل موضع... وأمر البنائين باتقان البناء على أحسن الوجوه، فأتقنوا فيه النقوش البديعة والزخارف المحكمة ما زاد على الاقتراح وأمر أن يغرس فيه... جميع الأشجار

---

(1) أنظر تفاصيل انتصاره العسكرية بالمراجع المشار اليها آنفا

(2) المعجب 292 - 293.

(3) المعجب 266 وكتابنا (تاريخ شالة الاسلامية) عن تأسيس رباط الفتح ص 254 والمصادر العربية والأجنبية التي أشرنا إليها، وسوف نعود للموضوع مفصلا بفصل قادم، كما ننشر قريبا دراسة موسعة عن تاريخ تأسيس رباط الفتح ومسجد حسان ومشاكله التاريخية والمعمارية في كتابنا الذي يعد للطبع عن (ضريح محمد الخامس بالرباط).

المشمومات... وأجرى فيه مياها كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على أربع برك بوسطه...[1].

ولخص السلاوي ذكر ما شيده المنصور بالمغرب والأندلس وقال أنه لما عزم على المسير إلى الأندلس أوصى ببناء قصبة مراكش والاعتناء بتشييد قصورها... ومن آثاره الباقية بها... باب أجناو ولا مزيد على ضخانته وارتفاعه... وأمرهم ببناء الجامع بها المنسوب إليه... وتشييد مناره المائل به ومنار جامع الكتبية المضروبة به المثل في الارتفاع وعظم الهيكل...

ولما اجتاز المنصور في سفره هذا بأرض سلا أمر أيضا ببناء مدينة رباط الفتح... وأمر ببناء المسجد الأعظم بطالعة سلا... وأمر ببناء جامع حسان ومناره الأعظم المضروب به المثل في الضخامة وحسن الصنعة...

ولما فرغ المنصور من وقعة الارك واحتل مدينة اشبيلية أخذ في اتمام بناء جامعها الأعظم وتشييد مناره المشاكل للمنارين المتقدمين... ولما كمل جامع اشبيلية وصلى فيه أمر ببناء حصن البرج على وادي اشبيلية... وشرع في بناء أسوار مدينة فاس[2] التي أتمها ابنه الناصر...

ولما رجع من الأندلس إلى مراكش وجد كل ما أمر به من البناءات قد تم على أكمل حال وأحسنه مثل القصبة والقصور والصوامع... واتخذ في جامعه هذا لمصلاه به مقصورة عجيبة كانت مدبرة بحيل هندسية...[3].

هذا هو المنصور صانع انتصار الارك وبطل التعريب وأكثر خلفاء الموحدين ولعا بالعمارة والبناء فقد (ضرب الرقم القياسي في بناء المساجد والقصور والتحصينات)[4] وتأسيس المدن وأشهر الأبواب في تاريخ العمارة الاسلامية على الاطلاق.

---

(1) المعجب 287.

(2) كان عبد المؤمن قد أمر بهدم أسوار مدينة فاس.

(3) الاستقصا 173/2 – 175، وانظر المغرب عبر التاريخ حركات 288/1 مآثر المنصور... وبنى مسجد سلا الكبير ومدرسته الجوفية.

(4) المغرب الكبير للسيد سالم ص 837.

ثالثا : ضعف الدولة وسقوطها وانقسام الامبراطورية الموحدية

بويع بالخلافة بعد أبيه ولى عهد المنصور المسمى أبو عبد الله محمد وتلقب بالناصر لدين الله[1] وهو آخر كبار ملوك الموحدين، وقد لقي في صدر خلافته مشاكل عديدة، فبنو غانية قد استولوا على أكثر بلاد افريقية[2] وقد ظهر بالمهدية ثائر آخر يدعي الخلافة، ثم هناك فتنة النصارى بالأندلس تطل برأسها من جديد. ونلخص ذلك بألفاظ ابن الخطيب في أعمال الاعلام (وكان ملكا كبيرا فتح ميورقة ثانية من يد الميورقي وتحرك إلى افريقية فدوخها ومهدها ثم قفل إلى الأندلس[3].

1 - هزيمة العقاب ونهاية جهاد الموحدين بالأندلس :

لم ينس النصارى هزيمة الأرك و لم يفيقوا إلا على صهيل جياد الناصر الذي نظم جيشه وتحرك إلى قشتالة سنة 608 هجرية واستولى على حصني (اللج ثم شلبطرة) فشعر ملك قشتالة بخطط الموحدين تجاه طليطلة عاصمة المملكة الكبرى[4] فاستغاث كما يروي الحميرى (باهل ملته وحثهم على حماية دينهم فاستجابوا وانثالوا عليه من كل مكان)[5] ونادى أسقف طليطلة رودريجو خيمنث ـــ الذي كان من أشهر شخصيات اسبانيا ونجح في التوفيق بين ملوك اسبانيا المسيحية واستجاب لدعوته قادة فرنسا وايطاليا.

---

(1) عن بيعته راجع الاستقصا 191/2 والمعجب 307، وعن صفاته وأولاده ووزرائه وحجابه وكتابه وقضاته راجع المعجب 314/307، وعن شخصيته راجع المغرب عبر التاريخ 290/1.

(2) عن أعمال الناصر في افريقية وميورقة راجع : المغرب عبر التاريخ 290/1 والاستقصا 191/2 - 194 والمعجب 314 - 318.

(3) تاريخ اسبانيا الاسلامية تحقيق بروفنسال ص 269 - 270.

(4) أوضح عبد الواحد المراكشي أشهر الامارات الاسبانية في ذلك العهد وذكر أسماء ملوكها : شرق الجزيرة أرغون، المملكة الكبرى وهي بلاد قشتالة يملكها الاذفونش وهي بالجهة الأخرى بين الجنوب والشمال، وليون أول الحد الشمالي الغربي ويملكها الببوج، وشمالا مما يلي البحر يملكه ابن الريق المعجب ص 320.

(5) المغرب الكبير 821 واشارته إلى نص الحميرى هامش 1 نفس الصفحة.

يقول عبد الواحد المراكشي (خرج أمير المؤمنين من مدينة جيان فالتقى هو والأذفونش بموضع يعرف بالعقاب بالقرب من حصن سالم فعبأ الاذفونش جيوشه ورتب أصحابه ودهم المسلمين على غير أهبة فانهزموا...)[1].

وأوجز ابن الخطيب في أعمال الاعلام قائلا : (... وعظمت نكاية العدو، والتقى بملك النصارى[2] مغلوب أبيه يوم الارك فكانت على المسلمين الهزيمة الكبرى المنسوبة إلى العقاب ولم تستقل الأندلس بعدها العثرة وكانت يوم الاثنين الثامن لصفر من سنة 609).

لقد كان يوما مسطورا في تاريخ العدوتين والملتين يحكي ما وقع بالمسلمين بالوديان الواقعة بين الجبال وهضبة لينارس بالقرب من بلدة تولوسا حيث يطلق النصارى على تلك الوديان اسم (نافاس) فعرفت الموقعة عندهم باسم (لاس نافاس دي تولوسا Las Navas de Tolosa) ويسمي المؤرخون العرب هذا الموضع بالعقاب نسبة إلى حصن أموي قائم بالقرب من الفحص الذي دارت فيه الموقعة[3].

ولقد لخص ابن الخطيب نتائج الهزيمة في كلمة قائلا : (... جاز — يعني الناصر — إلى المغرب واحتشد واستكثر... وعزم عزما لم يتقدم للملك قبله، إلا أن الدهر قطع عليه أمله فتوفي في شعبان 610 ولم يعد بعدهم إلى الأندلس أحد من ملوك الموحدين إلى أن انقرضت أيامهم)[4].

2 – ضعف الدولة :

تولى بعد الناصر ابنه يوسف الملقب بالمستنصر ودخلت دولة الموحدين في دور الضعف إلى أن سقطت سنة 668 هجرية بمقتل آخر ملوكها أبي دبوس أثناء صراعه ضد جيوش المرينيين[5] على أسوار مراكش وهربت فلول الموحدين إلى تينمل وانقرضت دولتهم ودرست آثارهم وولدت دولة أخرى جديدة في تاريخ المغرب الأقصى وحضارته سوف تواصل الجهاد الديني بالأندلس وترسي قواعد النظام الاداري والعمران الحضاري بالركن الغربي من المغرب العربي.

3 – انقسام امبراطورية الموحدين :

سقط أبو دبوس الواثق كما يروي عبد الواحد المراكشي بعد أن (أدركه أجله في معركة

---

(1) المعجب 321، وعن أسباب هزيمة العقاب، المعجب 323/322 والاستقصا 200/196/2 والمغرب الكبير ص 829.

(2) يقصد الناصر، أنظر تاريخ اسبانيا الاسلامية ص 270.

(3) المغرب الكبير 825.

(4) تاريخ اسبانيا الاسلامية ص 270.

(5) أسباب سقوط الدولة : المغرب عبر التاريخ 305/1 : 311، وانهيار الدولة بعد موقعة العقاب بالمغرب الكبير للسيد سالم 831/828 والمعجب 336.

دارت بينه وبين بني مرين في المحرم 668، وبموته انتهى حكم الموحدين في مراكش والأندلس ليبدأ تاريخ دولة بني مرين الذين غلبوا الموحدين على أمرهم في مراكش، ودولة بني الأحمر أصحاب غرناطة الذين غلبوا المتوكل بن هود على ما بيده من شرق الأندلس[1].

ويقول مؤرخ المملكة (... انقضى أمر الموحدين من المغرب بعدما استمر فيه أزيد من قرن، وقامت على أنقاض دولته بالمغرب العربي[2] أربع دول : الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى، والدولة الزيانية العبد الوادية بالمغرب الأوسط والدولة المرينية بالمغرب الأقصى والدولة النصرية الأحمرية بالأندلس).

لقد شاء الله أن ينفرط العقد الفريد في حياة الغرب الاسلامي وتنحل الامبراطورية الموحدية ويكبو أكبر وأقوى فرس عربي صال وجال في ساحة الوحدة العربية ونصرة الاسلام، وشهد الربع الثالث من القرن السابع الهجري انقساما سياسيا وإداريا جديدا بمنطقة المغرب العربي والأندلس، فإذا بدأنا بالغرب حيث تبدأ ظاهرة الانفصال نجد دولة بني نصر أو دولة بني الأحمر تظهر في غرناطة وتمثل الحلقة الأخيرة في مسلسل الاسلام وحياة المسلمين بالفردوس المفقود. أما المغرب العربي أو ما نسميه بالغرب الاسلامي الافريقي فكان مركز الثقل فيه يوجد بالمغرب الأقصى لأن مراكش كانت الوريث الشرعي لدولة الموحدين ومركز السلطان وكرسي المملكة ومعقل الامبراطورية، ولهذا قامت دولة بني مرين بالمغرب الأقصى بعبء الجهاد الاسلامي. لقد كانت دولة المرينيين صاحبة النضال العسكري والحربي في سبيل إسقاط دولة الموحدين التي ما كانت لتسقط نتيجة هزيمة العقاب وحدها وخطر اسبانيا المسيحية، بقدر ما سقطت نتيجة العناء الداخلي في مواجهة المرينيين.

لقد كان المرينيون إذن هم الذين تحملوا النصيب الأوفى من الكفاح المرير ليمثلوا بحق دور الورثة الشرعيين للامبراطورية الموحدية، فبعد أن دخلوا عاصمة الموحدين مراكش وفتحوها وأقروا أحوالها شرعوا يمارسون حكمهم من عاصمتهم الجديدة مدينة فاس لاعتبارات عديدة.

لكن الأمر بالنسبة للمغرب الأقصى لم يكن مجرد سقوط دولة وقيام أخرى لقد فقد المغرب الأقصى ولو مؤقتا سيادته الشمالية بالأندلس، ولكنه فقد في المقام الأول وحدته مع المغرب الأوسط الذي نهضت به دولة بني زيان أو دولة ملوك بني عبد الواد بتلمسان.

---

(1) المعجب 236.

(2) الأستاذ بنمنصور مؤرخ المملكة المعاصر : قبائل المغرب 128/1، ولعله يقصد الغرب الاسلامي فهذا أدق لكونه أدخل فيه الأندلس، أما إذا تناولنا شمال افريقيا وحده لقلنا المغرب العربي.

في هذا الوقت بالذات استغل الحفصيون ولاة افريقية منذ أيام الموحدين مأساة البطل الجريح وانحلال عرى الوحدة فأعلنوا استقلالهم وانسلاخهم عن طاعة مراكش وورثتها الجدد القائمين بالأمر بفاس.

وهكذا (انتقل المغرب من مرحلة التكامل والوحدة[1]، التي عرفها عصر المرابطين والموحدين من بعدهم، إلى مرحلة جديدة في تاريخه الطويل وهي مرحلة المحافظة على الوجود، ذلك أن هزيمة جيش محمد الناصر بن يعقوب المنصور في معركة (العقاب) سنة 609 هجرية على يد التحالف النصراني كانت بداية تضعضع الدولة وتزعزع أركان الامبراطورية العظيمة فتعاقب على حكم المغرب بعدها أربع أسر حاكمة هي بنو مرين وبنو وطاس والأشراف السعديون ومن خلفهم الأشراف العلويون، وتشترك تلك الأسر كلها في ميزة واحدة جوهرية تتجلى في الاستماتة للمحافظة على الكيان الاسلامي العربي لدولة المغرب الأصلية داخل الحركة الفكرية ومؤسسات العلم والثقافة ونهج العمل ضد تيار الغزو الصليبي الزاحف على الدولة).

---

(1) الأستاذ محمد العربي الخطابي وزير الاعلام السابق : المغرب ومكانه من العالم الاسلامي، بحث بمجلة المناهل الرباط عدد 18 بتاريخ 80 ص 78 وما بعدها خاصة ص 111 وكان قد قسم تاريخ المغرب الاسلامي إلى عصر النشوء الاسلامي والعربي من القرن الأول الهجري إلى السادس ص 93 ثم عصر التكامل والوحدة ويضم عصري المرابطين والموحدين ص 99 فعصر المحافظة على الكيان الاسلامي ابتداء من دولة بني مرين إلى اليوم.

الفصل الثاني

الموحدون أصحاب مدرسة في الفن والعمارة

أبحاث هذا الفصل :

أولا : جهد الموحدين العسكري وأثره في الفن والعمارة :

1 – نتائج امتداد الدولة شرقا وشمالا.
2 – قوة الدولة ووحدتها وثراؤها.
3 – تنوع البيئات التي ضمتها الامبراطوية الموحدية.
4 – نتائج انقسام الامبراطورية الموحدية.

ثانيا : فكرة المستشرقين عن الأثر الأندلسي في الفن العربي :

1 – موقف هنري تيراس والجنرال بريموند.
2 – بعض الكتاب العرب.
3 – ردنا على تلك الدعوة.

ثالثا : اكتمال شخصية الطراز المغربي :

رابعا : الموحدون أصحاب مدرسة في الفن والعمارة :

خامسا : شغف الموحدين بالمنشآت المعمارية :

1 – عهد عبد المؤمن بن علي.
2 – عهد يوسف بن عبد المؤمن.
3 – عهد يعقوب المنصور.
4 – عهد الناصر الموحدي.

الفصل الثاني

الموحدون أصحاب مدرسة في الفن والعمارة

أولا : جهد الموحدين العسكري والسياسي وأثره على العمارة والفن

1 - نتائج امتداد حدود الدولة شرقا وشمالا :

تكلم مؤرخ تونس المعاصر المرحوم حسن حسني عبد الوهاب عن الموحدين في افريقية وقال أن ملك عبد المؤمن أصبح ينبسط على المغرب كله، من أقصى ولاية طرابلس إلى المحيط الأطلنطي ويدخل في ذلك جزيرة الأندلس مما لم يتم لأحد سواه. وأضاف المؤرخ المذكور في كتابه (ورقات عن الحضارة) أن الموحدين أدخلوا في عموم البلاد المغربية تقاليد جديدة لم تكن مألوفة من قبلهم فقد سنوا نظما لادارة مصالح البلاد عرفت (بالتراتيب المخزنية) تواصل العمل بها في المغرب نحو الخمسة قرون إذ أن الدول التي خلفت الموحدين في الحكم استمرت على تقليد الرسوم والأوضاع طوال حياتها مثل الدولة الحفصية في افريقية التونسية ودولة بني مرين في المغرب الأقصى ودولة بني عبد الواد في وطن تلمسان ودولة بني نصر في غرناطة من بلاد الأندلس، بل إن الأنظمة التي سنها الموحدون تسربت إلى الممالك التي ورثت الدول المشار إليها.

ويستطرد المؤرخ التونسي بعرض شاهد على ذلك يستمده من مسألة النقود ويدعم فكرته بنص لابن خلدون موضحا ذلك بدليل ملموس وهو اقتداء الدولة الحفصية بسنن الموحدين في سبك مسكوكاتهم شكلا وكتابة[1].

هذا مثل سقناه يتعلق بفنون الصناعات التطبيقية، فقس عليه فنون العمارة وطرزها نظرا لسيادة نظم الموحدين لادارة مصالح البلاد وتفوق تقاليدهم مما لم يكن معروفا قبلهم.

2 - قوة الدولة في البر والبحر ووحدتها وثراؤها :

إن الدول البانية ليست هي الدول المقهورة، وأن الدفاع عن البيضة لأولى الواجبات بمراعاة أولى الأمر، ثم إن الأمن والأمان والاستقرار كان كل ذلك ولا يزال من الزم الأمور

---

(1) حسن حسني عبد الوهاب : ورقات 453/1 - 455.

لتطور حركة العمران وانتظام عجلة الحياة وتطورها وانعاشها وترقيتها وتهذيبها وترصيعها بمفاخر المباني والمنشآت والمؤسسات.

لقد أعان استقرار الأوضاع بالمغرب الأقصى ثم وحدة أطراف الامبراطورية الموحدية على تأسيس المدن والمصالح والمرافق ومستلزمات التحضر ومظاهر التمدن والعمران.

إن ثراء المغرب في عصر الامبراطورية الموحدية كان من وراء حركة التشييد الدائمة للأساطيل البحرية والتجارية التي ذرعت البحر الأبيض المتوسط طولا وعرضا وسيطرت على تجارته وتحكمت في سياسته.

كان ثراء المغرب الموحدي من وراء تجهيز الجيوش التي فتحت لها عدة جبهات نضالية من الأندلس إلى المغرب الأدنى في وقت واحد. كان ثراء الموحدين من وراء الأعمال المعمارية الخالدة باشبيلية والرباط ومراكش وها هو عبد الواحد المراكشي يقول في كتابه المعجب تحت عنوان (صفة أبي يعقوب) يقصد أبا يعقوب بن عبد المؤمن (... أخبرني من لقيته من ولده... أنه كان أحسن الناس الفاظا بالقرآن... وكان شديد الملوكية، بعيد الهمة، سخيا جوادا، استغنى الناس في أيامه وكثرت في أيديهم الأموال... هذا مع ايثار للعلم شديد...).

ويقول المراكشي عن اتساع الدولة وزيادة الخراج في عصر الموحدين أيام يوسف ابن عبد المؤمن (وكان الذي يسهل عليه بذل الأموال ــ مع ما جبل عليه من ذلك ــ سعة الخراج وكثرة الوجوه التي يتحصل منها الأموال) :

(وكان يرتفع إليه خراج افريقية، وجملته في كل سنة وفر مائة وخمسين بغلا، هذا من افريقية وحدها خلا بجاية وأعمال تلمسان وأعمالها والمغرب ــ وحد عمل المغرب عندهم الذي يطلقون عليه هذا الاسم، من مدينة تدعى رباط تازا إلى مدينة تدعى مكناسة الزيتون، طول هذه المسافة وعرضها نحو من سبع مراحل، وهي أخصب رقعة على الأرض فيما علمت، وأكثرها أنهارا مطردة، وأشجارا ملتفة، وزروعا وأعنابا ــ ومدينة سلا وأعمالها، وسبتة وأعمالها... هذا كله لا ينازعه إياه أحد ولا يمتنع عليه درهم، مضافا إلى مراكش وأعمالها... فلم يرتفع لملك من الملوك ــ أعني ملوك المغرب ــ ... ما ارتفع إليه من الأموال...)[1].

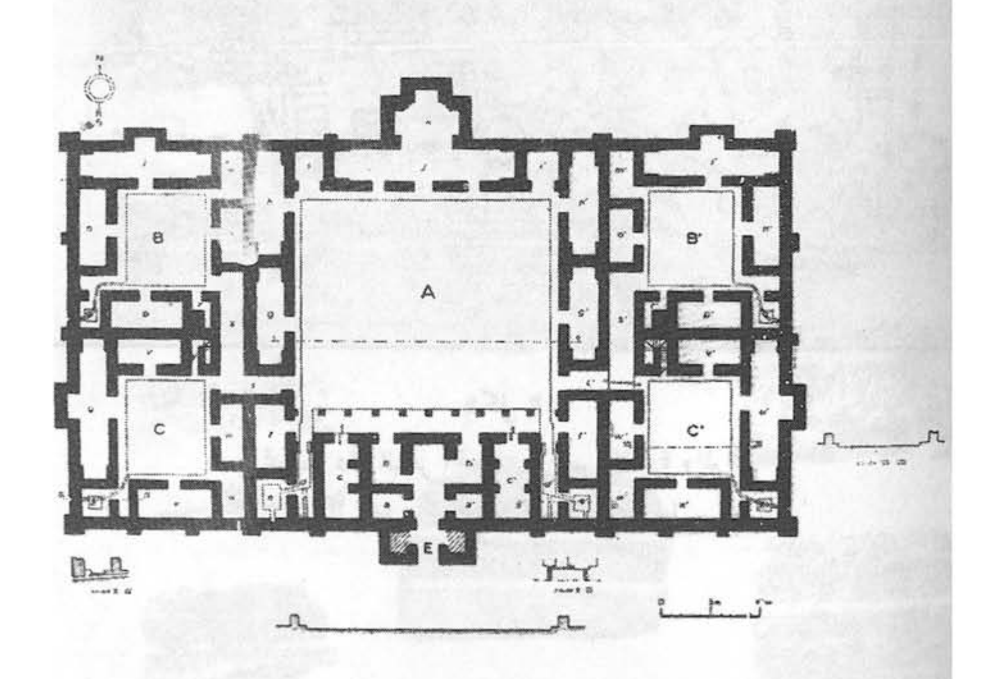
3 – تنوع البيئات في نطاق الامبراطورية الموحدية :

مر بنا في المدخل التاريخي أن الامبراطورية الموحدية ضمت بين جناحيها اسبانيا الاسلامية المتاخمة لدول النصرانية باتجاهاتها وفلسفتها... اسبانيا الاسلامية التي عرفت الفكر الاسلامي الشرقي أصلا فوق تربة غربية... اسبانيا المسلمة المحاطة بالبيئة والثقافة الأوربية.

(1) المعجب ص 238/237 + 256.

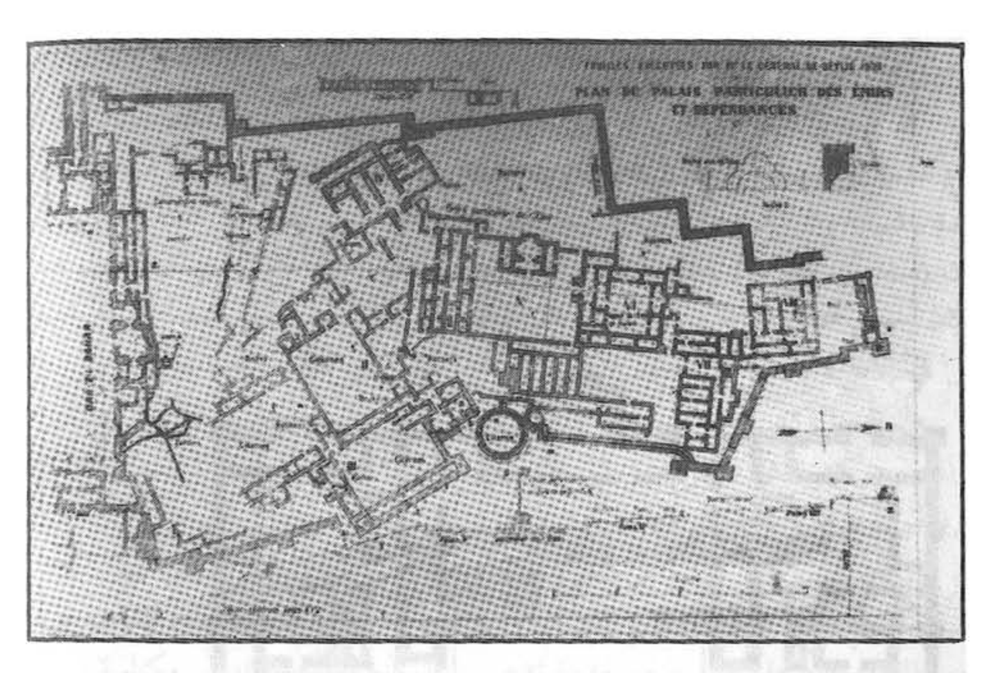
شكل 6

خط كوفي فاطمي بمقصورة جامع القيروان (القرن الرابع الهجري)



شكل 7

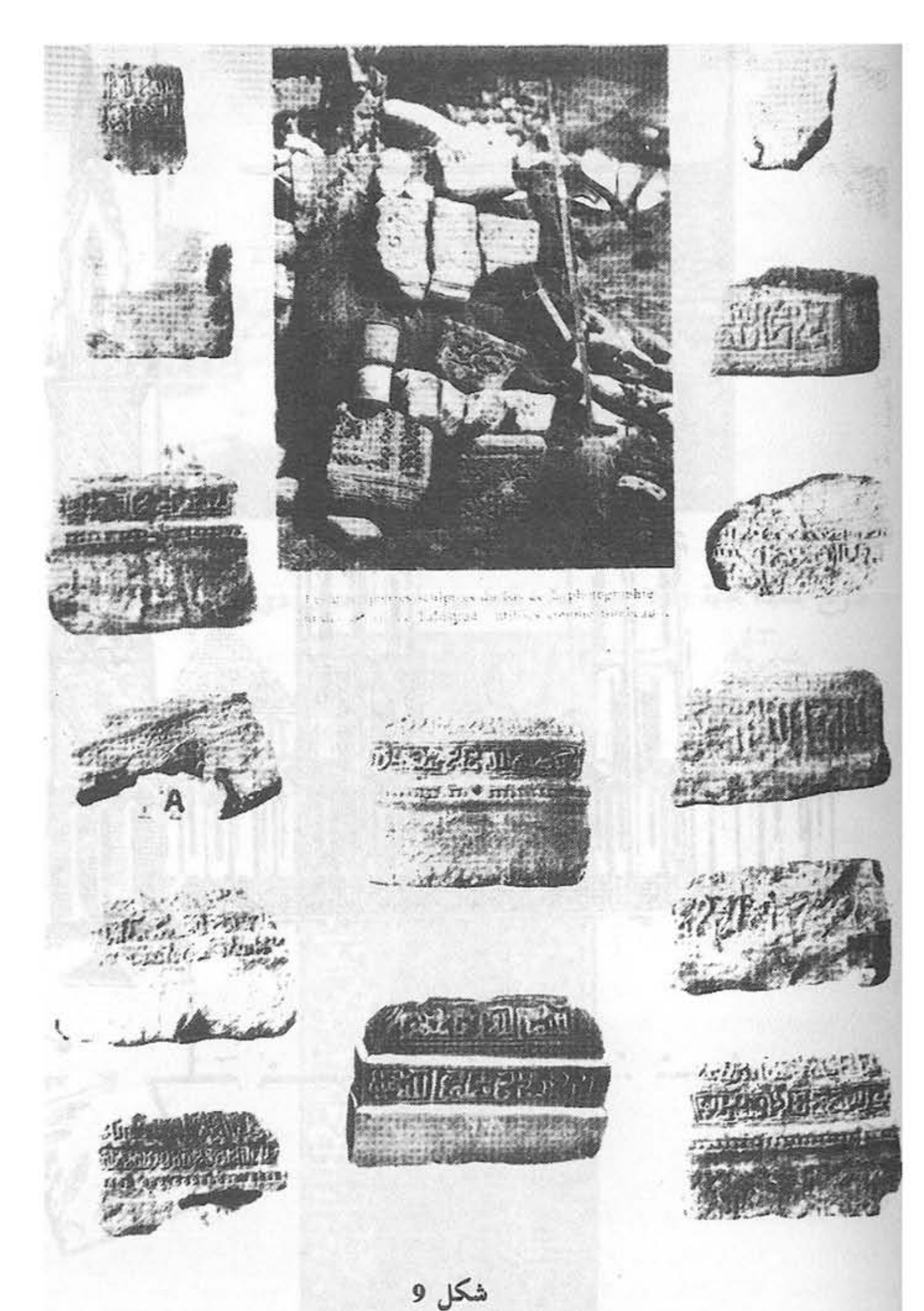
تخطيط قصر زيري في أشير بالمغرب الأوسط



شكل 8

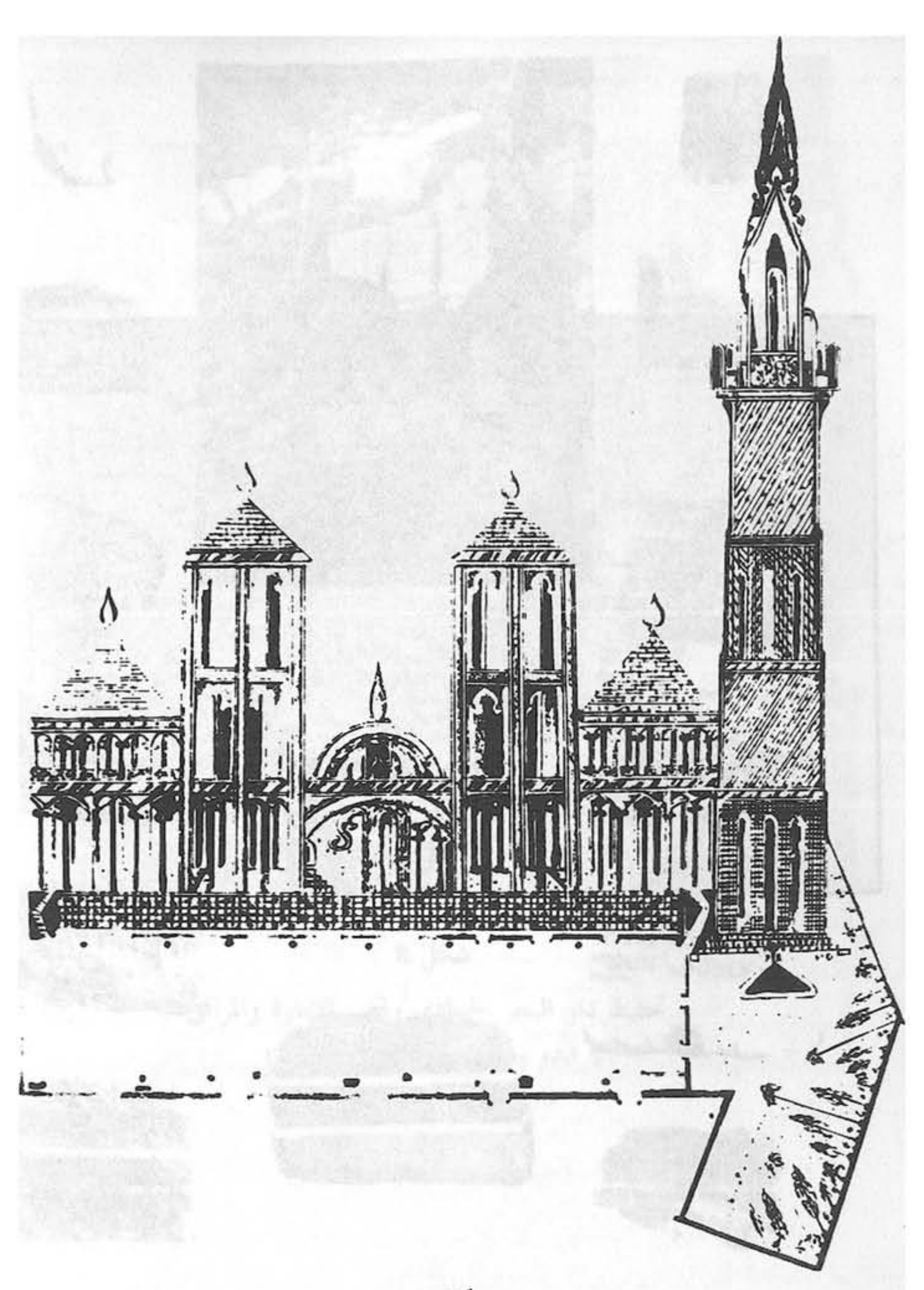
تخطيط دار البحر الحمادي وقصر الامارة والمرافق

كما تبدو بعد حفائر الجنرال ذي بايلي



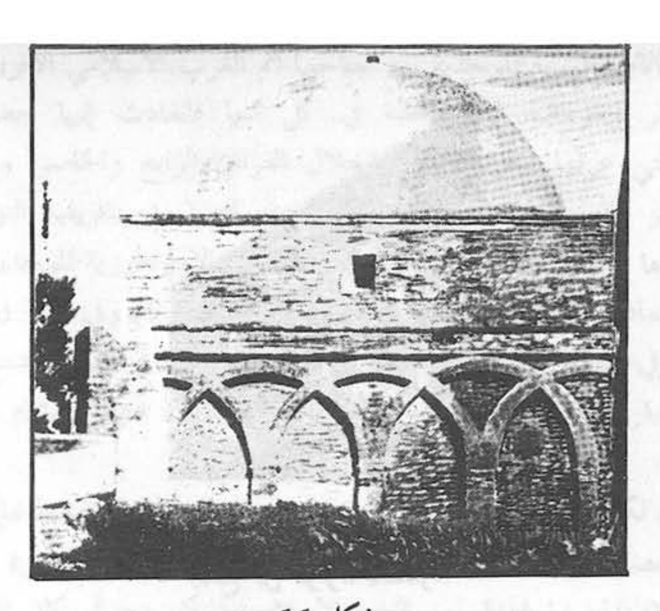
شكل 9

آثار وبقايا شواهد قبور منقوشة من حفائر قلعة بني حماد بالمغرب الأوسط.



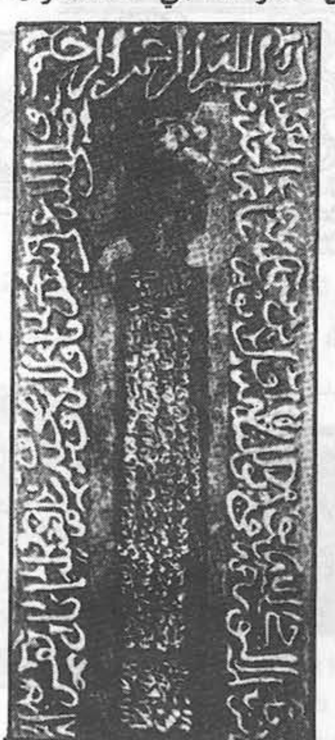
شكل 10

المسجد الأعظم الذي شيد ببجاية خلال القرن الخامس الهجري



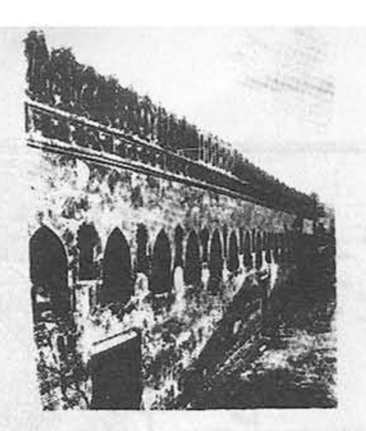
شكل 11

ضريح بمدينة بجاية (نقلا عن حفائر قلعة بني حماد للجنرال دي بايلي لوحة 3 فصل 4)

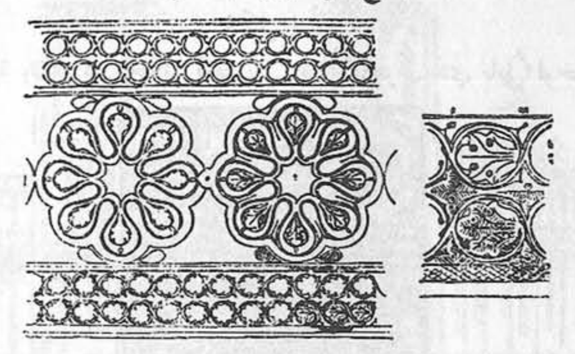


شكل 12

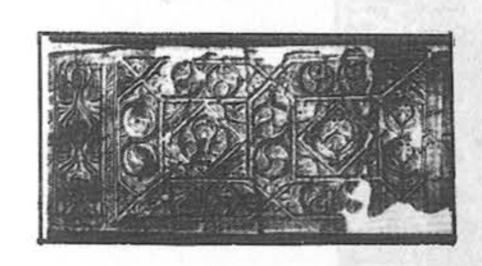
شاهد قبر بمتحف مدينة بجاية يرجع إلى القرن السابع الهجري

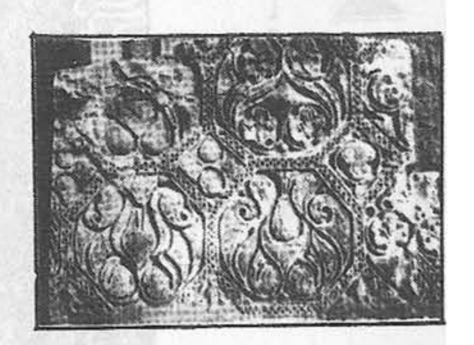


شكل 13
جامع ابن طولون بالقاهرة



شكل 14
زخارف باب العامة بسامرا بالعراق مصدر اشتقاق الزخرفة الطولونية





شكل 15
طرز الحفر المعروفة بسامرا، الطرازان الأول والثاني

ضمت الامبراطورية الموحدية بين جناحيها أمم الغرب الاسلامي الافريقي بتراثها القديم وفكرها المعاصر وظروف البيئة المحلية في كل منها فانقادت إليها حضارة بني زيري الصنهاجية[1] التي عرفها المغرب الأدنى خلال القرنين الرابع والخامس ومن قبلها أصول الفلسفة والفكر والعمران الفاطمي[2] الذي زرعه العبيديون بافريقية التونسية ابتداء من المهدية وما تلاها (أشكال 6 – 7)، وتسربت إلى فنون الامبراطورية الموحدية في نفس الوقت جميع ملامح الحماديين التي خلفوها في القلعة (أشكال 8 – 9) وفي بجاية (Bougie) (أشكال 10 – 12) وفي أشير[3] من ألوان الحياة التي كانت سائدة في ذلك المجتمع وما وصل إليه من أصول العمارة وألوان الفنون[4] وما اتصل به من فنون مصر والشام والعراق (أشكال 13 – 15).

لقد كان لكل من عمائر وفنون بني زيري وبني حماد أصولها القديمة قبل الفتح الاسلامي ومنذ ما قبل عصر الرومان، كما كان لكل منها مميزات جمعتها من مصاهرة فنونها القديمة مع اتجاهات الاسلام الجديدة ابتداء من الفتح الاسلامي المبكر (حيث كان المغرب كله ولاية واحدة تابعة للخليفة الأموي ثم العباسي بدمشق ثم بغداد) إلى دول المغربين الأدنى والأوسط الوطنية.

وبالجملة فإن التقاليد الموروثة بكل من بيئات المغارب الثلاثة الأدنى والأوسط (شكل 16) والأقصى بميراثها السابق، وتقاليد البيئة المحلية في إسبانيا الاسلامية بميراثها السابق، فإن كل ذلك التراث المتنوع قد وجد فرصة الأخذ والعطاء والتأثر والتأثير في فنون الاسلام الغربية على عصر الامبراطورية الموحدية.

4 – نتائج انقسام الامبراطورية الموحدية :

حقيقة أن المرينيين الورثة الشرعيين لدولة الموحدين قد بلغوا الجهد في النضال الحربي بالأندلس مجاهدين في سبيل الله ونصرة دينه وانقاذ المسلمين فيما وراء المضيق فكتبوا للاسلام وحضارته هناك صفحات مجيدة أبقت على حياة المسلمين وانتاجهم فيما بين النصف الثاني من القرن السابع إلى نهاية القرن التاسع الهجري ثم أنهم نكبوا في طريف، كما نكب الموحدون في العقاب، وكان ذلك سببا في ضعف سيطرتهم على المغرب الأدنى.

---

(1) مقدمة جورج مارسيه L. Golvin : Le Magrib Central à l'époque Zihde ثم الفصل 1 عن دور صنهاجة من بني زيري ص 29/28 وزناتة ص 30 ومغراوة ص 35.

(2) نفس المصدر الفصل الثاني ص 47.

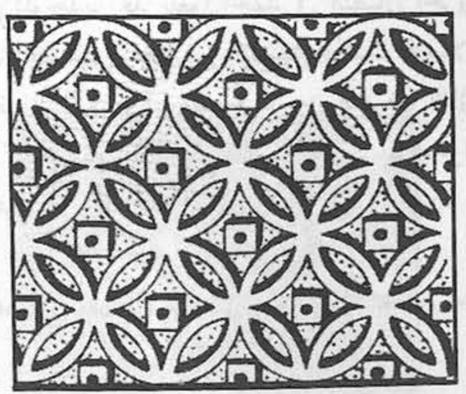
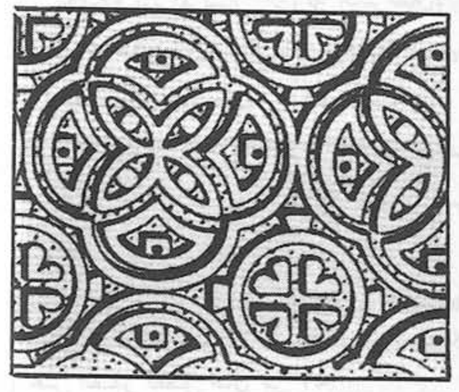
(3) نفس المصدر الفصل الثالث ص 97 الحماديون، 104 تاريخ الحماديين، القلعة 100 بجاية 113، المجتمع والفنون فصل 4 ص 157 والملابس 169 وقصر زيري في أشير (ACHIR) ص 180 ومسجد القلعة ص 183.

(4) G. L. de Beylie : kalaa des Beni-Hammads ص 6/5 تاريخ الامبراطورية الحمادية ص 19 تاريخ قلعة بني حماد، 35 دراسة الأسوار والمرافق والقصر والمسجد فصل 4 دراسة مدينة بجاية ووصفها وآثارها المعمارية والفنية ص 93 : 98.

لكن الصدى العسكري الذي خلفه الموحدون في الأرك، والصيت البحري الذي عرفته أساطيل الموحدين في البحر المتوسط لا زالا يرنان في سمع التاريخ ويتناقله المؤرخون كابرا عن كابر، ولو أنه كتب لدولة الموحدين البقاء الطويل الذي عرفه العباسيون بالمشرق أو المرينيون (وأتباعهم الوطاسيون) بالمغرب، فلربما تغيرت كثير من معالم الحضارة الاسلامية بكل من الأندلس والمغارب الثلاثة على غير ما نراه اليوم.

فعلى الرغم من مظاهر الوحدة الباقية إلى اليوم بين فنون العمارة والصناعات التطبيقية المعاصرة بالمغرب العربي[1] والمشرق الاسلامي في نطاق ملامح الفن الاسلامي العام، إلا أن سيادة أساليب التقاليد الموحدية (أشكال 17 – 22) كان من الممكن أن تمنح الطراز المغربي الأندلسي وجها آخر أكثر مهابة، وبناءً أكثر صلابة، وخطوطا أكثر وضوحا وجلالا وبساطة واستقلالا عما عرفه الطراز المغربي الأندلسي بعد انقسام دولة الموحدين.

ومع هذا، فقد أدى الموحدون خدمات كبرى للفن الاسلامي العام وفنون الغرب الاسلامي على الخصوص بكل من الدول التي استقلت في أعقاب سقوط الامبراطورية، لقد وقع تمازج الفنون المعمارية والصناعة بشطري الغرب الاسلامي افريقيا والأندلس زهاء قرن من الزمان أيام الموحدين وتنقلت المتاجر والهدايا والمصنوعات بل والأسلحة والجيوش بهيئتها وعتادها بين أجزاء الامبراطورية الواسعة، كما تنقل البناؤون والصناع ونشطت حركة التطعيم والتلاقح الفكري والفني، ورسخ قدم الوحدة الثقافية واستقرت مسيرة العمارة والفن بكل قطر من تلك الأقطار تحت رعاية الطراز المغربي الأندلسي على الرغم مما استلزمه تغير الوضع السياسي والعسكري الجديد بعد انفراط عقد الامبراطورية الموحدية.

شكل 16

زخارف الجص في فنون المغرب الأوسط كما نراها هنا في سدراتة

---

(1) ولا نقول الغرب الاسلامي، وذلك لانسلاخ الأندلس عن مجموع الكيان الاسلامي منذ تاريخ سقوط دولة بني الأحمر بغرناطة وزوال آخر دول الاسلام بالأندلس.

ثانيا : بطلان فكرة المستشرقين عن الأثر الأندلسي في الفن المغربي

سبق أن خصصت القسم الأوفى من المقدمة المسهبة (40 صفحة) بكتابي تاريخ شالة الاسلامية للرد على مزاعم بعض المستشرقين الذين عاصروا فترة المد الاستعماري الأوروبي المسيحي الأخير الموازية لوقت كبوة الجواد السياسي المغربي في النصف الأول من القرن العشرين للميلاد.

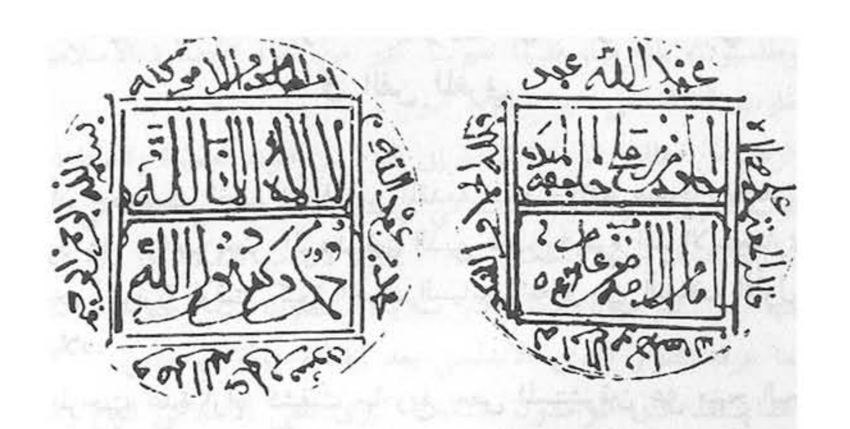
وقد طرحت عدة آراء كشفت بها زيغ بعض المستشرقين عن منهج البحث العلمي النزيه وانقيادهم الأعمى لتحقيق الأغراض السياسية والاقتصادية للاستعمار الأوروبي الحديث. ودون الخضوع لعامل العاطفة اعتمدت في دفاعي على شواهد مغربية حضارية بحتة وآراء منصفة قديمة ومعاصرة مغربية وأجنبية دعمها بكل موضوعية واقتدار معالي الأستاذ الرئيس محمد الفاسي من خلال تصديره لكتابنا المذكور على نفس المستوى الرفيع الذي تتميز به أبحاثه المعمقة الخلاقة.

ومع هذا فلا زالت ساحة العدالة تعج بعديد من العرب أنفسهم راحوا ضحية مظالم ذلك الفريق من المستشرقين وافتراءاتهم الأمر الذي يبيح لنا عودة موجزة للقضية الحضارية.

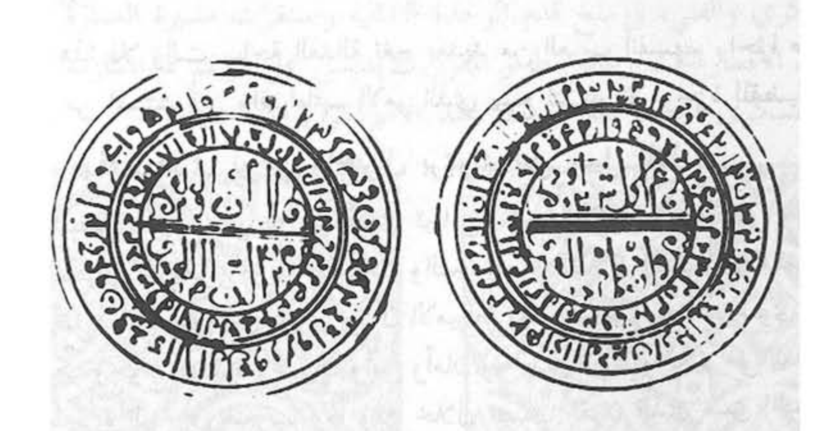
1 – موقف هنري تيراس والجنرال بريموند على سبيل المثال :

لقد أسقطنا القناع عن مزاعم هنري تيراس المؤرخ الأثري المتخصص وزعيم مدرسة الاستلاب الفكري المناهض لحركة الانبعاث والتجديد والانطلاق الحضاري للمغرب الجديد، العالم الذي ظل يكتب دوما في غير يأس أن الامبراطورية الموحدية لم تكن سوى قبيلة كبيرة، لقد تجرأ فأنكر وجود حضارة وعمران وأمن وأمان ووحدة كيان، وحكم على الغائب بالحاضر وقال (إن ما نراه اليوم في المغرب وما وقع خلال نصف القرن الذي سبق الحماية يساعدنا على الاستعاضة عن فقر النصوص وعلى فهم الماضي المغربي) كما ردد بدون انقطاع نغمات التفرقة بين البربر والعرب في غالب مؤلفاته[1]. ويكفي أن نرد عليه الآن بنفس السلاح

(1) تفصيل ذلك مع ذكر المصادر المختلفة توجد موضحة بمقدمة كتابنا تاريخ شالة الاسلامية : وأصدر الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله عام 1950 كتابا سماه التيارات الكبرى للحضارة المغربية (باللغة الفرنسية) فند فيه آراء الأستاذ تيراس الذي كتب تاريخا مزيفا للمغرب بعد عريضة الاستقلال عام 1944.



شكل 17
عملة من معثورات حفائر قلعة بني حماد بالمغرب الأوسط



شكل 18
عملة ضربت سنة 534 هجرية عثر عليها بحفائر قلعة بني حماد




شكل 19

عملة تحمل اسم عبد المؤمن عثر عليها بحفائر قلعة بني حماد تؤكد سيادة الأساليب والتقاليد الموحدية




شكل 20

دينار ضرب بالناصرية سنة 543 عليه (الأمير الهادي المنصور)، من حفائر قلعة بني حماد بالمغرب الأوسط




شكل 21

ومن نفس الطراز دينار ضرب في الناصرية سنة 543 هجرية عثر عليه بقلعة بني حماد بالمغرب الأوسط



شكل 22

دينار باسم عبد المؤمن بن علي المهدي الامام من سنة 547 هجرية نشره الجنرال دي بايلي بكتابه حفائر قلعة بني حماد

فنحكم على الغائب بالحاضر، فنقول له ولتلاميذ مدرسته المخلصين له... هل يمكن أن تكون الحضارة التقنية المعاصرة بالجامعات العديدة ومجموعة السدود الفريدة وتطور نواحي ومختلف الأساليب العمرانية والفكرية التي يعرفها المغرب اليوم في الربع الأخير من القرن العشرين للميلاد و لم يمض على استقلال البلاد أكثر من ثلث قرن قد انبعثت من فراغ... ؟ وإذا كانت أساليب الحياة العصرية بالمغرب الجديد بعد الاستقلال لا تتخلف عن ركب الحضارة العالمية، فهل نحكم بها على ماضي المغرب قبل كبوته التي استغلتها الحماية... ؟

سبق أن قال الجنرال بريموند في كتابه (بلاد البربر بلاد أوروبية) أن (العرب ليس لهم سهم في أي مظهر من مظاهر الحضارة وأنه ليس في كل مظاهر الحضارة المغربية ما هو عربي وأن مساجد المغرب ليس بها ما هو عربي بل أن المؤلفين العرب ليسوا عربا...)، وقال جورنييه (... هل يمكن الادعاء بأنه بعد مرور ثلاثة عشر قرنا من بقاء العرب ببلاد البربر قد تم مزج الجنسين، الاجابة بكل تأكيد بالنفي لا...)[1].

لقد جاهد المؤرخ الأثري الشهير هنري تيراس طويلا في كتابه الكبير (الفن الأندلسي المغربي) منافحا عن فكرته التي لا يجد عنها محيدا ويرددها من خلفه كثير من الكتاب العرب وهي فكرة الأثر الأندلسي في الفن المغربي ووصاية الأندلس الفنية على المغرب. لقد حاول هنري تيراس بكل الوسائل إرجاع كل أثر معماري أو عنصر زخرفي مغربي إلى التأثيرات الأندلسية وعلى الخصوص ذات الأصل البيزنطي، وكان عندما يواجهه عنصر مغربي أصيل ولا يجد سبيلا إلى تزييفه يقول بأن مبدعه كان في الأصل أندلسيا فإذا أعوزه الدليل قال بأن أم ذلك الفنان مبدع ذلك العمل كانت تنحدر من أصل أندلسي بيزنطي مسيحي، ويكفيه تفوقا في مقام الجحود أن وصف الفن المغربي بالتحجر والجمود وعدم التأثير على الحضارات الأخرى فيما عدا السودان.

2 – مثال من الكتاب العرب :

ونورد هنا على سبيل المثال ما ذكره زميلنا المتخصص الدكتور سيد سالم في كتابه المغرب الكبير[2] (... ولقد تأثرت فنون الموحدين في العمارة والزخرفة تأثرا عميقا بالحضارة الأندلسية وتمكنت الأندلس من غزو المغرب فنيا وعلميا[3] في نفس الوقت الذي غزا المغرب

(1) إن التفتح والثقة وغياب مركبات النقص الفكري والحضاري تجعلنا نكشف بكل مناسبة المستور من الألغام (التي زرعها خصوم الحق والحضارة الاسلامية) ومناقشتها أمام أجيالنا المعاصرة في وضح النهار حتى لا يتدارسونهم سرا أو يخضعوهم لتأثيرها من جانب واحد إن هم لم يجدوا ردودا وطنية عليها.

(2) المغرب الكبير ص 835/832.

(3) راجع كتابنا تاريخ شالة ص 20 وما بعدها للوقوف على وسائل دحض ذلك الزعم وتفسير فكرتنا بأن الأندلس كانت بنت المغرب حضاريا وليس العكس.

في عصر الموحدين بلاد الأندلس عسكريا... ولقد ازداد الأثر الأندلسي... في عصر الموحدين ومن تبعهم) ويورد الدكتور سيد سالم مقتطفات من كلام ابن غالب الأندلسي (ولما نفذ قضاء الله تعالى على أهل الأندلس بخروج أكثرهم عنها... تفرقوا في بلاد المغرب الأقصى... فأما أهل البادية فمالوا إلى البوادي... فاستنبطوا المياه وغرسوا الأشجار... وعلموهم أشياء لم يكونوا يعلمونها... وأما أهل الحواضر فمالوا إلى الحواضر فكان منهم الوزراء والكتاب... ولا يستعمل بلدي ما وجد أندلسي وأما أهل الصنائع فإنهم فاقوا أهل البلاد وقطعوا معاشهم... ومتى دخلوا في شغل عملوه في أقرب وقت وأفرغوا من أنواع الحذق والتجديد...) ويستطرد زميلنا المؤلف قائلا (وكما تأثر خلفاء الموحدين بعلماء الأندلس فقد تأثروا أيضا برجال الفن الأندلسيين ومهندسيهم...)

3 - ردنا على تلك الادعاءات :

لعل تحليلنا بالصفحات السابقة من هذا الفصل لنتائج المجهود السياسي والحربي لدولة الموحدين وأثره في إثراء وتطعيم أنشطة الفن والعمارة ينهض دليلا على حيوية وقيمة الحضارة والانتاج المغربي في عصر الموحدين ويكشف عما عرفه الطراز المغربي الأندلسي من مؤثرات جديدة واتجاهات وخصائص ومميزات لم تعرف طريقها بالغرب الاسلامي كله على ذلك النحو قبل عصر الموحدين.

لقد أتاح المرابطون الفرصة للتأثيرات الشرقية أن تزحف من افريقية في تجاه الغرب، ثم جاء الموحدون وأقاموا امبراطورية حقيقية نافذة الحكم في الغرب الاسلامي كله، وقد أدى اتساع امبراطوريتهم إلى الاتصال الفعلي بين بنائي وفناني افريقية وانتاجاتهم وبين أجزاء الامبراطورية الأخرى بالمغربين الأوسط والأقصى والأندلس منذ أصبح عصر الموحدين هو العصر الذي توثقت فيه العلاقات الحضارية والفنية تحت جناح الوضع السياسي الجديد بمجموع أنحاء الامبراطورية الموحدية، وبهذا زادت معرفة رجال الفن الأندلسي بفنون بني زيري وبني حماد المستمدة مباشرة من الفن الفاطمي الذي يستلهم وحيه وإلهامه من الشرق[1] ويجمع تراث مصر والشام والعراق وينقل زبده وطرائفه وابداعاته إلى الغرب الاسلامي كله.

وبهذا يمكن القول بأن الموحدين لم يكونوا عالة في عالم الفن والعمارة، وإنما هم الذين أتاحوا الفرصة لتلاقح فنون المشرق والمغرب والأندلس، وهم الذين فتحوا آفاق الفنون الأندلسية على مؤثرات عديدة ودروس جديدة.

---

(1) كتابنا تاريخ شالة الاسلامية ص 22.

وإذا ما كانت افريقية الأغلبية ثم العبيدية والزيرية (دون منازع) مركز الثقل في اصول الفن والعمارة بماضيها وبما اكتسبته من الشرق، فهل كان هناك غير طريق المغرب وصناعه ومعلميه لنقل ذلك كله بعد تزويده ببصماته الخاصة إلى الأندلس منذ فجر الاسلام بتلك الأخيرة... ؟

ولسوف أستسمح (في الرد) زميل الدراسة الدكتور سيد سالم الذي ردد عن غير قصد بعض قول المؤلفين العرب أنفسهم ومن بينهم أحيانا مؤلفون مغاربة.

أولا : مؤاخاة الحضارة في كل من القطرين وتبادل التأثيرات بينهما :

1 – كان المغرب الباب الأول والمباشر الذي نفذ منه المغاربة أنفسهم (عربا وبربرا) جندا وقادة (أمثال يوليان الغماري وطريف) مع قلة من المشارقة رافعين راية الاسلام الأولى بالأندلس.

2 – امتد سلطان المغاربة الفعلي على الأندلس لعدة قرون طوال عصر المرابطين والموحدين.

3 – ظل الأندلس أيام بني الأحمر بعد انفراط عقد الامبراطورية الموحدية تحت وصاية بني مرين الكاملة.

4 – عندما أصبح الاسلام في الأندلس في ذمة التاريخ عاد المسلمون في هيئة لاجئين إلى بلدهم الأم المغرب قبل غيرها من أوطان المهجر الجديد.

5 – كانت بلاد المغرب والأندلس قبل الاسلام (قبل ظهور صناعات وفنون المعمار الاسلامي) تخضع لظروف بيئية وتاريخية وحضارية جد متقاربة في أغلبها إلا ما كان من تطويع يسير لأساليب الحياة بكل من القطرين المتناظرين على خط طول واحد جغرافيا.

6 – منذ ما قبل الاسلام كانت العوامل التاريخية الخارجية المؤثرة في هيئة ونمط الفنون واحدة في أغلبها في كل من القطرين.

7 – منذ فجر الاسلام بالعدوتين المغرب والأندلس كانت التيارات الأموية والعباسية من بعدها، أي الشامية ثم العراقية، لا تصل إلى الأندلس إلا عن طريق المغرب الطريق الطبيعي إلى اليوم.

8 – خلال الفترات المظلمة سياسيا وعسكريا بين البلدين كانت التأثيرات تروح وتجيء بينهما مع الجند في طرز السلاح واللباس وأدوات ومعدات القتال، كما كانت الرسل والوفود لا تنقطع بينهما أيام الود أو في ظلال الوحدة والوفاق، وبالجملة كانت الأصول المعمارية والفنية

متشابهة إلى حد كبير منذ ما قبل الفتح الاسلامي ثم ازدادت صلة والتحاما عبر قرون الحضارة العربية الاسلامية إلى تاريخ سقوط غرناطة في متم القرن التاسع الهجري مع مراعاة أن التأثير بينهما كان يتبع بطبيعة الحركة المغربية إلى الأندلس أكثر من العكس.

ثانيا : إن تأثر الحضارة المغربية بفنون الأندلس المعمارية والزخرفية أمر لا ننكره في حدود الأوضاع التاريخية المبينة آنفا، بل إننا كنا ننكر على الحضارة الموحدية ونعيب عليها عدم تلاحقها مع حضارة الأندلس مع وجود تلك العلاقات الاستراتيجية، لكننا في نفس الوقت نستنكر أن يكون التأثير من جانب الأندلس وحدها حسب زعم البعض وخطأ البعض الآخر.

ثالثا : إن أهل البادية الذين وفدوا على بوادي المغرب بعد زوال مملكة الاسلام بالأندلس واسدال الستار على قصة الفردوس المفقود ونزلوا بوادي المغرب وعلموهم أشياء لم يكونوا يعلمونها... مثلهم تماما أهل الحضر الذين أصبح منهم الكتاب والوزراء... وصناع الأندلس الذين فاقوا أهل البلاد بأنواع الحذق... فإن مثل هؤلاء جميعا اليوم، مثل عرب فلسطين المسلمين في مجموع بلاد الاسلام. نراهم دائما أطباء ومهندسين وقانونيين وكتاب ومفكرين بل ومستشارين سياسيين واقتصاديين بعدة دول. لم يبلغ هؤلاء تلك المكانة خارج بلادهم بمختلف القارات وفي معقل الحضارة الأوروبية والأمريكية لأنهم من الجنس الأكثر حضارة أو العنصر الأفضل حسا. انهم فقط القادرون على حمل السلاح في خضم معركة الحياة في المهجر قريبه والبعيد، عربيه وغير العربي. كذلك كان الأندلسيون النابهون بالمهجر في المغرب الأقصى من القادرين على حمل السلاح ومنافسة أهل البلاد، كما كانوا قلة من الممتازين في عدة مجالات فعرفت أسماؤهم طريقها عند المؤرخين، بينما كانت جل الجماعات الاسلامية الأندلسية قليلة الحول عديمة الطول من المدجنين فحملوا اسم (المدجنين) تعبيرا عن عجزهم وقصورهم عن الطير كما فعل المهاجرون الفارون بدينهم. أن حملة المؤهلات من علم وصناعة وأدب وغيرها من مجيدي السباحة قطعوا مياه المضيق إلى المغرب فوجد الاعلام من الفلاسفة والمفكرين والمهندسين منهم صدرا رحبا في المغرب الأقصى بأريحية لا تعرف عقد النقص ففتحت أمامهم أبواب الرئاسة على قدم المساواة مع عباقرة أهل البلاد، فهل يكون من الانصاف الادعاء بأن أندلسيين يعدون على الأصابع في كتب التاريخ المغربية كانوا قادة للعلم والمعرفة والفن والحضارة بالمغرب الأقصى في عنفوان وظل الامبراطورية الموحدية... ؟

رابعا : لو أن مؤرخي ومفكري المغرب الأقصى قد شعروا بتخلفهم الحضاري تاريخيا، ما كانوا ليفتحوا المجال لذكر مشاهير الأندلسيين في مؤلفاتهم ولا كان ملوكهم اتخذوا منهم أصفياء ومستشارين، إن عقدة الشعور بالنقص لم تظهر البتة في كتابات المؤرخين والباحثين

المغاربة، وقد لا أكون مغاليا لو طرحت فكرة جديدة بأن المغاربة كانوا أدرى العرب والمسلمين بإخوانهم المهاجرين من العدوة (باتصالاتهم التاريخية والمعاصرة) فأقدموا على تعريف الأجيال بهم وبعث ذكراهم وإحياء تراثهم.

ومن النادر أن تحدثنا كتب التاريخ عن حوادث حقد ودسيسة ونكاية أو نكبة تحل ببعض النابهين منهم إلى المغرب الأقصى، فإن ما وصلنا من ذلك لا يتعدى نطاق روح العصر في إطار أحداث أخرى بنكبات لمغاربة كانوا أكثر شهرة وأعظم مكانة في أوطانهم.

ولعلي أكون بهذا قد أضفت دعائم جديدة لتثبيت نظريتي القائلة بأن الأندلس منذ عرفها المسلمون بنت المغرب سياسيا وعسكريا وشريكته الحضارية التي لا يفصلها عنها بحر أو مذهب أو طارىء جديد، ويكفي المتأمل المنصف النظر في سلوك اسبانيا تجاه المغرب أثناء الاقدام الجسور على تنفيذ المسيرة الخضراء من شمال المغرب الأقصى إلى أقاليمه الصحراوية الجنوبية التي كانت خاضعة لحكم الاسبان، وليس ذلك فحسب، فإن مشروع الربط القاري الجاري على قدم وساق بحثه لتنفيذه بالمغرب واسبانيا لربط القارتين، براء عن طريق نفق تحت البحر، ليقوم دليلا على ضرورة الاعتراف بحتمية التبادل الحضاري بين العدوتين بدل أسطورة وصاية الأندلس الفنية والحضارية على المغرب الأقصى.

ثالثا : اكتمال شخصية الطراز المغربي الأندلسي

ننتقل الآن إلى مرحلة أخرى من مراحل الطراز المغربي الأندلسي وهي مرحلة الفن المغربي على عصر الموحدين. وإذا كان عصر المرابطين يمثل مرحلة الانتقال بين الطراز المغربي والطراز الأندلسي، فإن عصر الموحدين يمثل مرحلة النضج والازدهار واكتمال الشخصية التي تبلغ منتهى رقتها وعظمتها أيام بني مرين، ولا غرو فقد كان الموحدون يشغلون مكانا مرموقا في تاريخ الفن الاسلامي أكثر من المرابطين باعتبارهم من سكان الجبال المستقرين في حياتهم كما كانوا أكثر ثقافة من المرابطين الذين كانوا من القبائل الرحل. وقد حظيت دولة الموحدين بعدد من كبار الملوك البنائين الذين لا تعادل آثارَهُم في العظمة والاتزان آثار أخرى فيما عدا آثار المرينيين التي تميزت بوفرتها إلى جانب الرقة والدقة والأناقة مع صغرها عادة.

رابعا : الموحدون أصحاب مدرسة في الفن والعمارة

والموحدون أصحاب مدرسة في فنون العمارة والزخرفة الاسلامية[1] تمتاز بالضخامة المهيبة والاتزان الصائب (أشكال 23 – 25) مع البساطة في التكوينات الزخرفية وتجريد التوريقات من العناصر الحية بتأثير التقشف[2] والورع والتزام تام بتوجيهات الاسلام ومواقفه فيما يخص العمارة والفن (أشكال 26 – 30). وازاء نبوغهم الفني تعمد المستشرقون المبالغة في تأثرهم بالفنون الأندلسية بينما لزم مؤرخو المغرب جانب الانصاف باثبات أسماء الأندلسيين الذين ساهموا في ذلك الانتاج إلى جانب الأسماء المغربية الوطنية ايمانا منهم بازدواج الفن الاسلامي في العدوتين دون عقد أو تعصب.

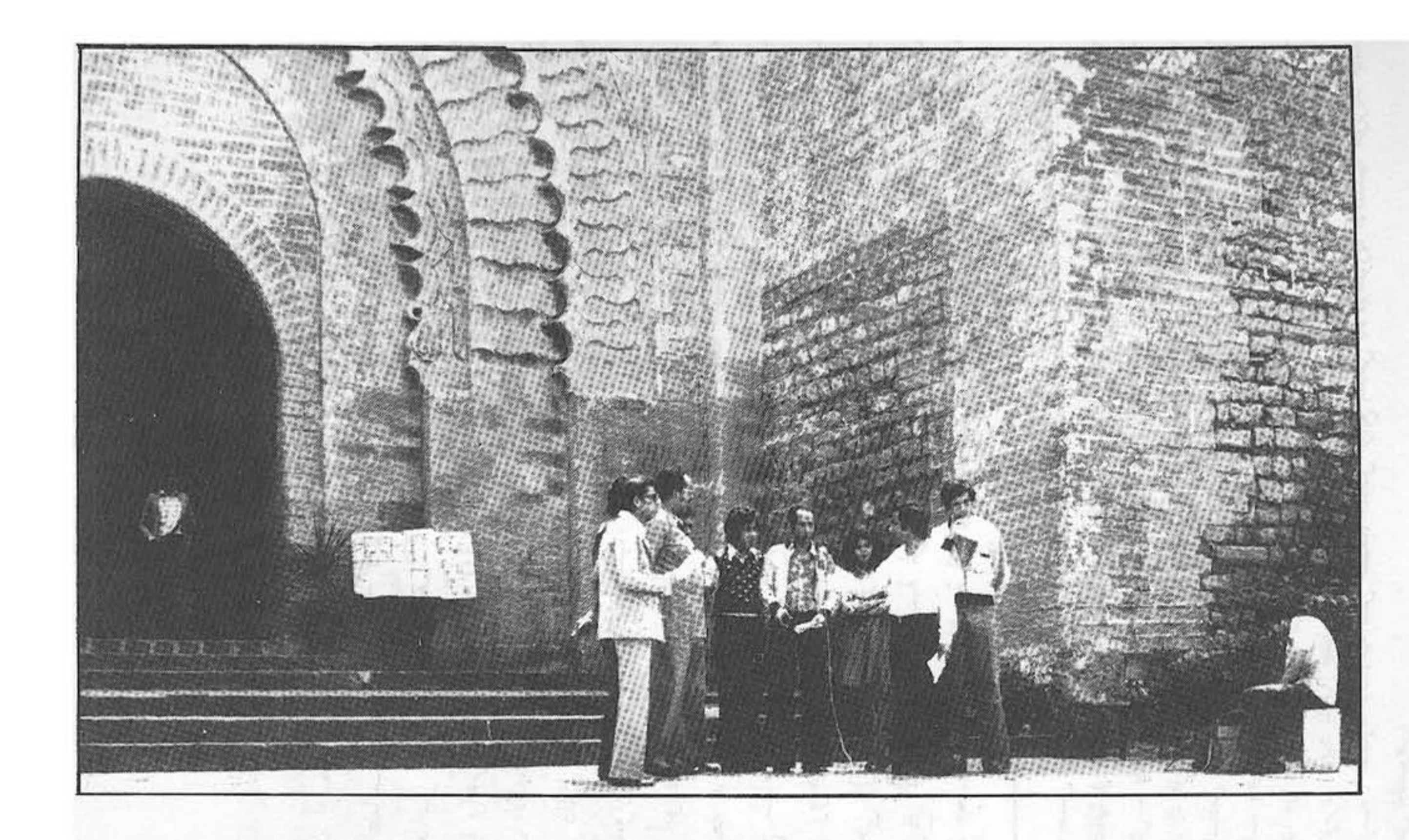
وقد خطا أبو يعقوب يوسف سلطان الموحدين خطوة جديدة في تطور الفن[3] بفكر متفتح وثقافة واسعة لم ينتبه إلى مراميها معظم الباحثين، لكن خلفه السلطان أبو يوسف يعقوب الذي واصل نهج سياسة سلفه أكدها بعبقرية واقتدار. لقد بنى الملكان بالأندلس منشآت فذة لا سبيل إلى زوالها أكثر مما بنيا بالمغرب، بقصد تدعيم ركائز الاسلام ورفع أعلامه في قلب العالم المسيحي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. حقا لقد كان عهد يعقوب المنصور ذروة المجد في تاريخ الاسلام العام بالنسبة لمواجهة النصرانية داخل أراضيها، وليس ذلك من الناحية العسكرية فحسب، بل من ناحية البناء والتشييد والفن كذلك. لقد حصن حصون

---

(1) يقول زكي محد حسن في فنون الاسلام ص 11 :
كانت الزعامة الثقافية في بلاد المغرب ــ يقصد الغرب الاسلامي ــ للأندلس في عصر الدولة الأموية الغربية، لكنها انتقلت إلى مراكش ــ بقصد المغرب الأقصى ــ منذ ضم المرابطين بلاد الأندلس... فكان ذلك ايذانا بتغيير في ميدان الفنون الاسلامية، إذ أفل نجم الطراز الأموي الغربي. وفي عصر الموحدين قام على أيديهم الطراز المغربي الأندلسي في منتصف القرن السادس وظل يزدهر حتى بلغ أوج عظمته في القرن الثامن الهجري بغرناطة وتوقف منذ القرن التالي، لكن مراكش ظلت وفية لهذا الطراز إلى الوقت الحاضر.

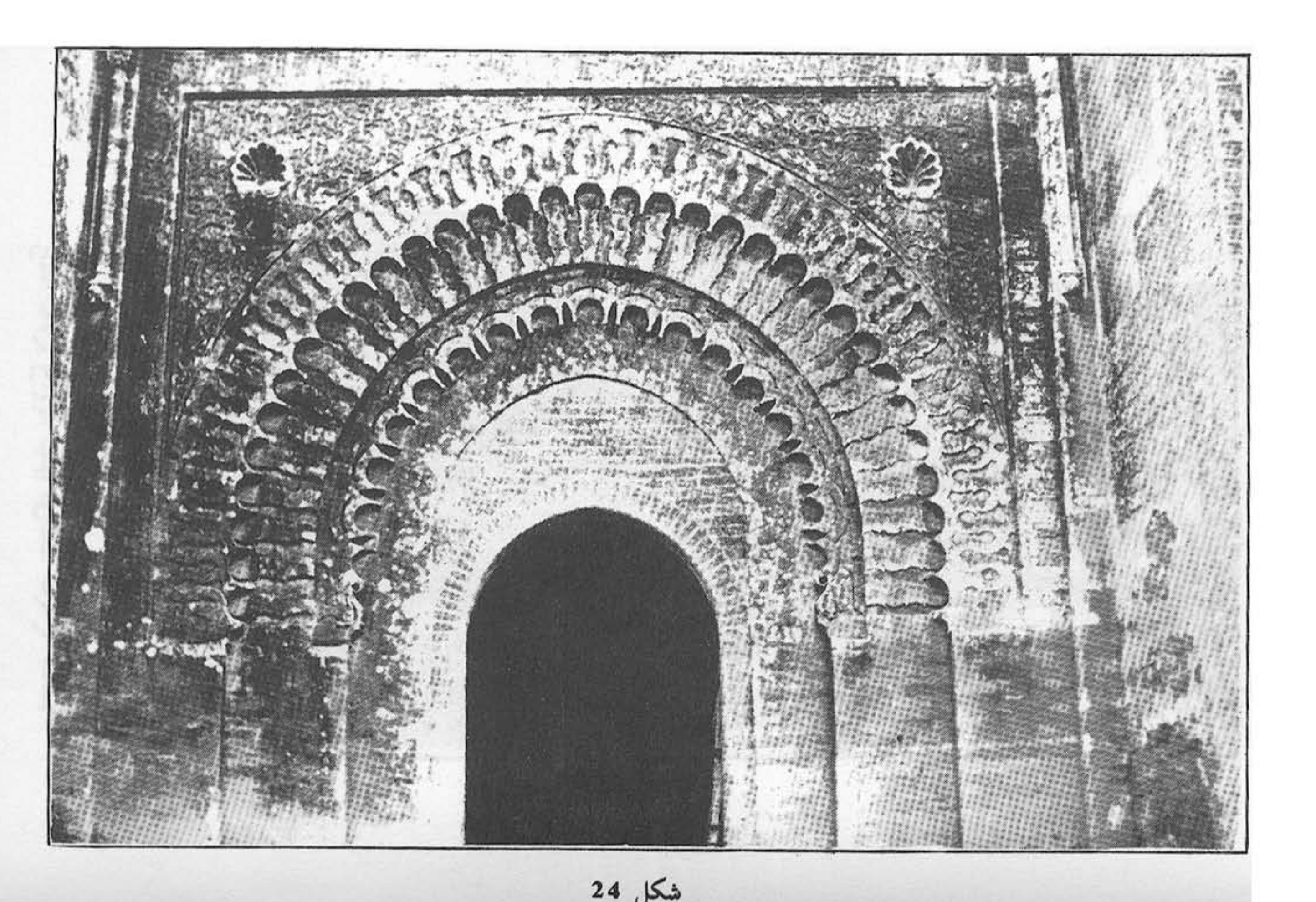
(2) عن البيئة التي نشأ فيها مهدي الموحدين، راجع ليفي بروفنسال : الاسلام في المغرب والأندلس، الفصل التاسع حول امبراطورية ابن تومرت وعبد المؤمن ابتداء من ص 255.

(3) راجع جورج مارسيه : العمارة الاسلامية نفس الطبعة، الفصل الرابع الخاص بالامبراطورية الأندلسية البربرية، ابتداء من ص 188 على الخصوص.

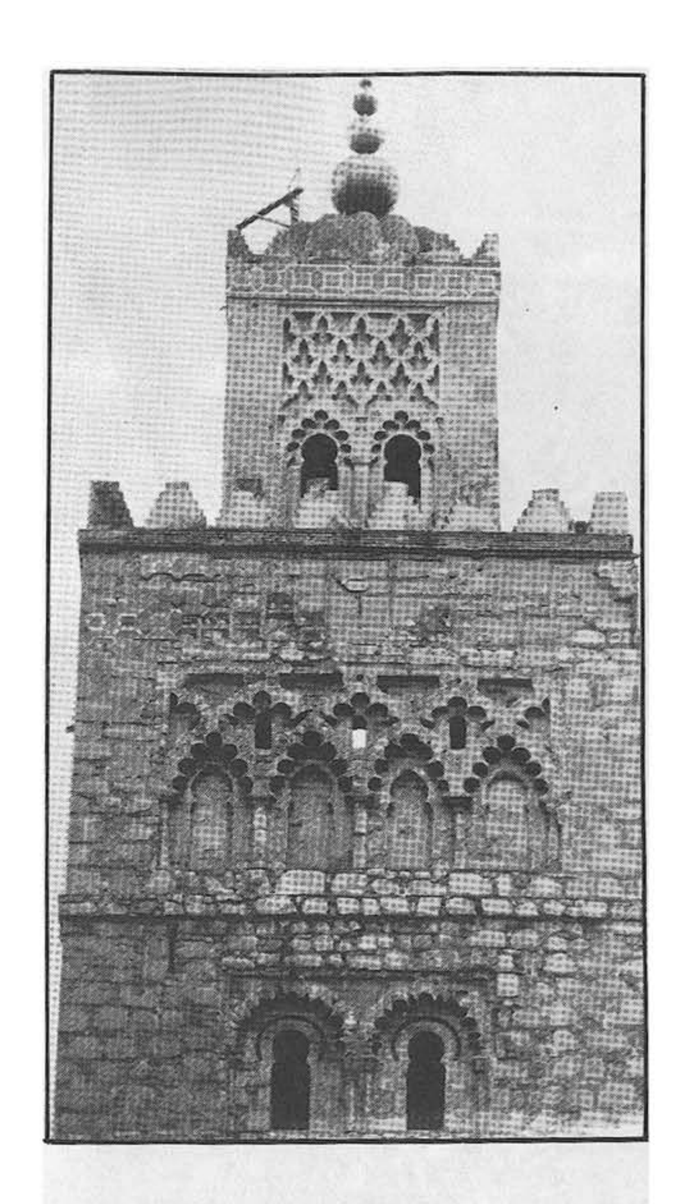


شكل 23

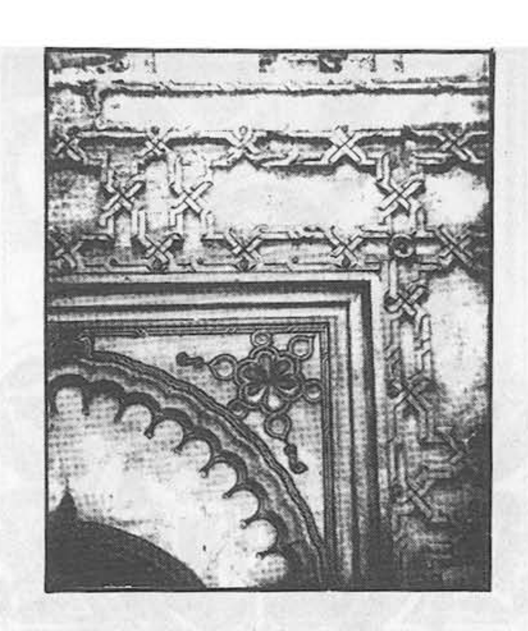
تبدو ضخامة منشآت الموحدين من ركن واحد بظاهر باب الرواح برباط الفتح



شكل 24
واجهة باب الرواح الموحدي من ظاهر مدينة رباط الفتح



شكل 25
استقرار صومعة الصومعة (العزرى) بالكتبيين بمراكش



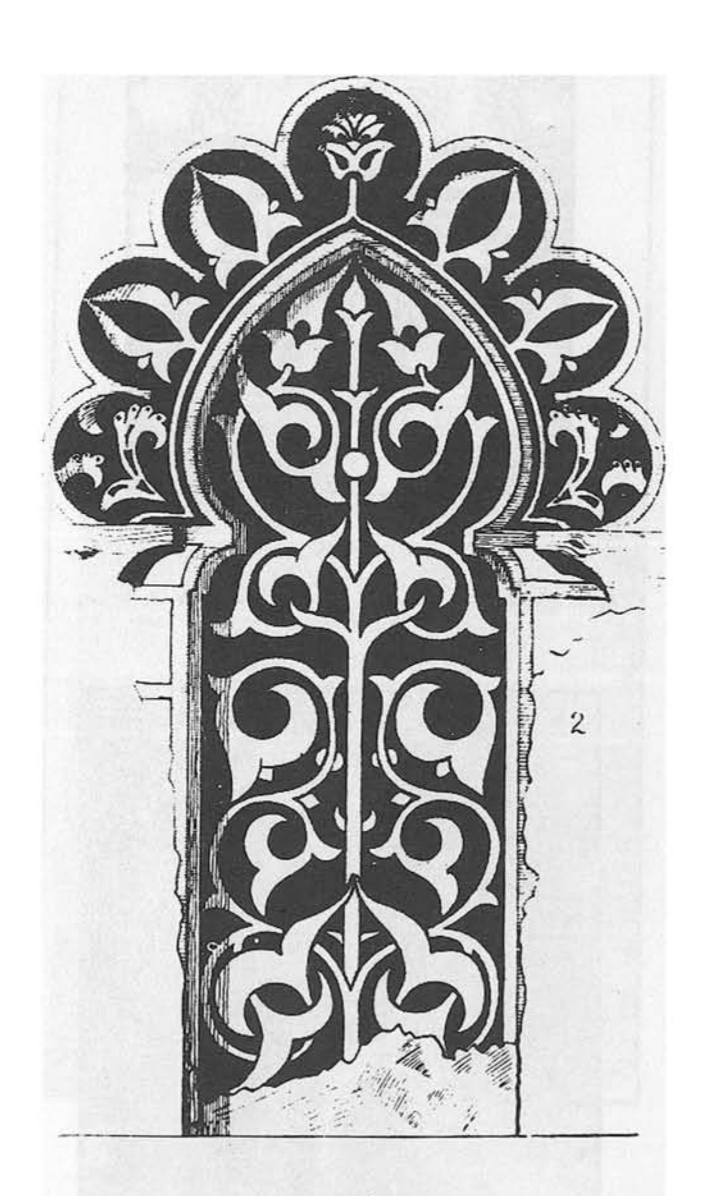
شكل 26

بساطة التكوينات الزخرفية في مدرسة الموحدين الفنية



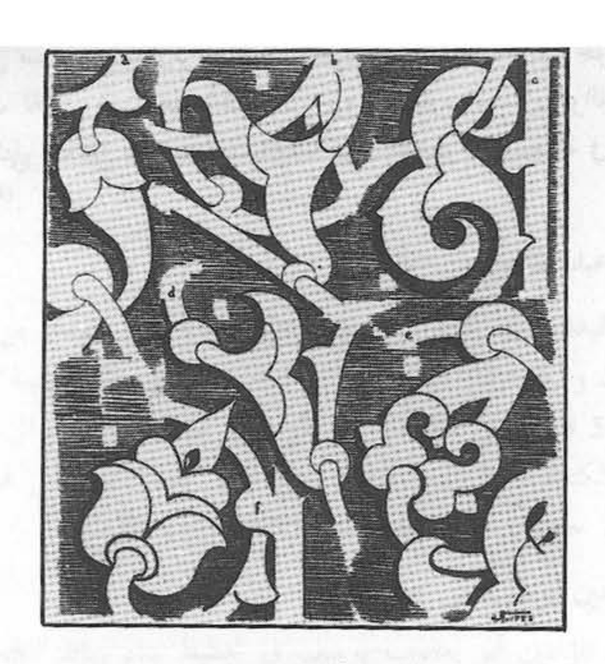
شكل 27

بساطة الزخرفة المعمارية بباب الرواح برباط الفتح



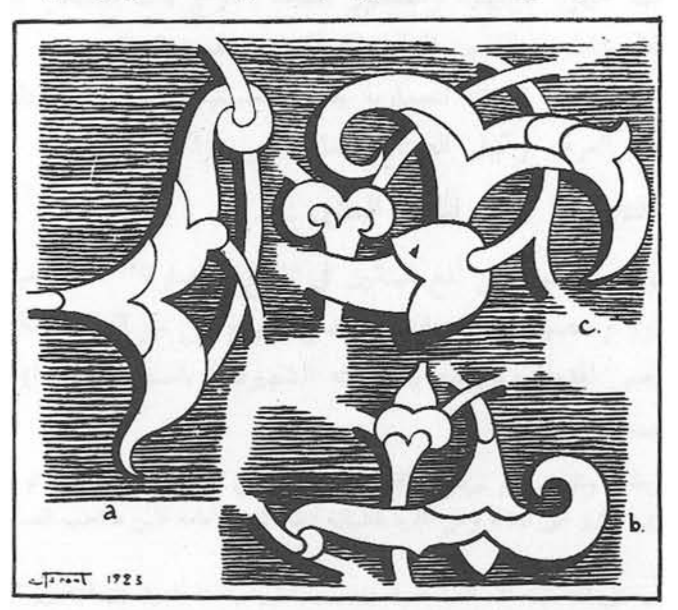
شكل 28

عناصر رسم الزخرفة النباتية بصومعة الكتبية



شكل 29

عناصر الأوراق النخيلية محفورة في الحجر بباب أجناو بمراكش



شكل 30

أوراق نخيلية مزدوجة بباب الرواح برباط الفتح

وثغور الاسلام وبنى مساجد ومدارس بالمغرب وافريقيا والأندلس، وبنى جوامع وقناطر وحفر الخزانات واستأثرت ثلاث مدن على الخصوص بروائع آثاره المعمارية والفنية، وهي اشبيلية والرباط ومراكش التي تعكس صوامعها الشامخة ذكرى انتصاراته المدهشة في السياسة والحرب والفن على السواء[1].

---

(1) أنظر H. Terrasse et J.H. : Les Arts décoratifs au Maroc للوقوف على أصول ومميزات الفن الأندلسي المغربي ص 49/43، الزخرفة الهندسية ص 54، الزخرفة الزهرية ص 58، فن الموحدين ص 73/65.

خامسا : شغف الموحدين بالمنشآت المعمارية

منشآت عبد المؤمن بن علي :

بادر منذ البداية عبد المؤمن بن علي المنظم للدولة بعد المهدي بن تومرت ببناء سور تاكرارت بتلمسان ومسجدها الجامع سنة 540 هـ. وبدأ في بناء الكتبية الأولى المهدمة اليوم بمراكش سنة 541 هـ ثم بنى الجزء القديم الموحدي بمسجد تازة حوالي عام 542، ثم عاد ليبدأ بناء جامع الكتبية الحالي سنة 548 وهي نفس السنة التي بنى فيها مسجد تينمل[1] وكذلك أمر ببناء حصون جبل الفتح سنة 555 وزوده بالقصور.

أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن :

شرع أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف في تخطيط بناء رباط الفتح وأقام عددا هائلا من العمائر الدينية والمدنية بالأندلس كجسر اشبيلية الموصل إلى ربضها القبلي وقصور البحيرة الواقعة خارج باب جهور باشبيلية والقصور المقامة خارج باب الكحل بها ونقل الماء على قنوات تحملها قناطر ذات حنايا من قلعة جابر إلى باب قرمونة باشبيلية [2]. وقد أسهب ابن صاحب الصلاة في وصف أعماله المعمارية بقصبة اشبيلية وجامعها الأعظم ابتداء من سنة 567، وذكر أسماء العرفاء وكبار الصناع المغاربة من مراكش وفاس.

يعقوب المنصور[3] أشهر الملوك البنائين :

وكان يعقوب المنصور من ألمع البنائين في تاريخ الحضارة[4] الاسلامية العامة بما شيده بالأندلس من قصور وحصون وتحصينات كحصن الفرج على نهر الوادي الكبير باشبيلية واتمام الجامع الأعظم بنفس المدينة وتزويده بصومعته الشهيرة[5] باسم (الجيرالدا) سنة 593. وفي

---

(1) راجع روض القرطاس والمعجب ثم تيراس : الفن الأندلسي المغربي ابتداء من ص 258 ثم ص 269.

(2) سيد سالم : المغرب الكبير ص 836 وعن آثاره باشبيلية أنظر المن بالامامة لابن صاحب الصلاة تحقيق الدكتور عبد الهادي التازي.

(3) تأمل تحامل تيراس على انتصاراته الاسلامية بقوله (وينسب المؤرخون المسلمون إلى المنصور شرفا لا يستحقه) الفن الأندلسي المغربي ص 266.

(4) تاريخ المن بالامامة، للوقوف على عظمة منشآته بالأندلس.

(5) بالمن بالامامة تفاصيل بالغة الأهمية من حيث الوصف والمواد وطريقة استخدامها وأسلوب البناء وأسماء الصناع والأمناء.

المغرب أسس المنصور البيمارستان الكبير الذي أمعن في وصفه عبد الواحد المراكشي[1]، كما أتم بناء صومعة الكتبية وقصبة مراكش وجامعها، وأتم بناء مدينة رباط الفتح، وواصل عمل سلفه في بناء جامع حسان ومناره المضروب به المثل في الضخامة والعظمة والارتفاع، ومسجد سلا الأعظم الذي يضاهي القرويين سعة وشموخا كمسجد جامع ومعهد للعلم بنيت بازائه المدرسة. وإلى المنصور كذلك يرجع الفضل في إعادة بناء مدينة المهدية على الضفة اليسرى من نهر سبو.

الخليفة الناصر الموحدي :

وجاء دور الخليفة الناصر ليضيف زيادة موحدية لجامع الأندلس وبابه الكبير ويعيد بناء الأسوار التي هدمها جده عبد المؤمن منذ سنة 540 هجرية كما قام بتجديد وترميم أسوار عدة مدن كوجدة ومليلية وباديس، وبنى مصلى جامع القرويين[2] لكنه لم يترك آثار عظيمة مثل والده المنصور. وبعد الناصر يواصل خلفاؤه سياسة تشييد القلاع والحصون في وجه حركة الردة النصرانية بالأندلس، وهكذا بنى أبو العلاء إدريس برج الذهب باشبيلية والسور الأمامي المعروف بالحزام البراني أمام سور اشبيلية.[3].

---

(1) أنظر المعجب ص 287.
(2) المغرب عبر التاريخ 295/1.
(3) سيد سالم : العمارة الحربية بالأندلس، دائرة معارف الشعب عدد 64 ص 156.

الفصل الثالث

تاريخ العمارة الاسلامية
عصر الموحدين

العمارة الاسلامية في عصر الموحدين
العمارة الحربية وأسوار المدن وأبوابها

أبحاث هذا الفصل :

* أسوار الموحدين بتازة وتينمل.
* رباط تيط.
* حصون الموحدين بالأندلس.
* أبراج الحراسة وأبراج الاشارات.
* البتن المغربي في عمارة الموحدين.
* أسوار وأبواب الموحدين برباط الفتح.

الفصل الثالث

العمارة الحربية وأسوار المدن وأبوابها

نستعرض الآن أهم معالم الطراز المغربي الأندلسي من عصر الموحدين في العمارة الحربيةللوقوف على مميزات العمارة والفن في ذلك العصرِ وسمات مدرسة الموحدين في ذلك المضمار.

أسوار الموحدين بتازة وتينمل :

وقد بدأت أسوار الموحدين الأولى بتازة[1] وتنمل[2] مترسمة خطو العمارة المرابطية باستخدام حجارة ضخمة غير منجورة مع بعض قطع مسطحة شأن نظام البناء في قلعة آمرجو مع تحصين السور بأبراج مستطيلة بارزة. كما وجد بزاوية سور تازة[3] الغربي برج أسطواني الشكل تضيق مساحته بالارتفاع بينما عرفت الواجهة الجنوبية لنفس السور طريقة البناء بالتابية التي يحتمل رجوعها إلى العصر المريني. وقد تبقت آثار قليلة من سور تينمل الذي بناه المهدي وأعاد بناءه عبد المؤمن سنة 548 وقد كشفت الدراسات عن هندسة السور المستقيمة التي تدعمها الأبراج على مسافات محددة كما أبانت عن مواد بنائه من الحجر غير المنجور الذي تعلوه التابية، أما باب السور فذو عقد منفوخ من الآجر كما هو الحال في باب قلعة آمرجو.

رباط تيط :

وكان رباط تيط على بعد ثمانية أميال من الجديدة بناء من التابية على قاعدة من الحجر تمتد أمامه أسوار وبرج براني مثمن الشكل فوق قاعدة نصف كروية قائم على البحر، وكان للسور ثلاثة أبواب من بينها بابان يتقدمهما سور أمامي[4] بينما جعل الباب الثالث ملويا (أشكال 31 - 33)

لقد كانت تيط مركزا معمورا وهاما بناحية دكالة عرف أحيانا بمدينة سيدي عبد الله نسبة إلى الشيخ الذي أسس الحصن في عصر الموحدين وغالبا أيام عبد المؤمن بن علي. ويرجع

---

(1) التفصيل بالعمارة الاسلامية لمارسيه ص 221.

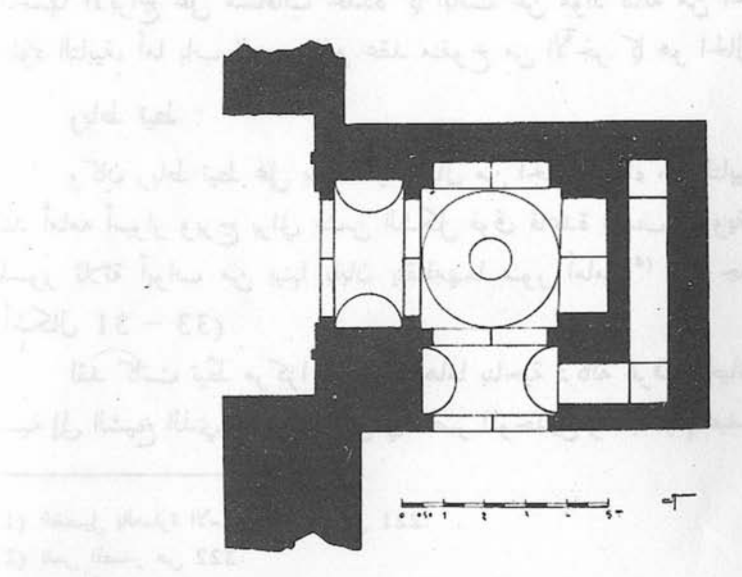
(2) نفس المصدر ص 222.

(3) ترجع أسوار تازة إلى عصر المرابطين والموحدين ويبلغ طولها حوالي ثلاثة كيلومترات (2,250 كم) وارتفاعها حسب الموقع من أربعة أمتار إلى عشرة وسمكها 1,80 مترا.

(4) المغرب الكبير ص 860. وانظر العمارة الاسلامية الغربية لجورج مارسيه ص 222.

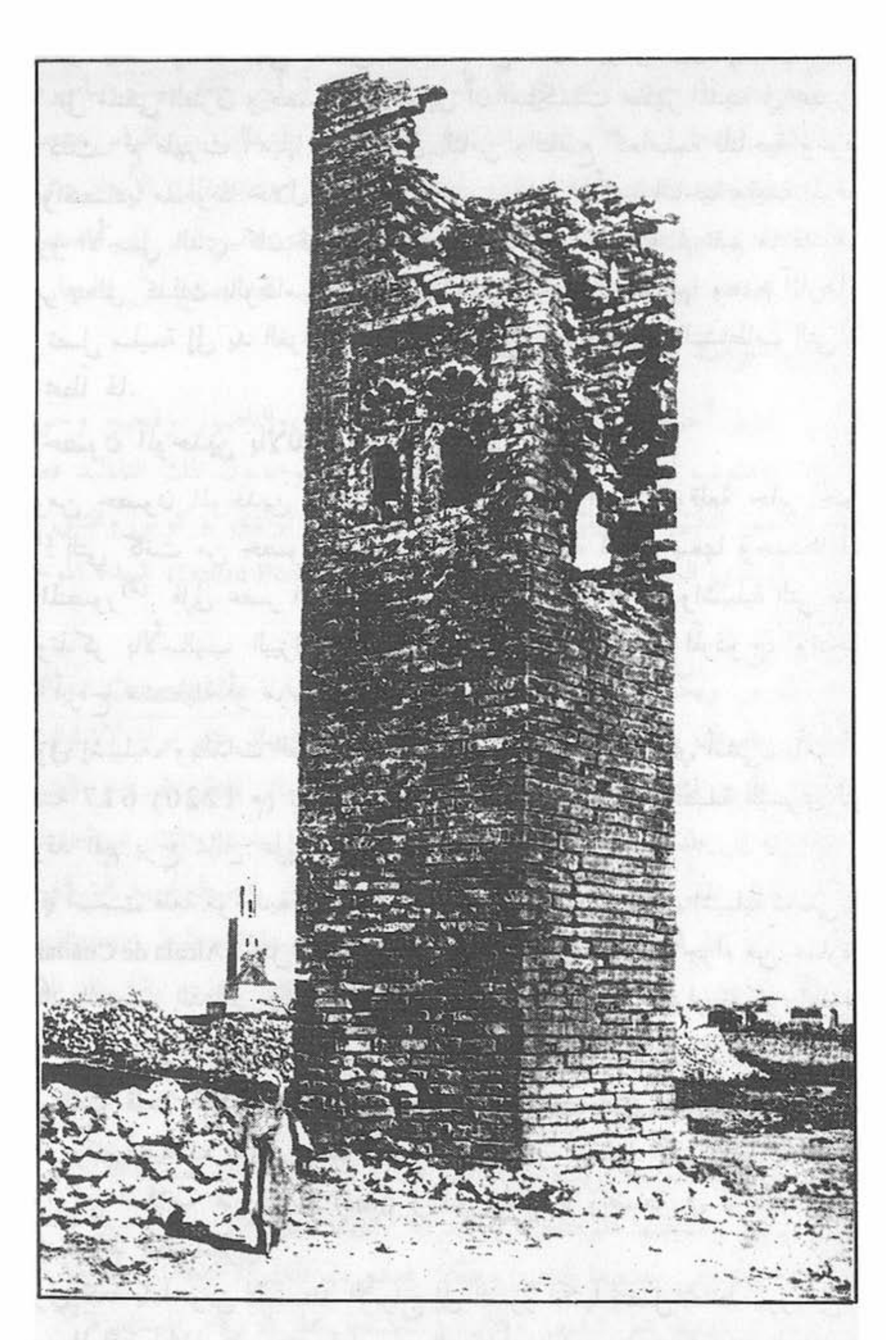
شكل 31

موقع وتخطيط رباط تيط على بعد 12 كيلومتر من مدينة الجديدة الحالية



شكل 32

تخطيط مدخل برباط تيط



شكل 33
صومعة مسجد رباط تيط من الحجر المنجور

ابتداء تعمير تيط كرباط ديني محصن للقضاء على بقايا البرغواطيين في تامسنا ثم تطورت لوقوعها على ملتقى الطرق وخصب الناحية إلى أن استكملت مظهر المدينة في عصر بني مرين أو قبيل ذلك. ثم ظهرت أهميتها في القرنين الثامن والتاسع كعاصمة للناحية وعرفت نشاطا اجتماعيا واقتصاديا ملحوظا خلال عصر الوطاسيين. ونظرا لأهمية الناحية وقيمة الموقع تعرضت تيط للغزو الأجنبي الذي كان قرارا نهائيا بتخريب تيط كمدينة لم تقم لها قائمة بعد ذلك لأن الأمر يتعلق كذلك بالوطاسيين أنفسهم الذين عمدوا إلى تخريبها وهدم آثارها وحصونها حتى لا تصل سليمة إلى يد الغزاة، ولهذا استقطبت مدينة الجديدة النشاطات التي كانت تيط موقعا ومحطاً لها.

حصون الموحدين بالأندلس :

ومن حصون الموحدين بالأندلس أسوار قرطبة واشبيلية وقلعة جابر جنوب شرق اشبيلية[1] التي كانت من حصون اشبيلية الأمامية الشرقية التي وسعها وجددها أبو يعقوب يوسف المنصور[2]. فإلى عصر الموحدين يرجع تاريخ أسوار قرطبة واشبيلية التي بنيت بالتابية (pisé) وتذكر بالأساليب البيزنطية من حيث استخدام الحائط المزدوج، وتتخلل السور الرئيسي أبراج مستطيلة أو مربعة ويتقدمه حائط آخر أمامي.

وفي إشبيلية، وبالذات القصر محل اقامة حكام الموحدين الذي أنشىء بأمر أحدهم أبي العلاء سنة 617 (1220 م) تبقى برج الذهب الذي يطل على الضفة اليسرى لنهر الوادي الكبير وقد أقيم برج مماثل على الضفة اليمنى.

كما أسست قلعة موحدية على بعد 15 كيلو متر جنوب شرق اشبيلية تسمى قلعة وادي أيرة (Alcala de Cuadaira) تحتل موقعا استراتيجيا لا زالت تحتفظ بأجزاء من عمارة الموحدين حيث كان التصميم الدفاعي يشتمل في مراكز معينة على ثلاثة أسوار تذكر بأسوار اشبيلية، وكانت جدرانها من التابية وذات أبراج تتقدمها أسوار أمامية أقل ارتفاعا.

وكانت قلعتا كاسير وباداخوس (Cacères et Badajoz) تشرفان على مناطق الحدود الموحدية، وقد أحيطت الأولى بأسوار مستطيلة تظهر أسفلها آثار الجدران الرومانية فوقها أسوار وأبراج اسلامية من التابية (pisé) وتبدو الحجارة واضحة في أركان الأبراج كما هو الشأن في رباط تيط المغربي.

وفي قلعة باداخوس لا تستند الأبراج إلى السور لكنها تتصل بحائط يبرز على هيئة زاوية تمكن من المراقبة الخارجية وهو طراز من البرج أو الباستيون (Bastion) البراني.

---

(1) جورج مارسيه : نفس المصدر 223 - 225.

(2) راجع عبد الله عنان في : الآثار الأندلسية الباقية، الطبعة الثانية ص 69.

وتؤرخ قصبة باداخوس التي تشغل الموقع المسيطر على مدينة وادي جواديانا من عصر أبي يعقوب يوسف الموحدي وتتوزع على أسوارها ثلاثة أبراج. وقد بنيت عناصرها الدفاعية بالتابية بينما تظهر الحجارة في الأبواب والمداخل التي تميزت بفتحات من أقواس متجاوزة كاملة الاستدارة (Plein cintre outrepassé) تفتح تجاه البروز، كما زودت تلك الأبواب بممرات ملوية أو مرفقية (Vestibule Coudé) توصل إلى الداخل بينما يؤدي باب آخر إلى منحدر نحو النهر وقد صممت فتحته بعقد على هيئة حدوة الفرس تتناوب فيه صنج من الحجارة والآجر.

أبراج الحراسة وأبراج الاشارات :

أسس البربر أحيانا مراكز للمراقبة كما هو الحال في الناضور وفجيج وحوز مراكش وحاحا بنوها بالطوب أو الطابية أو الحجر وقد ورث الموحدون تلك التقاليد فعرفت أمثلة أقل بدائية بالقصر الكبير واشبيلية الأول على الضفة اليمنى لوادي لوكوس والثاني على الضفة اليسرى لنهر الوادي الكبير من تخطيط ذي 12 ضلعا (Douze Pens) شيده الموحدون سنة 1220 م عرف ببرج الذهب سبق ذكره.

وقد درس ريكار في كتابه القيم (Pour Comprendre l'Art Musulman) أبراج[1] الاشارات التي تعرف بالمنار وهي أبراج للاشارة مزودة بجهاز ذي مرآة لاشارات الاتصال في النهار وعن طريق إشعال النار ليلا، وقد كانت تلك العمائر تغطي الساحل الشمالي للقارة من الاسكندرية إلى طنجة فقد كان منار قلعة بني حماد على سبيل المثال نموذجا لتكل المباني الحربية والمدنية في نفس الوقت شيد منذ القرن الخامس على تخطيط مربع الشكل يبلغ طول ضلعه 22 مترا وكان الطابق الأسفل يشتمل على قاعة صليبية التخطيط (cruciforme) تغطيها قبة محاطة بأسوار تتدرج في الارتفاع، ولعل ذلك المثال كان يحتذى بالشمال الافريقي منذ بناء منار قلعة بني حماد في القرن الخامس الهجري (أشكال 34 – 36).

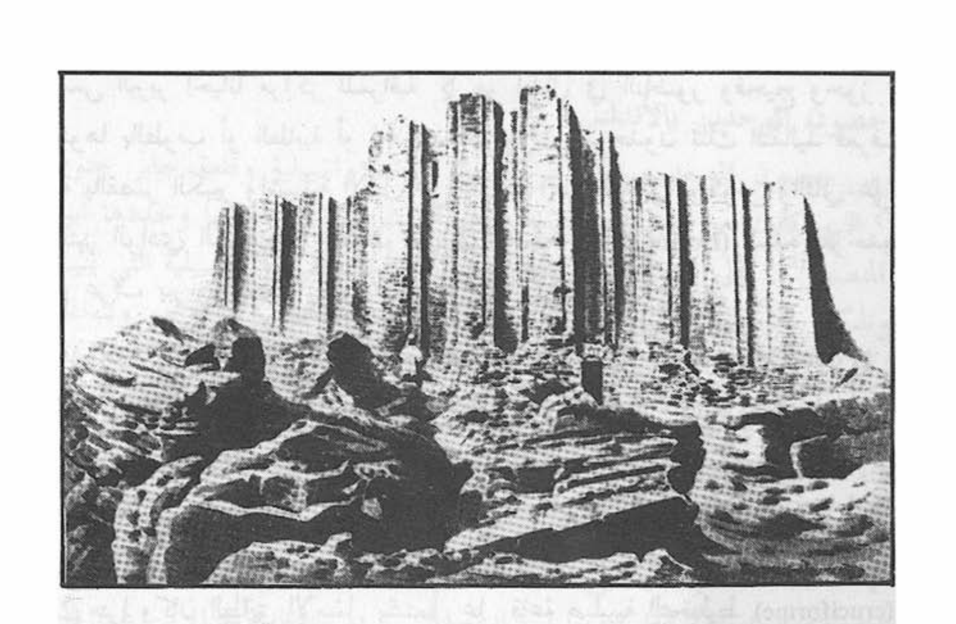
البتن المغربي في عمارة الموحدين :

تطورت التابية المغربية بزيادة نسبة الجير فيها نتيجة الاحتكاك بعمارة الأندلس فأصبحت أكثر صلابة وقوة واستغلها الموحدون في سرعة تشييد أسوارهم وحصونهم كأسوار الرباط وفاس وأسوار سلا التي جددها الناصر وهكذا استمرت تلك الاتجاهات الجديدة طوال عصر الموحدين وحلت التابية محل الحجر والأبراج المضلعة محل الأبراج المستديرة[2].

---

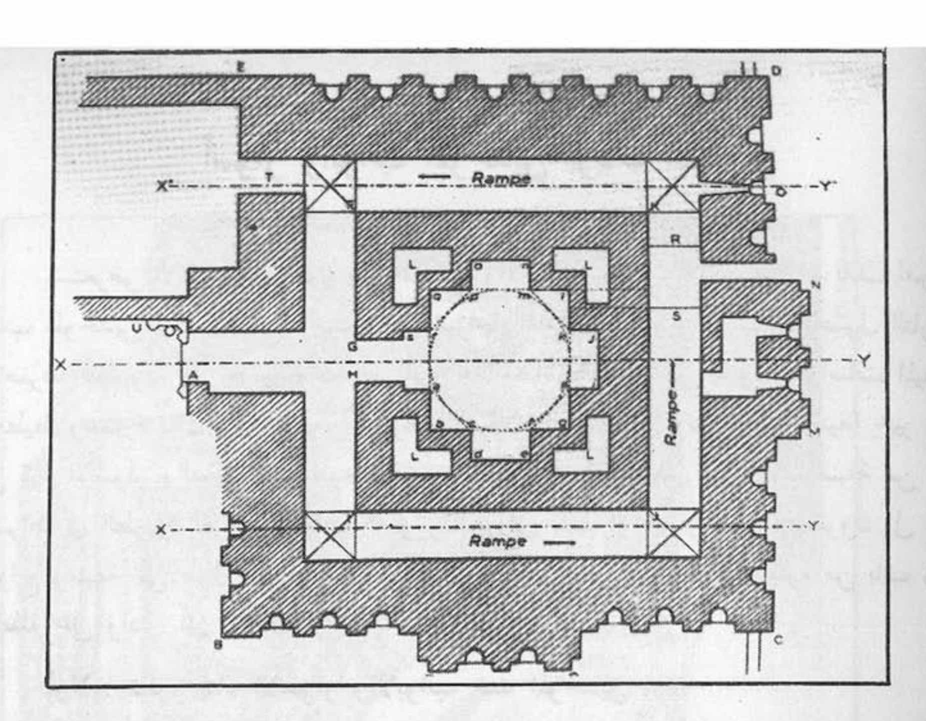
(1) وعن الأبراج والباستيون والسقالة، راجع كتاب ريكار المذكور ص 231 – 232.

(2) كونل : الفن الاسلامي، الترجمة العربية ص 125 وانظر العمارة الاسلامية لمارسيه ص 223.



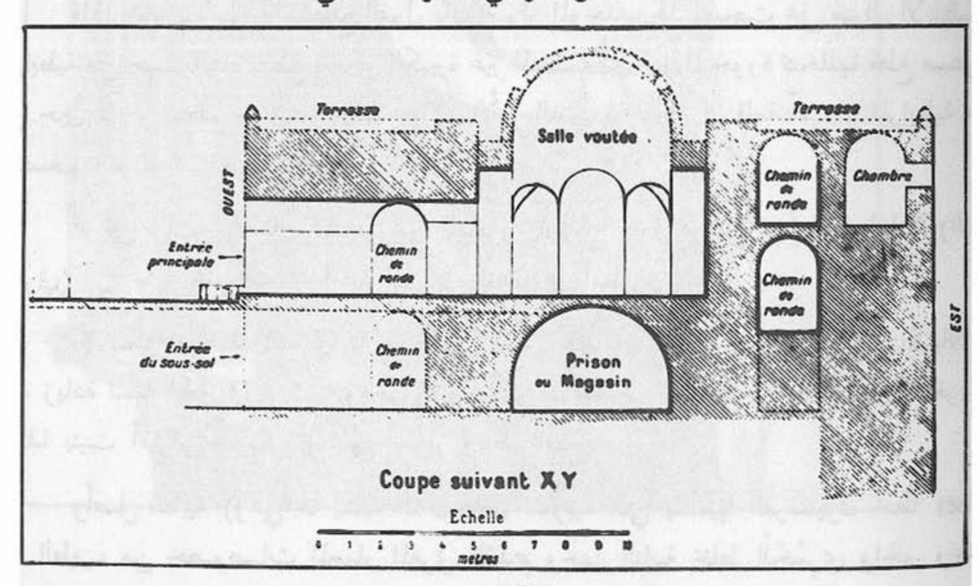
شكل 34

عمارة المنار الخارجية تجاه الشرق (قلعة بني حماد)



شكل 35

تخطيط الطابق الأرضي بالمنار بقلعة بني حماد



شكل 36

مقطع هندسي بمنار قلعة بني حماد

أسوار وأبواب الموحدين برباط الفتح

نستعرض الآن بايجاز تطور بناء الأسوار والأبواب عند الموحدين قبل أن نقف لدراسة أبواب الموحدين برباط الفتح لاستخلاص مميزاتها العامة وتحديد التأثيرات والأصول التاريخية لعناصرها المعمارية والزخرفية وتلخيص أبرز ملاحظاتنا العلمية على ضوء الدراسات الميدانية لتخطيط وعمارة تلك المجموعة من الأبواب[1]. فلا زالت أسوار رباط الفتح المنيعة خير دليل على قوة الأسوار والتحصينات الموحدية حيث نرى أربعة وسبعين برجا منها سبعة من برج الصراط في الطريق الغربي إلى باب العلو وتسعة إلى باب الأحد وخمسة وعشرون إلى باب الرواح وسبعة على طول ثكنة الحرس الملكي وأربعة وعشرون إلى الجهة المارة من باب زعير والمطلة على وادي أبي رقراق قرب ما كان يسمى بالمنزه.

أولا : تطور بناء الأسوار والأبواب عند الموحدين :

أسوار الموحدين :

فإذا بدأنا بالأسوار نستطيع القول بأن أسوار الموحدين قد نسجت على منوال الأساليب المرابطية من حيث البناء بقطع الحجر الكبيرة غير المنتظمة أي غير المنجورة تتخللها قطع مستوية من حين لآخر تنتظم بها سطوح المداميك، الأمر الذي شاهدناه في قلعة آمرجو المرابطية من منتصف القرن السادس الهجري.

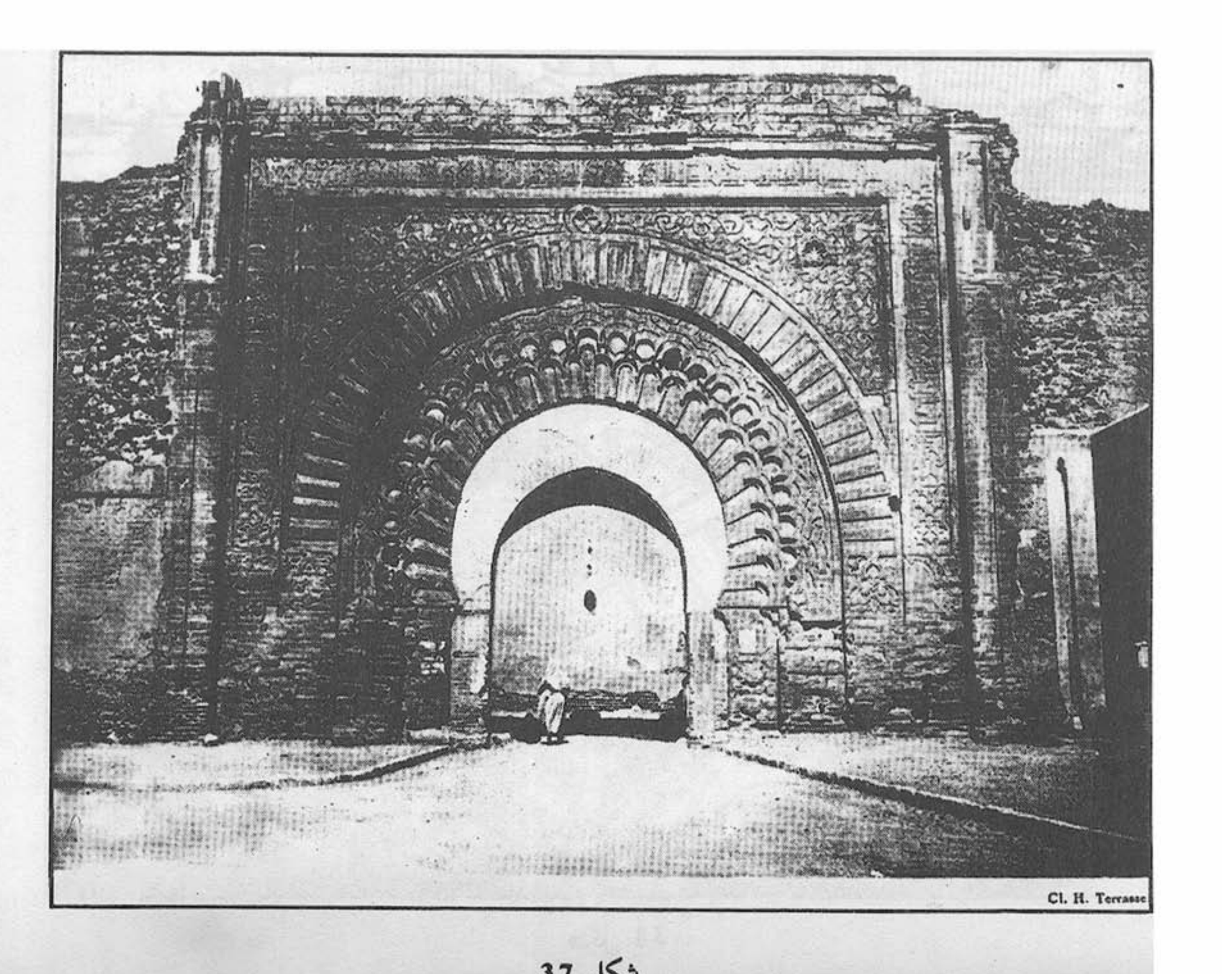
ثم تلي ذلك استعمال الحجر غير المنجور بارتفاع قامة الرجل تبدأ فوقه التابية (البتن المغربي) إلى نهاية علو السور المطلوب كما حدث في أسوار تينمل.

كما تتميز مرحلة ثالثة في تاريخ بناء الأسوار عند الموحدين وهي مرحلة البناء بالتابية بعد زيادة نسبة الجير في تركيبها ووصولها إلى أكبر درجة من الصلابة في تاريخ التابية المغربية، وبهذا بنيت أسوار مراكش ومثلها أسوار رباط الفتح.

وأصل التابية (وهي ما يشبه الـ Béton) المغربية التي يسميها الفرنسيون خطأً (pisé) أي الطين، من خصوصيات المعمار المغربي القديم وتجهز التابية بخلط الْحَمْرِي والجير وعقاد

---

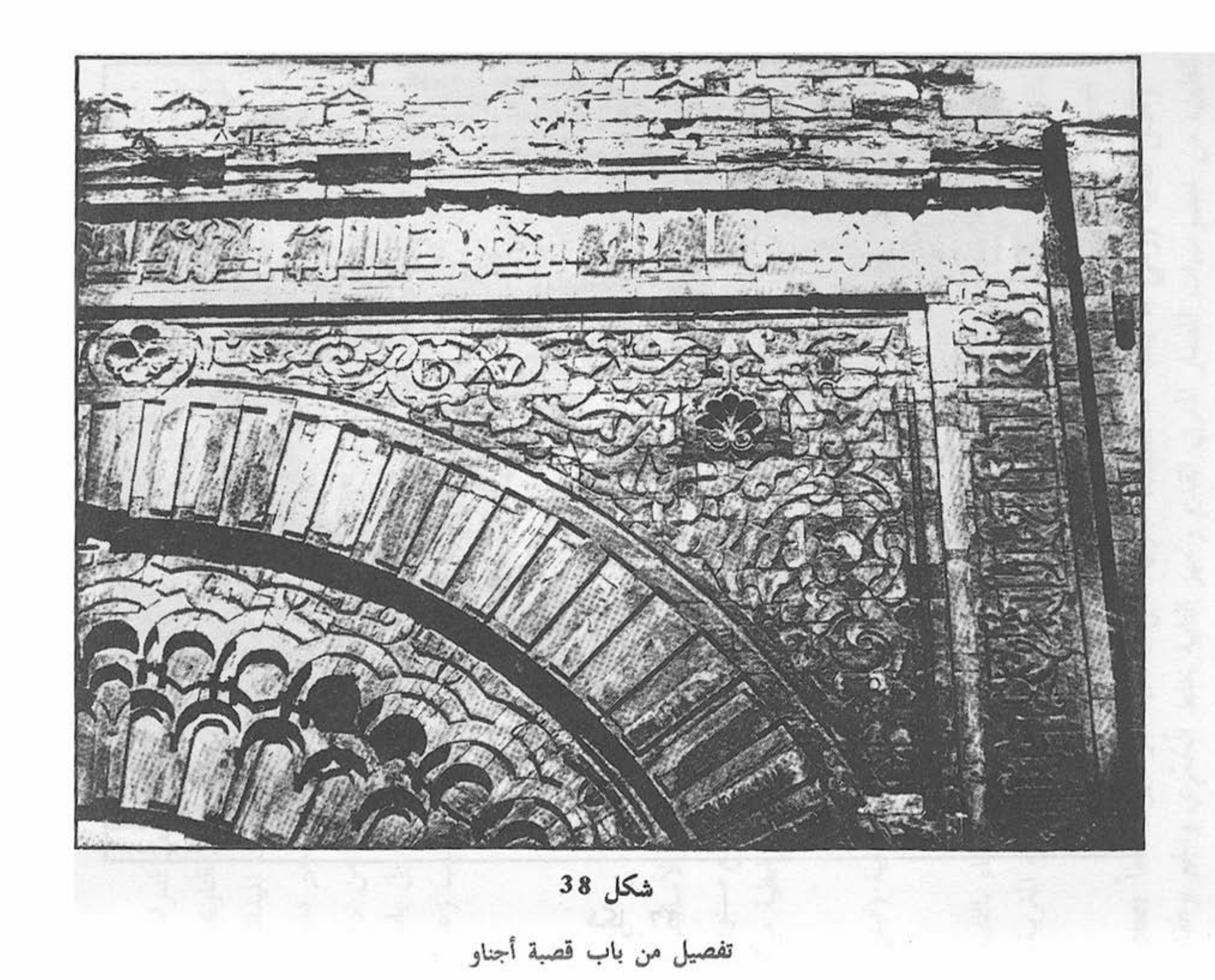
(1) عن باب قصبة أجناو بمراكش أنظر (أشكال 37 – 38) بهذا الفصل.



Cl. H. Terrasse

شكل 37

باب قصبة أجناو الموحدي بمراكش



شكل 38

تفصيل من باب قصبة أجناو

الجير وكسرات الفخار والحجارة الصغيرة أو الصم (الزلط) وتعجن بالماء وتخمر لمدة معلومة قبل صبها في حواجز خشبية تقام فوق التخطيط الأرضي وتحدد شكل وحجم الحائط المطلوب بناؤه.

وكل ما جاء به التطور الحديث في التقنية المعمارية لا يتجاوز استبدال الحمري بالرمل والجير بالاسمنت ثم اضافة الحديد فيما يسميه المعماريون اليوم بالبتن المسلح (Béton armé) وهكذا كانت التابية عبارة عن البتن المغربي القديم قبل دخول التسليح بالحديد في العصر الحديث[1].

إن بحث الموحدين عن أساليب جديدة لتقوية صلابة التابية تكشف عن نواياهم العمرانية ورغبتهم الملحة في سرعة الانجاز والاقتصاد في النفقات مع الصلابة التي تقاوم الزمن فيما أقدموا على تشييده من أسوار وجدران وحصون ومؤسسات ضخمة، ولهذا ظلت الأساليب المستعملة في بنائها متبعة طوال العصر الذي ازدهر فيه فن المعمار المغربي. ومنذ عصر الموحدين حلت الأبراج المضلعة محل الأبراج المستديرة وزادت العناية بابراز الأبواب وزخرفتها[2].

الأبواب :

وعلى الرغم من اتجاه الموحدين نحو بناء الأسوار بالتابية، فإن الأبواب الموحدية حظيت دائما باستعمال الحجارة المنجورة (Taillé) منتظمة الشكل.

.وكانت الأبواب في العمارة البيزنطية عبارة عن فتحة في الجدار ذات عقد أمامي تجاه ظاهرة المدينة وعقد آخر خلفي في اتجاه مباشر نحو الداخل. وعندما جاء المرابطون استعملوا هندسة جديدة في تخطيط الأبواب وشيدوا عمارة أبوابهم فوق تخطيط ذي انعطافات مرفقية لتحقيق الهدف الدفاعي الذي لم يكن كافيا في تصميم الأبواب البيزنطية[3].

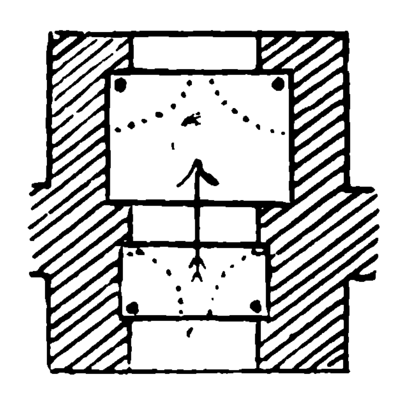
وانطلاقا من تلك الفكرة استفاد المهندسون في عصر الموحدين الذين ضاعفوا هذه الظاهرة لزيادة حجم العراقيل وتكرار مراحل المعوقات والعقبات في طريق المهاجمين، وبهذا ابتكروا طريقة التخطيط ذي المنعطفات المرفقية المزدوجة الذي نراه اليوم في مجموعة مباني الموحدين الضخمة بأبواب مدينة رباط الفتح.

---

(1) تفصيل ذلك بكتابنا حفائر شالة الاسلامية.

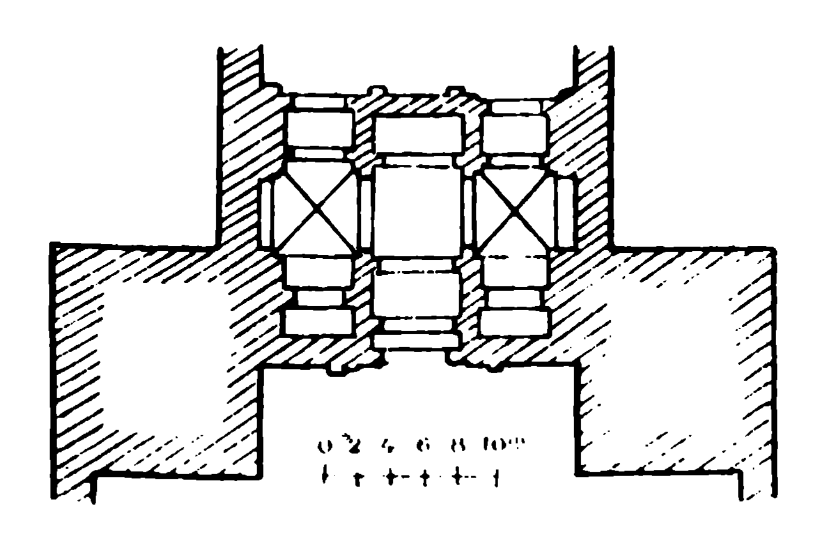
(2) دكتور زكي محمد حسن : فنون الاسلام ص 120.

(3) وللمقارنة أنظر تخطيط المدخل المباشر (Porte Droite) بفاس الجديد (شكل 39) والمدخل المباشر المتناظر Symétrique (شكل 40) المعروف بباب السبع بفاس وانظر كتاب ريكار (Pour comprendre) ص 226 – 227 – 228.



شكل 39

مدخل مباشر (Porte Droite) بفاس الجديد



شكل 40

باب السبع بفاس مدخل مباشر متناظر (Symétrique)

ثانيا : المميزات العامة لأبواب الموحدين برباط الفتح :

الواقع أن القرن السادس الهجري قد أتحفنا بعدد وافر من الأبواب الموحدية التي تدعو إلى الاعجاب كباب الرواح وباب الودايا وباب الأحد وباب العلو وباب زعير بمدينة رباط الفتح بالاضافة إلى باب أجناو بمراكش[1] فلا زال يحتفظ بهيبة وجلال رائع في نسب فتحته وألوان حجارته واتقان نقوشه.

وتتركز قيمة تلك المجموعة الرباطية من الأبواب الضخمة التي تعكس لحسن الحظ الثراء المتنوع من حيث التخطيط والعمارة والتغطية والزخرفة في إبراز وإجلاء شخصية وعبقرية المهندس والبناء المغربي أكثر من أي عصر وأثر سابق، الأمر الذي يدفعنا إلى تلخيص المميزات العامة لتلك المجموعة من أبواب الموحدين على النحو التالي :

1 – بامعان النظر في التركيب الزخرفي لتلك الأبواب الموحدية يتبين لنا بجلاء المصاهرة المتينة والعلاقة الوثيقة التي حققها الموحدون بشكل طبيعي مع هندسة المحاريب الاسلامية.

2 – ومن ملامح تلك المجموعة المعمارية نلاحظ أن الاطار المحيط بفتحة عقد الباب وزخارفه يزيد اتساعه عن ارتفاعه (بالنسبة لما كان عليه سابقا) بحيث يكاد يكون الاطار مربعا تقريبا ابتداء من مستوى الأرض إلى قمة العقد.

3 – كما تتميز مجموعة أبواب الرباط الموحدية بفتحة رئيسية للقوس ذات عقود متعددة متتالية يغلف كل منها سابقة لتحقيق غرض معماري يهدف إلى تخفيف الحمل عن العقد الأصلي لقوس فتحة الباب وهو العقد الذي تخلو صنجاته دائما من أي أثر للزخرفة.

على أننا نرى في باب أجناو بمراكش أربعة متتابعة من العقود ذات الصنج، الأول والأخير يتألفان من صنج متناوبة بروزا وتراجعا والثاني والثالث عقدان مفصصان.

4 – وينحصر شريط الكتابة العربية والزخرفية بباب الرواح وباب قصبة الودايا في الواجهات المطلة على ظاهر المدينة في مساحة ضيقة، بينما تزيد المساحة في الواجهات المطلة على داخل المدينة انسجاما مع المساحة المتاحة في كل من الجهتين، لأن واجهة المدخل الخارجية أقل اتساعا في المساحة بسبب حصر الواجهة الرئيسية للمدخل بين البروزين المحيطين بفتحة الباب بقصد زيادة الخطة الدفاعية في مقابلة أي هجوم خارجي، في حين أنه لا داعي مطلقا لوجود برجين يحيطان بالمدخل من الجهة الداخلية للمدينة، الأمر الذي أوجد مساحة فسيحة لشريط زخرفي عريض انتشرت فيه زخرفة المعينات المتجاورة (Réseaux à losanges).

---

(1) G. Marçais : «L'Architecture Musulmane». P, 223 والمغرب الكبير للدكتور السيد عبد العزيز سالم ص 863.

5 – وجميع أبواب الرباط مداخل بارزة (Monumental) بمعنى وقوع فتحة الباب بين برجين ناتئين عن مستوى سور المدينة. وتتميز الأبراج المحيطة بأبواب الرباط بتخطيط مربع فيما عدا باب الأحد المشطوف الأركان على غرار باب شالة الغربي (فيما بعد) من عصر المرينيين.

6 – كما تشترك تلك المجموعة المعمارية في وجود العنصر الثعباني (Motif serpentiforme) عند منابت العقود في واجهات الأبواب، وفي القسم العلوي فوق الاطار المربع المحيط بمجموعة عناصر الباب وسلسلة العقود يظهر بكل من ركني الواجهة كابولى (Console) عبارة عن نتوء أسفل الشرفة تستند إليه، ويحمل الكابولى عمود رقيق بأعلاه تاج منقوش دقيق[1].

ثالثا : التأثيرات والأصول التاريخية للعناصر المعمارية والزخرفية :

1 – الصنجات البارزة (Claveaux en relief) بباب الرواح التي تصنع دائرة قوس العقد تذكرنا بالشرق حيث تقدم العمارة المصرية السورية أمثلة مشابهة تنوعت فيها ألوان المواد.

2 – يعتقد جورج مارسيه أن التركيب العام لأبواب الموحدين ومحاريبهم يستمد أصوله من جامع قرطبة بالأندلس. ويقرر كريسويل أن المدخل البارز بمسجد المهدية بتونس (افريقية) كان مصدر الأبواب البارزة بعمارة العبيديين بالقاهرة شرقا ثم عمارة الاسلام بالمغرب والأندلس غربا.

3 – تضاعف نظام الصنج ذات الفصوص يظهر بوضوح في الفن الفاطمي بافريقية ومصر دليل الأهمية التاريخية لدور الموحدين في الفتوحات الشرقية وتوثيق العلاقات الفنية واستلهام العناصر المعمارية والفنية التي بعثها الموحدون بالمغرب العربي والأندلس.

4 – في بنيقات الأبواب (Les écoinçons) تظهر زخرفة زهرية (Décor floral) تشبه الورقة النخيلية (سعف النخل) تذكر بالبالمت (Palmette) القديمة. ولكنها تبدو هنا بفصوصها الاشعاعية عنصرا نباتيا اسلاميا يذكر بالقوقعة (Coquille) التي عرفها الفن الاسلامي منذ عصر الخلفاء.

5 – حالة الشطف الوحيدة في التخطيط الأرضي لبرجى المدخل الظاهرة في باب الأحد تحول هيئة البرج إلى الشكل المثمن بدل البدنة المربعة من كل جانب، وقد ظهرت هذه الظاهرة فيما بعد بعمارة منطقة الرباط في باب شالة الغربي الكبير من عصر المرينيين،

---

(1) قدمت دراسات عملية مباشرة لمميزات أبواب الموحدين بالرباط وتأثيراتها وأصولها التاريخية وتخطيطها وعمارتها وزخرفتها وتحليل ذلك كله في ثماني حلقات متلفزة بالشاشة الصغيرة المغربية لاذاعة وتلفزة الرباط ضمن برنامج متلفز بعنوان (مشاعل الشباب).

وتذكر بشطف ركن واجهة المسجد الاقمر بالقاهرة من أواخر عصر الفاطميين التي وضع بأعلاها مقرنص مقلوب يعيد المثمن إلى مربع، كمصدر مباشر لنظيره في باب شالة المريني.

6 – انتشار العنصر الثعباني أو العنصر الملفوف (Serpentiforme) عند منابت العقود بأبواب الموحدين كان تطورا لمثال أول (Prototype) ظهر لأول مرة في فنون الزخرفة الاسلامية بجامع الجنائز بالقروين.

رابعا : ملاحظات على التخطيط ووسائل التغطية المعمارية :

وسوف نبدأ بالأمثلة المبسطة لننتقل بعدها مع تطور التخطيط المركب وأساليب التغطية في عمارة الأسقف بصرف النظر عن ترتيب تلك الأبواب في سلسلة التخطيط الدفاعي لأسوار المدينة.

باب الأحد :

مدخل بارز (Monumental) يتميز من الظاهر بفكرة شطف الأركان (Apans coupés) في بدنتي الباب أي قصهما بتحويل التخطيط المربع إلى مثمن (شكل 41) كما نشاهد في باب شالة الغربي فيما بعد، وهو المثال الوحيد المعروف بالمغرب. غير أن الشطف في باب الأحد لا يحمل مقرنصا مقلوبا في أعلاه لاعادة التخطيط المثمن إلى تخطيط مربع في السطوح العليا. وبهذا تضعف الأهمية الدفاعية في باب الأحد لعدم وجود مقرنص مقلوب يمكن من بروز المساحة العليا ويمكن المدافعين من استخدامها، وسوف تتأكد فكرتنا هذه بضعف التخطيطات الدفاعية الأخرى في باب الأحد كما نرى فيما بعد في التخطيط العام.

وباب الأحد هو الباب الوحيد بالرباط البسيط في التخطيط. إنه مدخل مباشر غير ملوي وغير مرفقي. وتنحصر فتحته الرئيسية بين عقدين متتاليين فوقهما قبو نصف أسطواني يؤدي إلى قاعة أولى فوقها قبو نصف أسطواني متقاطع بحيث تكون التغطية نتيجة تقاطع نصف برميل طولي فتحته إلى أسفل مع نصف برميل آخر في نفس الوضع ثم قاعة ثانية على نفس المحور تغطيها قبة (Coupole) قائمة على مقرنصات، إلى جانب قاعة ثالثة مكشوفة إلى يسار الداخل تمتد بطول القاعتين المتتابعتين وتؤدي القاعة الثالثة الواقعة على محور المدخل والقاعة الأولى إلى فتحة الباب الداخلية المؤدية إلى داخل المدينة.

باب العلو وباب زعير :

نستعرض الآن دراسة تخطيط الأبواب ذات المرافق متجهين من التخطيط البسيط إلى المركب لنجد أول مرحلة في أبواب الرباط ذات المرافق متمثلة في باب العلو وباب زعير (شكل 42).

مع ملاحظة أن المرافق في جميع تلك الأبواب سواء ذات المرافق البسيطة أو المركبة إنما هي مرافق داخلية تقع ضمن حدود التخطيط الداخلي للأبواب.

وقد أردنا التنبيه هنا إلى تلك الظاهرة المبدئية حيث توجد أبواب ذات مرافق خارجية مثل باب عين الجنة بأسوار شالة المرينية. والمرافق ليست ملحقات وإنما هي جمع مرفق أي ساعد أو كوع Coude فالمدخل المرفقي هو مدخل ملوي يسمى في الاصطلاح الانجليزي (Bent-Entrance) وفي الاصطلاح الفرنسي (Porte coudée).

وكل من باب العلو وباب زعير برباط الفتح مدخل بارز (Monumental) أي أن فتحته الرئيسية تنحصر بين بروزين أو نتوءين عبارة عن برج من كل جهة. وتصميم البابين الخارجي وتخطيطهما الداخلي يسيران على نسق واحد من حيث التخطيط ومن حيث التغطية كذلك مع خلاف ضئيل واحد نشير إليه أثناء الوصف.

وكل من المدخلين عبارة عن فتحة رئيسية (بين البرجين) ذات عقدين يفتح أحدهما على ظاهر المدينة والآخر يؤدي إلى القاعة الأولى من التخطيط وبين العقدين المذكورين يرتفع قبو نصف أسطواني لتغطية المساحة بين العقدين وهي المساحة التي تتحرك فيها دفتا الباب. القاعة الأولى يغطيها قبو نصف أسطواني ويليها كوع أو لوية Coude تصنع حائطا مباشرا يواجه أي هجوم طارىء ويشكل عقبة في طريق المهاجمين. وبعد الكوع نجد قاعة ثانية توصل عن طريق فتحة أخيرة إلى داخل المدينة. هذه القاعة الثانية نجدها مكشوفة في باب العلو ومغطاة في باب زعير وهو الفرق الوحيد في تخطيط وعمارة البابين.

باب الرواح :

وهو أكبر الأبواب صمودا أمام عوامل الزمن وتقلبات السياسة والحرب ومتطلبات الدفاع، ولهذا كان باب الرواح أكثر الأبواب سلامة من أحداث التاريخ : وعلى الرغم من ثرائه الزخرفي، غير أنه يعتبر أهم أبواب الرباط من حيث التخطيط أكثر من الزخرفة وذلك بتحقيقه لأغراض دفاعية ممتازة.

وكسوة الباب من الحجارة المنجورة (Taillé) منتظمة الشكل وهو مدخل بارز (Monumental) تنحصر فتحته بين برجين مربعين ولا تؤدي فتحة الباب إلى داخل المدينة مباشرة إلا بعد المرور من عائقين متتابعين أو كوع مزدوج (Double coude) أي منعطف مرفقي مزدوج[1] (أشكال 43 – 49).

---

(1) وليس ذي أربعة منحنيات مرفقية كما قال ريكار بل يشتمل على ثلاثة منعرجات لوجود منعطف مرفقي مزدوج، أنظر كتاب ريكار المذكور للتحقق من الخطأ الذي وقع فيه.

شكل 41

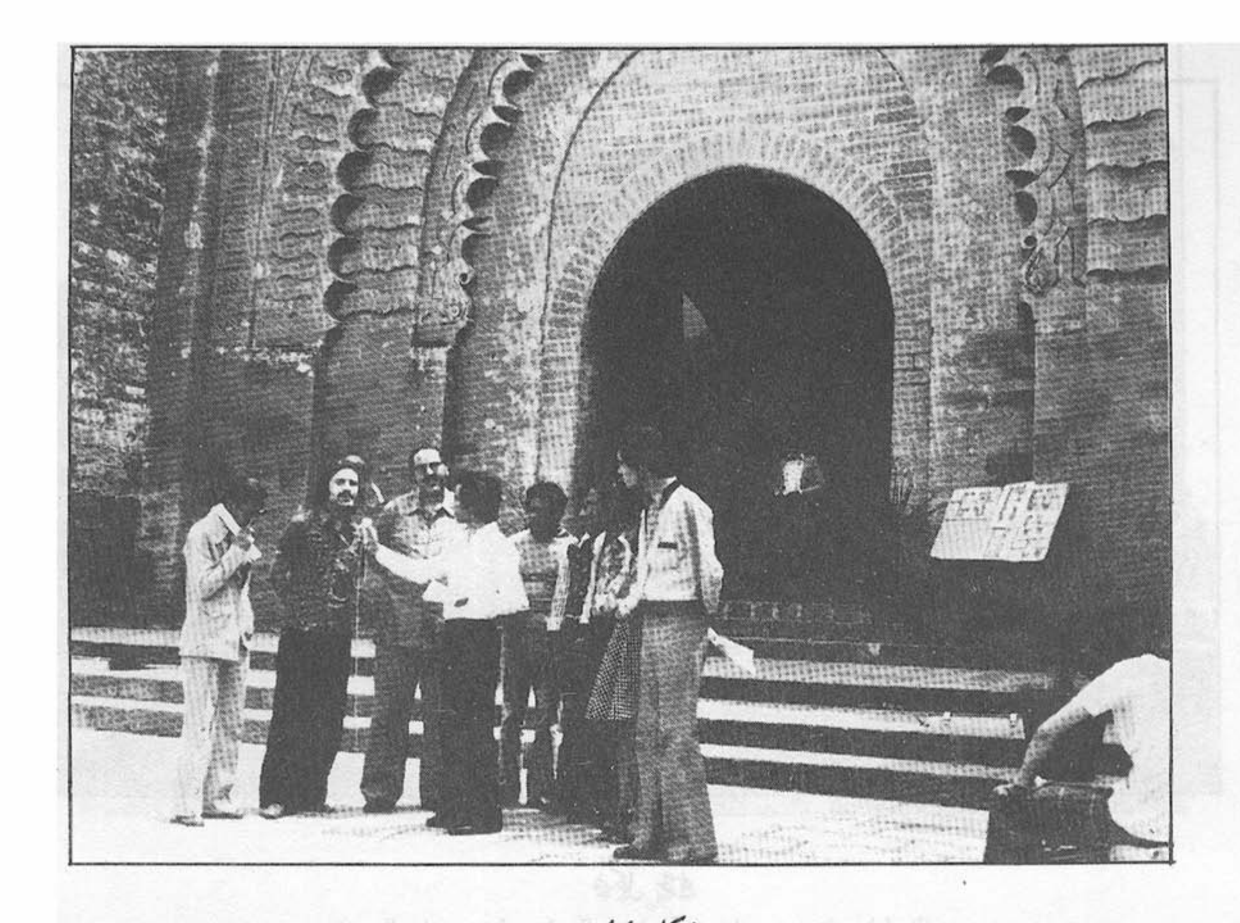
باب الأحد بالرباط مدخل بارز شطفت جوانبه كما نرى في جوانب أبراجه المربعة

شكل 42

باب زعير برباط الفتح مدخل بارز تحيط بجانبيه كتلتان مربعتان

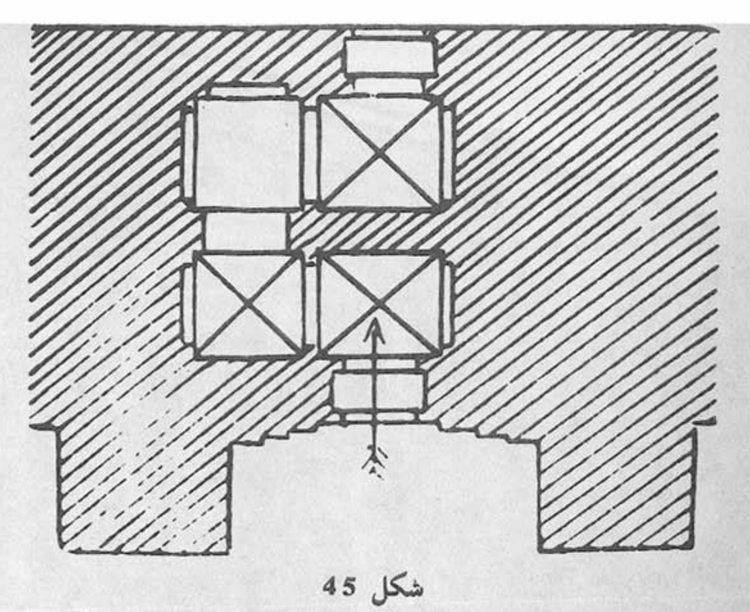
شكل 43

باب الرواح، منظر عام للمدخل تجاه خارج مدينة رباط الفتح



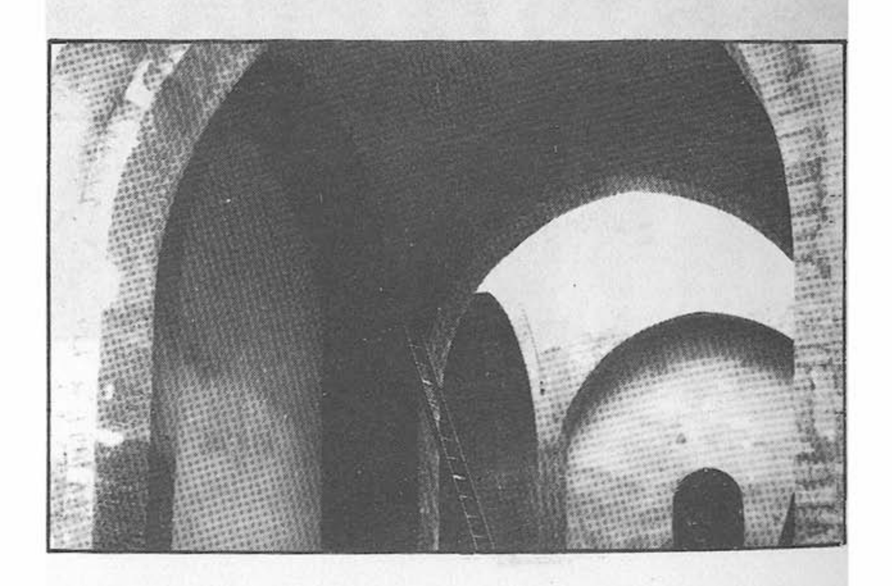
شكل 44

تفصيل من منظر باب الرواح تجاه خارج المدينة



شكل 45

تخطيط المنعرج المرفقي المزدوج بباب الرواح برباط الفتح

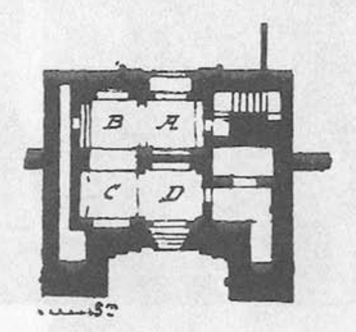


شكل 46

وسائل التغطية، القاعة الثانية ثم الثالثة المكشوفة بباب المرواح برباط الفتح

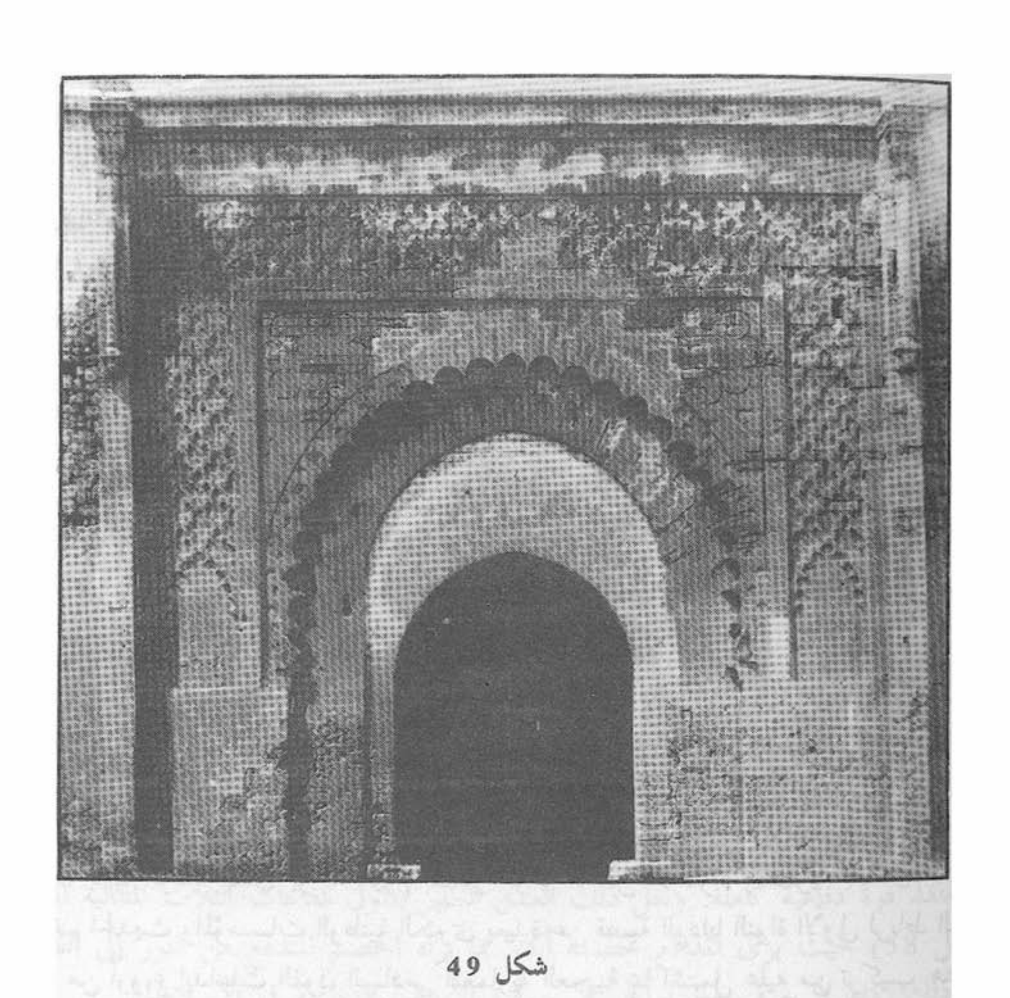
شكل 47

باب الرواح تجاه داخل مدينة رباط الفتح



شكل 48

باب الرواح، التخطيط الأرضي للمدخل الملوي ووسائله الدفاعية



شكل 49

باب الرواح، تفصيل عمارة ومواد بناء الواجهة المطلة على داخل المدينة

وبين فتحتي المدخل تجاه المدينة حيث تتحرك دفتا الباب الخشبي مساحة يغطيها قبو نصف أسطواني. ويؤدي هذا المدخل إلى قاعة أولى تغطيها قبة إشعاعية ذات ضلوع تتفرع من المركز بقمة القبة لترتكز في النهاية على جوفات مقبوة (مقرنصات تسمى في المصطلح الانجليزي - Squinch - وهو أدق من التعبير في المصطلح الفرنسي (Pendentif)وهذه الجوفات أو المقرنصات يتكون كل منها من أنصاف قبوات أسطوانية متعارضة محصورة داخل قوس يرسم حدود المقرنص المذكور.

وبمجرد الدخول من فتحة الباب الرئيسية إلى القاعة الأولى يصطدم المهاجم بالعقبة الأولى إذ لا يجد بابا أو فتحة على محور المدخل الرئيسي ويضطر إلى تغيير المحور والانحراف يسارا في المنعطف الأول أو الكوع الأول للوصول إلى قاعة ثانية تغطيها قبة (Coupole) قائمة على مثلثات كروية، وهي مقرنصات يتكون كل منها من مثلث يقتطع من جسم الكرة وعلى نفس المحور الثاني وهو محور القاعة الثانية توجد قاعة ثالثة مكشوفة تمكن المدافعين من صب السوائل وتوجيه السهام من جميع الجهات العليا المكشوفة.

وبعد القاعة الثالثة يتغير المحور لنواجه المنعطف المرفقي الثاني ونضطر إلى الانحراف يمينا لدخول قاعة رابعة ذات قبة قائمة على مقرنصات من المثلثات الكروية تؤدي إلى فتحة الباب المطلة على داخل المدينة وفتحة الباب الأخير من قوسين بينهما قبو نصف أسطواني فوق المساحة التي تتحرك فيها دفتا الباب.

باب الودايا :

وعلى الرغم من شهره باب الرواح وما احتواه من وسائل معمارية وأساليب دفاعية وجمال زخرفي ثم منظر فخم فريد استمده من موقعه العمراني بالنسبة لرباط الفتح المعاصرة، غير أن باب الودايا الذي يوجد اليوم منحازا نوعا ما عن الأضواء العصرية بانتقال العمران الضخم الحديث والمؤسسات الوطنية الكبرى بعيدة عن قصبة الودايا النواة الأولى لرباط الفتح، ليعتبر من أروع ابداعات القون السادس المعمارية العجيبة بما اشتمل عليه من تركيب هندسي متنوع وتعقيد معماري متطور وتفنن في وسائل الدفاع وأساليب التغطية فضلا عن زخارفه الفنية الغنية التي كانت تجعل منه في شباب رباط الفتح (عندما كان العمران في المهدية منزل عبد المؤمن) قطب الرحى في المنطقة[1].

---

(1) جميع تلك التفاصيل نتيجة دراساتنا الميدانية المباشرة والمعايشة والملاحظة والمقارنة وبعد الرجوع للمصادر والرسومات والتصميمات الهندسية بادارات عديدة وتنفيذ صور ورسوم جديدة.

وباب الوداية مدخل بارز (Porte monumentale) يحيط بفتحته الرئيسية بروزان أو نتوءان مربعان (أشكال 50 – 52) وقوس الفتحة عبارة عن عقد متجاوز منكسر أو منفوخ منكسر المعروف بالفرنسية (Fer à cheval brisé) داخل عقد متجاوز مفصص (Lobé) وبين فتحتي الباب حيث تتحرك الدفتان غطاء نصف أسطواني أي نصف برميل فتحته إلى الأسفل.

وعلى محور الفتحة الرئيسية تمتد ثلاث قاعات متتالية وتلك القاعات ليست على مستوى أرضية واحدة إذ يتغير مستوى الأرض من قاعة لأخرى مشكلا عقبة كأداة أمام المهاجم المندفع من قاعة لأخرى بين ظلام المعركة وغبار الالتحام.

وتغطي القاعة الأولى قبة (Coupole) قائمة على مثلثات كروية جوفات مقوسة، وتختلف تلك المثلثات عن النظام الذي شاهدناه في القاعتين الثانية والرابعة بباب الرواح، فالمثلثات الكروية بالقاعة الأولى في باب الوداية مقصوصة على نسق خاص يسمى في المعمار المغربي مثمن بالدائرة.

وتغطى القاعة الثانية قبة تستند على مثلثات تسمى بالانجليزية Spherical triangle pendentive كاملة تبدو شبه مقصوصة إذ ترتكز في أسفلها على إطار قائم على قوقعة وزخرفة نباتية تكتمل بها الزاوية الدنيا للمثلث الكروي الذي تقوم فوقه القبة. وبعد ذلك تأتي القاعة الثالثة والأخيرة التي يغطيها قبو نصف أسطواني (أشكال 53 – 56).

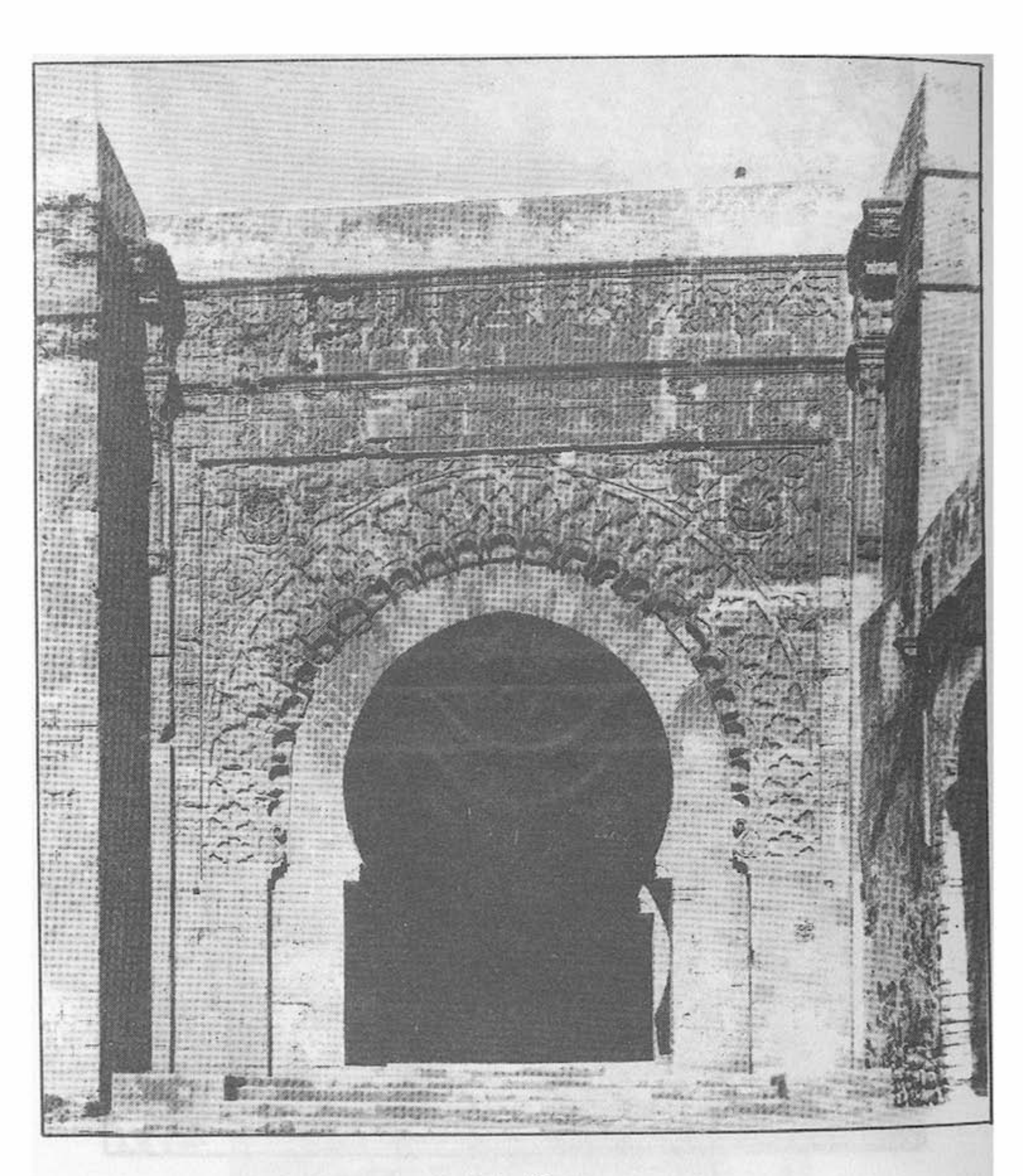
أما الكوع أو الانحراف المرفقي فيتمثل في وجود حائط مسدود أخير على نفس محور الباب الرئيسي بعد المرور وسط القاعات المذكورة في عمق المساحة الداخلية (شكل 57)، بالاضافة إلى أن الفتحات المؤدية إلى داخل القصبة توجد في القاعتين الوسطى والأخيرة بحيث يلزم الانحراف يمينا للولوج داخل القصبة، ومن جهة أخرى فإن المهاجم لا يتوقع وجود منفذين إلى الداخل ولا ينتبه لتلك الخدعة حتى يجد نفسه مقسما بين المنفذين ليواجه أمام كل منفذ قوة دفاعية كاملة. ولعل ذلك العمق الكبير بطول القاعات الثلاث المتتالية المغطاة (شكل 58) حيث يرى المدافع خصمه أكثر مما يراه الخصم المندفع من النور إلى الظلام، لعل ذلك كله لا يعرف نظيرا آخر في عمارة الأبواب الدفاعية في الاسلام[1].

---

(1) كانت جميع تلك التفاصيل موضوع برنامجنا المتلفز بالشاشة المغربية الصغيرة ثماني حلقات بعنوان (مشاعل الشباب).

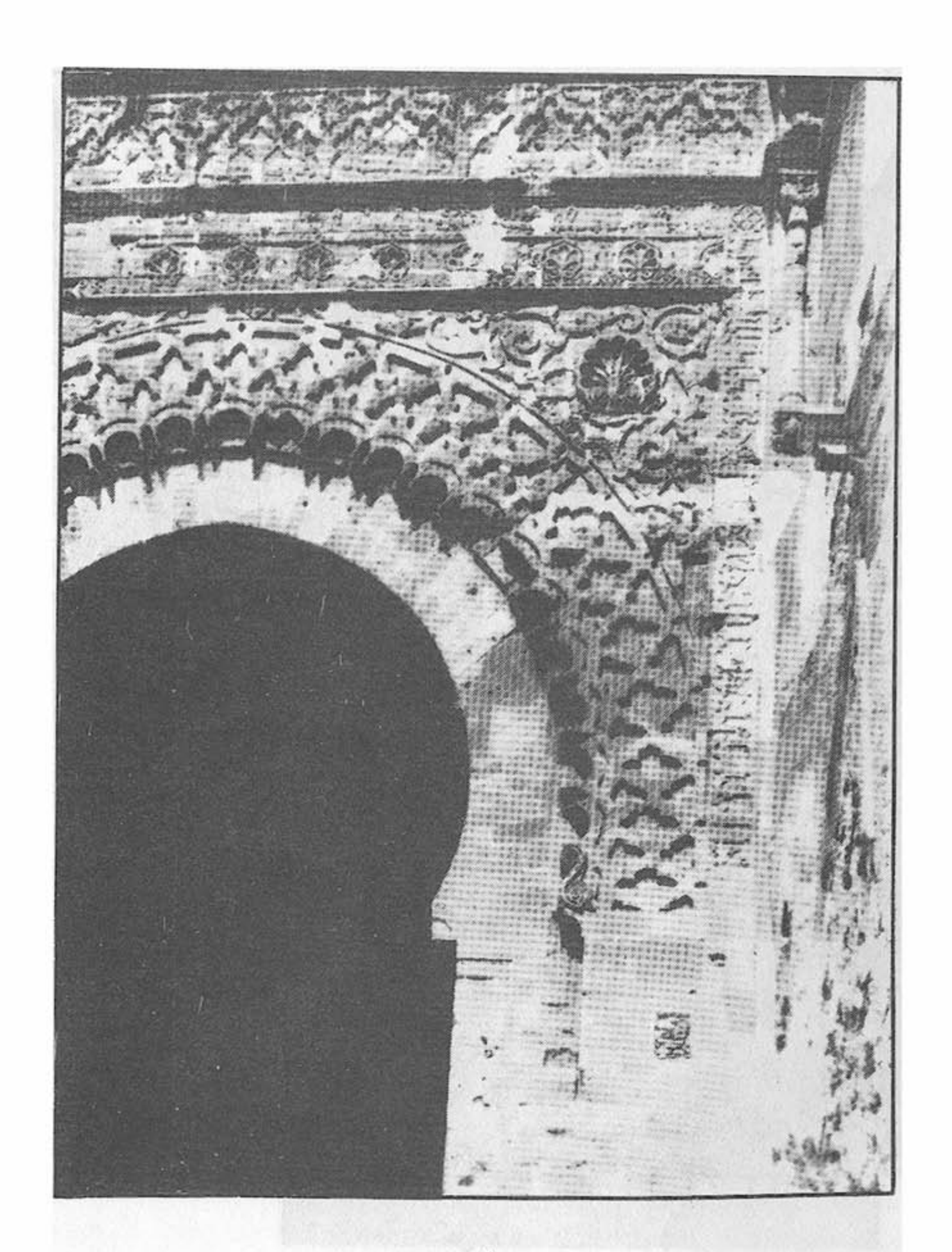
شكل 50

باب قصبة الوداياء الواجهة الرئيسية تجاه خارج القصبة

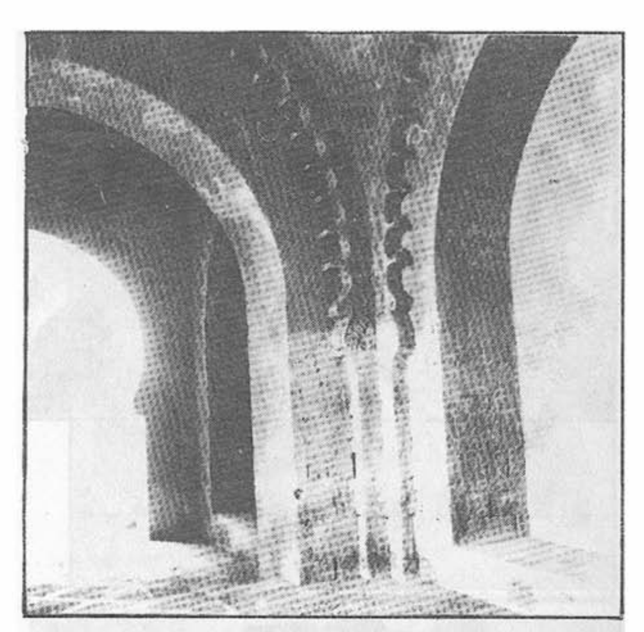


شكل 51

فتحة مدخل باب الودايا الموحدي

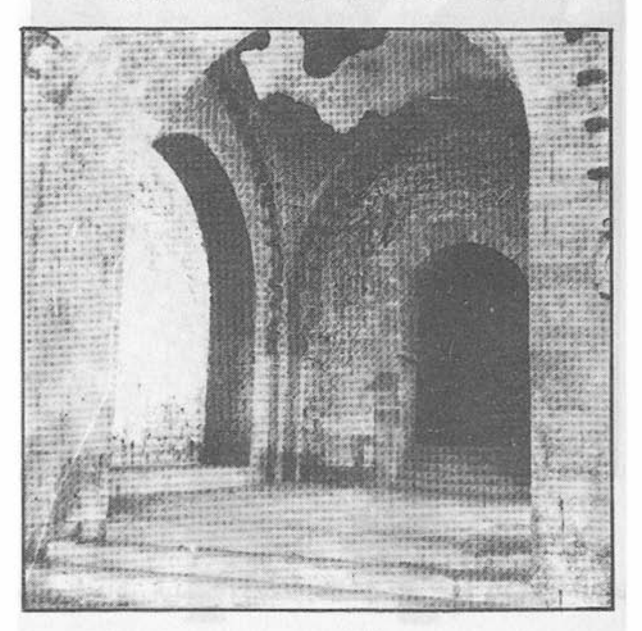


شكل 52
تفصيل من واجهة باب الودايا الموحدي



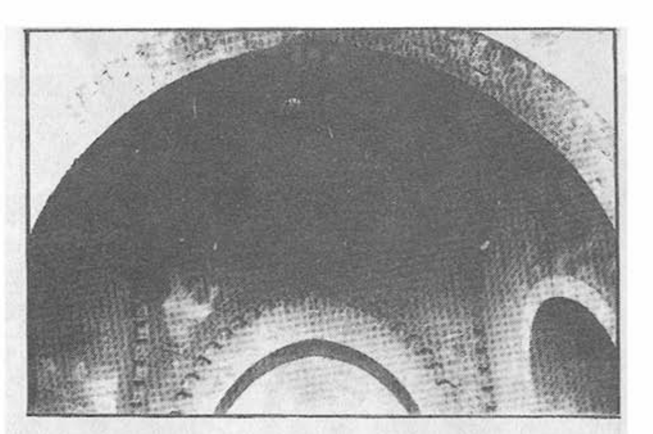
شكل 53

باب قصبة الودايا الموحدي، القاعة الأولى والثانية



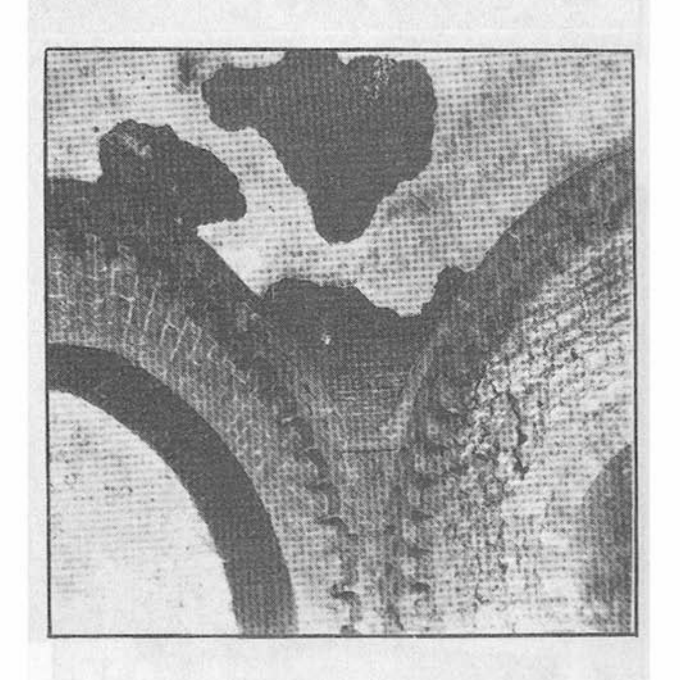
شكل 54

باب قصبة الودايا من عصر الامبراطورية الموحدية



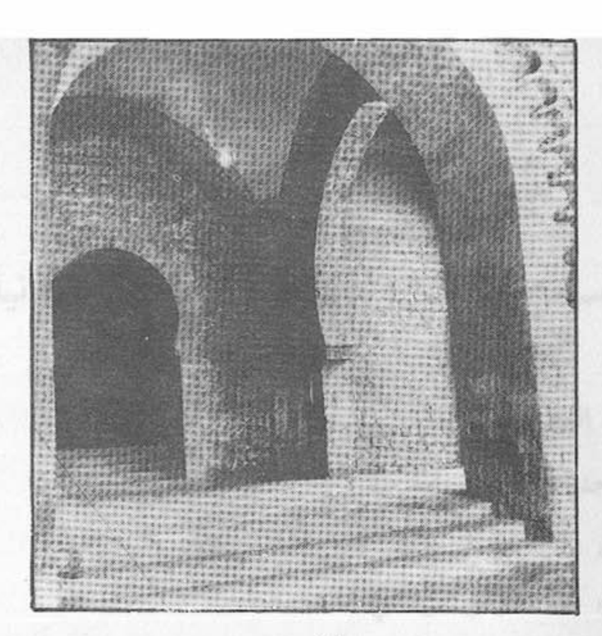
شكل 55

باب قصبة الودايا، تغطية الأسقف بالمثلثات الكروية



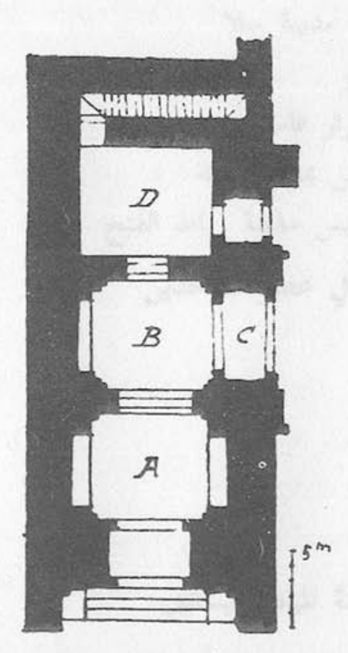
شكل 56

باب الودايا، هندسة وتصميم المثلثات الكروية بأسقف المدخل



شكل 57

باب قصبة الودايا، ضرورة الانحراف قبل الوصول إلى القاعة الأخيرة بقصد دخول القصبة



شكل 58

تخطيط باب قصبة الودايا الموحدي من ثلاث قاعات تشتمل على عدة وسائل دفاعية

الفصل الرابع

تأسيس المدن وعمارة الموحدين المدنية

أبحاث هذا الفصل :

(أولا) الموحدون والمدن المغربية

1 – بناء مدينة جبل طارق
2 – بناء عبد المؤمن بن علي مدينة البطحاء
3 – مدينة تازة
4 – مدينة المهدية
5 – الاهتمام بعمارة مدينة سلا
6 – مهدية نهر سبو
7 – هدم وبناء أسوار فاس
8 – عمارة الموحدين بمدينة سبتة
9 –الموحدون وتأسيس مدينة رباط الفتح

(ثانيا) العمارة المدنية في عصر الموحدين

1 – القصور
2 – المساكن
3 – المدارس
4 – الأسواق
5 – البيمارستان
6 – القناطر وهندسة المياه والبساتين

الفصل الرابع

تأسيس المدن وعمارة الموحدين المدنية

(أولا) الموحدون والمدن المغربية

نستعرض الآن بايجاز أهم مشروعات الموحدين المتعلقة بتأسيس المدن أو توسعتها وصيانتها وذلك على سبيل المثال في كل من جبل طارق والبطحاء وتازة والمهدية وعمارة سلا وفاس وسبتة، ثم ندرس في شيء من التفصيل تأسيس مدينة رباط الفتح قاعدة الموحدين وعاصمة ملكهم.

1 –بناء مدينة جبل طارق :

قال أبو العباس أحمد السلاوي أن عبد المؤمن بن علي كان قد أمر وهو بافريقية ببناء جبل الفتح وتحصينه وهو جبل طارق فبنى وشيد حصنه وكان ابتداء البناء به في تاسع ربيع الأول من سنة خمس وخمسين وخمسمائة وكمل بناؤه في ذي القعدة منها[1].

ولنستمع إلى ابن صاحب الصلاة مؤرخ دولة الموحدين المعاصر في كتابه (المن بالامامة) تحت عنوان (ذكر الأمر العزيز في الكتاب الكريم الواصل بما ألهم الله تعالى به الخواطر، ونور له الضمائر، بناء مدينة كبرى في جبل طارق ومؤرخ بالتاسع من ربيع الأول عام خمسة وخمسين وخمسمائة...)، وقد غطت رواية ابن صاحب الصلاة جميع نواحي البحث في موضوع بناء المدينة حيث يمكننا تبويب عرض المشروع على النحو التالي :

أولا : الأمر بالبناء والموقع :

(وصل الأمر العزيز ببناء مدينة كبرى... بالجبل الميمون القديم البركة على جزيرة الأندلس السامق الشاهق جبل طارق)[2].

ثانيا : أهداف تنفيذ المشروع

(المفتتح منه دانيها وقاصيها وطائعها وعاصيها، تكون هذه المدينة منزلا للأمر عند إجازة العساكر المنصورة ومحلا ريثما تتقدم الرايات المظفرة والأعلام المنشورة إلى بلاد الروم).

---

(1) الاستقصا 125/2.

(2) المن بالامامة تحقيق الدكتور عبد الهادي التازي ص 137/138.

ثالثا : هيئة الاشراف على المشروع والمهندسون والمنفذون :

(وكان في الكتاب الكريم أمر جزيل إلى السيد الأجل أبي سعيد عثمان بن الخليفة... بالمشي من غرناطة بنفسه وأصحابه وجملة عسكره إلى جبل طارق المذكور والاجتماع فيه مع الطلبة الذين باشبيلية للالتقاء والاجتماع فيه بالشيخ الأجل أبي حفص ان أمكنه وبأبي اسحاق براز بن محمد وبالحاج يعيش وبالقائد عبد الله بن خيار الجيافي والمشاورة معهم والتراوض حيث يكون البناء المذكور المامورية من الجبل، وأمره في الكتاب الكريم وكذلك للسيد الأجل أبي يعقوب باشبيلية أن يستنفروا جميع الفعلة من البنائين والجيارين والنجارين والعرفاء من جميع بلاد الأندلس التي تحت نظر الموحدين ــ أعانهم الله ــ ويتعجلوا بالوصول إلى الجبل لامتثال الأمر الكريم)[1].

رابعا : الاستعدادات لتنفيذ المشروع :

(فاحتفل النظر وانجفل البشر لذلك الاجناد والقواد والكتاب وأهل الحساب لتقييد الأشغال، والانفاق على الأعمال، وبالتعجيل في ذلك والكمال. وتقدم السيد الأجل أبو سعيد على ما أمر به من موضعه بغرناطة اليه، ومشى من اشبيلية العريف أحمد بن باسة بجميع البنائين ومن يشاكلهم، ومن يعاونهم من الرجال ويماثلهم، ونزلوا فيه وابتدأوا البناء في الموضع الذي وقع الجمع عليه والاتفاق من نواحيه بسيف البحر مما يلاصقه ويليه، وزادت آمال أهل الأندلس إلى ما تقدم إليهم من الأمل وتحققوا اليمن والسعد والفتح في بنيان هذا الجبل[2].

خامسا : تنفيذ بناء الموحدين لمدينة جبل طارق :

(وكان[3] من اشتغال السيد الأعلى أبي يعقوب باشبيلية في ازعاج الفعلة والرجال للبناء المذكور. وأحكم البناؤون فيه بناء من القصور المشيدة والديار واخترعوا في أسسها طيقانا وحنايا لتعتدل بها الأرض مبنية بالحجر المنجور والجيار، مما هو عجيب في الآثار...)[4].

(... وكان الحاج يعيش المهندس مدة اقامته للبناء على ما ذكرته فيه قد صنع في أعلاه رحى تطحن الأقوات بالريح عاينها الثقات مدة البناء المذكور فلما رجع إلى مراكش عند اكمال ما أمر به فسدت الرحى لعدم الاهتبال بها[5].

---

(1) نفس المصدر ص 139

(2) نفس المصدر ص 140/139 وقد عرض المحقق الدكتور التازي معلومات جد مفيدة في تحقيقه لتاريخ واختصاص الشخصيات الواردة بنص ابن صاحب الصلاة ساعده في ذلك تمكنه من اللغة ودرايته بتاريخ العدوتين وكعالم محقق مغربي صبور لا يمل الاستقصا ولا يفل عزيمته العناء

(3) نفس المصدر ص 140

(4) اختصرنا ــ لعدم الاطالة ــ النص المتعلق بتحليل موقع وتربة وخواص موضع جبل طارق فانظر ص 142/141

(5) نفس المصدر ص 142.

(واتصل بهذا العمل من بناء الدور والقصور بناء السور والباب المسمى باب الفتوح في الفرجة التي كانت يدخل منها إلى الجبل بين البحر المحدق به من كلا جانبيه، فجاء فردا في المعاقل التي لا يتمكن فيه مطمع، ولا يخطر علي خاطر ساكنيه جزع من بر ولا بحر، اذ هو معقل أشب ومنزل للسماء منتسب)[1].

سادسا :مدة الاشتغال ببناء جبل طارق :

(واشتغل السيد الأعلى أبو يعقوب مدة شهور في هذه الأوامر العلية، النافذة من الحضرة الامامية، ولازم فيها الاجتهاد، وقاوم في ذلك الجهاد، يتطلع مع الساعات مبلغ أحوال المباني، وكيف التعاون في جميع المعاني، والفعلة يجتهدون في أعمالهم وينصحون في الأشغال قدر طاقتهم من أحوالهم، فظهر البناء في أقرب مدة، وأبدى العامل عليه جهده، وأظهر نصحه بأعظم قدرة ما عنده).

سابعا : عبور الخليفة عبد المؤمن من سبتة ونزوله بمرفإ جبل طارق :

وفي هذا يذكر ابن صاحب الصلاة تفاصيل هامة ويصف العبور واستقبال الوفود وقصائد الشعراء ومنحهم...

وذلك في شهر ذي القعدة من عام خمسة وخمسين وخمسمائة... عند ايابه من غزوته المهدية وفتح جميع افريقية... قال المؤلف ولما أنارت بالعدوة والأندلس بالبشائر الواصلة بقرب الخليفة... أنفذ السيد الأجل الأعلى أبو يعقوب عزمه الأول بالاسراع... لبركة اللقاء والاجتماع... ووفد السيد الأجل أبو سعيد بجميع أشياخه من الموحدين وأبناء الجماعة أصحابه وحفاظه وأشياخ غرناطة وأنظارها ووصل الجبل المذكور... ونفر الناس... من أهل اشبيلية... وكذلك أهل قرطبة وجميع الأقطار والأنظار التي تحت طاعة الموحدين ووصل هذا الجمع... إلى الجبل بذلك المشهد[2] العظيم.

(وعلم الخليفة... بوصولهم... فأمر وزيره ابنه السيد الأعلى أبا حفص أن يجمع الوفود... للسلام ولتجديد البيعة[3]. وقام الشيخ أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن صاحب الصلاة الباجي منشدا :[4].

---

(1) نفس المصدر ص 143

(2) نفس المصدر ص 149/147.

(3) نفس المصدر ص 149.

(4) ذكرنا المطلع وبعض الأبيات والأصل كامل بالمن بالامامة لمن أراد ص 168/164.

تـلألا مـن نـور الخلافـة بــارق | أضاءت به الآفاق والليل غاسق
إلى جبل قد كان للفتح منـزلا | ولاذ به بالفتح موسى وطارق
سما بـأمير المؤمـنين إلى العــلا | مخافة أن تسمو إليه العوائق
إلا أمَّ أرضا للنـزول تنـوعت | منابتها مسكا لمن هو نـاشق

ثامناً : تمام البناء والاحتفال والانعام على البنائين والصناع :

يقول ابن صاحب الصلاة : حدثني الأستاذ أبو القاسم بن أبي هارون قال : كنت واحدا من جميع الوفد الذي بادروا بقصدهم ووفدهم من أهل اشبيلية ومن كان تحت طاعة التوحيد من أهل الأندلس إلى أمير المؤمنين رضي الله عنه بجبل طارق وأقمنا معه نحو عشرين يوما... ونال جميع الناس معه الانعام... إلى أن عيد الخليفة عيد الأضحى بالجبل السعيد... وأذن للناس بالانصراف إلى أوطانهم... وكذلك أنال الفعلة والبنائين والصناع بركات وخيرات حين استحسن ما صنعوه... بالوصف الذي سمعوه، واستقر في أفهامهم... فحسن لهم جهة الأمر العالي ما وفقوا به من البناء وحسن التدبير[1].

2 - بناء عبد المؤمن بن علي مدينة البطحاء :

نقل الشيخ أبو العباس أحمد السلاوي عن صاحب روض القرطاس روايته عن بناء عبد المؤمن تلك المدينة أثناء عودته من بلاد افريقية.

فإن الموحدين لما طالت غيبتهم بالمشرق والتغرب عن أوطانهم عزمت طائفة منهم على قتله في خبائه وأطلع أحد أشياخ الموحدين على الخبر ونقله إلى عبد المؤمن وطلب إليه أن يدعه يبيت في فراشه فإن هم فعلوا ما اتفقوا عليه يكون قد فداه بنفسه.

(فلما أصبح عبد المؤمن وصلى الصبح افتقده فوجده قتيلا على فراشه وعمله بين يديه على ناقة لا يقودها أحد... حتى بركت وحدها فأمر عبد المؤمن بالشيخ فأنزل عنها... وحفر قبره فيه ودفن وبنيت عليه قبة،وبنى بازاء القبة جامعا.

ثم أمر ببناء المدينة حول المسجد وترك بها عشرة أهل بيت من كل قبيلة من قبائل المغرب وقبر الشيخ هناك مزارة عند أهل تلك البلاد إلى اليوم)[2].

تازة والمهدية :

3 - مدينة تازة :

قام أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي بتأسيس مدينة تازة سنة 529 هجرية في الممر

---

(1) نفس المصدر ص 171/170.
(2) الاستقصا 125/2.

الذي اشتهر باسمها الذي يصل بين مدينة فاس وبين الجانب الشرقي لأراضي المغرب الأقصى، وقد شيد بها الموحدون والمرينيون من بعدهم آثارا كثيرة لا زال قسم كبير منها قائما إلى اليوم وانتعشت الفلاحة بنواحي تازة وخاصة منها زراعة الزيتون[1] التي كانت تغل في عهدهم خيرا كثيرا.

4 - مدينة المهدية : (موضع القصبة من رباط الفتح الحالي) :

في مستهل دولة الموحدين قلت أهمية رباط شالة بعد القضاء على برغواطة في حين استعاد رباط سلا (موضع القصبة بالضفة اليسرى) مكانته لحشد الجنود للجهاد في الأندلس. وفوق هذا الرباط نفسه بنى عبد المؤمن بن علي مدينة المهدية[2].

وهكذا تحول المعسكر منذ عام 545 هجرية إلى مدينة ودخل إليها الماء من عين غرولة[3] ويبدو أن القصر الذي ينسب بداخلها إلى المنصور الموحدي والذي هدمه السلطان مولاي عبد الله في القرن الثاني عشر للهجرة كان من بناء عبد المؤمن (أشكال 59 – 64).

وكان لابد لمدينة المهدية أن تتطور وتتسع نظرا لأهمية الموقع العسكري استراتيجيا فامتدت على طول شاطىء أبي الرقراق[4] إلى موضع مدينة رباط الفتح الحالية. وسبق أن فسرتُ سبب امتدادها بحذاء النهر[5] كقاعدة لتجميع وتجهيز الجيوش المتجهة شمالا حيث يكسبها هذا الوضع مجالا أوسع لعمليات نقل الجنود والجيوش بمعداتها إلى ما وراء نهر أبي الرقراق لتندفع من هناك في اتجاه الأندلس شمالا.

5 - الاهتمام بعمارة مدينة سلا :

وما دمنا الآن في المنطقة، وهي منطقة مصب أبي الرقراق في البحر المحيط، ونظرا لأهمية الموقع الذي جذب الانتباه إليه بتأسيس قصبة المهدية (نواة مدينة الرباط الحالية)، فسوف لا ننسى الاشارة إلى عمارة الموحدين بمدينة سلا وأحوازها، إلى الشرق من مصب النهر أو إلى اليمين منه، كأحد مراكز الثقل في مظاهر العمران والتجمع البشري الحي القائم على جانبي مصب النهر في المحيط الأطلسي[6] إلى اليوم (أشكال 60 – 64).

---

(1) المغرب عبر التاريخ 359/1

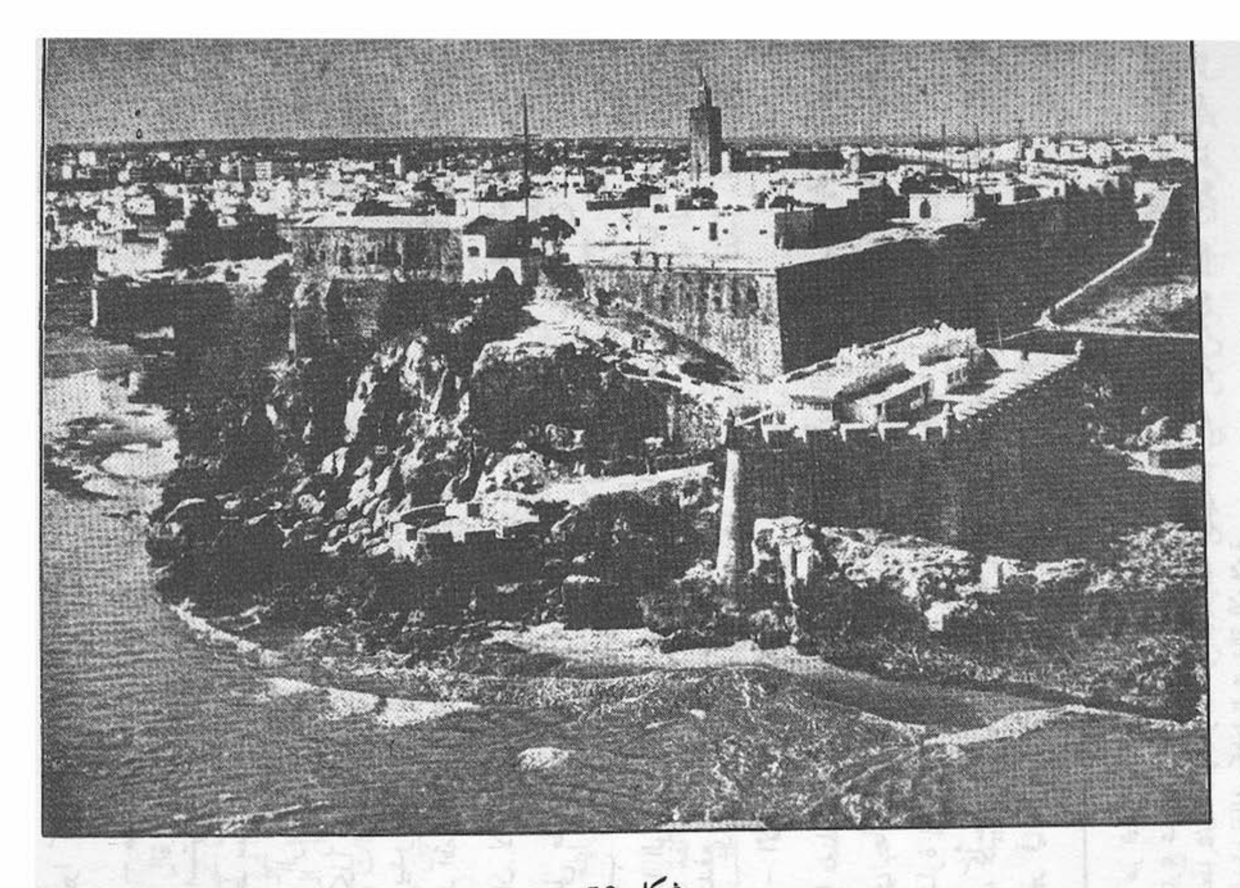
(2) كتابنا تاريخ شالة ص 253 والمراجع التي أشرتُ إليه وخاصة كتاب البعثة العلمية الفرنسية 9/1 وروض القرطاس والاستقصا 126/2 ومخطوط الدرة اليتيمة للدكالي وشالة روضة مرينية لهنري باسيه وليفي بروفنسال.

(3) راجع تحقيقنا لذلك بكتابنا تاريخ شالة الاسلامية.

(4) راجع احتمالات توسع المدينة بكتابنا تاريخ شالة ص 253.

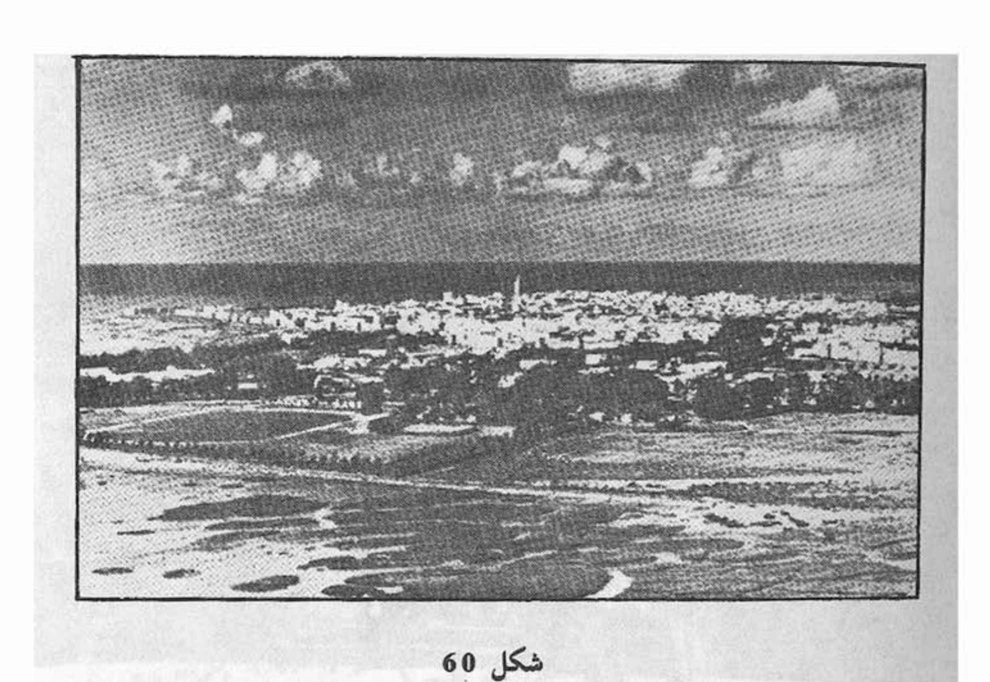
(5) راجع تفسيرنا بتاريخ شالة ص 254/253.

(6) تفصيل ذلك بكتابنا تاريخ شالة الاسلامية ص 49/44 + لوحات 1 – 3.



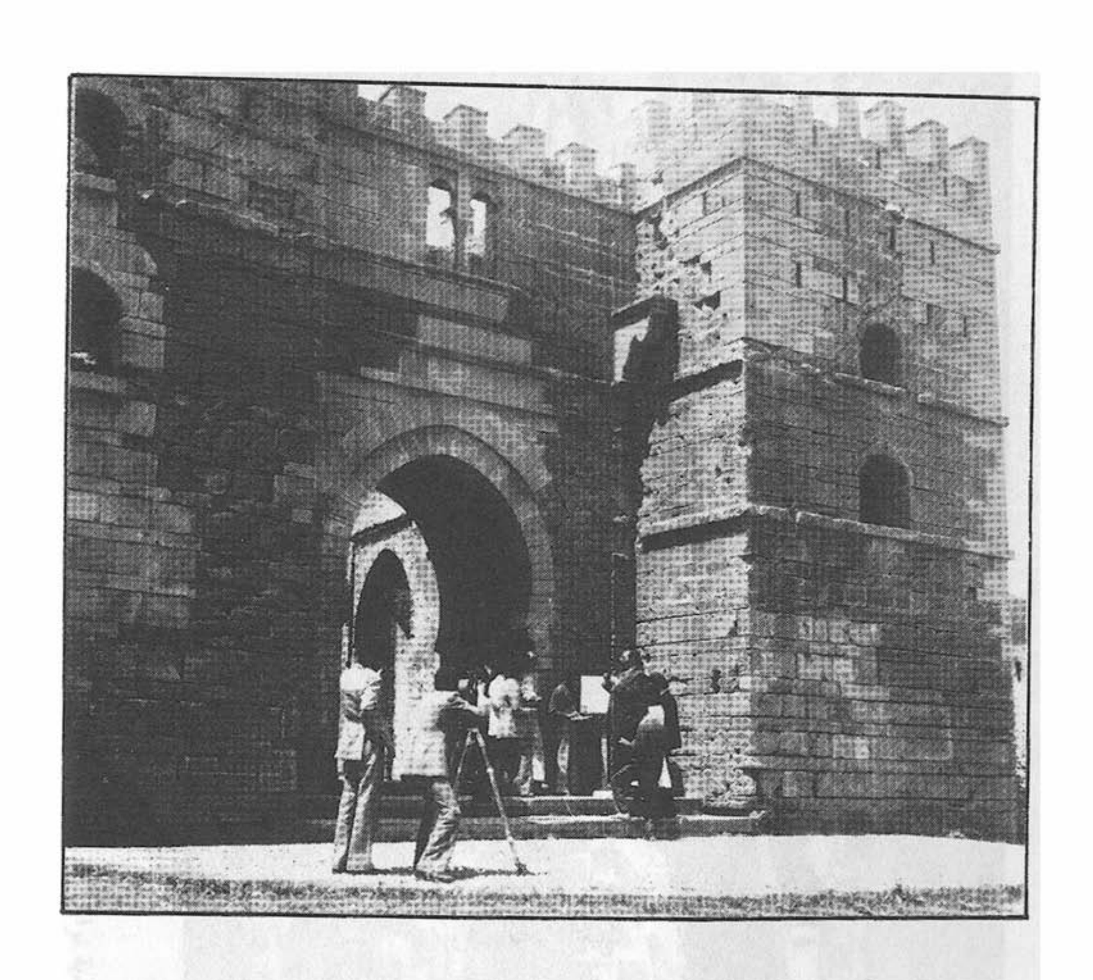
شكل 59

مدينة المهدية نواة رباط الفتح الحالي كما تبدو اليوم بموضع القصبة التي عرفت فيما بعد بقصبة الودايا



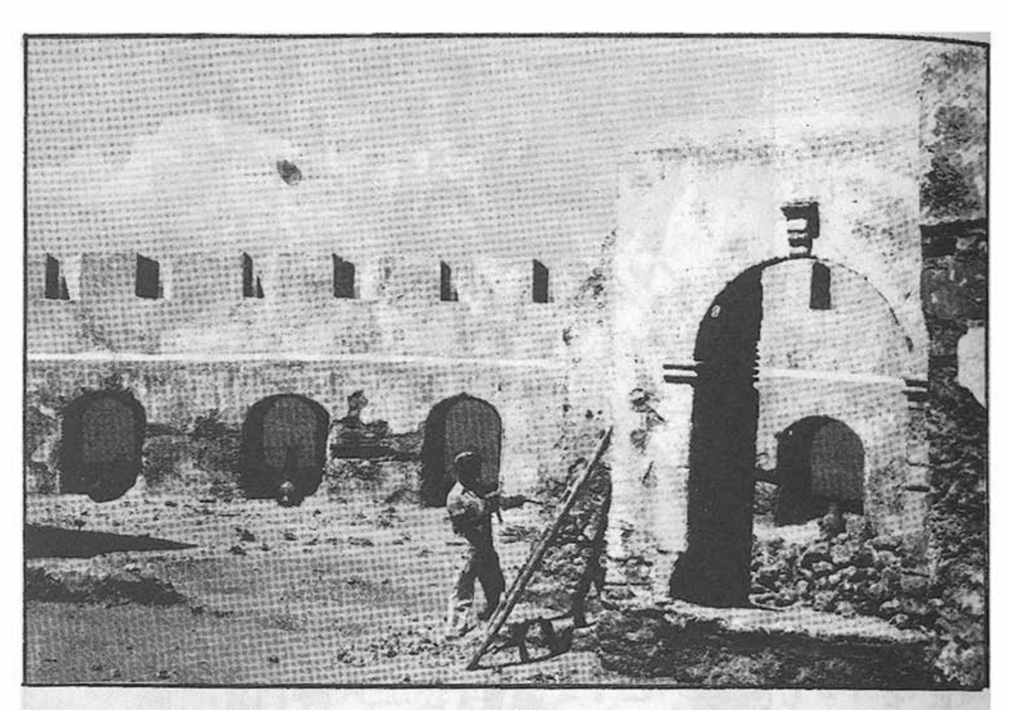
شكل 60

منظر عام لموقع وعمارة مدينة سلا إحدى مراكز العمران على جانبي مصب نهر أبي الرقراق في البحر المحيط



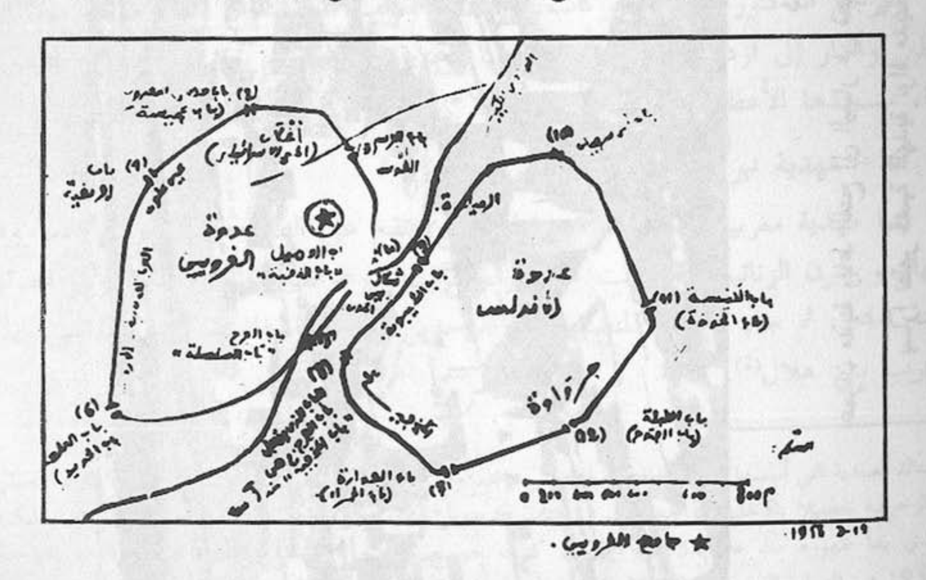
شكل 61

عمارة ومواد بناء باب قصبة المهدية (مهدية سبو) بعد الاصلاح والتجديد الأخيرين



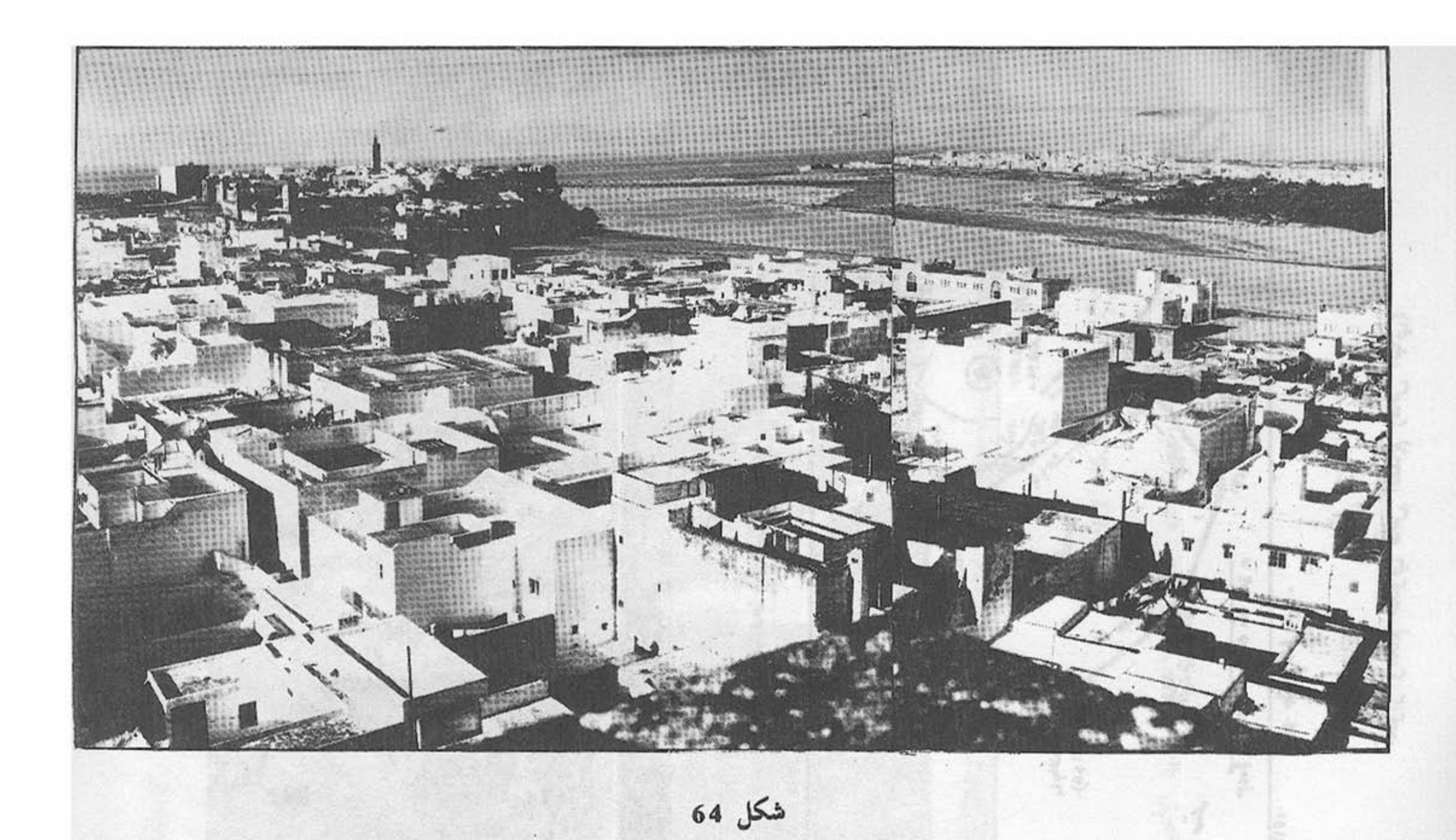
شكل 62

وسائل الدفاع المعمارية بأعلى أبراج مهدية سبو



شكل 63

أسوار ومعالم عدوتي فاس القديم (فاس البالي)



شكل 64

عمران مدينة رباط الفتح إلى اليسار من مصب نهر أبي الرقراق في المحيط الأطلسي، وبالمقدمة يسارا تظهر قصبة المهدية نواة مدينة رباط الفتح، وإلى يمين المصب مدينة سلا

ففي طريق عبد المؤمن من فاس إلى مراكش مر على مدينة سلا وافتتحها وثلم سورها كفاس ونزل منها بدار ابن عشرة وكانت قصرا بديعا من أشهر قصور مدينة سلا وقد بناه الفقيه أبو العباس بن القاسم من بني عشرة لم يبق منه اليوم أثر يذكر.

قال السلاوي (وعندما قدم عبد المؤمن من مراكش إلى سلا سنة 545 نظر في أمرها وأجرى إليها ماء عين غبولة حتى وصل إلى رباطها و لم تكن رباط الفتح يومئذ قد بنيت... ثم أذن عبد المؤمن لأهل الأندلس في الوفادة عليه بسلا... فأمر بإنزالهم... ودخلوا عليه... فاتح سنة 546... وقال ابن خلدون : استدعى عبد المؤمن أهل الأندلس وهو بسلا فوفدوا عليه وبايعوه جميعا... وانصرف أهل الأندلس إلى بلادهم ورجع عبد المؤمن إلى مراكش...)

وهكذا نرى، كما أوضحتُ بدراستي للمنطقة في كتابي تاريخ شالة الاسلامية أن سلا سوف تصبح العاصمة الثانية أو العاصمة الصيفية لدولة الموحدين بعد كرسي الملك بمراكش، كما تصبح العاصمة الثانية أو العاصمة الصيفية لبني مرين بعد كرسي الملك وقاعدة السلطان في فاس. ولا شك أن الاهتمام الواسع بالمنطقة سياسيا وعسكريا منذ بدأ عبد المؤمن يستقبل وفود الأندلس بمدينة سلا، كما تستقبل المنطقة جميع الجيوش الجهادية يتأتى دون نشاط حركة التعمير والانشاء بما في ذلك من عمارة حربية وأخرى مدنية تقوم بالضرورة حول التجمع البشري الذي سوف يكون متواصلا دون انقطاع.

ويرجع الدكتور ابراهيم حركات في كتابه المغرب عبر التاريخ نشأة مدينة سلا أيام المرابطين وأشار إلى ازدياد اهتمام الموحدين بها وعناية أبي يوسف يعقوب المنصور بتعميرها وإنشاء مسجدها الأعظم بحي الطالعة الذي لا زال يعتبر أقدم أحبائها عمرانا.

6 – مهدية نهر سبو :

إنها مهدية مغربية[1] (غير نواة رباط الفتح) تقع على الضفة اليسرى لنهر سبو وقد أحدثها بنو يفرن الزناتيون ثم عانت من جراء تخريب البرغواطيين قبل تجديد جوهر الصقلي لها سنة 344، ثم جاء يعقوب المنصور بَنَّاء الموحدين فأعاد بناء المدينة وأنزل بها بني رياح من عرب بني هلال[2].

---

(1) فهناك العبيدية التي أسسها الفواطم بافريقية في صدر دولتهم وقبل انتقالهم إلى مصر، وللوقوف على دراسة آثارها المعمارية والزخرفية تفصيلا بالانجليزية راجع ذلك في كتاب كريزويل الذي يمكن ترجمة عنوانه (بالعمارة الاسلامية المبكرة) الذي بدأ ظهوره منذ عام 1934، وكذلك كتاب جورج مارسيه بالفرنسية (العمارة الاسلامية الغربية) طبعة 1954 م : العمارة الدينية ص 78/69 العمارة المدنية ص 89/78، العمارة الحربية ص 92/89، والزخرف المعمارية ص 94 وما بعدها.

(2) المغرب عبر التاريخ

ويقول ابو العباس آحمد السلاوي ضمن ما نقله عن ابن أبي زرع أن الأذفونش بعد هزيمته من قبل يوسف بن تاشفين عمد إلى حصن لبيط الموالي لعمل ابن عباد فشحنه بالخيل والرجال والرماة للاغارة على أطراف بلاد ابن عباد الذي كان سبب جواز جيوش المغرب إلى الأندلس. وعندما (ساء ابن عباد ذلك وضاق به ذرعا عبر البحر إلى العدوة مستنفرا لأمير المسلمين فلقيه بالمعمورة من حلق وادي سبو، وهذه المعمورة هي المسماة اليوم بالمهدية من أحواز سلا، فشكا اليه حصن لبيط وما يلقاه المسلمون من أهله فوعده الجواز اليه)[1]. ومن هذا النص يتبين لنا أهمية موقع المهدية عسكريا منذ أيام المرابطين وقوة تحصينها حربيا كإحدى قواعد الدفاع الخلفية التي تنفتح من ورائها جبهة الجهاد في الأندلس (أشكال 61 – 62).

وتتضح القيمة العسكرية مرة أخرى أيام الموحدين حيث كان بالمرفإ دار لصناعة السفن لتموين الأساطيل الموحدية بالوحدات المجاهدة. فعندما تمهد لعبد المؤمن ملك المغربين وافريقية والأندلس وتاقت نفسه للجهاد عزم على غزو الافرنج برا وبحرا فأمر سنة سبع وخمسين وخمسمائة بإنشاء الأساطيل في جميع سواحل المملكة (فأنشيء له منها أربعمائة قطعة منها بحلق المعمورة وهي التي تسمى اليوم المهدية مائة وعشرون قطعة ومنها بطنجة وسبتة ومراسي الريف مائة قطعة...)[2].

---

(1) الاستقصا 46/2 – 47.

(2) الاستقصا 128/2.

7 – فاس (هدم وبناء أسوار فاس) : (شكل 63)

ذكر أبو الحسن علي الجزنائي بكتابه (جني زهرة الآس) في بناء مدينة فاس الذي وصل بحوادثه إلى عام 766 هجرية أنه لما كانت (أيام لمتونة هدمت الأسوار التي بنيت أيام الأدارسة الفاصلة بين العدوتين وبين أرباضهما... وما زال كبير لمتونة وأميرها يوسف بن تاشفين يؤكد في زيادة المساجد بفاس وسقاياتها... وفي أيامه صارت العدوتان قطرا واحدا..[1].

(وفي سنة اثنين وأربعين وخمسمائة أمر الأمير عبد المؤمن بن علي بهدم أكثر أسوار فاس وقال : إننا لا نحتاج إلى سور، إنما أسوارنا أسيافنا وعدلنا، وبقيت الأسوار كذلك إلى أن بدأ ببناء ما هدم، يعقوب المنصور، وكمله ولده أبو عبد الله محمد الناصر وبنى قصبة الوادي التي بها الآن[2] وكذلك بنى باب الشريعة على حالتها الآن...)

عمران مدينة فاس أيام الموحدين :

يصف الجزنائي عمران مدينة فاس وتطوره وازدهاره أيام الموحدين في قوله : (وانتهت مدينة فاس في أيام المرابطين والموحدين بعدهم من الغبطة والعمارة والرفاهية... ما لم تبلغه مدينة من مدن المغرب[3] وبدأ أبو الحسن علي الجزنائي بهذه المقدمة تفاصيل احصاءات عدد منشآت مدينة فاس أيام الموحدين من مساجدهم ودور للوضوء وسقايات وحمامات ودور للسكن وفنادق ومصانع وغيرها وختم احصاءه بقوله (نقل ذلك عن المشرف على بن عمر الأوسي قال نقلته من خط الغريغر مشرف المدينة في أيام الناصر بن المنصور سنة خمس وثمانين وخمسمائة)[4].

وهذا مؤرخ آخر سابق عليه، معاصر لدولة المرينيين كذلك، ونعني به ابن أبي ورع صاحب كتاب روض القرطاس الذي وصل بحوادثه إلى سنة 726 هجرية يمدنا بتفاصيل تلك الاحصاءات ذاتها[5] ولكن مع خلاف بعض الأرقام أحيانا على الرغم من قوله في ختام

(1) زهرة الآس تحقيق مؤرخ المملكة المغربية ونشر المطبعة الملكية الرباط سنة 1967 م ص 42.

(2) فسرها مؤرخ المملكة ص 43 تعليق 106 بقوله : قصبة كانت موجودة بباب بوجلود الحالي لا زال أحد أبراجها باقيا للآن ملاصقا لجامع بوجلود، وبهذه القصبة كان يسكن ملوك بني مرين قبل بناء المدينة البيضاء بفاس الجديد.

(3) زهرة الآس ص 44/43.

(4) نفس المصدر والصفحة.

(5) الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق الفيلالي 64/1 وما بعدها.

احصائه (قال المؤلف رحمه الله نقلت ذلك كله من تقييد بخط الشيخ الفقيه المشرف أبي الحسن علي بن عمر الأوسي نقل من زمام بخط المشرف القويقي مشرف المدينة في أيام الناصر الموحدي[1].

ولنستمع إلى ابن أبي زرع وهو يقول : (وانتهى عدد مساجدها في أيام المنصور وولده الناصر 785[2] مسجدا واحصاء ما بها من السقايات وديار الوضوء 122 موضعا منها 42 موضعا في ديار الوضوء وباقيها سقايات... وأحصيت الحمامات... فكانت 73[3] حماما وأحصيت الارحاء التي دار عليها سور المدينة فوجدت 472 حجرا دون ما بخارجها من الأرحاء.

وأحصيت الديار بها في أيام الناصر فكانت 89236 دارا و19041 مصرية[4]، ومن الفنادق المعدة للتجارة والمسافرين والغرباء 467 فندقا[5].

وأحصيت الحوانيت بها في المدة المذكورة فكانت 9082[6] حانوتا وقيساريتان احداهما بعدوة القروين والثانية بعدوة الأندلس على وادي مصمودة.

ومن الترابيع والأطرزة المعدة لصناعة الحياكة 3064[7] موضعا... ومن الديار المعدة لعمل الصابون 47 دارا ومن الديار اللدباغ 86 دارا وديار الصباغ 116 دارا... وكان بها 12 دارا لسك النحاس)...[8].

ويستمر كل من ابن أبي زرع والجزنائي في سرد أنواع المنشآت وإحصائها ويذكران أن عدد الأفران ومعامل الزجاج ثم معامل خارج مدينة فاس وما كان بضفتي الوادي الكبير الذي يشقها من ديار الصباغين وحوانيت الخياطين والسفاجين[9] والكوش والأفران المعدة لطبخ الغزل وغيرهم ممن يحتاج إلى الماء وأطرزة الحياكة.

---

(1) روض القرطاس 67/1 لاحظ اختلاف الاسم ففي زهرة الآس (الغريغر)
(2) نفس المصدر 65/64.
(3) روض القرطاس 65/1 وعند الجزنائي 93 أخطأ أحد الناسخين.
(4) بزهرة الآس : والمصاري 17041 فهل أخطأ أحد الناسخين لسهولة لخلط بين تسعين وسبعين كما تعرف في نسخ المخطوطات.
(5) بزهرة الآس 469 وهي نفس نوع الفرق بين النصين وهو الخلاف بين رقمي تسعة وسبعة، أنظر ص 44.
(6) بزهرة الآس 9280 هكذا تسعة آلاف ومئتين وثمانين بينما بروض القرطاس تسعة آلاف حانوت واثنتين وثمانين حانوتا.
(7) روض القرطاس 65/1 ولكن زهرة الآس ص 44 نجدها ثلاثة آلاف وأربعة وتسعين.
(8) روض القرطاس 66.
(9) «السفاجون» جمع مفرده «سفاج» وهو بالمغرب صانع نوع من الحلوى المعدة للافطار كما تروج في العصر ولا يخلو حي أو شارع منه، ويعرف هذا الاسفنج بالمشرق وخاصة في مصر باسم (لقمة القاضي) لكنها أصغر حجما بكثير مما جرت عليه العادة بالمغرب، ولقمة (القاضي المصرية) هذه خلاف (رزة القاضي) الشائعة بالمغرب بالأعياد والمناسبات وهي قريبة الصنع مما يعرف بمصر باسم (الكنافة) لكن المغربية أغلط، و(رزة) في المغرب تعني (العمامة) وذلك لكون هذا النوع من الحلوى يتكون من لفائف على هيئة العمامة.

ويذكر ابن أبي زرع أنه فيما عدا الوادي الكبير (فبقية أنهار فاس صغيرة وقد بنى عليها ديار ومصاري[1] وحوانيت... ولم يكن داخل مدينة فاس رياض[2] ولا غرس حاشا زيتون ابن عطية خاصة وكان بها 400 حجر لعمل الكاغد، وخرب ذلك كله في أيام المجاعة والفتنة التي كانت في أيام العادل وأخيه المأمون وذلك من سنة 18 إلى سنة 637 وكان مدة تولى الخراب عليها عشرين سنة إلى أن ظهرت الدولة المرينية فانجبرت البلاد...)[3].

عمارة الناصر الموحدي بجامع الأندلسيين :

ذكر الجزنائي موجز تاريخ جامع الأندلسيين بفاس إلى أن نقلت اليه الخطبة من جامع الأشياخ على يد الأمير حامد بن أحمد الهمداني عامل عبيد الله الشيعي حين تغلب على فاس سنة 321 هجرية ثم قال (فلم يزل الأمر على ذلك إلى أن زيدت فيه الزيادة المشار إليها على يد أحد عمال الناصر[4] لدين الله).

ثم يضيف الجزنائي قائلا : (إلى أن أنهى إلى الناصر الموحدي سنة ستمائة أنه يحتاج إلى الاصلاح والبناء فأمر ببناء الباب الكبير الجوفي الذي به المدرج وسعته عشرون شبرا وارتفاعه سبعة وعشرون شبرا وأدراجه أربع عشرة درجة وبأسفل أدراجه شباك... وبأعلاه قبتان... وأمر ببناء سقاية ومدخل لبيت صلاة النساء... ودار وضوء تحاكي التي بجامع القرويين في سنة أربع وستمائة[5]...).

---

(1) جمع (مصرية) وهي بالمغرب تعني غرفة مرتفعة مستقلة بمدخل خاص عن مجموع البناء لشباب الأسرة أو ضيوفهم لتكون حرة، كما تكون بالمسجد للمؤذن.

(2) تعني بالمغرب حديقة أو بستان وليست بالمغرب جمعا لـ «روضة» فروضة بالمغرب تعني المقبرة أو الجبانة في اللهجة المشرقية.

(3) روض القرطاس 67/1.

(4) يقصد الناصر المرواني خليفة قرطبة وزيادته في الجامع وبناء صومعته عندما تغلب على المغرب 345 هجرية.

(5) زهرة الآس 93/92 وسوف نعود لذلك عند دراسة العمارة الدينية.

8 - عمارة الموحدين بمدينة سبتة :

تميزت مدينة سبتة بموقع استراتيجي جعل منها ثغرا منيعا وحصنا حصينا ودارا لصناعة السفن كأكبر منتج لها بشمال المغرب.

فعندما يصف عبد الواحد المراكشي مجاز الأندلس يقول : (ان البحرين بحر الروم وبحر أقيانس يلتقيان بساحل سبتة ثم يضيق الخليج ويتقارب العدوتان حتى ينتهي ذلك إلى قصر مصمودة من العدوة وجزيرة طريف من الأندلس، ثم يأخذ في السعة، وأول هذا الخليج مما يلي طنجة الجبل الخارج في البحر الأعظم... وآخره الجبل الذي شرق سبتة، فإذا عبرت إلى جزيرة الأندلس من سبتة كان الذي تنزل به المدينة المعروفة بالجزيرة الخضراء...[1].

كان الموقع الجغرافي في الأصل سبب الوضع الاستراتيجي (عسكريا وحربيا) الذي احتلته سبتة من قديم الزمان وقد مر بنا في دراسة عصر المرابطين امتناعها على يوسف ابن تاشفين الذي غزا طنجة سنة 470 هجرية وامتنعت عليه سبتة إلى أن طلب إلى المعتمد محاصرتها بأساطيله لتكون منطلقا للمرابطين نحو الأندلس.

وبالفعل انطلق يوسف بن تاشفين بقواته عبر مدينة سبتة[2] سنة 478 هجرية ميمما شطر الأندلس حيث كتب له الله انتصار الزلاقة الشهير. لقد كانت سبتة محور الارتكاز الرئيسي بالمغرب العربي لأكبر قوة عسكرية بحرية في الغرب الاسلامي وكان لها مكانة عواصم المغرب الكبرى وبها دار صناعة السفن (الترسانة ARSENAL) التي تزود الجيوش المسلمة المجاهدة في سبيل الله بقطع الأسطول اللازمة للجهاد بالاضافة إلى أساطيل التجارة ولهذا أمر ابن تاشفين ببناء مينائها السفلي ونشطت بها حركة التعمير أيام المرابطين من دور لضرب العملة إلى مساجد ومدارس ومرافق عامة وقصور لنزول الأمراء.

ومن سبتة أيضا كان عبور عبد المؤمن بن علي إلى الأندلس حيث جمع قواته (وسار حتى نزل مدينة سبتة فعبر البحر ونزل الجبل المعروف بجبل طارق وسماه هو جبل الفتح...)[3].

---

(1) المعجب ص 367

(2) عن تفاصيل ذلك العبور راجع المعجب ص 131.

(3) المعجب ص 213/212.

ويقول المراكشي في كتابه المعجب : (ولما استوثق لأبي يعقوب الأمر لم يزل مقيما بمراكش إلى أن كانت سنة 567 فبدا له أن يعبر إلى جزيرة الأندلس... وسار حتى نزل مدينة سبتة فبنى له بها منزلا هو باق هناك إلى اليوم فأقام بها إلى أن تكاملت جموعه...)[1]

وفضلا عن الموقع الاستراتيجي الذي جعل سبتة مجازا ومنفذا بالغ الأهمية لأسطول الجهاد نحو الأندلس فقد توفرت على موارد هامة ومصادر اقتصادية كبيرة نلمسها من وصف عبد الواحد المراكشي لاتساع الدولة الموحدية وزيادة خراجها حيث يقول : (وفي أيام يوسف ابن عبد المؤمن.. كان يرتفع إليه خراج افريقية... ومدينة سلا وأعمالها، وأعمال سبتة هذه في غاية السعة والضخامة لأن بلاد غمارة كلها ترجع إليها...)[2].

وقد شرح العلامة المغربي المحقق الرصين لأستاذ محمد بن تاويت في بحثه عن سبتة الأسيرة الظروف البيئية والتاريخية التي جعلت من سبتة المعبر الوحيد للدولة ورجالها منذ عهد المرابطين، كما شرح صلابة موقف رجالها، الأمر الذي أدى بعبد المؤمن بن علي إلى تهديم أسوارها كما فعل بفاس وسلا على الرغم من قدوم رجال سبتة لمبايعته والدخول في طاعته، وتؤكد الرسائل المتتابعة الصادرة من عبد المؤمن بقلم الكاتب أبي جعفر بن عطية والموجهة إلى الطلبة الذين بسبتة ما كان لسبتة من مكانة خاصة كمعقل وحصن وثغر ومجاز للأندلس[3].

وهكذا نرى عبد المؤمن بن علي يأمر سنة 557 هجرية بانشاء الأساطيل الجهادية بثغر سبتة، وسوف تهزم تلك الأساطيل التي انضم إليها أسطول اشبيلية سنة 576 هـ في موقعة بحرية بثغر قادس الأسطول البرتغالي الذي كان ينوي التوجه إلى ضرب الأسطول الموحدي الراسي بميناء سبتة، وذلك كله يفسر لنا أسباب تطور العمارة الحربية بالثغر المجاهد أيام الموحدين حيث خرج الأسطول الموحدي من ثغر سبتة سنة 599 هجرية بقيادة أبي العلاء ادريس وفتح جزيرة ميورقة عنوة ثم اتجه لانقاذ افريقية من تسلط ابن اسحاق الميورقي :

وفي سنة 580 هجرية كان الخليفة الموحدي يحل بسبتة مع جيشه قاصدا العبور إلى الأندلس لوضع حد لاعتداءات البرتغاليين، وفي اقامته هذه أمر بجلب الماء اليها من قرية بليونش في قناة تحت الأرض[4].

وعرفت سبتة في عهد الموحدين نشاطا كبيرا لانشاء المساجد وتعميرها للعبادة وتعليم العلم، فلما ضاقت المساجد بالدارسين انشئت المدارس للقيام بمهمة التعليم وإسكان الطلبة

(1) المعجب ص 248.
(2) المعجب ص 255.
(3) محمد بن تاويت : سبتة الأسيرة، مجلة البحث العلمي الرباط يونيو 1976 ص 140 وما بعدها.
(4) سبتة الأسيرة ص 144.

الآفاقيين الواردين على سبتة للتعلم على أساتذتها... وكان أبو الحسن الشاري قد بنى مدرسة بسبتة ووقف عليها أوقافا... واشتهرت هذه المدرسة اشتهارا عظيما وتردد ذكرها في عدة كتب ذكرت سبتة أو صاحبها عليا الشاري[1] :

ويذكر المؤرخون أن سبتة كانت (تطفح بعلمائها فقد كانت تهدر بشعرائها الذين كانوا يعقدون فيما بينهم ندوات وجلسات ومساجلات مثلما نقل المقري في نفح الطيب وغيره... وقد استعرض الأستاذ ابن تاويت في بحثه العميق عن سبتة الأسيرة قوائم طويلة بأسماء مشاهير العلماء الذين عرفتهم المدينة في العصر الموحدي السبتيين منهم والواردين على سبتة والنازلين بها)[2].

(وقد كان القاضي عياض السبتي الذي طبقت شهرته الآفاق ممن توجه إلى الخليفة عبد المؤمن وقدم إليه انابة قومه فتقبل طاعتهم ووجه إلى مدينتهم واليا من قبله هو يوسف ابن مخلوف التينمللي من مشيخة هنتاتة)[3].

وكان ابن سبتة الآخر الشريف الادريسي الجغرافي والرحالة العالمي الذي (ترجم تراثه إلى مختلف لغات العالم من الرعيل الموحدي الأول عاصر القاضي عياضا فولد بعده بثلاث عشرة سنة وتوفي بعده بثلاث عشرة سنة)[4].

فإذا أمعنا النظر في ازدهار المستوى الثقافي بسبتة الموحدية على هذا النحو من مناظرات ولقاءات ومساجلات بمجالس العلم وتآليف مشاهير الرواد مع انتعاش الحالة الاقتصادية أدركنا أن المساجد حيث حلقات العلم والمدارس حيث الدروس التطبيقية وايواء الطلبة كانوا من ضروريات المجتمع السبتي في عهد الموحدين، تلك الضروريات التي لا ينكرها احتجاب كثير من الآثار الدالة عليها من عمائر دينية ومدنية.

---

(1) نفس البحث ص 160.

(2) محمد بن تاويت : سبتة الأسيرة ص 160 وما بعدها وراجع لائحة كاملة لهؤلاء العلماء في مختلف العصور في بحث قدم إلى ندوة الامام عياض في مقر وزارة الثقافة عام 1981.

(3) نفس المصدر ص 141.

(4) نفس المصدر 156 – 157.

9 - الموحدون وتأسيس مدينة رباط الفتح (شكل 64) :

قال ابن أبي زرع في كتابه روض القرطاس عند ذكر غزوة الارك وأخبار يعقوب المنصور الموحدي : (وكان لما جاز إلى الأندلس لغزاة الارك المذكورة أمر ببناء قصبة مراكش وبناء الجامع المكرم الذي بازاء القصبة وصومعته، وبناء منار جامع الكتبيين، وبناء القصبة وصومعته، وبناء منار جامع حسان ومناره...)[1].

ومن هذا يفهم أن تاريخ الأمر بالبناء بالنسبة لبناء مدينة رباط الفتح وبناء جامع حسان ومناره قد وقع عند جوازه إلى الأندلس لغزوة الارك التي بدأها بخروجه من مراكش 18 جمادى الأولى لعام 591 هجرية. وقد اعتمد هذا النص كل من أرخوا ليعقوب المنصور ونسبوا بناء مدينة رباط الفتح وجامع حسان ومناره إليه، لا سيما بعد أن أضاف قوله بتمام أعمال البناء ومشاهدة المنصور لعا بعد عودته من الغزوة المذكورة (... وارتحل إلى العدوة فوصل إلى مراكش في شعبان سنة أربع وتسعين، فوجد كل ما أمر به من البناء قد تم، مثل القصبة والقصور والصوامع...)[2].

وفي حوادث سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ذكر صاحب روض القرطاس (... وفي سنة ثلاث وتسعين بنى رباط الفتح وتم سوره وركبت أبوابه وفيها بنى جامع حسان ومناره وفيها بنى منار جامع اشبيلية ومنار جامع الكتبيين من مراكش وفيها تمت قصبة مراكش وجامعها بالبناء[3].

وسوف نورد الآن موجز لمجمل الأبحاث التي أعددتها للنشر بكتاب خاص حول ضريح محمد الخامس ومسجد حسان وتأسيس مدينة رباط الفتح اعتمادا على نصوص بالغة الأهمية نستطيع قراءتها بمفهوم جديد لاستخلاص معلومات وثيقة نبنيها على أسس منطقية تستحق النظر والأخذ بعين الاعتبار.

وقبل عرض تلك النصوص ومناقشتها أود الاشارة أولا إلى حقيقتين يمكن بعدهما الانطلاق في البحث والاستقصاء :

---

(1) روض القرطاس نشر دار المنصور ص 229.
(2) نفس المصدر ص 229.
(3) نفس المصدر 269.

الحقيقة الأولى :

إن لفظة (أمر ببناء) التي أوردها ابن أبي زرع عند جواز المنصور لغزوة الارك لا يجوز قصر فهمها على أنها أنها أمر بالتأسيس، كما أن لفظة (بني) الواردة قبل اسم جامع حسان ومناره في ذكر حوادث سنة 93 لا يجوزان نفهم منها أن الأمر بالبناء وتمام عمليات التأسيس والتخطيط قد وقعت كلها في تلك السنة.

الحقيقة الثانية :

إن روض القرطاس نفسه يطلق عبارة (أمر بالبناء) ولفظ (بني) على عمليات إتمام وإكمال يعقوب المنصور لبعض منشآت والده يوسف وجده عبد المؤمن بن علي أول ملوك الموحدين. إن منارة الكتبيين على سبيل المثال قد شرع في بنائها عبد المؤمن وأتم حفيده المنصور بناء القسم الأعلى منها وأختها منارة (الخيرالدا أو الجيرالدا) المسجد الموحدي الأعظم بقصبة اشبيلية قد شرع فيها كما يقول ابن صاحب الصلاة يوسف والد يعقوب المنصور (وهذه الصومعة... لا صومعة تعدلها في جميع مساجد الأندلس... أمر ببنائها أمير المؤمنين أبو يعقوب بن أمير المؤمنين رضي الله عنه عند وصوله إلى اشبيلية في غزوته إلى شنترين... عام ثمانين وخمسمائة... أمر عامله أبا داود يلول... ببناء سور حصين على قصبة اشبيلية... وبناء صومعة للجامع... فلم يدم الحال إلا نحو شهر ونصف ثم توفي... فلما بويع أمير المؤمنين أبو يوسف... أمضى أمر أبيه في بناءها...[1].

ولنستعرض الآن بعض المفاهيم الجديدة للنصوص التاريخية التي تمنحنا رؤية جديدة للتاريخ الصحيح لأسيس رباط الفتح في إطاره الحقيقي.

ونحن نرجع منذ البداية كون بناء قصبة المهدية سنة 545 هجرية قد بدأ على عصر عبد المؤمن بن علي في نفس الوقت مع تعمير موقع مدينة رباط الفتح الموحدية.

1 - نصوص ابن صاحب الصلاة :

أولا : يقول ابن صاحب الصلاة (لما وصل الخليفة ـــ يقصد عبد المؤمن ـــ الى سلى ـــ يعني منطقة سلا ـــ في عام خمسة وأربعين وخمسمائة... أمر ببناء قصبة حصينة في ذلك الموضع على فم البحر الداخل إلى سلا، وأقام بمحلاته المؤدية على عين غبولة والفعلة معه والمهندسون، فأجروا لها الماء من عين غبولة المذكورة في سرب تحت الأرض حتى إلى قصبة المهدية المذكورة، ودام اشتغال الأمر بذلك شهورا وهو مقيم بمعسكر... فصارت فيها

---

(1) المن بالامامة ص 482/481.

البحائر والجنات المغروسات، ثم اتصل الأمر العزيز بسكناها بالناس وبناء الديار حواليها[1] والأسواق، ولم يزل الخلفاء يخصونها بالاهتمام، وإذا خرجوا في الغزوات يلمون بها غاية الالمام... حتى غدت عراقا وتلاحق الناس بها لحاقا...).

إن لفظة (حواليها) الواردة بالنص تشير إلى (أرض المحرث البراح والسرح) التي نجدها في قول ابن صاحب الصلاة (وموضع هذه المدينة المسماة الآن بالمهدية وبرباط الفتح كان في أيام السيرات فيه برج للسكنى وما حواليه أرض محرث براح ومسرح[2]...) وهذه بكل تأكيد لا يمكن أن تكون سوى المنطقة التي تقوم عليها مدينة رباط الفتح الفسيحة المتسعة التي لم تكن منطقة أخرى سواها حول القصبة وممتدة على طول النهر قبل عبوره إلى سلا في اتجاه الأندلس. لم تكن منطقة أخرى غير منطقة رباط الفتح تكفي لاستقبال الجيوش والاستعداد الواسع للعمليات العسكرية الكبرى بعد أن (اجتمع في عسكر الموحدين عشرة آلاف فارس وفي عسكر العرب عشرة آلاف فارس دون المتطوعة من الناس والمجاهدين)...[3].

ثانيا : سميت المنطقة كلها المقام عليها قصبة المهدية ومدينة رباط الفتح منذ أول تأسيسها على عهد عبد المؤمن بالمهدية وبرباط الفتح، وها هو ابن صاحب الصلاة المعاصر للأحداث يقول : (وموضع هذه المدينة المسماة الآن بالمهدية وبرباط الفتح كان في أيام السيرات فيه برج للسكنى[4]...) وهكذا يتضح أن تسمية المدينة بالمهدية وبرباط الفتح قد ظهرت قبل حوالي عام 594 هجرية وهو تاريخ كتابة ابن صاحب الصلاة[5] الذي لم يدرك وفاة المنصور سنة 595 هجرية، وها هي المهدية قد تأسست تبعا لابن صاحب الصلاة نفسه منذ سنة 545 هجرية.

ثالثا : لقد قمنا بعملية مسح شامل لكتاب المن بالامامة فتوصلنا إلى ورود اسم (مدينة رباط الفتح) في فترة حكم الخليفة عبد المؤمن نفسه سبع مرات[6] في نصوص تغطي الفترة

---

(1) نفس المصدر ص 448/447.

(2) المن بالامامة ص 446.

(3) نفس المصدر ص 451.

(4) نفس المصدر ص 446.

(5) أخطأ المؤرخون في تحديد تاريخ وفاة عبد الملك بن صاحب الصلاة واعتبرها بروكلمان وأمارى وبروفنسال سنة 580 هجرية بينما عاش المؤرخ بكل تأكيد إلى عام 594 حيث يصف مشاهدته عيانا لتركيب تفافيح صومعة (الجيرالدا) الجامع الأعظم باشبيلية بمحضر يعقوب المنصور 594، وقد توفي المنصور 595 ولم يدرك ابن صاحب الصلاة وفاته ولم يذكر اسم ولي العهد الناصر مقرونا بلقب الخليفة أو أمير المؤمنين. أنظر المن بالامامة تحقيق التازي المقدمة 23 – 24 وصفحات 484/483.

(6) صفحات 173، 191، 193، 194، 213، 217، 217، ونورد التفاصيل ومناقشتها بكتابنا عن ضريح محمد الخامس ومسجد حسان ومدينة الرباط.

ابتداء من عام 553 هجرية إلى عام 558 هجرية وهو تاريخ وفاة عبد المؤمن[1] (بنفس) المنطقة في حين لم يستعمل ابن صاحب الصلاة اسم (مدينة رباط الفتح) قبل ذلك مطلقا أثناء عرضه لأحداث المنطقة، وها هو يصرح أن (موضع هذه المدينة المسماة الآن بالمهدية وبرباط الفتح كان في أيام السيرات فيه برج للسكنى...[2] بل إنه لم يذكر اسم البرج السابق على عصر بناء المدينة، ومن هذا يتبين لنا أهمية ذكر اسم المدينة (رباط الفتح) صراحة على لسان مؤرخ معاصر للحوادث (قريب من مركز السلطة) منذ عام 553 هجرية.

رابعا : ورد اسم المدينة أثناء سرد بن صاحب الصلاة لعصر يوسف بن عبد المؤمن الذي بويع بعد أبيه سنة 558 هجرية، ولكننا سوف نلاحظ أن (رباط الفتح) كانت تذكر في النصوص السابقة مضافة إلى (سلا أو سلى)، لكنها الآن تظهر في عهد يوسف بن عبد المؤمن (والد يعقوب المنصور) مستقلة تماما على لسان رجل دولة كبير هو عمر بن حربون شاعر البلاط الموحدي الذي كان يصاحب الأمير أبا حفص أخ أمير المؤمنين يوسف : هنأ ابن حربون الخليفة بقصيدة شهيرة عند مبايعته سنة 558 هجرية ثم ألقى قصيدة (رسمية) من الناحية السياسية يمدح السيد الأعلى أبا حفص عند عودته من جبل طارق بمشاركة الشاعر نفسه سنة 560 هجرية نذكر لعدم الاطالة مطلعا وبعض أبياتها ونترك التفاصيل لمؤلفنا حول الضريح ومسجد حسان وتاريخ مدينة الرباط، أنشد ابن حربون قائلا :

1 - حثوا المطي فقد قضت أوطارها — واحدوا إلى باب الأمير قطارها[3]
5 - حتى تزوروا كعبة[4] الفضل التي — قد أحسنت بـركاتها زوارها
8 - بلغت رباط الفتح عوجا ظلعا — قد كان يستوي السرى أمارها
9 - وستغتدي بعد الغؤور جواحظا — أن ملات بسقاتكم أبصارها
10 - فاستشرفوها كالسهام سواهما — تطوى المهامة ليلها ونهارها
13 - صدرت عن الجبل المبارك بعدما — بثت بسعدكم هناك شعارها

لقد ظهر اسم (رباط الفتح) اذن منذ عام 560 هجرية مستقلا عن سلا، وظهوره هنا (البيت الثامن من القصيدة) لا يدل على بدء عمران المدينة، فالمدن لا تنشأ في يوم وليلة، وخيرات رباط الفتح الآن سنة 560 هجرية كثيرة وافرة فقد بلغتها المطايا منهكة بطول الرحلة من جبل الفتح إلى أرض رباط الفتح، وصلت المطايا غائرة العيون مرهقة بالجوع والعطش،

(1) عن ظروف مرضه ووفاته قبل نقله للدفن بتينمل أنظر الاستقصا 128/2.
(2) المن بالامامة ص 446.
(3) المن بالامامة ص 264، 265، وأرقامنا هنا تشير إلى رقم البيت بالقصيدة.
(4) العاصمة مراكش.

ولكنها سوف تغتذي من خيرات رباط الفتح وتمتلىء وتجحظ بعد الغؤور من رباط الفتح حيث المسرح والمرعى والماء لتطوى المسافات منطلقة كالسهام إلى العاصمة مراكش حيث الخليفة أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن.

خامسا : صرح ابن صاحب الصلاة ببناء عبد المؤمن لحصن المهدية عام 545 هجرية ثم (... اتصل الأمر العزيز بسكناها بالناس وبناء الديار حواليها والأسواق ولم يزل الخلفاء يخصونها بالاهتمام... حتى غدت عراقا وتلاحق الناس بها لحاقا... وأمير المؤمنين هذا هو الذي مصرها ومهدها وابتدأ بناء أسوارها من جهة الجوف والغرب...)[1].

وهذا معناه أن بداية العمران والاحتفال بدأ منذ عصر عبد المؤمن خاصة وأن ابن صاحب الصلاة يقول أن الذي مصرها وجعلها مصرا هاما مقصودا ومهدها هو الخليفة يوسف، فيوسف إذن لا يمصر أو يمهد خلاء، وإنما مصر ومهد مدينة كانت قائمة الأساس معدودة في العمران فأضاف إليها يوسف الأسوار والمنشآت والمرافق، وأكثر من ذلك ملاحظة أن النص يشير في صراحة إلى أن مدينة رباط الفتح التي بنيت مع حصن المهدية منذ أيام عبد المؤمن (لم يزل الخلفاء يخصونها بالاهتمام...) فالتعمير استغرق خلافة عبد المؤمن ويوسف كما عاين ذلك بنفسه المؤرخ ابن صاحب الصلاة أواخر عصر يعقوب المنصور[2].

سادسا : ونعرض الآن نصا سابقا على تاريخ كتاب المن بالامامة وهو نص صاحب كتاب الاستبصار الذي جمعه ونظر فيه ناظر آخر مجهول سنة 587 هجرية أي قبل غزوة الارك التي وقعت كما أسلفنا وكما هو معروف دون اختلاف سنة 591 هجرية وهي ذات الموقعة التي ذكر عنها بن أبي زرع في كتابه روض القرطاس أن يعقوب المنصور أمر قبل الجواز إليها ببناء مدينة رباط الفتح ومسجد حسان ومنارة فتمت عند عودته سنة 593 هـ.

2 – نصوص صاحب كتاب الاستبصار :

يقول صاحب كتاب الاستبصار أثناء حديثه عن شالة[3] (... وهي مدينة أزلية... وهي معروفة بضفة الوادي، متصلة بالعمارة التي أحدثها الخليفة الامام أمير المؤمنين وآباؤه

(1) المن بالامامة ص 448.

(2) عاش ابن صاحب الصلاة إلى ما بعد 594 أنظر مقدمة المحقق ص 25 ونعتقد أنه لم يدرك وفاة المنصور 595 هجرية.

(3) كانت شالة مدينة أزلية قديمة من أيام المغاربة الأقدمين تتابعت عليها العصور القديمة وعرفت الفينيقيين وحضارتهم والرومان ثم أصبحت مركزا إسلاميا مبكرا منذ عصر الأدارسة أصحاب أول مملكة إسلامية بالمغرب، ثم كانت مقر حكم بني يفرن الزناتيين ثم روضة مرينية شهيرة بالشمال الافريقي، عن تفاصيل تاريخها أنظر كتابنا تاريخ شالة الاسلامية وعن آثارها أنظر كتابنا حفائر شالة الاسلامية وعن فنونها كتابنا الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى، وعن مواقع العمران حول مصب أبي الرقراق راجع النص والرسوم بكتابنا تاريخ شالة الاسلامية.

المكرمون... وأمر الخليفة أبو يعقوب... ببناء مدينة كبيرة متصلة بالقصبة التي أحدثها الامام أمير المؤمنين وفي هذه القصبة جامع وقصور... وفي هذه المدينة المحدثة قيصارية عظيمة وحمامات وفنادق وديار كثيرة ومياه مطردة وسقايات ومنافع أعدت لورود المحلات عليها إذ وضعها على المجاز والمعبر إلى حضرة مراكش...، وهذه المدينة قد شرفها هذا الأمر العزيز وكرمها بما أحدثه فيها من المباني الرفيعة والمنارة البديعة... وناهيك من ساحل طوله نحو الميلين وعرضه نحو الميل مملوء بالبشر، والزوارق في الوادي بركابها، والمنارة المطلة... وقبب الجلوس للسادة أيدهم الله ظاهرة، وقبلة الجامع وأكثر منارة ذلك الحصن المشرف ظاهرة في المدينة...).

1 – يؤكد المؤرخ المغربي المعاصر (كتب حوالي 587 هجرية) اتصال شالة بالعمارة التي أحدثها يعقوب المنصور وآباؤه المكرمون يوسف وعبد المؤمن، وهذه العمارة لا تكون غير رباط الفتح على نفس الضفة اليسرى لمصب أبي الرقراق في البحر المحيط والتي لا تبعد شالة عنها بأكثر من مائتي متر فقط.

2 – يشير المؤرخ في صراحة إلى أن الخليفة والد يعقوب المنصور أمر ببناء مدينة كبيرة متصلة بالقصبة التي أحدثها الامام ــ يعني عبد المؤمن ــ أول ملوك الموحدين، إذن فقد أمر يوسف ببناء رباط الفتح لتكون متصلة جنوبا بشالة (المدينة الأزلية) وممتدة شمالا حتى تتصل بالقصبة التي أحدثها عبد المؤمن المعروفة اليوم بقصبة الودايا منذ عصر مولاي عبد الرحمن العلوي بدولة الأشراف المعاصرة، وبتأكد بذلك أن تأسيس مدينة رباط الفتح كان سابقا على عصر يعقوب المنصور وليس كما ذهب إليه جميع المؤرخين المعاصرون اليوم.

3 – نصوص عبد الواحد المراكشي :

وسوف نؤكد مفهومنا هذا بنص آخر صريح لمؤرخ دولة الموحدين عبد الواحد المراكشي الذي كتب سنة 621 هجرية بعد تاريخ صاحب الاستبصار بحوالي ثلث قرن، فلنستمع إليه يقول : (ثم شرع ــ يقصد يعقوب المنصور ــ في بنيان المدينة العظمى... وكان أبوه يعقوب ــ رحمه الله ــ هو الذي اختطها ورسم حدودها وابتدأ بنيانها...)[1]، ونحن نرى أن هذا لا يتعارض مع ما استخلصناه من نصوص كتاب الاستبصار بوجود عمران سابق وديار وقيسارية وأسواق بموضع مدينة رباط الفتح منذ أيام عبد المؤمن الذي أمر بالبناء وسكنى الناس حول قصبة المهدية إلى أن مصرها ومهدها يوسف بالتخطيط ورسم الحدود والبناء.

وها هو عبد الواحد المراكشي يقول : (ولم يزل العمل فيها وفي مسجدها المذكور طوال مدة ولايته إلى سنة 594 وسار هو حتى نزل مراكش...)[2] وواضح أن العمل في

---

(1) المعجب ص 266.

(2) المعجب ص 266.

بناء رباط الفتح ومسجدها الجامع استمر طوال حياة يعقوب المنصور ومنذ تارخ ولايته سنة 580 هجرية، وسوف يتأكد المؤرخ الواعي من تلك الحقيقة إذا لاحظ أن المراكشي أورد قصة بناء مدينة رباط الفتح ضمن حوادث سنة 580 هجرية[1].

أما رواية المراكشي (... فشرع أبو يوسف كما ذكرنا في بنيانها إلى أن تم سورها وبنى فيها مسجدا كبير المساحة) فلا يقف ذلك دليلا كافيا على أن المنصور هو الذي شرع في بناء المدينة فالمراكشي نفسه يقول في تاريخ يوسف والد يعقوب المنصور (... فعاقه الموت المحتوم عن إتمامها فشرع أبو يوسف كما ذكرنا في بنيانها...).

4 – عودة إلى نصوص كتاب الاستبصار :

إن سعة عمران المدينة المحدثة (رباط الفتح) وتنوعه واشتماله على القيصارية العظيمة والحمامات والفنادق وآخر ما جاء بنص صاحب كتاب الاستبصار يجعلنا نتحفظ بالنسبة لرواية بعض المؤرخين كصاحب روض القرطاس مؤرخ الدولة المرينية والسلاوي مؤرخنا المعاصر عن أسف المنصور قبل وفاته لأمور منها عدم عمران رباط الفتح في حياته (صعيد لا يعمر)، فمن تحليل نصوص كتاب المن بالامامة وقفنا على أمر عبد المؤمن ببناء الدور والأسواق بموقع رباط الفتح حول قصبة المهدية منذ 545 هجرية مع تكرار اسم (رباط الفتح) منذ عام 553 هجرية وأصبحنا على يقين من ازدهارها اقتصاديا على النحو الذي استخلصناه من قصيدة شاعر البلاط ابن حربون سنة 560 هجرية وتأكيد ابن صاحب الصلاة بأن يوسف بن عبد المؤمن مصرها ومهدها.

وها هو كتاب الاستبصار يصفها 587 هجرية في حياة المنصور نفسه بقوله (وأمر الخليفة أبو يعقوب ببناء مدينة كبيرة متصلة بالقصبة... من عجائب منتزهات الدنيا : ساحل طوله نحو الميلين مملوء بالبشر...) لقد كان ذلك العمران والتجمع البشري قبل تاريخ عبور المنصور لغزوة الارك سنة 591 هجرية.

على أن تفاصيل ذلك العمران البشري يجعلنا نعتقد أن الشروع في بناء المدينة قد بدأ قبل تاريخ كتابة النص (587 هـ) بوقت يسمح بامتداد العمران خاصة وأن بقية النص تشير إلى أن مدينة رباط الفتح (... أعدت لورود المحلات عليها وأن وضعها على المجاز والمعبر إلى حضرة مراكش...).

إن تلك الاستراتيجية الناجمة عن وقوع المدينة بين مراكش والأندلس وكونها تطل على المعبر (النهر) حيث تعبر الجيوش منها (بعد التجمع والاستعداد) إلى الأندلس كانت معروفة

---

(1) المعجب ص 226.

وسابقة على عصر يوسف والد يعقوب المنصور نفسه منذ اجتاز عبد المؤمن المعبر (عام خمسة وأربعين وخمس مائة لاستطلاع أحوال أهل جزيرة الأندلس...، وأمر ببناء قصبة حصينة في ذلك الموضع على فم البحر...)[1] كما أشار وأمر في نفس الوقت بالعمران والسكنى كما رأينا في نص ابن صاحب الصلاة.

وبهذا يتضح لنا على ضوء المفهوم الجديد للنصوص التاريخية المعاصرة للأحداث أن ابتداء عمران أرض رباط الفتح قد حدث منذ أيام الخليفة عبد المؤمن بن علي أول ملوك الموحدين وإن كان قد استمر تشييد المنشآت وتمهيد وتمصير المدينة طوال عصر ابنه يوسف واكمال الأسوار والأبواب والمؤسسات على عصر حفيده أبي يوسف يعقوب المنصور الذي اهتم لذلك قبل جوازه لغزوة الارك سنة 591 هجرية ثم احتفل بانجازه لأعمال العمران الكبرى برباط الفتح عند عودته مرفوع اللواء مظفرا منصورا مفتوحا عليه من غزوة الارك سنة 594 هجرية.

---

(1) المن بالامامة ص 448.

(ثانيا) العمارة المدنية

(1) القصور :

إندثرت قصور الموحدين كما اندثرت قصور المرابطين التي ذكرها صاحب الاستبصار مثل دار الأمة الذي بناه يوسف بن تاشفين ودار الحجر[1] الذي بناه والده بمراكش وذكره الادريسي، وقد هدمه عبد المؤمن لبناء الكتبية الحالية.

وقد وصف صاحب المعجب قصور مراكش التي بناها ملوك الموحدين وقال ابن سعيد أنه لم ير ما يشبه الأندلس في حسن المباني والتشييد والتصنيع إلا ما شيد بمراكش في دولة بني عبد المؤمن. وكانت القصور الكبرى بمراكش أشبه شيء بالمدن المستقلة بتعدد مرافقها وعظم مبانيها. وكان قصر الخلافة يتكون من عدة دور يطلق على كل منها اسم خاص وضمنها دار خصصت للوزارة فضلا عن قاعات الاجتماع للحفاظ والطلبة ومجلس الخمسين والسبعين.

وكان من أشهر تلك القصور قصر أبي الربيع بمراكش وقصر عبد المؤمن بالرباط قبل تأسيس المدينة وقصر أبي عشرة بسلا الذي كان ينزله عبد المؤمن بن علي بعد تجديد[2] بنائه كما اندثر كذلك البيمارستان الذي بناه المنصور بمراكش ووصفه صاحب المعجب بأنه لا مثيل له في الدنيا[3]. وقد أكد ميلي في كتابه عن الموحدين أن مستشفيات باريس لا توازي هذا المستشفى الذي احتوى على نقوش بديعة وزخارف محكمة وبرك من الرخام الأبيض علاوة على الفرش والأدوية والصيادلة والأطباء[4].

(2) المساكن :

لقد كان المنصور أحد كبار الملوك البنائين في تاريخ الاسلام يحكي المؤرخون أن الطبيب أبا بكر بن زهر كان ملازما له ومختصا به ولا يرخص له بالسفر لرؤية أهله حتى قال أبو بكر يوما متشوقا إلى ولد له صغير :

ولى واحد مثل فرخ القطا ∴ صغير تخلفت قلبي لديه

---

(1) عبد العزيز بن عبد الله : مظاهر الحضارة المغربية ج 2 ص 53.

(2) إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ص 371.

(3) يقول جورج مارسيه بأن الآثار المتبقية غير كافية لدراستها، أنظر كذلك العمارة الاسلامية لجورج مارسيه ص 216 ــ 217 للوقوف على دراسة الحمامات الاسلامية الموحدية.

(4) عبد العزيز بنعبد الله : نفس المصدر ص 54.

وسمع المنصور ما أنشد أبو بكر فأرسل المهندسين إلى إشبيلية وأمرهم أن يحتاطوا علما ببيوت ابن زهر وحارته ثم بنوا مثلها بحضرة مراكش ففعلوا ما أمرهم في أقرب مدة وفرشها بمثل فرشه وجعل فيها مثل آلته ثم أمر بنقل عيال ابن زهر وحشمه إلى تلك الدار، ثم احتال عليه حتى جاء إلى ذلك الموضع فرآه أشبه شيء ببيته وحارته فاحتار لذلك وظن أنه نائم ثم دخل فإذا ولده الذي تشوق إليه يلعب في البيت[1]، وما ذلك إلا دليل المقدرة الفنية والكفاية والمهارة والحذق وسرعة الانجاز والرغبة الجامحة إلى العمران.

(3) المدارس :

تعرض الدكتور إبراهيم حركات في الجزء الأول من كتابه المغرب عبر التاريخ لدراسة المدارس في عهد الموحدين وأدلى بعدة بيانات وإشارات تستحق النظر ومتابعة البحث.

يقول الباحث المغربي أن (الموحدين عنوا ببناء المدارس ولو أنه لم يبق لها أثر، إذ من المحتمل أن المرينيين هدموها وأقاموا مكانها مدارس تحمل أسماء ملوكهم وطابعهم[2] الخاص).

وكون منشآت من عصر معين تندثر ولا يتبقى منها أثر فهذا شيء جائز وذلك بفعل الزمن أو الطبيعة أو بفعل فاعل. لكن إشارة الدكتور حركات إلى احتمال هدم المرينيين لمدارس سابقة من عصر الموحدين، فإن ذلك ما يمكن استبعاده لعدة أسباب فليس في تخطيط العلم والتعلم والتعليم في عصر الموحدين ما يتمشى مع أهداف التعليم في العصر المريني الذي قام أساسا على ايديولوجية واحدة غير دينية وغير سياسية وغير عرقية أو سلالية، وإنما كما أبان عن ذلك الأستاذ الرئيس محمد الفاسي، قام العصر المريني وفلسفته حول نشر العلم كمبدإ لازم الدولة منذ بداية نشأتها فلزم أن تتمشى العمائر والمباني المرينية مع خطة المؤسسات العمرانية الجديدة وعلى الرغم من هذا، فإنه من دراستنا لعصر المرينيين لم نقف على إشارات محددة يمكن مواصلة تقصي حقيقتها بالنسبة لهدم المرينيين لآثار سابقة موحدية كانت أو غيرها.

ومن جهة أخرى فلو أن المرينيين هدموا آثارا سابقة لتشييد مبان تعليمية جديدة لكان مهندسوهم أحرارا في وضع تخطيطات تلك المباني المحدثة، في حين نرى العكس فمدارس مرينية كثيرة أنشئت على مساحات غير منتظمة تخطيطا واتساعا دليل الاكتفاء تحت تأثير الاضطرار بالمساحة المتاحة وسط زحام المدينة لانشاء مدارسهم عليها ويمكن إمعان النظر في تخطيطات عدة مدارس مرينية نشرتها بأبحاثي الواردة بكتابي حفائر شالة وكتابي الآخر دراسات جديدة في الفنون الاسلامية والنقوش العربية حيث طرحت نظرية جديدة[3] في هندسة المباني المرينية.

---

(1) النبوغ المغربي ج 1 ص 135.

(2) المغرب عبر التاريخ 367/1.

(3) ظاهرة القص المتماثل في المباني المغربية المدنية والدينية ظاهرة مرينية.

ونعود مرة أخرى إلى دراسة الدكتور حركات لمدارس الموحدين فنقابل إشارة صريحة ولكن دون الارشاد إلى المصادر لامكان المتابعة، فهو يقول أن (من المدارس التي ذكرها المؤرخون مدرسة المسجد الأعظم بالطالعة في سلا وقد انطمست معالمها بينما ظلت مدرسة المرينيين قائمة[1]، والواقع أنه افترض أكثر من احتمال أن تعرف مدينة سلا ــ خاصة مع أهميتها أيام الموحدين كما أسلفنا ــ مدرسة موحدية، لكن ذلك يتطلب أولا إثبات قيام المدارس كمؤسسات مستقلة بذاتها عن المساجد والجوامع وديور العلماء إبان العصر الموحدي لأنه في حالة ثبوت قيام المدارس كمؤسسات مستقلة في عصر الموحدين سوف لا يكون مقبولا أن تظل سلا عاطلة من مدرسة واحدة على الأقل، لاسيما وقد أنشأ بها بناء الموحدين الكبير يعقوب المنصور مسجدا جامعا لا زال قائما إلى اليوم، وقد كانت المدارس كمنشآت مستقلة تبنى حول المساجد الجامعة حيث الدروس النظرية في حين قامت المدارس كأماكن تعليمية تدرس فيها المواد التجريبية والمواد التي لا تتناسب مع موضع المسجد وظروف العبادة به كما كانت المدارس مأوى ومكانا للحياة الاجتماعية الكاملة لطلبة العلم.

أما إشارة الدكتور حركات الأخيرة (بينما ظلت مدرسة المرينيين[2] قائمة) فهو ما نبهت إليه في عدة أبحاث أخرى وأجده بحاجة للتكرار، ذلك أن مدينة سلا تتوفر على مدرستين مرينيتين وليس مدرسة واحدة. إن المشهور فقط والشائع لدى العامة أن مدرسة أبي الحسن على الملاصقة تقريبا للمسجد الأعظم هي مدرسة المرينيين المعروفة بسلا، بينما الواقع التاريخي وواقع الآثار يختلفان عن ذلك، ففي مدينة سلا مدرسة مرينية أخرى هي مدرسة أبي عنان ابن أبي الحسن المسماة أصلا بالمدرسة العجيبة وقد تبقى الكثير من تخطيطها وبنائها خاصة الواجهة والمدخل الرئيسي وتعرف اليوم بمحكمة القاضي وقد أوليتها اهتماما خاصا فنشرتُ صورا عديدة لبقاياها وما أدخل عليها اليوم من تعديلات معمارية وتتبعتُ تطور التاريخ والاسم بكتابنا تاريخ شالة الاسلامية.

على أن ذكر المدرسة العجيبة التي عرفت في وقت قريب بفندق اسكور يضع أمامنا دليلا جزئيا لصالح المرينيين، فلو كان المرينيون هدموا مدرسة موحدية لبناء مدرسة مرينية، فمن الذي هدم المدرسة العجيبة وأبقى على مدرسة الطالعة... ؟

ومرة أخرى نعود إلى الدكتور حركات ومدارس الموحدين فنجده يذكر مدارس أخرى بمراكش وسبتة ترجع إلى عصر الموحدين وهذه روايته (ثم مدرسة بمراكش حبسها المنصور مع دار للسكنى على باب أبي العباس السبتي، أما أول من أسس مدرسة خصوصية بالمغرب

---

(1) المغرب عبر التاريخ 368/1.
(2) المغرب عبر التاريخ 368/1.

على النموذج الشرقي فهو عالم من سبتة يدعى بعلي بن محمد الشاري ويحدثنا عنه مؤلف صلة الصلة بقوله وكان قد تحصل عنده من الاعلاق النفيسة وأمهات الدواوين العلمية ما لم يكن عند أحد من أبناء عصره ولا تحصل عند كثير ممن تقدمه وبنى مدرسة ببلدة سبتة ووقف عليها من الكتب ما يحتاج إليه، وشرع في تكميل ذلك على السقي الجاري بالمدارس ببلاد المشرق، فعاق عن كمال غرضه في ذلك قواطع الفتن...)[1] وبعد أن يشير الدكتور حركات إلى تعريف المرينيين نجده يضيف إشارة أخيرة إلى مدارس الموحدين العسكرية (وقد عنى الموحدون ببناء مدارس لتخريج الضباط والولاة كالمدارس الملحقة بقصر عبد المؤمن وكمدرسة الأوداية لتخريج ضباط البحرية.[2].

(4) الأسواق :

ولعل خير ما نتخذه مثالا لاهتمام الموحدين واهتبالهم بعمارة الأسواق وتخطيطها وتخصيص مرافقها هو ما نقرؤه في نص صريح من نفس العصر وهو نص مؤرخ دولتهم عبد الملك بن صاحب الصلاة في كتابه المن بالامامة.

كتب ابن صاحب الصلاة يقول تحت عنوان خاص مستقل (ذكر بنيان الأسواق حوالي الجامع المذكور...) وهو يعني بالجامع المذكور الجامع الكبير بقصبة اشبيلية الذي كان يؤرخ له، يقول ابن صاحب الصلاة ما ملخصه[3] :

(أمر أمير المؤمنين أبو يوسف رضي الله عنه بتوسعة رحاب الجامع فهدمت الديار والحوانيت والفنادق المضيقة عليه من السويقة المعروفة عند الناس باشبيلية بسويقة المسمار قديما وابتدأ الهدم فيها يوم السبت السابع من ربيع الأول عام اثنين وتسعين وخمس مائة وأمر بتقدير الدور المهدومة والرباع... فحضر المقدرون... ودفع أمين المخزن... القيم... لأصحابها... واتصل الهدم حتى إلى الروضات المتصلة بمسجد اليتيم، فابتنيت الأسواق والحوانيت في المواضع المذكورة بأوثق البنيان، وأحسن نوع في ذلك الشأن، عجيبة غريبة في الزمان، وجعل لها أربعة أبواب كبار تحوطها من جوانبها الأربع : أكبرها الباب القبلي والجوفي تقابلان باب الجامع الجوفي منه، فلما كملت هذه الأسواق بحوانيتها بالبناء نقلت إليها سوق العطارين وسوق التجار من البزازين وسوق المراكطيين والخياطين، وتزاحم الناس باعتباطهم في المزايدة في كرائها، ونما الخراج في ذلك نموا كبيرا، واعتباطا متماديا... ومر أمير المؤمنين على هذه الأسواق عند انتقاله من صلاة إحدى الجمعات فسر بما رآه من عمارته... وشكر الله تعالى وحمده، واغتبط بما بناه...)

---

(1) نفس المصدر.

(2) نفس المصدر والصفحة.

(3) المن بالامامة ص 486/485.

وهذا وصف رجل دولة يذكر إقامة وتشييد الأسواق الموحدية (بأوثق البنيان) وينص على حسن اختيار الأدوات والمواد المستعملة في البناء ويصف التخطيط والأبواب ومواقعها وهيئتها كبيرها وصغيرها وأنواع الأقسام المخصصة لكل نوع من أنواع الصنائع والمتاجر (سوق العطارين وسوق التجار من البزازين) وسوق المراكطيين[1] وهم باعة الثياب المستعملة.

ويعطينا ابن صاحب الصلاة صورة لنوعية الحركة في المبادلات ورواج التجارة التي دفعت الناس إلى المزايدة في قيمة الكراء وهذه حال الوضعية الاقتصادية التي أدت إلى مساهمات الموحدين في البناء والتشييد ومستوى فن العمارة المدنية بصفة خاصة كما يتجلى في بناء الأسواق واقبال المزايدين على كراء مراكزهم بها. ولم يفت مؤرخ دولة الموحدين الاشارة إلى اهتمام أمير المؤمنين أبي يوسف يعقوب الموحدي بما بناه ومتابعته عيانا لنتائج البناء (فسر بما رآه من عمارته... وشكر الله تعالى وحمده...).

(5) البيمارستان :

يقول مؤرخ دولة الموحدين في كتابه المعجب عن بيمارستان مراكش الذي أسسه وجهزه يعقوب المنصور (وبنى بمدينة مراكش مارستانا ما أظن أن في الدنيا مثله، وذلك أنه تخير مساحة فسيحة بأعدل موضع في البلد وأمر البنائين باتقانه على أحسن الوجوه فأتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخارف المحكمة ما زاد على الاقتراح وأمر أن يغرس فيه مع ذلك جميع الأشجار والمشمومات والمأكولات، وأجرى فيها مياها كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على أربع برك في وسطه، احداها رخام أبيض، ثم أمر له من الفرش النفيسة من أنواع الصوف والكتان والحرير والأديم وغيره بما يزيد على الوصف وأجرى له ثلاثين دينارا في كل يوم برسم الطعام... خارجا عما جلب إليه من الأدوية، وأقام فيه من الصيادلة... وأعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء...).

(6) القناطر وهندسة الماء والبساتين :

وفي مجال العمارة المدنية كذلك تنوعت أساليب الموحدين في إنشاء القناطر لحمل المياه ومن أبرز ما شيدوه في هندسة المياه تلك القنوات التي صمموها لنقل ماء عين غبولة أيام عبد المؤمن إلى القصبة التي أصبحت نواة مدينة[2] رباط الفتح فيما بعد.

---

(1) نفس المصدر، تعليق المحقق الدكتور عبد الهادي التازي هامش رقم 4 ص 485.

(2) عبد العزيز بنعبد الله : نفس المصدر ص 54 – 55 وانظر كتابنا تاريخ شالة الاسلامية واللوحات العديدة التي تتبعنا بها التصميم.

وكان عبد المؤمن بن علي هو الذي أحدث بستان المسرة بضاحية مراكش وطوله فيما نقله صاحب النبوغ المغربي عن ابن عذارى وصاحب الحلل ثلاثة أميال وعرضه قريب من ذلك، وقد جلب له الماء من أغمات زيادة على ما استنبط له من العيون الكثيرة. وأنشأ عبد المؤمن فيه صهريجا واسعا كالبحيرة كان يمرن فيه الجنود وشيوخ الموحدين على العوم والتجديف كما جاء في الحلل وهو الصهريج المعروف بالمنارة في أكدال بمراكش، قال ابن اليسع : وما خرجت أنا من مراكش في سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة الا وهذا البستان الذي غرسه عبد المؤمن يبلغ مبيع زيتونة وفواكهه ثلاثين ألف دينار مؤمنية على رخص الفاكهة بمراكش يدلنا ذلك على تطور عمليات الري والصرف وتقدم أساليب تخطيط المياه وفن الفلاحة ويذكر سيدي عبد الله كنون أن ابن عذارى دعاه (أسماه) ببستان المسرة وقال أنه بظاهر جنان الصالحة وله من الشهرة ما جعله مثلا سائرا في ألسنة الناس إلى اليوم[1].

كما جدد يوسف قنطرة تانسيفت وشيد في الأندلس قنوات الوادي الكبير وقنوات الماء المنقول من قلعة جابر.

ونقل المنصور الماء على قنطرة من مراكش وأسس منارات وقناطر وحفر مطافىء وأقام الملاجىء في الفلوات من سوس الأقصى إلى سويقة ابن مذكور في حدود طرابلس، وبرهن الموحدون بذلك على اهتمامهم بالعمارة المدنية والصالح العام. وقد وصف صاحب الاستبصار القنطرة التي مدها الموحدون بين سلا والرباط بأنها كانت مركبة على ثلاث وعشرين معدية مدت عليها الأوصال الخشب فبناها المنصور بعد أن استعاض عن المراكب ببناء محكم[2].

---

(1) النبوغ المغربي ج 1 ص 139.
(2) ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ 370/1.

الفصل الخامس

تاريخ العمارة الاسلامية والفنون التطبيقية عصر الموحدين

العمارة الدينية في عصر الموحدين

أبحاث هذا الفصل :

* العمارة الدينية في عصر الموحدين :
  - المسجد الجامع بتازة.
  - مسجد تينمل.
  - مسجد الكتبية بمراكش.
  - جامع قصبة مراكش.
  - مسجد حسان الجامع برباط الفتح.
  - مسجد سلا الأعظم.
  - تجديد جامع الأندلس بفاس.
  - المسجد الأعظم بقصبة اشبيلية.

الفصل الخامس

العمارة الدينية للموحدين

المسجد الجامع بتازة :

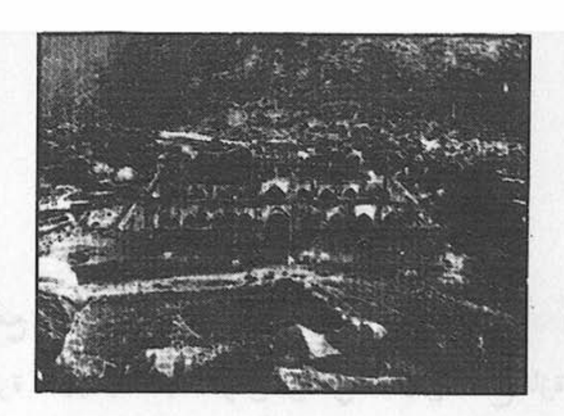
في مجال العمارة الدينية بدأ عبد المؤمن بن علي تأسيس جامع تازة الموحدي ابتداء من سنة 529 هجرية مشتملا على بيت للصلاة يتكون من تسعة بلاطات وخمسة أساكيب، ويتميز بلاط المحراب (المحوري) وأسكوبه بزيادة السعة عن بقية البلاطات والأساكيب الأمر الذي أدى إلى خلق شكل حرف (T) الذي ثارت حوله ضجة كبرى للمستشرقين[1] الذين حاولوا إلحاقه بشكل الصليب وتخطيط الكنائس المسيحية[2] وتقوم ثلاث قباب على أسكوب المحراب، ويحف بالصحن مجنبتان متصلتان بالبلاطين الشرقي والغربي لبيت الصلاة، وقد وضعت صومعة المسجد في الركن الشمالي الشرقي[3]. ثم زاد المرينيون زيادة واضحة في بيت الصلاة تتميز عن العمارة الموحدية باختلاف نوع العقود في كل من الطرازين.

---

(1) كان مسجد تازة الموحدي يشتمل على أسكوب للقبلة أوسع من بقية الأساكيب وقبة واحدة على الأقل، ويعتبر أقدم مثال بالمغرب لتخطيط المسجد على شكل حرف (T) أنظر : هنرى تيراس، الفن الأندلسي المغربي ص 306.

(2) ناقشنا ذلك طويلا بسلسلة مقالات (الآثار الاسلامية بالمغرب العربي وحرب المستشرقين) دعوة الحق الرباط ابتداء من عدد يونيو 1974 ومن المهم الرجوع إلى كتابات الدكتور أحمد فكري في مساجد القاهرة ومدارسها وخاصة المدخل.

(3) وراجع دراسة المسجد بكتاب المغرب الكبير للدكتور سيد سالم ص 238.



شكل 65

مسجد تينمل، منظر علوي عام تجاه الواجهة الشمالية الغربية يوضح عمارة وتصميم المسجد

شكل 66

تخطيط مسجد تينمل الموحدي، من مساجد الموحدين المبكرة

مسجد تينمل

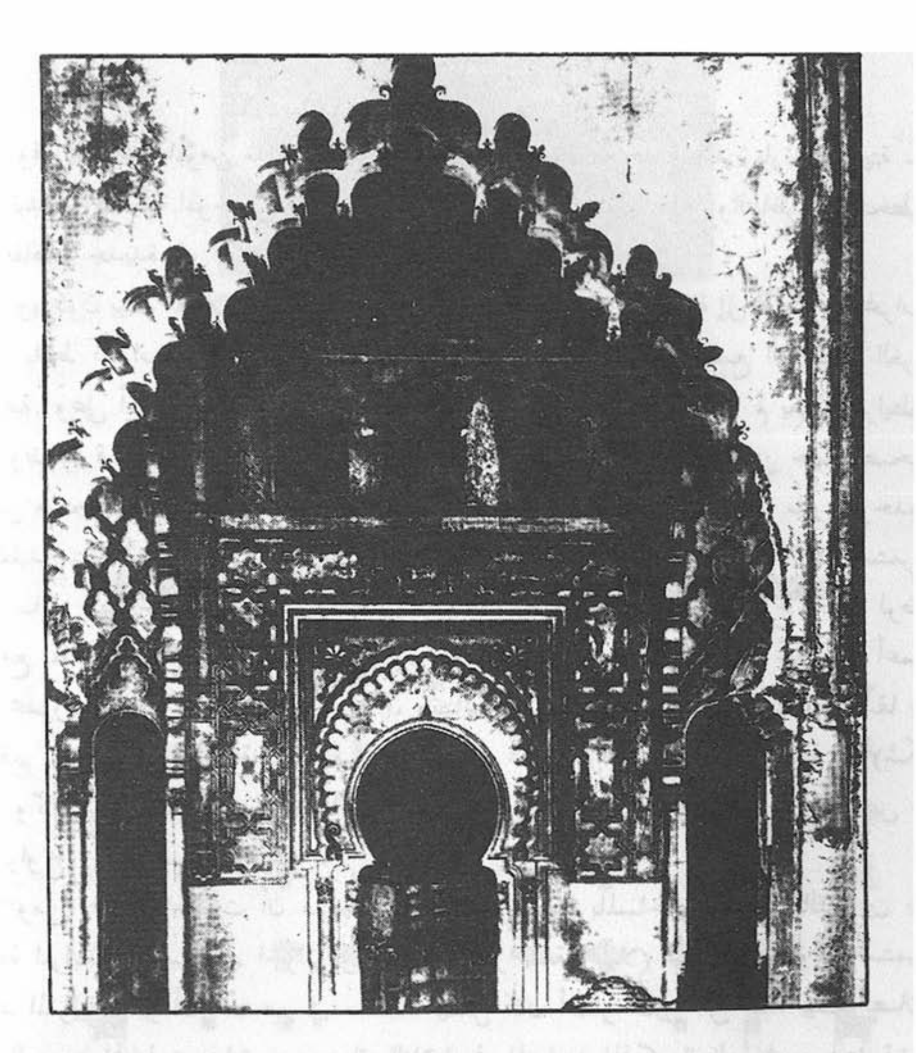
وقد أقام عبد المؤمن مسجدا في تينمل مركز الدعوة الموحدية عند زيارته للمدينة سنة 548 تبدأ به هندسة الموحدين في تصميم المساجد التي تميزت بالتقابل والتناظر في التخطيط وهي ظاهرة جديدة في العمارة الاسلامية المغربية (شكل 65).

ويتكون بيت الصلاة من تسعة بلاطات وأربعة أساكيب بالاضافة إلى أسكوب المحراب، ويتسع بلاط المحراب وأسكوبه عن بقية البلاطات والأساكيب كما تتسع البلاطتان الغربية والشرقية. وعلى أسكوب المحراب ثلاث قباب وهو أسلوب جديد كذلك لم يعرفه المرابطون الذين وضعوا قبة أمام المحراب وقبة أخرى أحيانا على نهاية بلاط المحراب من جهة الصحن، وصحن مسجد تينمل صغير تحف به مجنبات من رواقين (شكل 66). وقد سار الموحدون على تقليد منتظم بفتح بابين على يمين ويسار المحراب للمنبر والامام (شكل 67) استمرارا لتقليد سابق ظهر بجامع قرطبة[1]، وتلتصق الصومعة بظاهر المحراب من الخارج خلافا لوضع الصوامع الموحدية الأخرى (شكل 68) وترتفع عقود المسجد على أكتاف تحف بها أعمدة دقيقة محفورة بالجص (شكل 69 – 71)، وتتناسق الزخارف في محراب المسجد تناسقا ينم عن القيم الجمالية في الزخرفة الاسلامية موزعة بين عقد المحراب والمستطيل المحيط به (شكل 67)، وكان على جانبي مقربصات القبة شمسيات من شبكات التوريق المفرغ في الجص من بينها مراوح نخيلية بسيطة ومزدوجة.

ومن أهم الملاحظات أن مسجد تينمل يبدو شبيها بالمساجد السابقة كالقرويين بعد التوسعة المرابطية ومسجدى الجزائر وتلمسان، أكثر سعة (قليلا) من العمق، وهو استمرار للتقاليد المغربية. غير أن الصحن في مسجد تينمل كان أصغر كثيرا من سعة بيت الصلاة، كما أن الصحن المحاط بمجنبات من جهاته الثلاث في المساجد المذكورة ظهر في مسجد تينمل بدون مجنبة شمالية وهي ملاحظة لا يكفي تفسيرها بصغر البناء وهو التفسير الذي اقتنع به هنري تيراس.

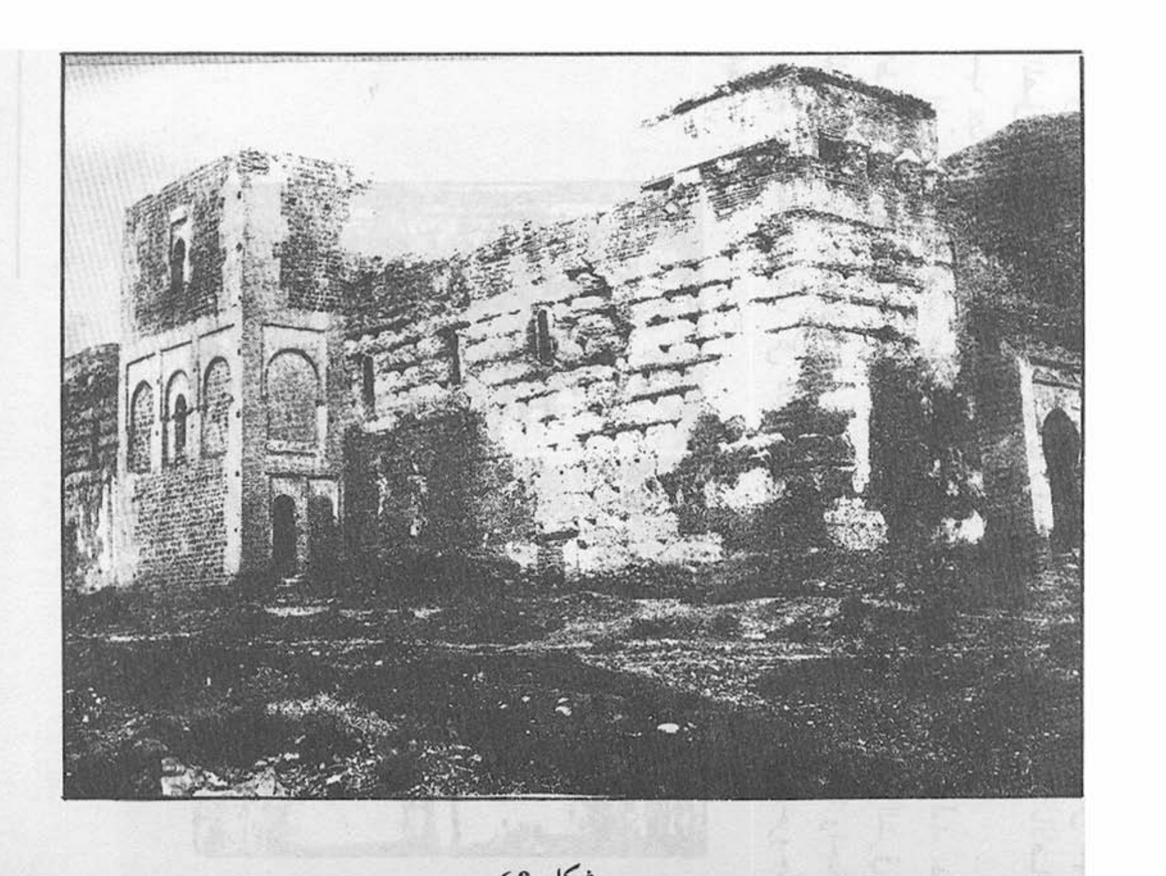
---

(1) سيد سالم : المغرب الكبير ص 841.
ونحن نعقب بأن ذلك ليس صحيحاً فقد وجدت الظاهرة بالمغرب قبل ذلك وهي ماثلة في مسجد شالة العتيق راجع كتابنا حفائر شالة الاسلامية.



شكل 67

محراب مسجد تينمل وتحف بجوفة المحراب فتحتا المنبر وحجرة الامام من خصوصيات العمارة المغربية (وهو تقليد غير متبع بمساجد المشرق عادة)



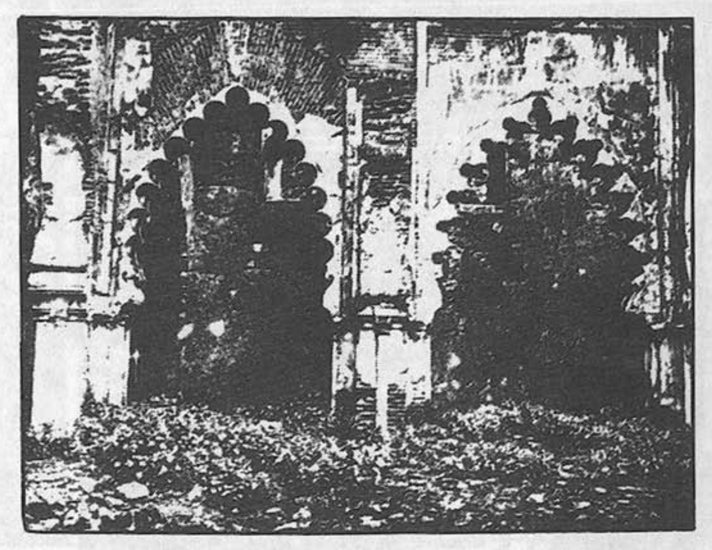
شكل 68

واجهة مسجد تينمل الجنوبية حيث تظهر الصومعة

وإذا كان هنري تيراس يعتقد بأن مسجد تينمل لم يعرف شأن بقية المساجد المغربية الأبراج المقوية للجدران الخارجية التي ظهرت بجامع قرطبة، فإننا نرى أن البنّاء استغنى في المساجد الصغيرة كمسجد تينمل بالمساند الداخلية، بينما ظهرت الأبراج المقوية للجدران الخارجية بالمساجد الجامعة الكبرى كمسجد حسان الجامع برباط الفتح.

وكان بكل واجهة خارجية ثلاثة مداخل بارزة رتبت منطقيا بكل منها اثنان يؤديان إلى المصلى وواحد إلى الملحقات الجانبية مما ساعد على ثراء المظهر الخارجي بالاضافة إلى انسجام النسب بين الصحن والمصلى والملحقات.

إن وضع ثلاث قباب على أسكوب القبلة المتميز بسعته[1] واحدة أمام المحراب في نهاية البلاط المحوري جهة القبلة وواحدة في نهاية كل من البلاطين الغربي والشرقي وجهة القبلة كذلك، الأمر الذي أدى إلى عدم مساواة البلاطات سعة وحقق تنوعها واختلاف تخطيطها عن نظام المساجد السابقة، كل ذلك جعل من تخطيط مسجد تينمل خروجا على التقاليد السابقة.



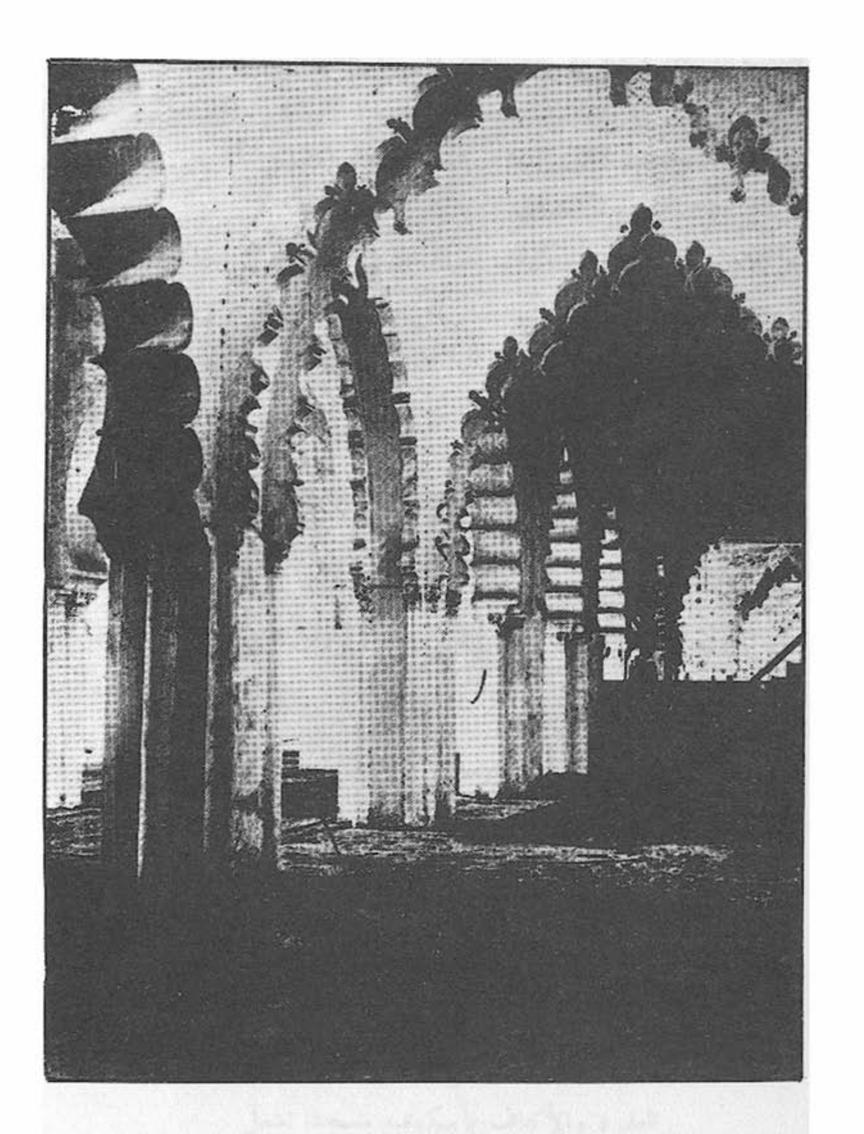
شكل 69

العقود والأكتاف بأسكوب مسجد تينمل

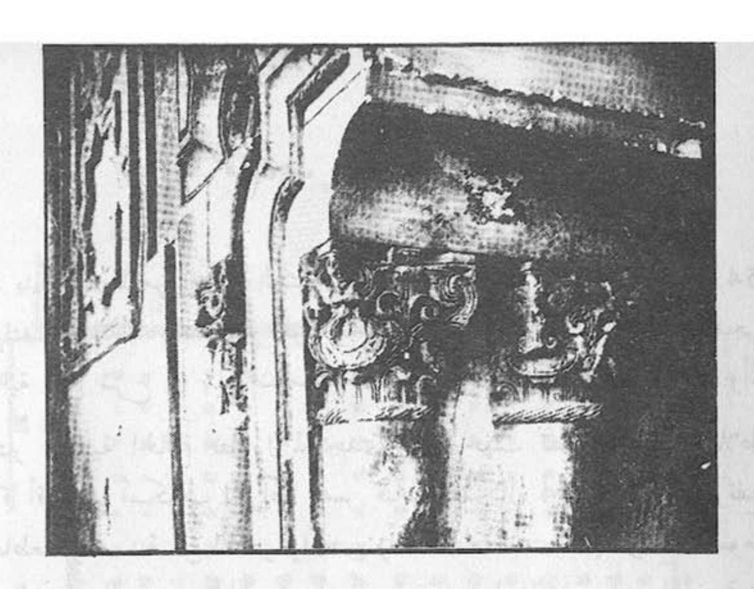
---

(1) أسكوب واسع أمام القبلة وثلاث قباب على ذلك المجاز القاطع (.Ttansept) الفن الأندلسي المغربي لهنري تيراس ص 307. ونلاحظ هنا تخبط المستشرقين بدون استثناء في فكرة المجاز القاطع التي يلصقونها بالمساجد كأثر للعمارة المسيحية ان تيراس يطلقها هنا على الأسكوب المتميز بالسعة في حين يطلقها هو والآخرون أحيانا أخرى على البلاط المحوري بعد بناء قبة المحراب بجامع القيروان.

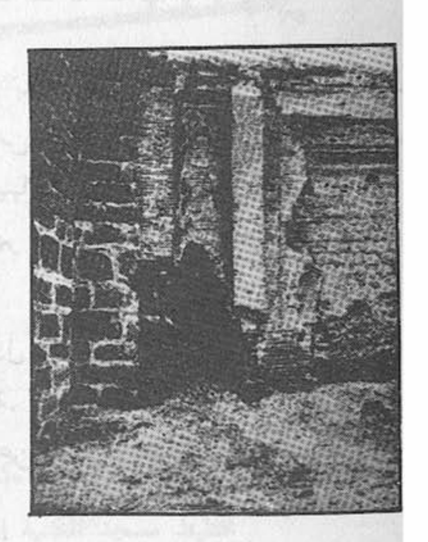
إن تلك العناية المعمارية بأسكوب المحراب مع تركيز الزخرفة الموحدية بالمحراب وحائطه وعقود البلاطين الأخيرين غربا وشرقا، قد أضفى قيمة خاصة على المحراب وأبرز قيمته الدينية كأهم عنصر في المسجد يظهر هنا أكثر بهاء، وزينة بالنسبة لبيوت الصلاة الأخرى حيث أكد تخطيط وزخرفة مسجد تينمل أن المحراب قد أصبح مركز النظام المعماري والزخرفي عند الموحدين.



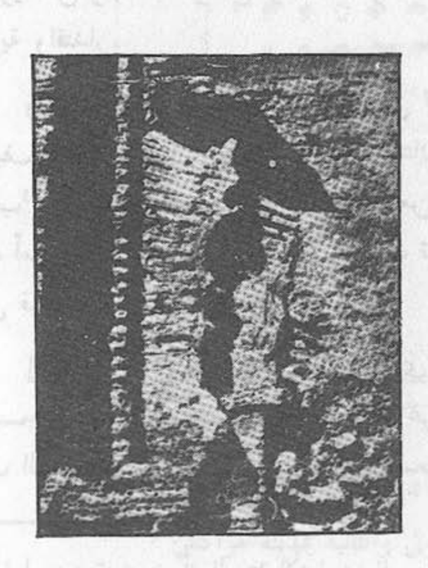
شكل 70
داخل بيت الصلاة بمسجد تينمل حيث تظهر أنواع
العقود والروافع من أكتاف وأعمدة دقيقة



شكل 71
أعمدة مسجد تينمل وتيجانها والزخارف الجدارية بحائط القبلة



شكل 72
بقايا أحد مداخل الكتبية الأولى



شكل 73
بداية عقد بأحد أبواب مسجد الكتبية الأولى

مسجد الكتبية بمراكش

وقد بدأ عبد المؤمن جامع الكتبية الأول (أشكال 72 - 73) سنة 541[1] ثم هدمه لانحراف قبلته عن الاتجاه الصحيح نحو مكة ثم شرع ابتداء من سنة 548 هجرية في تشييد الكتبية الحالية التي شرع في بناء صومعتها الشهيرة خلفه أبو يعقوب يوسف وأتمها المنصور.

وتعتبر الكتبية الحالية تطورا لمسجدي تازة حيث تضاعفت فيها بلاطات المسجد وأساكيبه كما أقيم على أسكوب المحراب خمس قباب (أشكال 74 - 75). وترتفع العقود على أكتاف متقاطعة أو مسننة من الآجر والجص (أشكال 76 - 77). وتقع الصومعة في الركن الشمالي[2] الشرقي للمسجد الجامع بعد أن وضع فيها المهندسون والمزخرفون أسرار فن العمارة الزخرفية الاسلامية بتنوع العقود المفصصة والقربصة والمتقاطعة وتنوع الزخارف المعمارية من وجه لآخر من أوجه الصومعة مع تحكم النوافذ وفي توزيع الزخارف الخارجية بعبقرية واقتدار.

ويشتمل بيت الصلاة في الكتبية على 17 بلاطا فبكل جانب من جانبي البلاط المحوري تضعيف لعناصر تينمل وبهذا توجد مجموعتان من أربعة بلاطات وقبة لكل جانب من جانبي المحراب[3]. وتتميز خمسة بلاطات بسعتها من بينها بلاط المحراب أكثر سعة، وتؤدي كلها إلى قباب أمام حائط القبلة (شكل 78) حيث تظهر باسكوب القبلة (شكل 79) المتميز بالسعة خمس قباب.

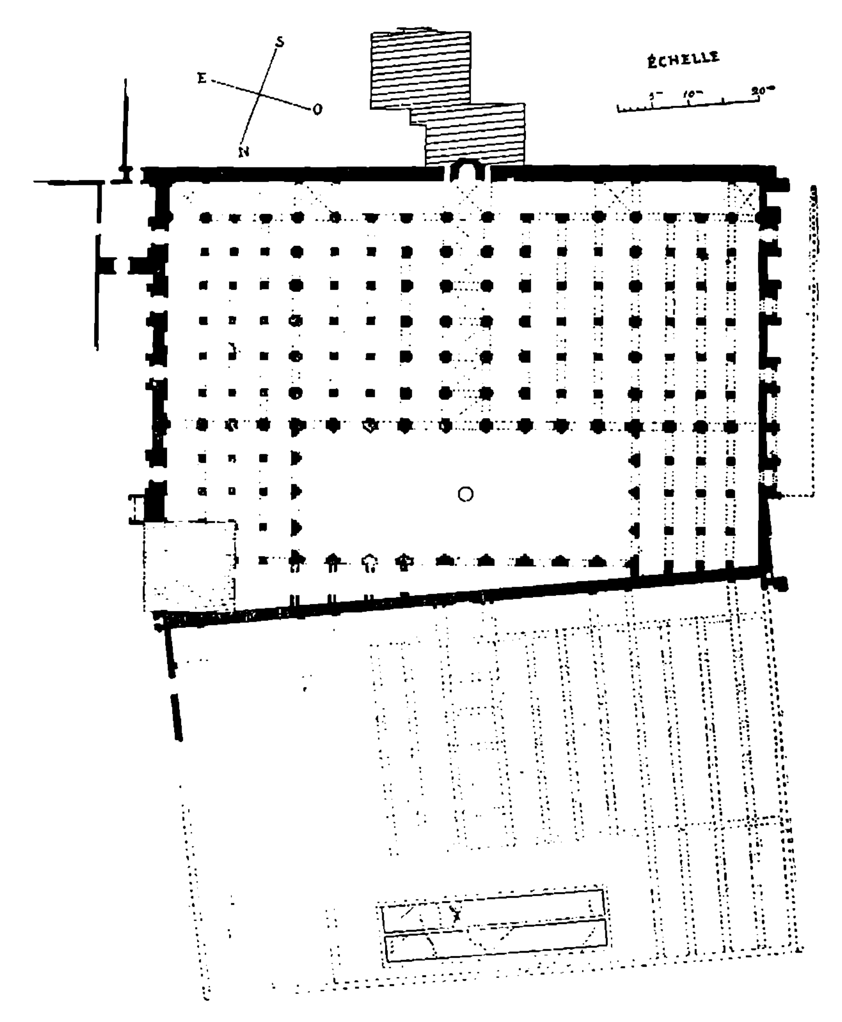
إن ذلك التخطيط الغريب غير العادي يدل على خطة الموحدين في الابتكار الذي يتطور في مسجدي القصبة وحسان لحالات أكثر غرابة. ولعل ذلك التخطيط المعدل كان سببه تعديل نسب البناء بالكتبية حيث زادت نسبة السعة عن العمق وتعدلت نسبة الصحن فبلغ مساحة

---

(1) يقول جوميث مورينو أن المسجد الأصلي من تأسيس الأمير علي بن يوسف المرابطي ثم هدمه بعد عشر سنوات عبد المؤمن بن علي وأبقى على منارته وأعاد بناءه ليطمس روائع المرابطين وان كان قد استخدم نفس الفنانين، الفن الاسلامي في اسبانيا ص 353.

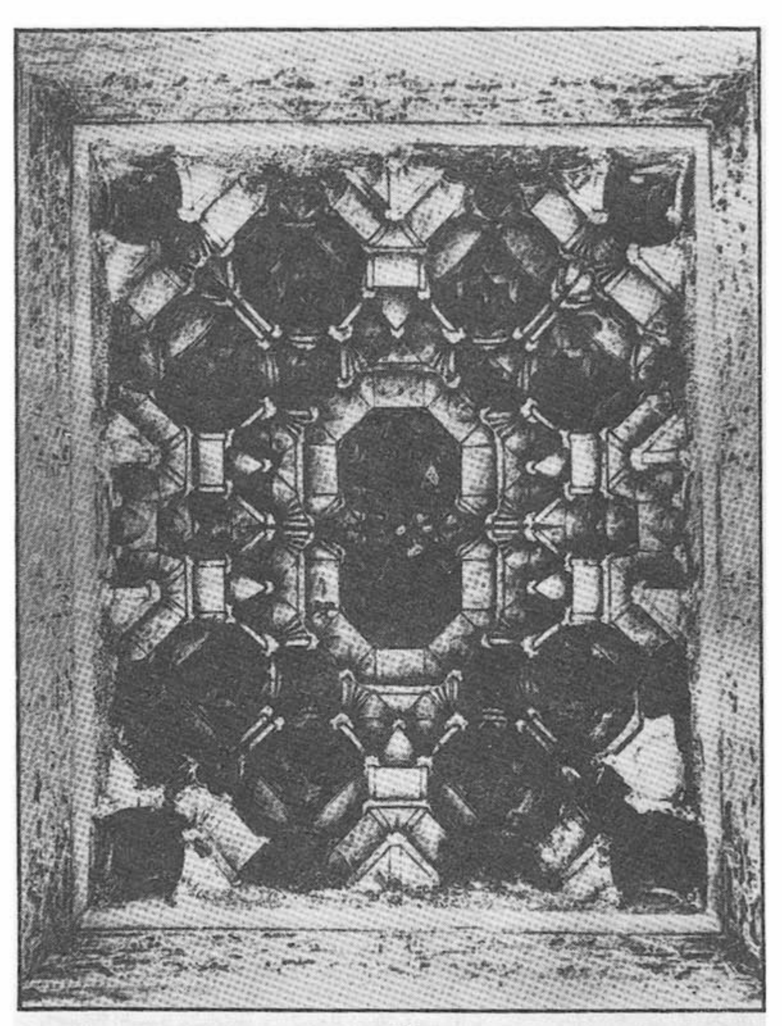
(2) تيراس وباسيه : مساجد وحصون الموحدين ص 405 (عبد المؤمن بدأ بناء صومعة الكتبية). وراجع المغرب الكبير ص 843 والمغرب عبر التاريخ 365/1 وكتاب الاستقصا 112/2.

(3) أنظر قبة جوفة المحراب شكل 53 بهذا الفصل.



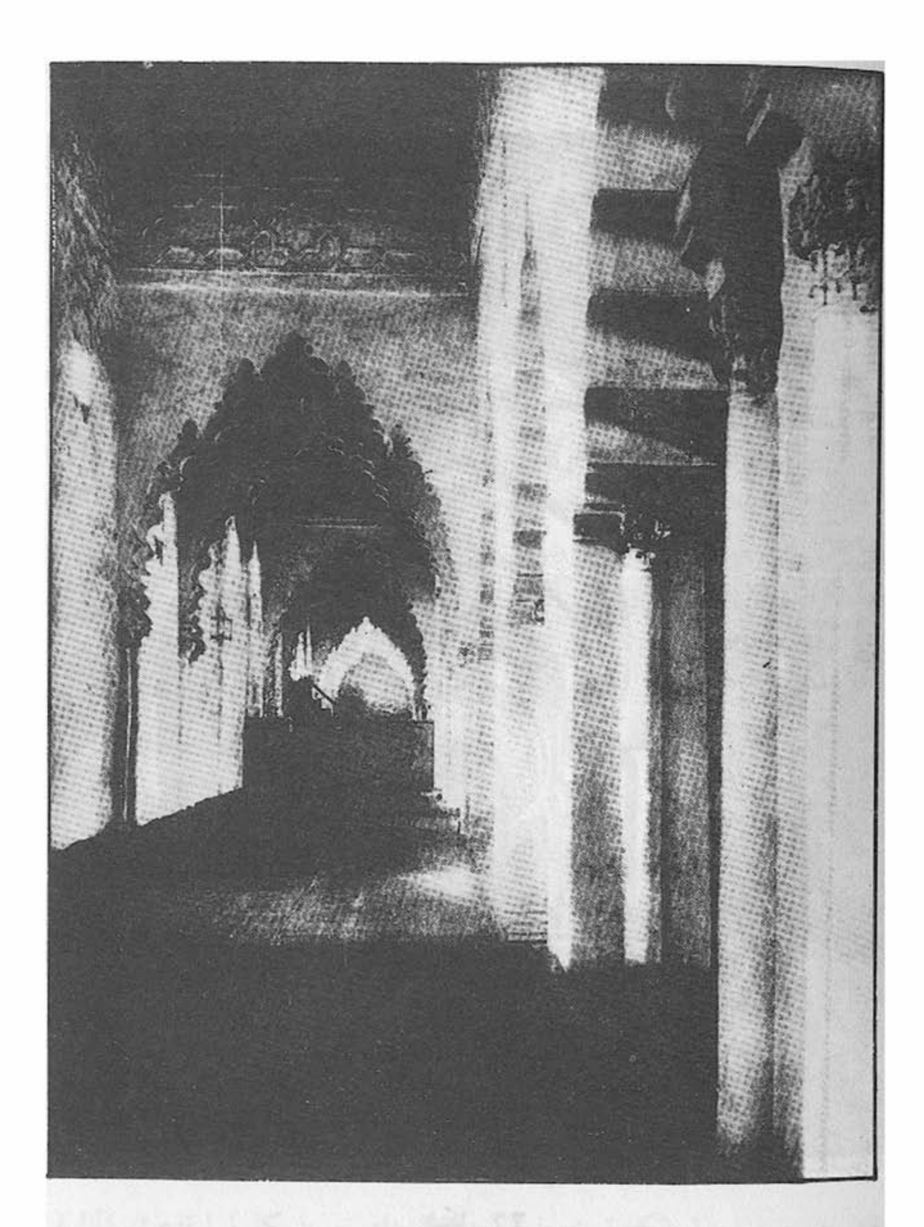
شكل 74

تخطيط مسجد الكتبية الأولى والثانية بمدينة مراكش

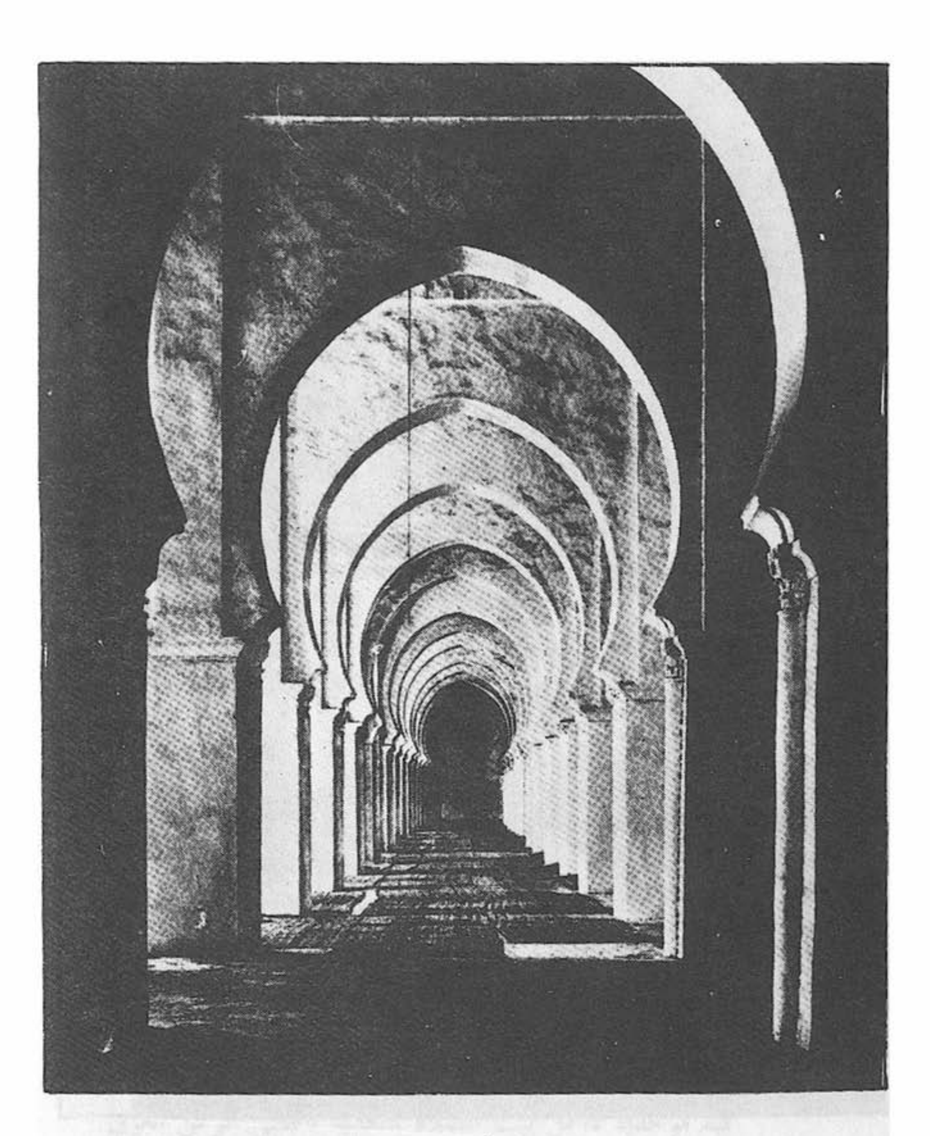


شكل 75

قبة موحدية داخل بيت الصلاة بالكتبية بأقصى الركن الغربي



شكل 76
بيت الصلاة بمسجد الكتبية الموحدي بمراكش



شكل 77
داخل بيت الصلاة بمسجد الكتبية بمراكش من عصر الامبراطورية الموحدية

تسعة بلاطات لتحقيق الاضاءة ببيت الصلاة الفسيح، بينما ظل الصحن بنفس عمق صحن مسجد تينمل بمساحة أربعة أساكيب، كما زاد فتح باب بكل من جانبي بيت الصلاة (أصبحت ثلاثة بكل جانب بعد بابين في تينمل) مع وجود باب يؤدي إلى كل زيادة جانبية بالاضافة إلى الباب الرئيسي على محور الواجهة الشمالية (شكل 80).

ومن المؤسف أن يظل تيراس يربط تخطيط المسجد بقبابه الخمس على أسكوب القبلة بنظام الكنيسة ذات القبة، ويدعى أن قباب الموحدين لا تثير مشكلة معمارية ولا تعدو أن تكون زينة بحتة، وأن تلك القباب الكبيرة لم تكن في الحقيقة عناصر معمارية ولا تعدو أن تكون مواضع للزخرفة.

وقد فات تيراس اختلاف عمارة القبة بمعناها الهندسي عن عمارة المساجد المغطاة بأشكال هرمية في العمارة المغربية رغم تسميتها جوازاً بالقباب وفاته عدم وجود هدف إسلامي يرمي إلى بناء قبة ضخمة على مساحة فسيحة مثل أياصوفيا تمكن من رسم صور القديسين والقصص الديني. انه يكفي للدلالة على عبقرية المهندس المسلم ابتكار الأساليب المعمارية كالقباب المغربية لرفع الأسقف لتحقيق الاضاءة وهو هدف ديني تحققه العمارة الاسلامية التي تعتمد في ابتكارها على القباب كعناصر معمارية بحتة، وإن لم تكن القباب بكل تخطيطاتها الهندسية المتعلقة بنظام معماري متكامل من الأرض إلى القمة تعتبر عناصر معمارية، فكيف تكون تلك العناصر إذن ؟

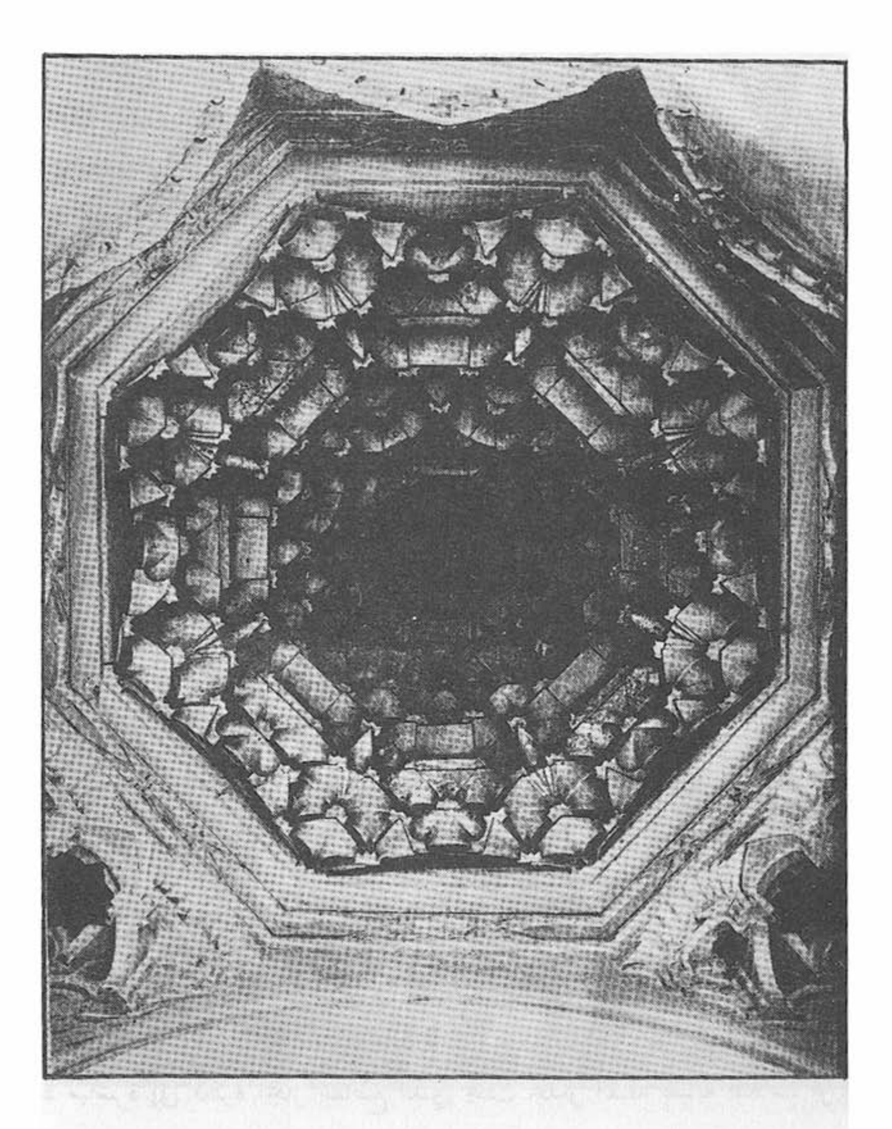
يصرح جوميث مورينو في كتابه عن الفن الاسلامي في اسبانيا بأن القبة التي تتخللها منافذ عرفت كعنصر إسلامي (وأنها لم تدخل البازيليكا إلا في عصر متأخر) تحقيقا لغاية عملية وهي اضاءة الظل الخفيف في المكان الذي يتلى فيه القرآن.

وها هو هنري تيراس يعود ليتناقض مع نفسه ويقرر أن المساجد الموحدية عمل هام يتميز بتخطيطه المتقابل وأنه لم يأت عفوا وأن مساجد الموحدين تعبر بدقة عن القيمة الدينية لاجزاء المسجد المختلفة وربما لا يوجد في الاسلام تخطيط آخر أنسب منها للضروريات وأكثر عمقا في اتجاه الثقافة الاسلامية أو انسجاما مع روح الاسلام. وعلى الرغم من هذا الاعتراف فإنه يعود مباشرة إلى فكرة المجاز القاطع الذي يحف بجدار القبلة بقبابه الثلاث أو الخمس[1].

وقد بنيت صومعة الكتبية بحجارة رديئة تزداد سوءا كلما ارتفعت المنارة (شكل 81)[2] وقد غطيت بما يمسك كتلتها المفككة، وتكاد تكون صنج العقود المشكلة متساوية

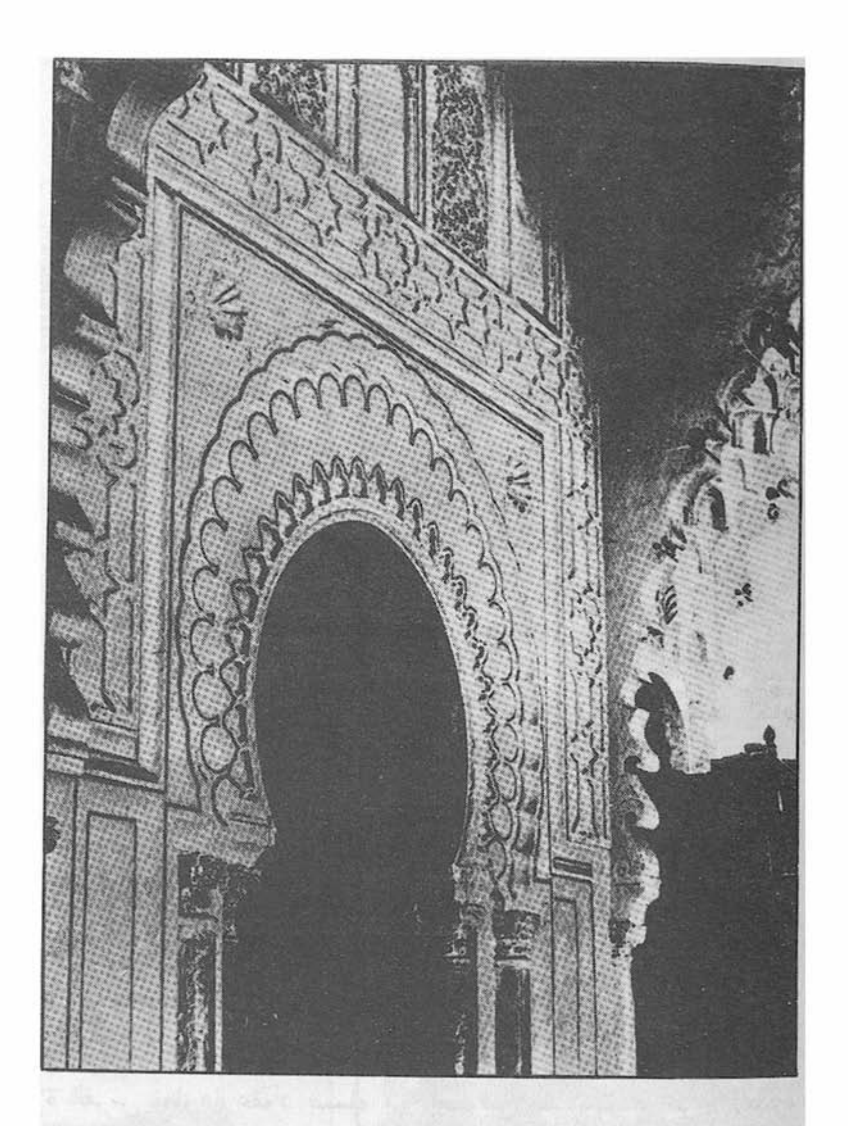
---

(1) الفن الأندلسي المغربي ص 309 – 310.
(2) الفن الاسلامي في اسبانيا ص 352.



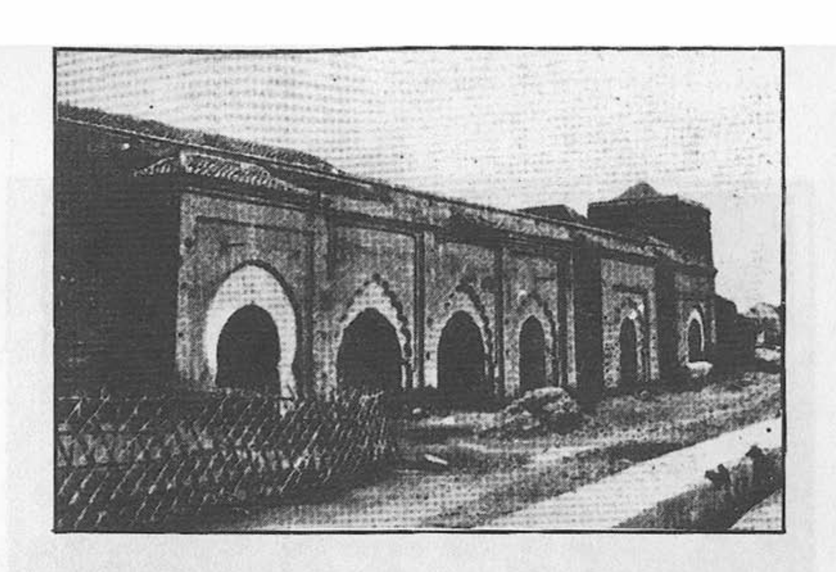
شكل 78

قبة جوفة المحراب بمسجد الكتبية بمراكش



شكل 79

أسكوب القبلة بمسجد الكتبية حيث المحراب وتركيز الزخارف الموحدية



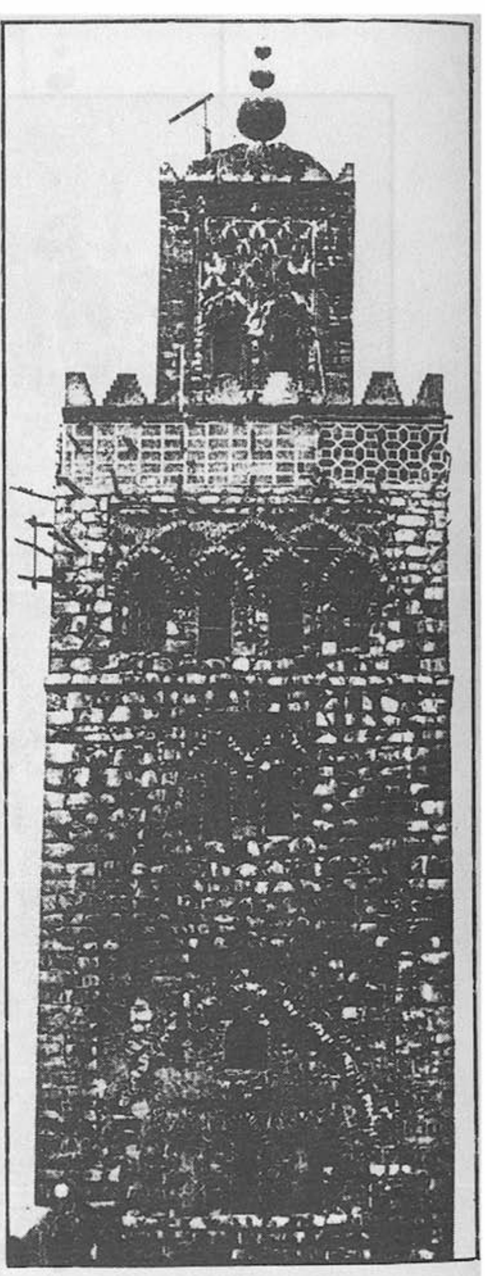
شكل 80

عمارة الواجهة الجنوبية الغربية بجامع الكتبيين بمراكش

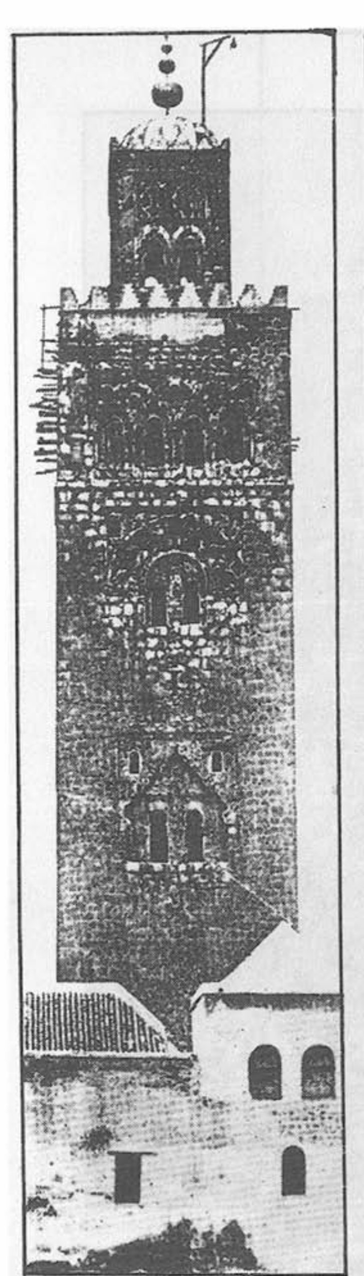
مما ينم عن خشونة في البناء تظهر من بين كسوته الجيرية، وقد وجهت العناية إلى العقود السفلى في اتجاه الشمال الشرقي وهي على شكل حدوة الفرس بين عقود أخرى مدببة (أشكال 82 - 83).

وتكاد تكون نوافذ الصومعة متساوية في الواجهات المعارضة وتتألف من عقود على هيئة حدوة الفرس المستديرة أو المنكسرة والعقود الشبكية أو من فصوص يحكمها اطار يحيط بها (شكل 84). وذلك فضلا عن الزخارف الأخرى في المحيط تبدو بعض عقودها من فصوص متصلة وعقود الشبكة مع ثراء في العناصر، أو بمجموعات من العقود المفصصة الصغيرة حول عقود حدوة الفرس تعلوها عقود صماء من فصوص متشابكة ثم تتوج الصومعة بشرفات مسننة.

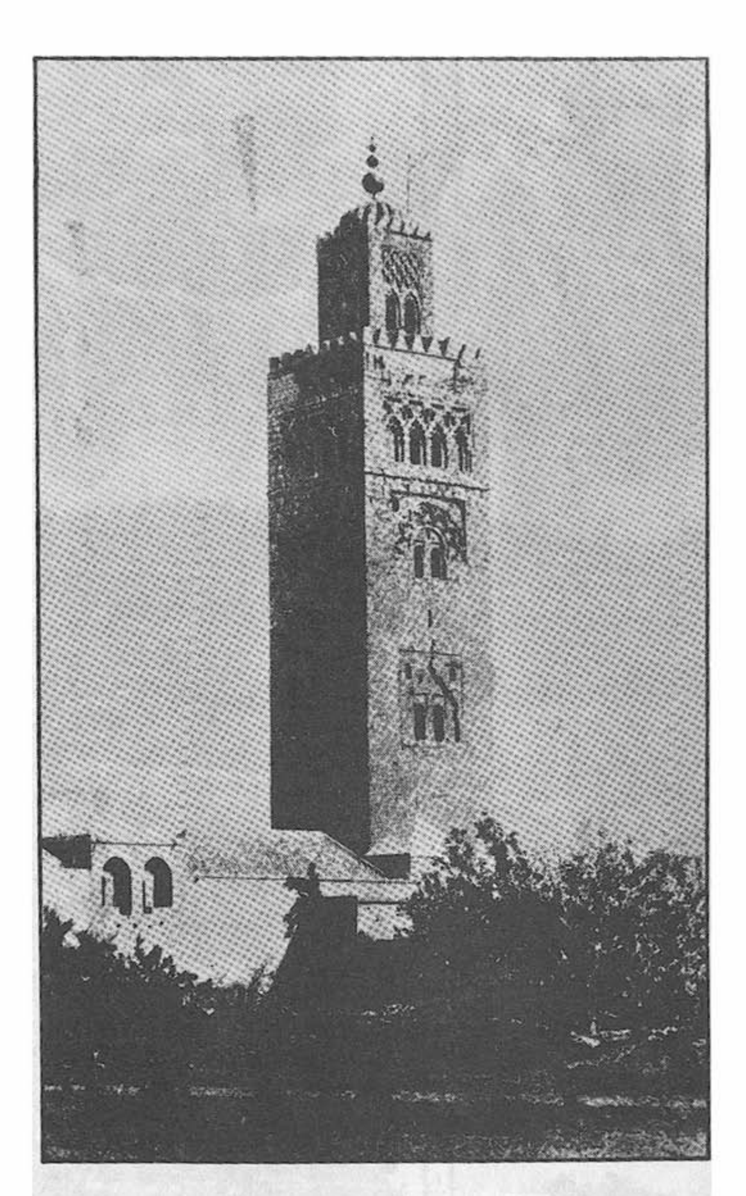
وداخل الصومعة تنوعت أساليب التغطية ووسائل رفعها كما تبدو في شكلي 85 و86 حيث نرى قبة ذات ضلوع هندسية **Coupole à Nervures** تقوم على مرحلة انتقال ذات مقرنص ينقسم إلى حطات متتابعة تسقط منها الدلايات **Stalactites**.



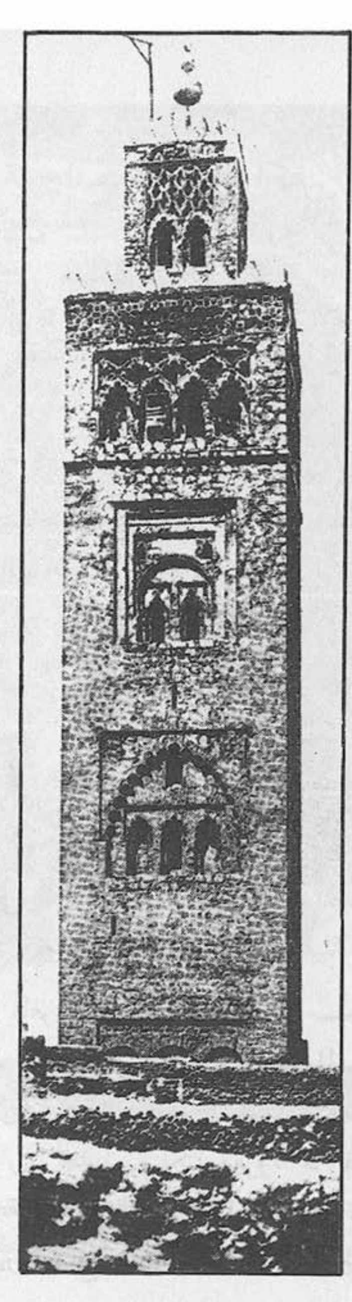
شكل 81
صومعة الكتبية بمراكش، مواد البناء كما تظهر بوضوح بالقسم العلوي للصومعة



شكل 82
صومعة الكتبية بمراكش أثناء ترميم الزليج بالقسم العلوي منها



شكل 83
عقود وزخارف صومعة الكتبيين الموحدية بمراكش



شكل 84

عقود وزخارف صومعة الكتبيين الموحدية بمراكش

جامع قصبة مراكش

ويقف جامع القصبة بمراكش فريدا في تخطيط صحونه الذي أملته عبقرية المهندس المغربي وقد أمر المنصور بتشييد القصبة وجامعها وصومعته قبل جوازه لمعركة الأرك سنة 593 بعد الهجرة.

ويشتمل بيت الصلاة على أحد عشر بلاطا وثلاثة أساكيب وتقع على أسكوب المحراب ثلاث قباب وينفرد المسجد بصحنه الكبير بالنسبة لبيت الصلاة مع وجود بلاط بالصحن يوازي القبلة يعترض جانبي الصحن من الشرق والغرب محدثا خمسة صحون بالمسجد[1] (شكل 87).

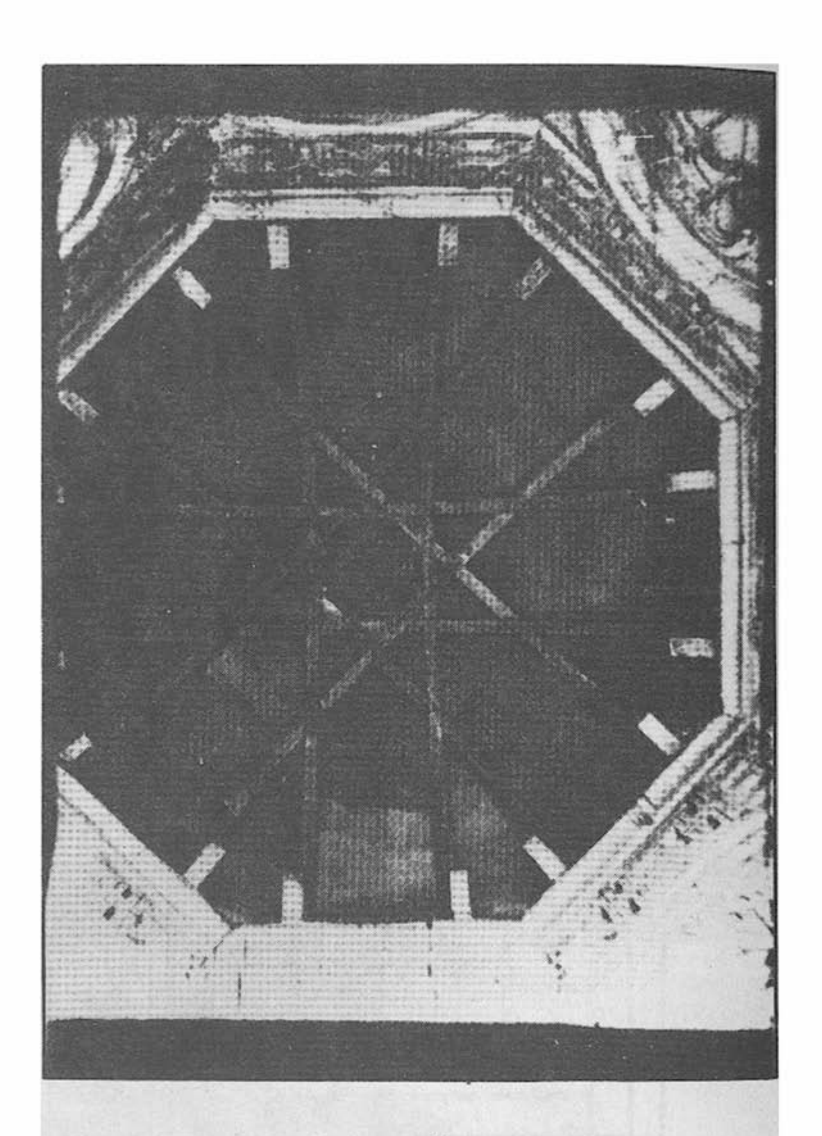
وتزدان الصومعة بشريط من الزليج الملون (أشكال 88 – 90) وشبكة من المعينات المتجاورة التي تعكس شكل العقود المفصصة والمتقاطعة (أشكال 91 – 92) وللمسجد ثلاثة أبواب تفتح بالواجهة الغربية (الواجهة المرممة من عصر السعديين بدون فتحات) وباب واحد جهة الشمال.

ولعل أهم ما نلاحظه على التخطيط هو انقاص عمق المسجد إلى ثلاثة أساكيب وامتداد البلاطين المتطرفين بطول الحوائط ليصنع ذلك مع أسكوب القبلة رواقا يدور حول مساحة البناء.

كما أن هدف المهندس المغربي لتحقيق الغرابة في مسجد من أكبر مساجد الشمال الافريقي (70 × 77 م)، جعله يبتعد بالصحن عن أسلوب المساجد المبكرة في الاسلام ويعمد إلى تقسيم المساحة المكشوفة إلى خمسة صحون بأسلوب يدل على أن المهندس المجهول أراد بهذا التنظيم وضع تركيب معماري جديد لم يكن معروفا من قبل حقق به قيمة جمالية وفنية. إن تلك الصحون المستحدثة حققت مع الأورقة القليلة العمق تناقضا غنيا بين الظل والاضاءة فلا زالت تلك الصحون الصغيرة تصنع مرحلة انتقال بهيجة بين ظلال بيت الصلاة والأروقة وبين الصحن الممتلىء شمسا.

---

(1) راجع دراسة التاريخ والتخطيط والعمارة في : مساجد وحصون الموحدين لتيراس وباسيه ثم كتاب
La Mosquée de Hassan : J. Caillé



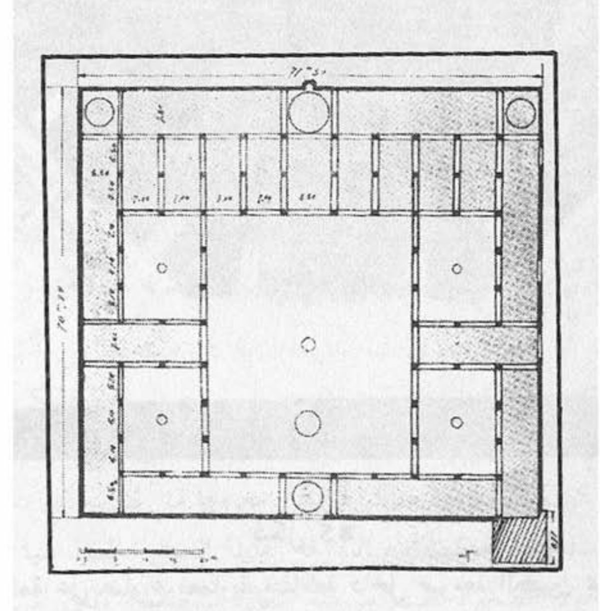
شكل 85

قبة قائمة على ضلوع معمارية متقاطعة داخل صومعة الكتبيين بمراكش



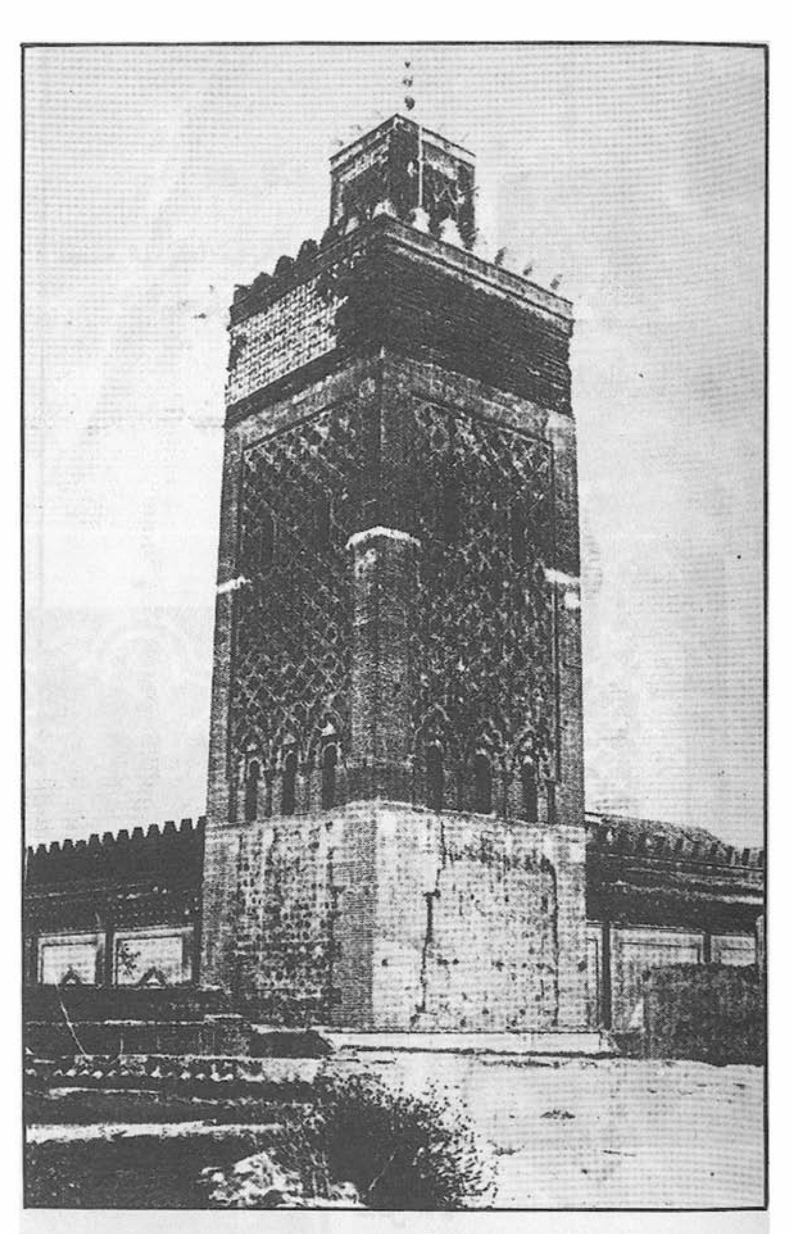
شكل 86

مرحلة الانتقال المعمارية داخل قبة بصومعة جامع الكتبيين



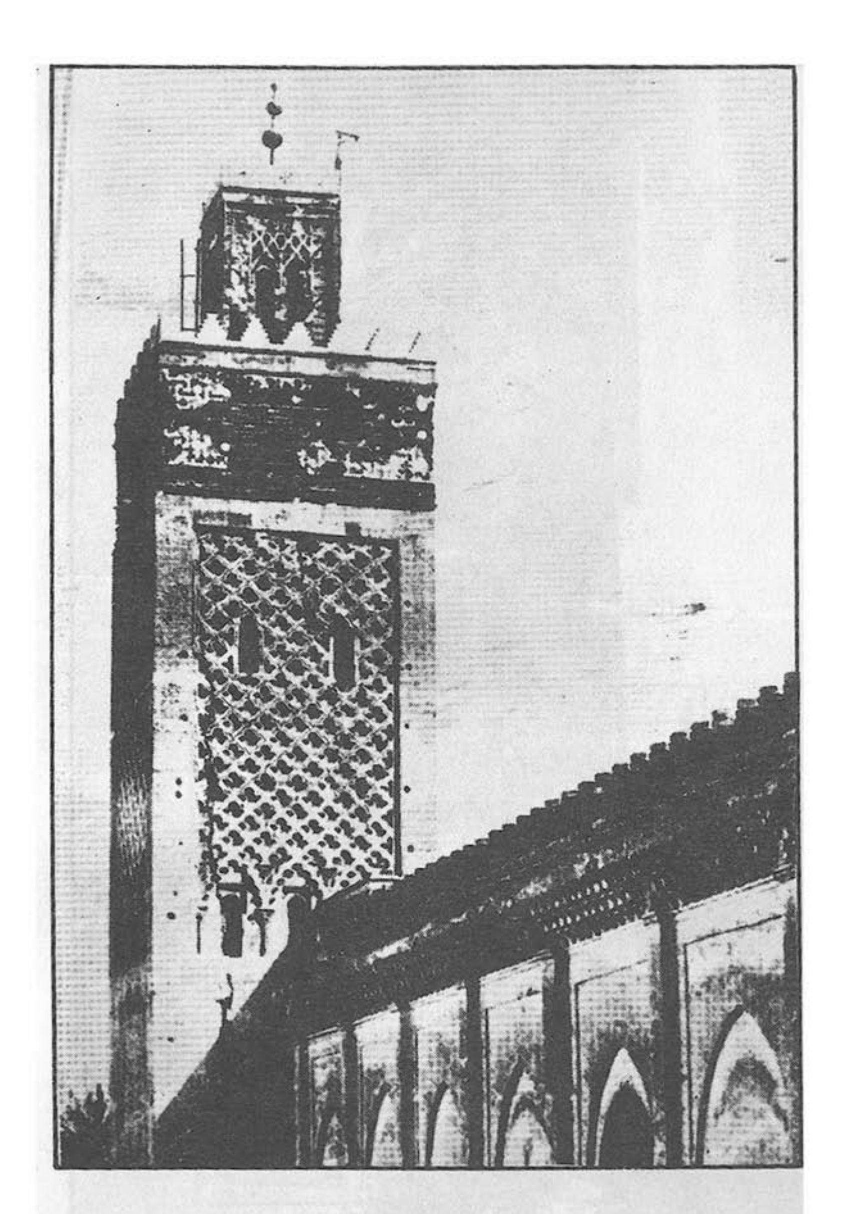
شكل 87

تخطيط مسجد قصبة مراكش وتظهر فيه خمسة
صحون على نحو لم يكن معروفا من قبل



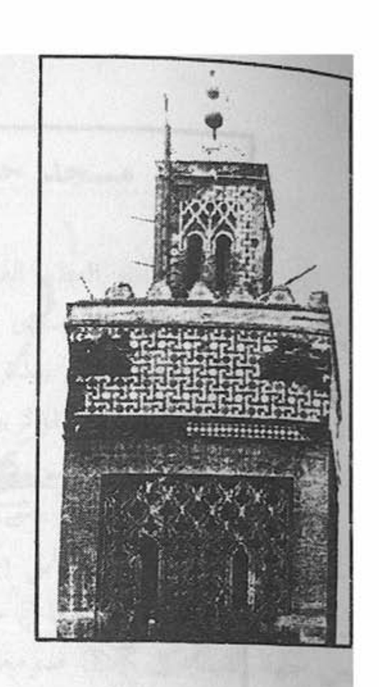
شكل 88

صومعة مسجد القصبة بمراكش



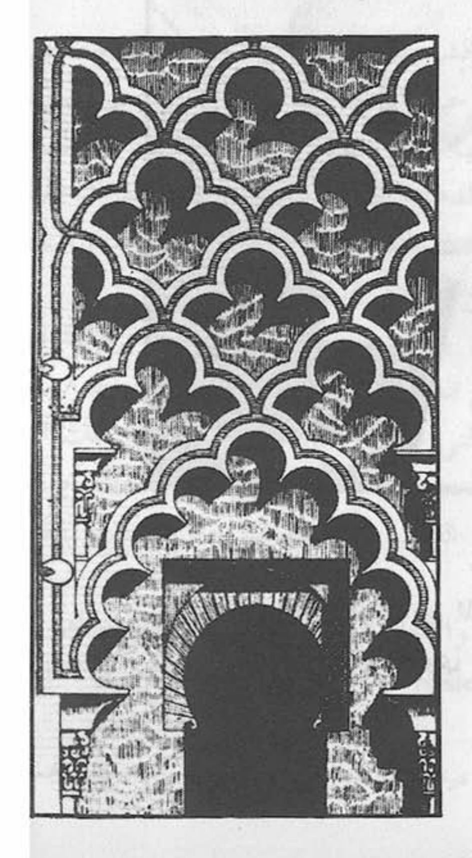
شكل 89

صومعة مسجد القصبة بمراكش



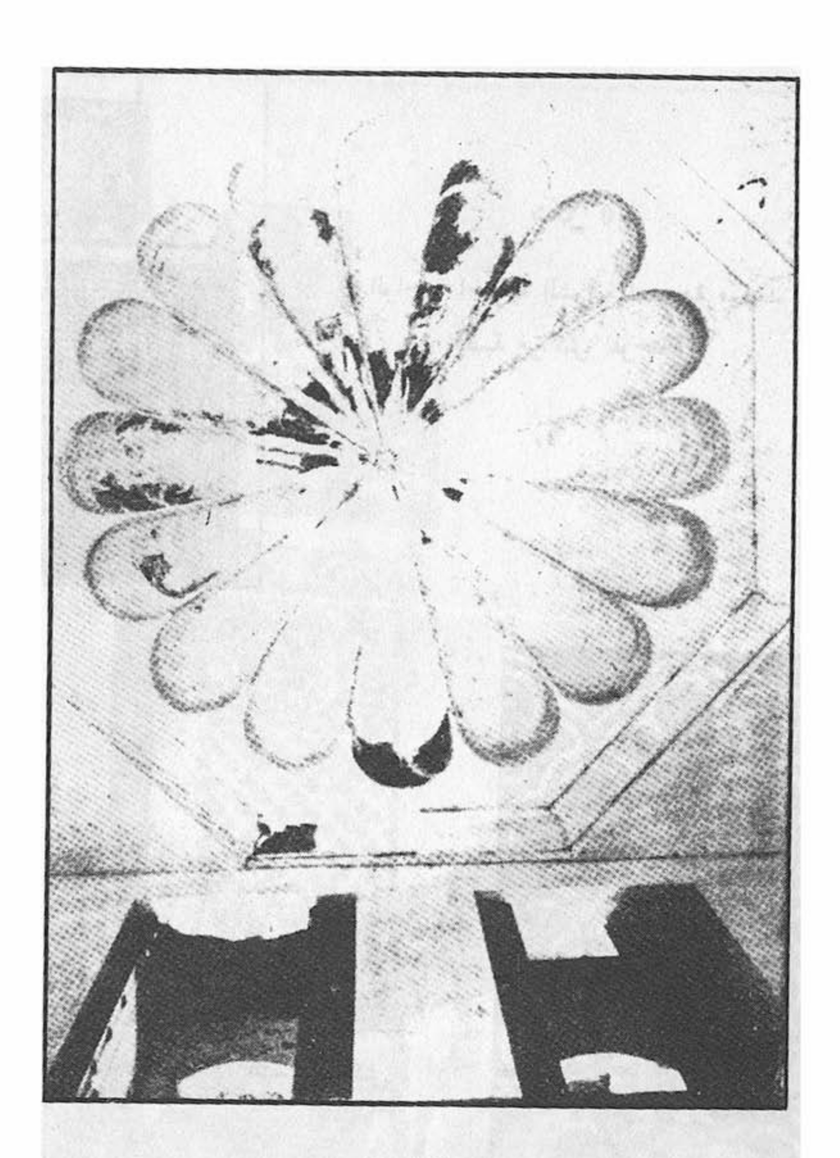
شكل 90

الواجهة الجنوبية الشرقية لصومهة مسجد
قصبة مراكش الموحدية



شكل 91

تفصيل شبكة المعينات والتضفيرات الهندسية
بواجهة صومعة مسجد القصبة بمراكش.



شكل 92
القبة الإشعاعية المضلعة بعزرى الصومعة وهو
القسم العلوي المسمى بصومعة الصومعة

مسجد حسان الجامع برباط الفتح

إنه المسجد الجامع العظيم الفخم المنسوب إلى بَنَّاء الموحدين يعقوب المنصور والذي لا يكبره في مساجد الاسلام سوى مسجد سامرا حيث بلغت مساحة مسجد حسان الجامع 183 × 140 م. وهو يختص بعدة مميزات في التخطيط والعمارة جعلت منه لغزاً غربيا حار في تفسيره وفهمه المؤرخون والأثريون رغم سلسلة الحفائر والأبحاث التي عرفها ذلك الأثر (أشكال 93 – 94).

لقد أقيم المسجد أصلا فوق مساحة خالية وبامكانيات كبيرة حققت ذوق مهندس الموحدين في تطبيق فكرة التقابل (Symetrie) في البناء. وإذا كانت الصومعة تقع فعلا على المحور الرئيسي للبناء مثل نظيرتها في مسجد تينمل فإنها هنا تقوم شمال الصحن في نهايته الأخيرة وليس جهة القبلة كما كانت صومعة تينمل.

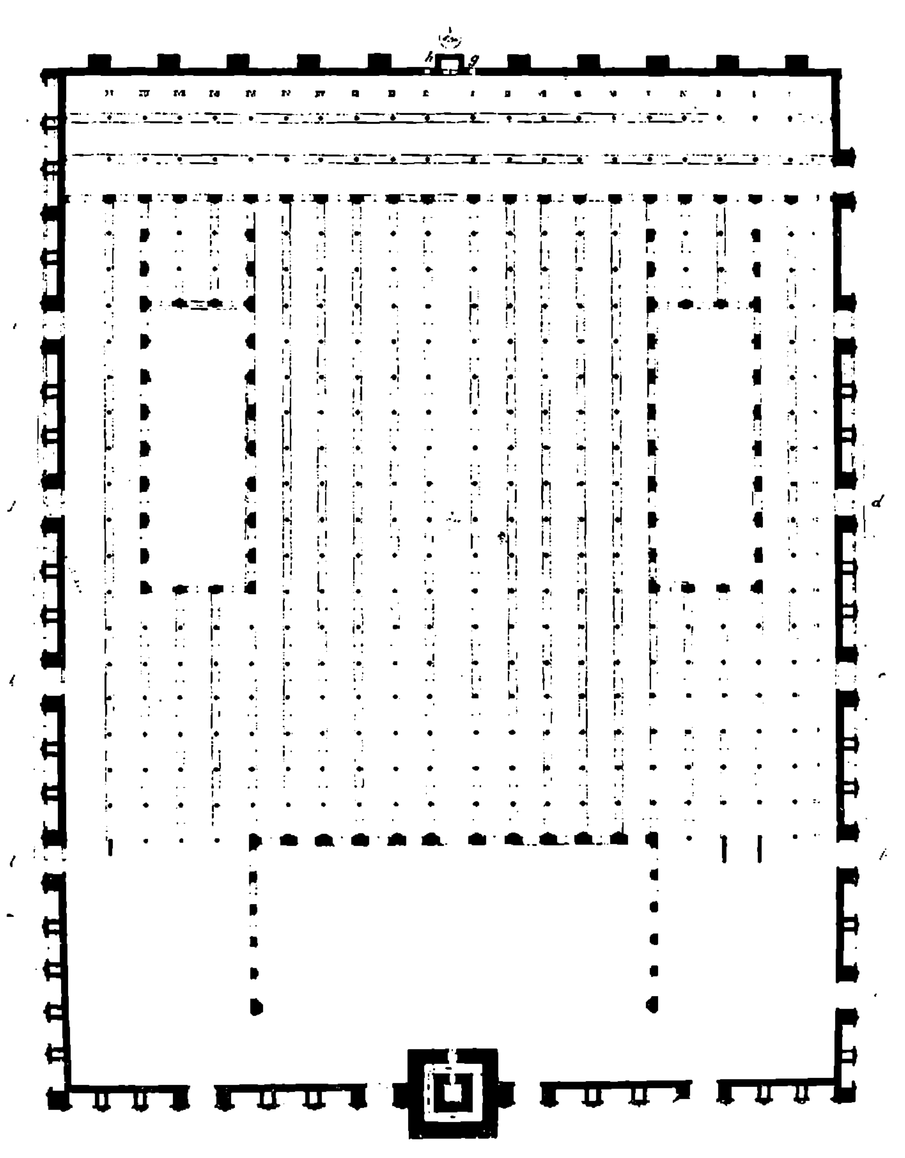
وقد أراد يعقوب المنصور مضاهاة مساجد الشرق الجامعة فرفع أسقف مسجده على أعمدة بدل الدعائم ولكنها لم تكن رخامية قديمة توحي بالأناقة والجمال، وإنما كانت أعمدة ضخمة مكونة من حلقات دائرية متراكبة فوق بعضها تحمل عقودا سميكة من الآجر منخفضة بدون طيش داخل بيت الصلاة. وكان من دواعي الدهشة أننا نجد أسقفا في الأروقة الداخلية للبناء تجلس مباشرة فوق الأعمدة دون عقود، كما كانت الأسقف (charpentes) في محيط البناء تجلس كذلك مباشرة فوق أعمدة أكثر ارتفاعا من أعمدة بقية البناء.

ولم يشتمل المسجد الجامع على رواق يحيط بالبناء على نسق الحالة التي عرفناها في مسجد القصبة بمراكش من نفس العصر ولا زال من الصعب تصور تخطيطه الأول وخصائصه النهائية بعد تمامه لامكان تفسير عدد من الظواهر التي تركت آثارها بالمسجد. من ذلك أن تخطيط رواق القبلة بالحالة التي يمكن فهمها حاليا لا يسمح باقامة قباب في بيت الصلاة بحيث يمكن القول بأن غياب تلك القباب في نفس عصر القباب المضاعفة بمساجد الموحدين يظل أمراً محيراً.

إن الحفائر التي قام بها دي لا فوا وزوجته والأبحاث والتخطيطات التي افترضاها لا زالت غير مقنعة بل ان التخطيط الذي افترضه Nésiere لم يتعد اضافة أخطاء أخرى[1] إلى

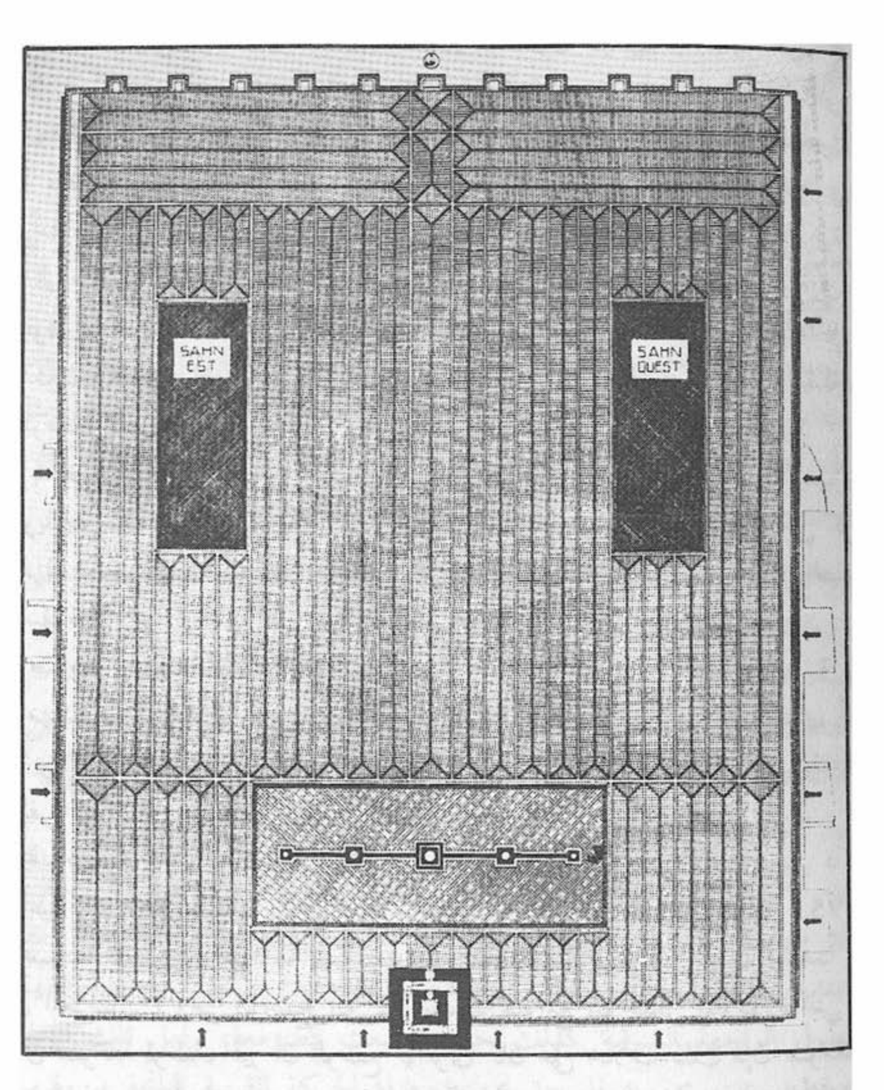
---

(1) عن تاريخ وعمارة مسجد حسان وصومعته وآرائنا الجديدة في دراسته خصصنا قسما من كتابنا ضريح السلطان محمد الخامس الذي يعد قريبا للطبع.



شكل 93

تخطيط مسجد حسان الجامع برباط الفتح



شكل 94

تخطيط التغطية المعمارية لجامع حسان

أخطاء دي لافوا بالاضافة إلى الحالة المخربة بشكل عنيف لآثار المسجد التي لا تدل على غير إشارات وبعض علامات عن موقع الأروقة وبيت الصلاة والصحون الداخلية وآثار خزانات واسعة كانت تشغل مساحة كبيرة من الصحن ورواق مرتفع عند الحد الجنوبي للمسجد ثم بيت للصلاة قائم على بوائك بوسط المسجد (رأى هنري تيراس)[1] عبارة عن مصلى تحيط به حوائط ذات عقود من جميع نواحيه وهذه الحالة تعتبر من التقاليد الغريبة التي أوجدها مهندس يعقوب المنصور، وهكذا تخطى مسجد حسان حدود التقاليد. أما الصحون المتعددة المضاعفة فقد كانت صفة مميزة للمساجد المغربية في نهاية القرن السادس الهجري.

وأما مشكلة انحراف القبلة في مسجد حسان عن غيره من المساجد المغربية فلم يعد تفسيرها اليوم صعباً. فالغالب أن ذلك الوضع نتج عن اقتداء مبكر بتحديد القبلة في الأندلس حيث تعود الشاميون هناك على تحديد اتجاه القبلة جنوبا تبعا للعادة التي ألفوها في بلادهم بالمشرق دون التنبه إلى أن موقع المغرب والأندلس يحدد اتجاه الجنوب الشرقي للقبلة، وهكذا استمر الوضع غالبا في المغرب نزولا على حكم العرف دون الحقيقة الجغرافية.

ويتألف المسجد في قسميه الشمالي من واحد وعشرين بلاطا وسبعة أساكيب يليه قسم آخر جنوبا يتوسطه أحد عشر بلاطا يعترضها أحد عشر أسكوبا، ويحف به من كل جانب شرقا وغربا صحن مستطيل تليه بلاطتان أخريان بطول البلاطات المتجهة من الصومعة إلى القبلة وسقوفها أكثر ارتفاعا عن بقية الأسقف (أشكال 93 – 94).

وصومعة مسجد حسان حلقة في سلسلة صوامع المنصور بالكتبية والقصبة واشبيلية، غير أن مهندسها استعمل الحجر المنجور وقد ضاع بفعل الزمن جزؤها العلوي أو أنها لم تتم أصلا ولا زالت زخرفتها المعمارية المتنوعة على أوجه الصومعة بعقودها وتوريقاتها تعكس فخامة الفن الموحدي (أشكال 95 – 101).

وقد صرح كارل بركلمان في تاريخ الشعوب الاسلامية (ص 297) عند ذكر مئذنة جامع قرطبة (... وقد أصابها زلزال فأخربها واستبدل بها عبد الرحمن الثالث 951 م مئذنة جديدة ضخمة شيد على طرازها فيما بعد برج جيرالدا الشهير في اشبيلية وعدداً آخر من المآذن في المغرب...) ومن الواضح أنه كان يقصد صوامع الموحدين المذكورة التي نسجت على منوال صومعة قرطبة، غير أن الوضع كما نرى كان على خلاف ذلك فإن صومعة حسان وشقيقاتها بالمغرب والأندلس قامت على أساس تاريخي سابق للصومعة المغربية الأصيلة عمارة وزخرفة منذ أن اشتقت الصوامع المربعة تخطيطاتها وزينتها من العمارة والزخرفة البربرية القديمة ذات العلاقة بالعمارة والزخرفة العربية القديمة باليمن والحجاز كما أسلفنا بالجزء الأول من كتابنا هذا تاريخ العمارة.

---

(1) هنري تيراس : الفن الأندلسي المغربي : ص 315 – 320.

مسجد سلا الأعظم :

كان مسجد سلا الكبير الذي بناه يعقوب المنصور من أهم المساجد الجامعة بمنطقة مصب أبي الرقراق المشتملة على عمران شالة وسلا والرباط.

ويتميز المسجد أولا ببلاط محوري (وهو بلاط المحراب) أكثر سعة من بقية البلاطات مما جعل هنري تيراس يسارع إلى وصف تخطيطه بحرف التاء اللاتيني.

وللمسجد قبة واحدة، ويشتمل على اضافات جانبية فسيحة تمثل صحوناً جانبية جهة الشمال جعلت هنري تيراس يتساءل اذا ما كانت تلك الظاهرة تنظيما جديدا وردت تأثيراته من افريقية، ويتبع ذلك بقوله أن مسجد ابن طولون بالقاهرة (شكل 102) كان مشتملا على صحون جانبية وكذلك كان الحال في المسجد الفاطمي بالمهدية.

والواقع أن تخطيط مسجد أبي فتاتة[1] بسوسة من الأرض التونسية (شكل 103) يظهر لنا زيادة خارجية عن بيت الصلاة من الشرق والشمال ولكنها تشتمل على مساحة غير منتظمة التخطيط، وكذلك الحال في مسجد سوسة الجامع[2] توجد زيادة شرقية غير منتظمة التخطيط وأخرى غربية منتظمة (شكل 104)، بينما نرى في مسجد ابن طولون الجامع[3] بالقاهرة زيادات منتظمة التخطيط متماثلة الوضع بكل من الجهات الشرقية والغربية ثم الشمالية حيث تقع الصومعة.

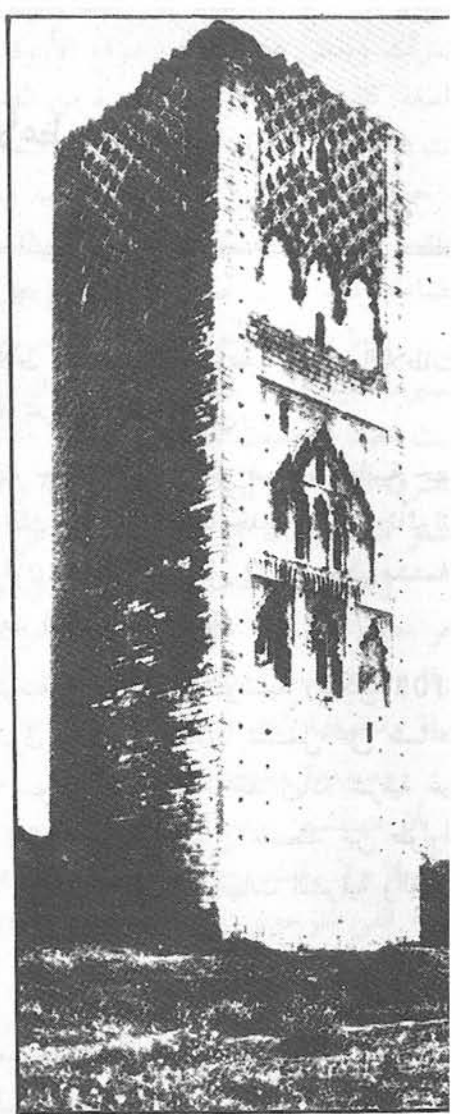
وإذا كانت الزيادات الخارجية عن تخطيط بيت الصلاة والعناصر الأساسية لتخطيط المسجد قد ظهرت كما رأينا بافريقية ومصر قبل مسجد سلا، غير أنه كان لكل منها قصدا توخاه المهندس. وقد وجدت زيادات خارجية لمسجد سلا الأعظم بطول الواجهة الغربية تقريبا وبطول الواجهة الشرقية كذلك حيث وضعت الصومعة، ولعل تلك الزيادات قد صممت بقصد عزل مجموع المسجد عن ضوضاء الحركة القريبة الناتجة من قرب المباني الأخرى في تلك المواقع المزدحمة كما هو الشأن في مسجد ابن طولون بالقاهرة.

---

(1) Creswell : A short account of early Mus. archit. V. 2, P.268

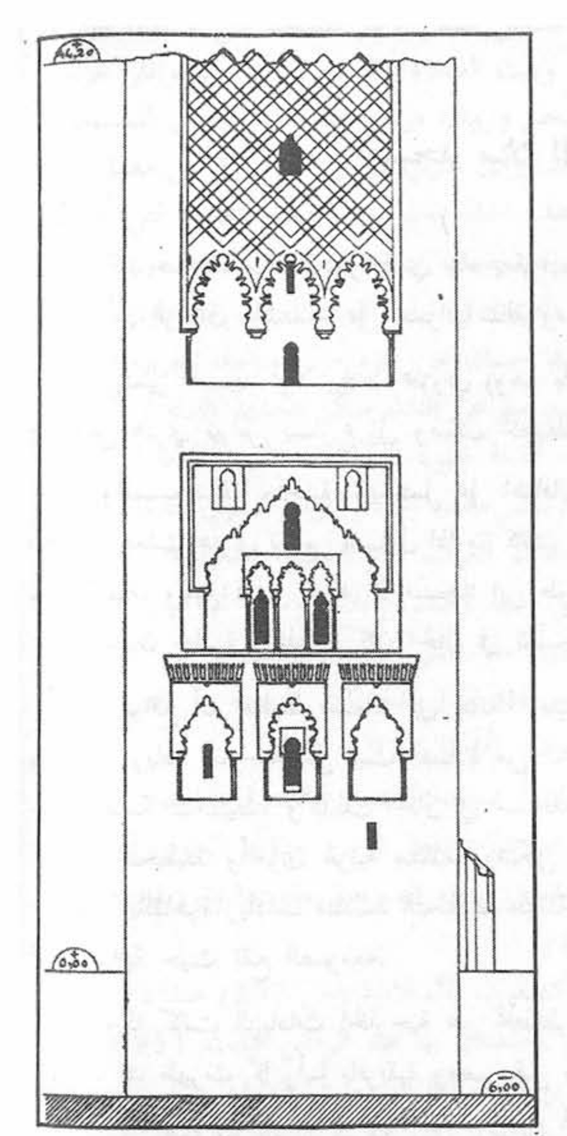
(2) نفس المصدر ص 269.

(3) نفس المصدر ص 307.



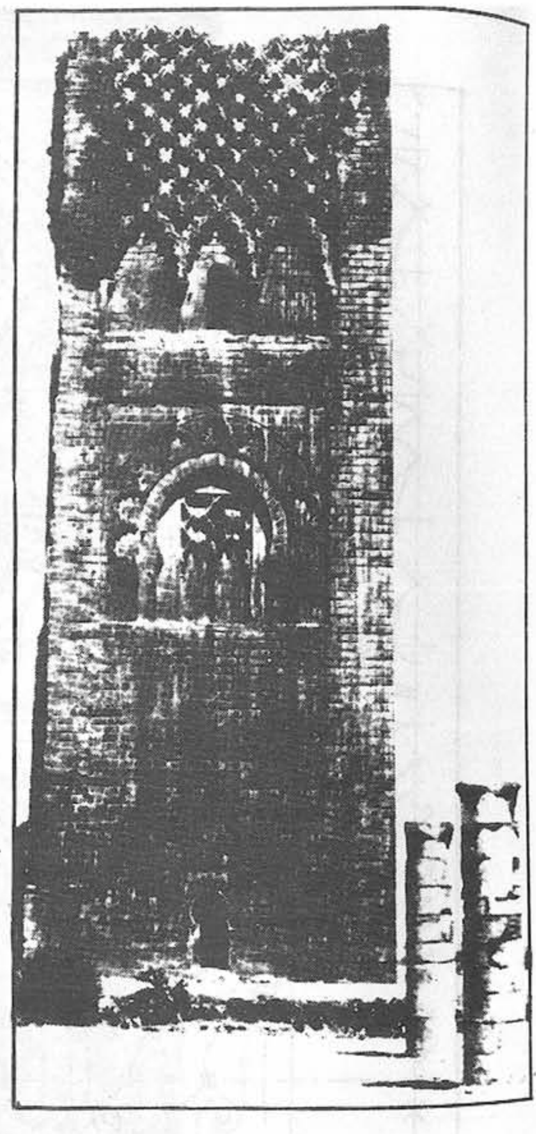
شكل 95

صومعة مسجد حسان الجامع برباط الفتح



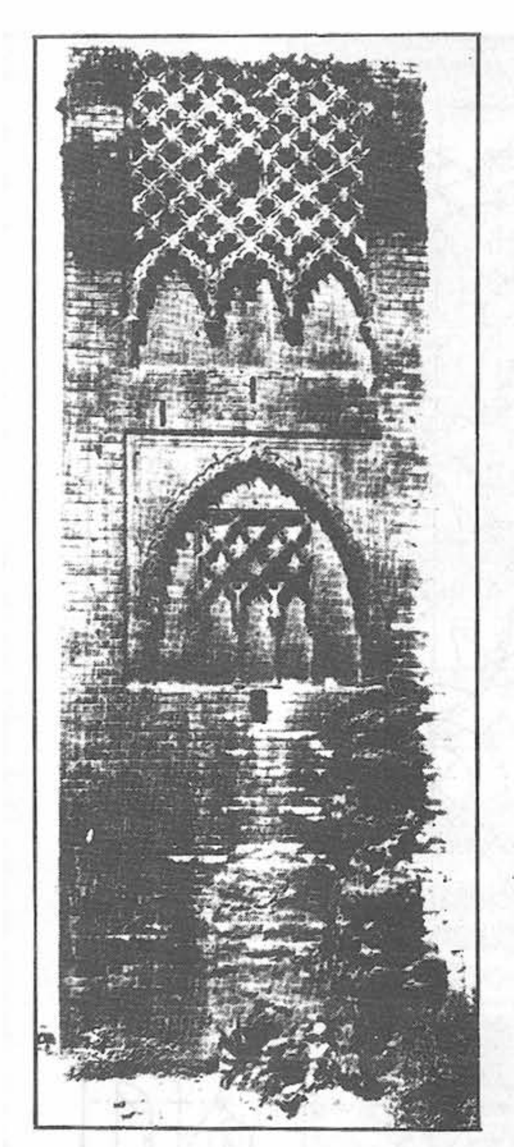
شكل 96

تخطيط عناصر الزخرفة الرئيسية بواجهة صومعة حسان



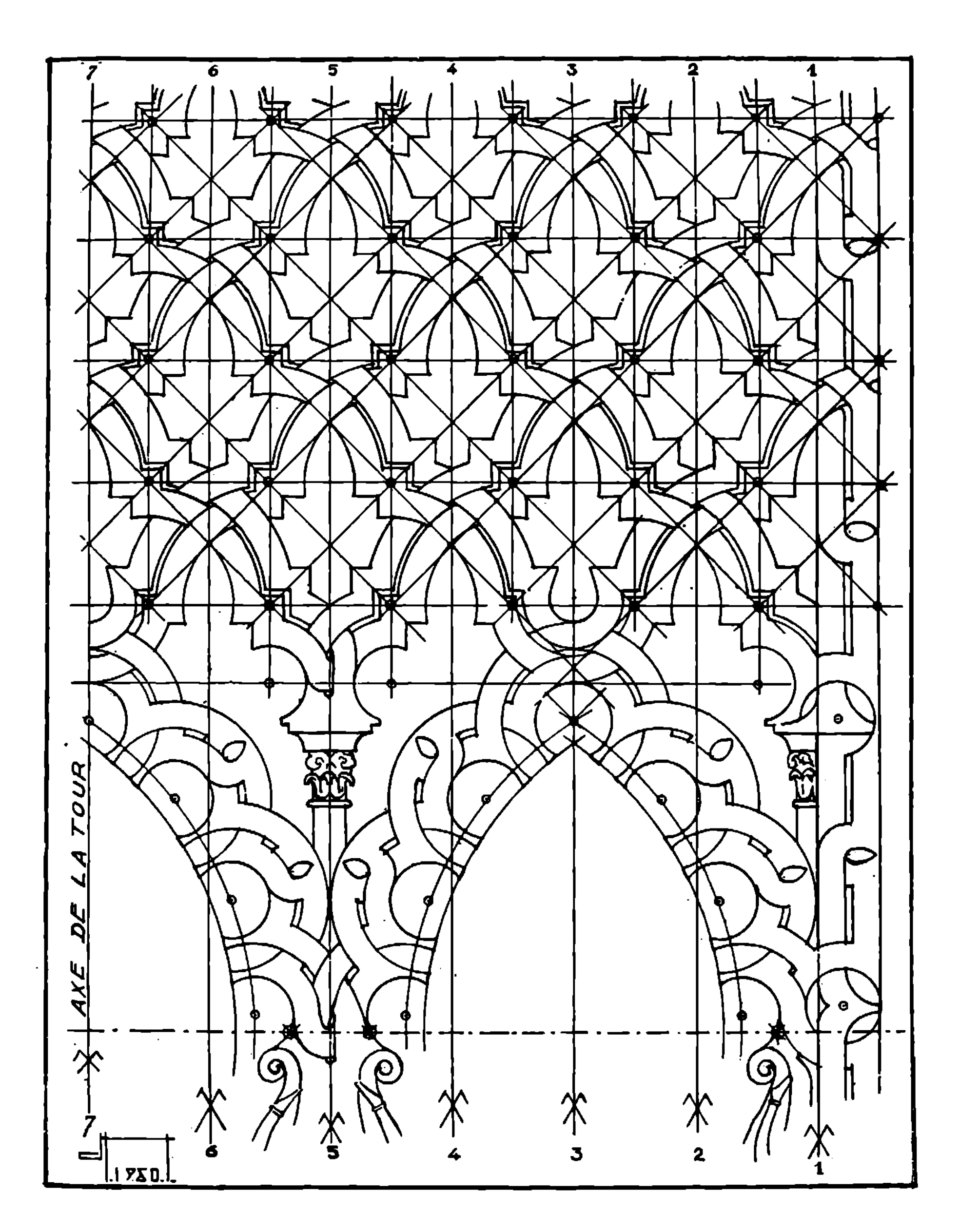
شكل 97

واجهة صومعة حسان القبلية وهي الواجهة المطلة تجاه محراب المسجد



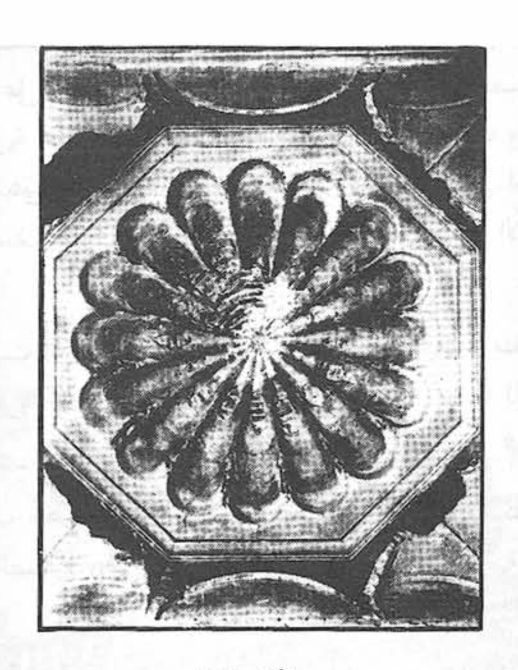
شكل 98

صومعة مسجد حسان الموحدي برباط الفتح حيث نرى تنوع التقسيمات الرئيسية في الزخرفة الهندسية

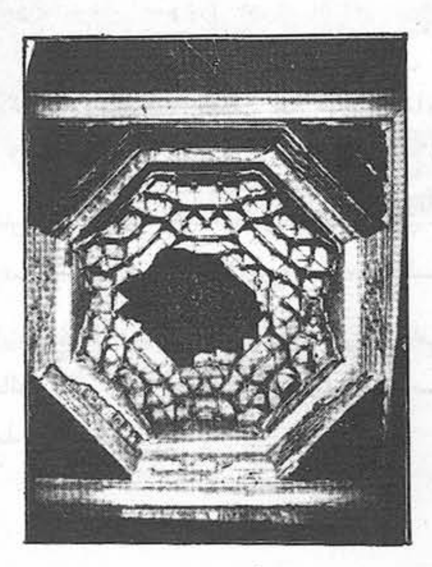


شكل 99

تحليل الفكر الهندسي للبنّاء العربي في تنفيذ شبكة المعينات بصومعة مسجد حسان



شكل 100
هندسة وعمارة القبة الاشعاعية بصومعة مسجد حسان



شكل 101
قبة ذات مقرنصات بصومعة مسجد حسان

ولبيت الصلاة بمسجد سلا بلاط أوسط أكثر اتساعا وستة بلاطات من كل جانب، العقود عمودية محمولة على أكتاف، أسكوب القبلة أكثر اتساعا وينفصل عن بقية الأساكيب بصف من العقود الموازية لطول بيت الصلاة من الشرق إلى الغرب وينقسم إلى أسطوانات بواسطة عقود عمودية على القبلة تعتبر امتدادا لعقود البلاطات التي استمرت عمودية حتى حائط القبلة ما عدا الصف الأول بعد بلاط المحراب غربا ثم الصف الأول والرابع بعد بلاط المحراب شرقا.

وتظهر بوسط بيت الصلاة أربعة عقود موازية فقط في وضع متقابل بالبلاطين المحيطين لبلاط المحراب شرقا وغربا حيث نري في كل بلاط منها عقدا موازيا للقبلة في كل من صف العقود الثالث ثم الخامس ابتداء من الصحن إلى اتجاه القبلة.

ثم يظهر اختلاف تخطيط وتصميم البناء ابتداء من صفوف الاكتاف المصلبة التي يطل بها بيت الصلاة على الصحن وعلى كل من المجنبتين الشرقية والغربية (ليس بالمسجد مجنبة شمالية).

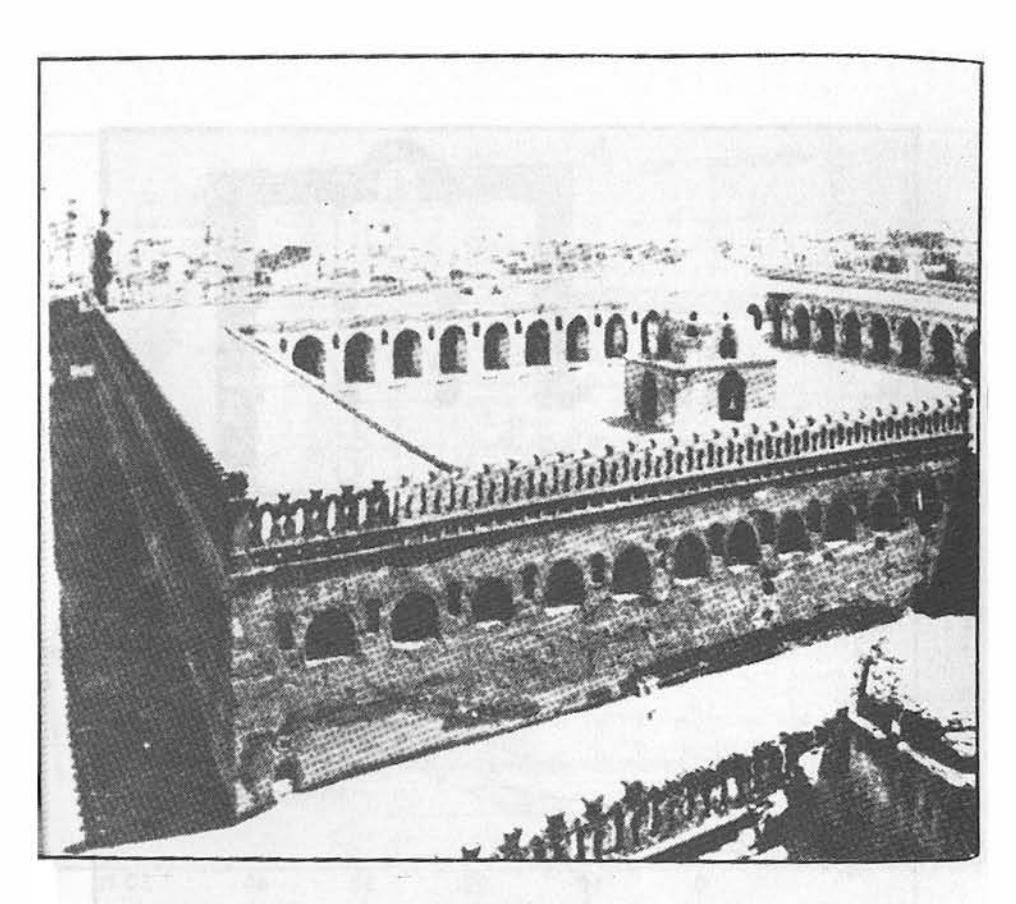
إن التقاء الصحن والمجنبتين بواجهة بيت الصلاة يظهر اختلاف التخطيط والعناصر المعمارية للبناء في كل من الموضعين وقد قسمت المساحة المخصصة للمجنبة الغربية إلى سبعة أساكيب وأربعة بلاطات تسير عقودها عمودية نحو القبلة دون أن تلتقي مع صفوف العقود المقابلة لها في بيت الصلاة. بينما قسمت المساحة المناظرة شرقا إلى ثلاثة بلاطات ذات عقود عمودية تختلف في العدد والاتساع وتنحرف كذلك عن موضع لقاء عقود بيت الصلاة ولكن بقياسات أقل اختلافا عما نراه في المجنبة الغربية[1].

وأهم المساحات الخارجية المضافة إلى المسجد تقع بطول الواجهة الغربية تقريبا ثم الواجهة الشرقية حيث تتوسط تلك المساحة الأخيرة صومعة المسجد.

وللمسجد تسعة أبواب أولها في نفس جدار القبلة غربي المحراب في مقابل المدرسة المرينية ثم أربعة أبواب بكل من الحائطين الغربي والشرقي الأول ينفذ إلى أسكوب القبلة وبابان ينفذان إى بيت الصلاة وباب ينفذ إلى الصحن.

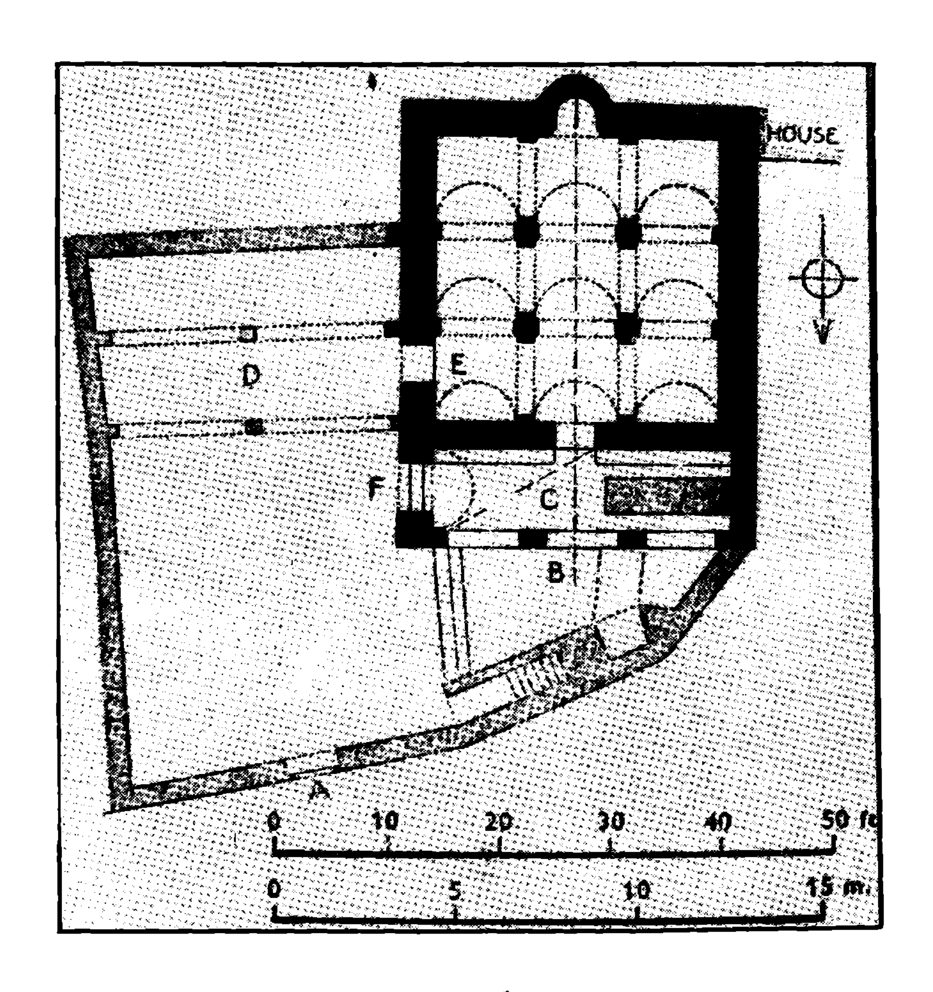
---

(1) جميع تلك الملاحظات من نتائج دراستنا الميدانية المباشرة لمسجد سلا الأعظم منذ ثلث قرن مضى.



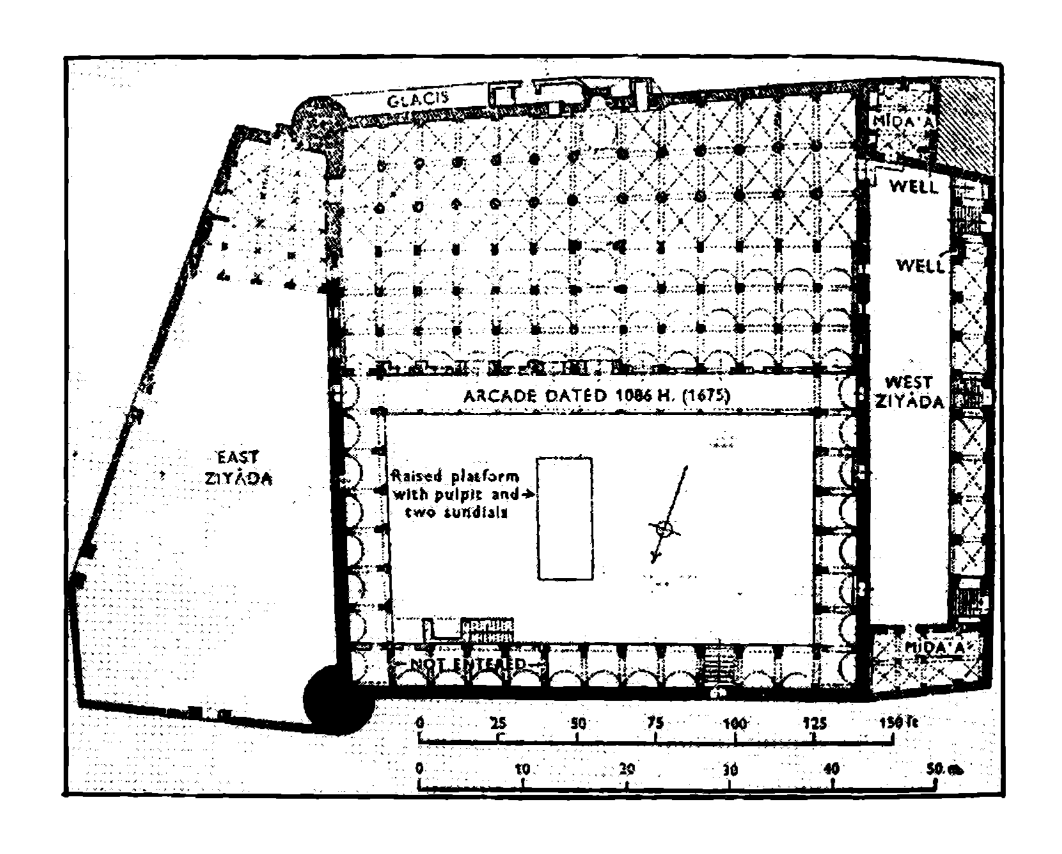
شكل 102

الزيادات الخارجية بجامع ابن طولون بالقاهرة (القرن الثالث الهجري)



شكل 103

الزيادات الخارجية بمسجد أبي فتاتة بسوسة بالقطر التونسي



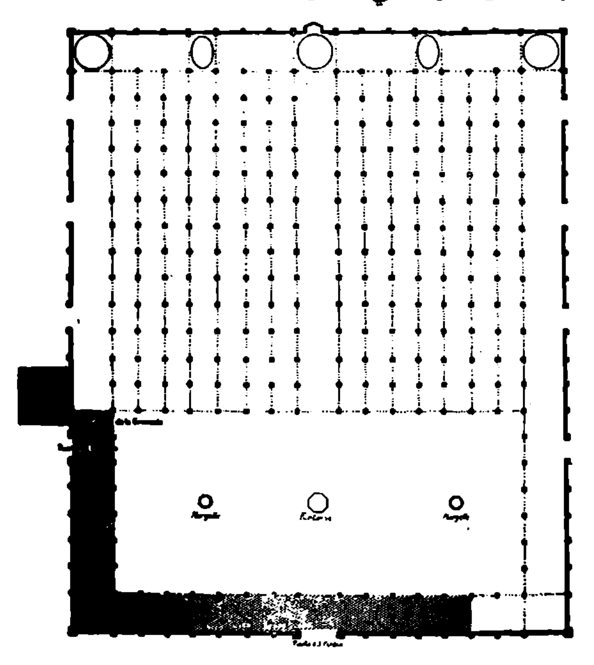
شكل 104

الزيادات الخارجية بمسجد سوسة الجامع بافريقية الأغلبية

تجديد جامع الأندلس بفاس

كان جامع الأندلس بفاس قد بنته السيدة مريم أخت السيدة فاطمة الفهرية أم البنين مؤسسة القرويين سنة 245 هـ وقد زاد فيه الزناتيون وأضاف إليه صومعته الحالية أحمد ابن أبي بكر الزناتي باني صومعة القرويين، ولم يعرف المسجد زيادة على عصر المرابطين حتى جاء الناصر الموحدي فأعاد بناء الجامع[1] سنة 600 هـ ما عدا الصومعة الزناتية والمنبر، ولا يعكس تخطيط المسجد الحالي نظام الموحدين المتناسق المتماثل، كما يختلف عنه في اتجاه العقود. غير أن نسبة الصحن إلى بيت الصلاة تدخله ضمن تقاليد المساجد الموحدية.

ويتكون بيت الصلاة من سبعة أساكيب وخمس عشر بلاطا وينم الباب الشمالي الذي بناه الناصر الموحدي بارتفاع يفوق أسقف المسجد عن قدرة البناء المغربي في الجمع بين جلال العمارة وجمال المنظر الطبيعي الذي يطل عليه البناء مما جعله يبدو كقوس نصر فخم أثر في تصميمات قصر الحمراء[2] وقصور بني نصر فيما بعد.



شكل 105

تخطيط المسجد الأعظم بقصبة اشبيلية

---

(1) روض القرطاس ص 46. وقد درس هنري تيراس المسجد في كتابه : La Mosquée des Andalous

(2) سيد سالم : المغرب الكبير ص 854.

المسجد الأعظم بقصبة اشبيلية

كان من أهم أعمال الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بقصبة اشبيلية الشروع في بناء مسجدها الأعظم أثناء إقامته باشبيلية في شهر رمضان من سنة 567 هـ (1172 م) وجمع له العرفاء والصناع من اشبيلية وفاس ومن حواضر المغرب واستمرت أشغاله إلى سنة 571 هـ ونقلت اليه الخطبة من جامع ابن عدبِّس سنة 577 هـ.

وجاء خلفه الأمير أبو يوسف يعقوب الملقب بالمنصور فأتم بناء جامع اشبيلية وصومعته الشهيرة المركبة على العمود الحديدي سنة 583 هجرية.

وكان المسجد يشتمل على سبعة عشر بلاطا وأربعة عشر أسكوبا مع اتساع البلاط المحوري والبلاطين النهائيين ثم أسكوب المحراب طبقا لنظام الموحدي على النحو الذي أسماه المستشرقون حرف (T)[1]. وكانت عقودها متجاوزة منكسرة ترتفع فوق أكتاف من الآجر وأسقفها هياكل هرمية حسب التقليد المغربي المبكر تلافياً لاضرار مياه الأمطار في فصل الشتاء، بينما قصر ارتفاع الدعائم لتحقيق التدفئة عكس ما هو مألوف بمساجد الشرق حيث الأمطار قليلة والحرارة أكثر ارتفاعا.

ومما يمكن ملاحظته أن مسجد اشبيلية كان مسجدا ضخما بمساحة 150 × 110 م بعد أن كانت المساجد المغربية لا تتعدى مساحة 60 × 90 م فعلى الرغم من أن بلاطاته كانت تقترب من بلاطات جامع الكتبية، غير أن عمق بيت الصلاة فيه يكاد يضاعف عمق بيت الصلاة في الكتبية (شكل 105)

وكما احتفظ المسجد بالتقاليد المغربية الموحدية في التخطيط والبناء، احتفظ كذلك ببعض التقاليد الأموية كأبراج التقوية بالجدران الخارجية على مسافات متساوية بطول الحوائط، كما كان مثل جامع قرطبة أكثر طولا من العرض، بالاضافة إلى زيادة نسبة اتساع بيت الصلاة بالنسبة إلى الصحن.

وقد أطنب ابن صاحب الصلاة[2] في وصف مراحل البناء ومواده عمارة وزخرفة

---

(1) وكان مشتملا بدون شك عند تمامه على مجاز قاطع Transept بخمسة قباب، تيراس : الفن الأندلسي المغربي ص 312.

(2) المن بالامامة نشر وتحقيق الدكتور عبد الهادي التازي ص 474 وما بعدها.

وخاصة قبة المحراب وزخرفتها بالجص وأعمال الصومعة وحليتها وقد أقيمت فوق مداخله قباب مقربصة تبقت واحدة منها فوق اسطوان الباب الشرقي جعلت على غرار قبوات جامع الكتبية بمراكش.

وتعكس الزخارف الجصية المتبقية بالمسجد خصائص الزخرفة الموحدية من أشرطة بارزة تشتمل على مستطيلات ومربعات قائمة على رؤسائها إلى جانب استخدام المراوح النخيلية الملساء بدون سيقان تحف بها خطوط محزوزة وتنحني أطرافها في تجعدات وتتلاحم في تناسق وايقاع[1]. وقد أسهب ابن صاحب الصلاة في وصف الصومعة وتركيب عمود كبير بأعلاها ركبت فوقه التفافيح[2]، وقد ازدانت تلك الصومعة بالزخارف المحفورة على شكل شبكة المعينات المغربية (شكل 75).

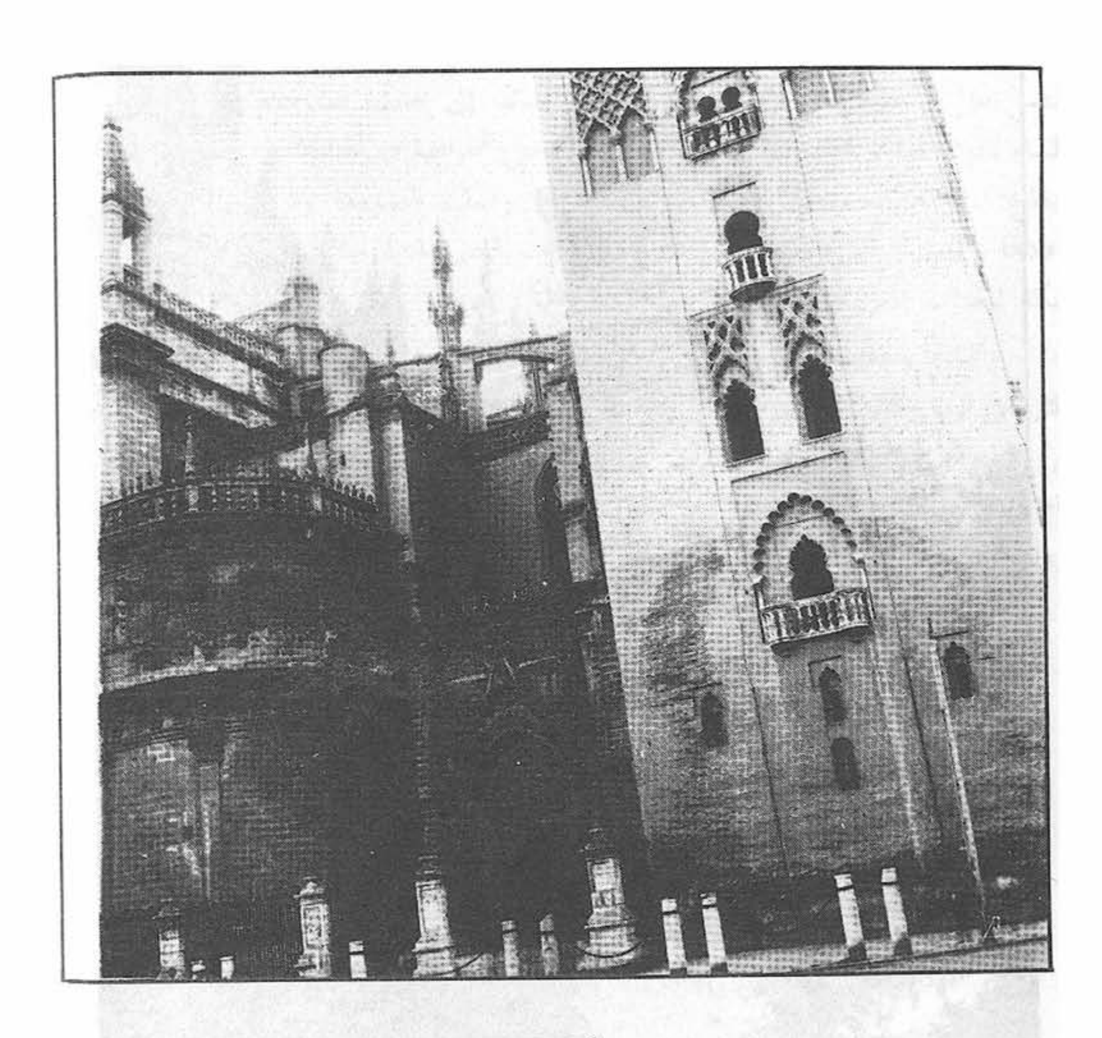
وعندما سقطت اشبيلية في أيدي القشتاليين حولوا مسجدها إلى كنيسة استمر بناؤها أكثر من قرن ونصف فوق موضع المسجد الموحدي حتى غدت ثاني كنائس العالم ضخامة وروعة، وقد دفن تحت قبتها العظمى كريستوف كولومبوس مكتشف العالم الجديد. وبعد تمام البناء حولوا قمة الصومعة (أشكال 106 – 109) إلى برج للأجراس نصبوا فوقه تمثالا برونزيا يدور عند هبوب الريح أطلقوا عليه اسم (لاخيرالدا) أي الدوارة[3].

---

(1) دكتور سيد سالم : المغرب الكبير ص 857 وراجع تيراس في الفن الأندلسي المغربي.
(2) تفصيل بناء الصومعة وأسماء المهندسين المغاربة ومراحل العمل وذكر المواد والزخارف، المن بالامامة ص 480 – 484.
(3) عبد الله عنان : الآثار الأندلسية، نفس الطبعة ص 56.
ونتائج دراستنا الميدانية باشبيلية ابتداء من عام 1957 م.

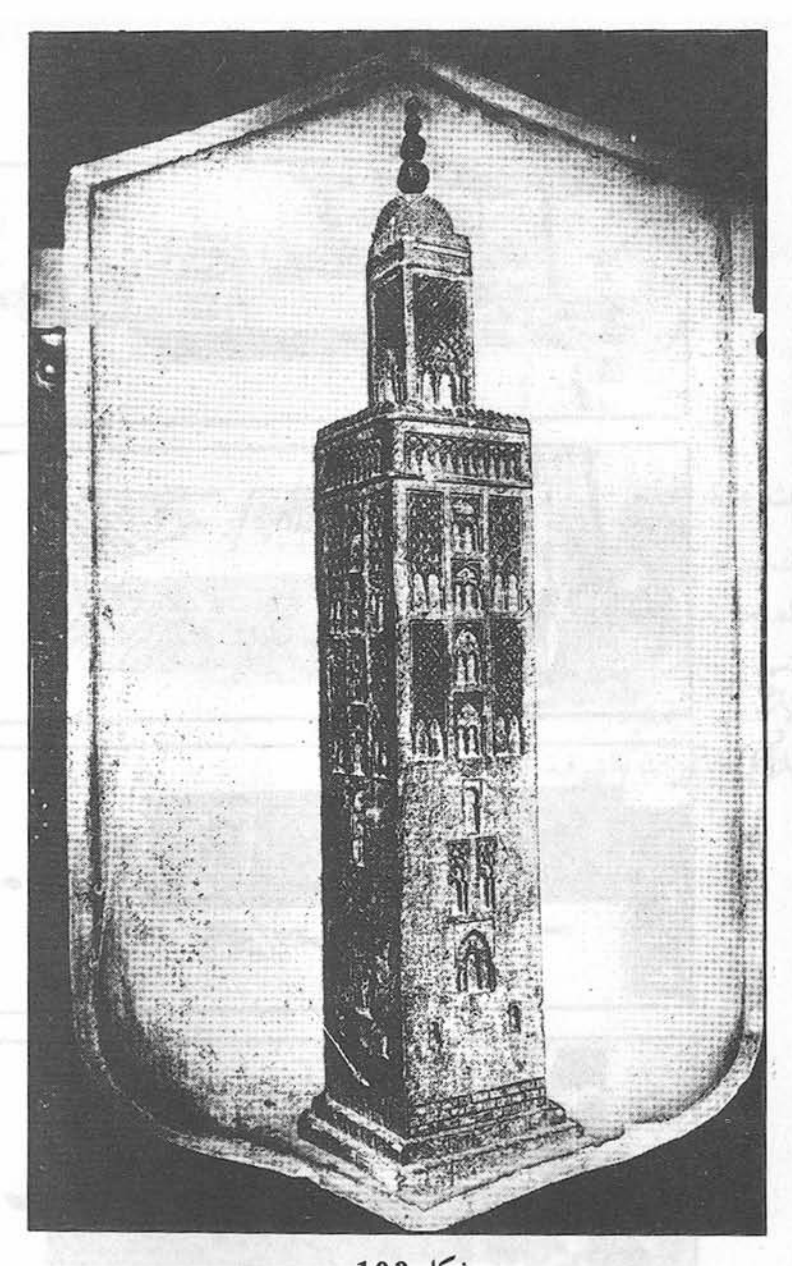


شكل 106
عمارة صومعة (الخيرالدا) المسجد الأعظم الموحدي بقصبة أشبيلية



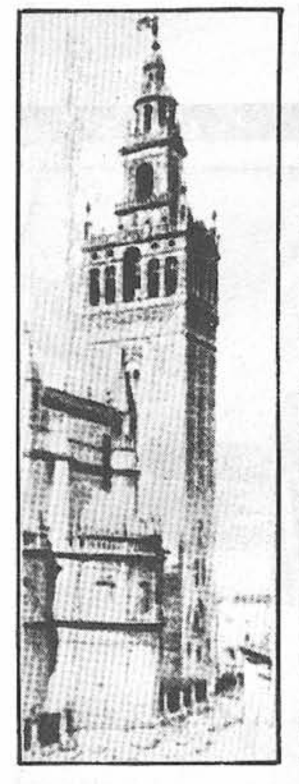
شكل 107

تفصيل عن قرب من عمارة وزخرفة صومعة المسجد الأعظم الموحدي بقصبة إشبيلية المسماة بالخيرالدا نسبة إلى التمثال الذي يعلوها ويدور مع الريح حيثما دار، من تصوير المؤلف سنة 1958 م

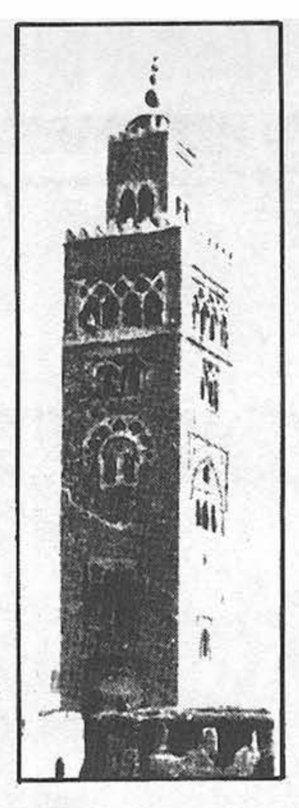


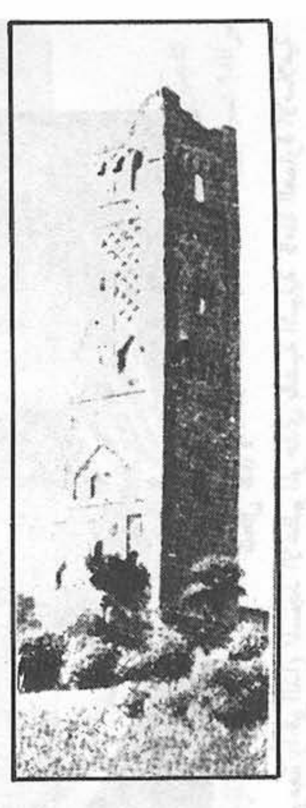
شكل 108

تصور هيئة صومعة (الخيرالدا) المسجد الأعظم الموحدي بقصبة أشبيلية كاملة العمارة الاسلامية الموحدية قبل أن يحتل برج الأجراس الحالي قسمها العلوي









شكل 109

هيئة صومعة (الخيرالدا) المسجد الأعظم الموحدي بقصبة إشبيلية بين سلسلة صوامع المغرب العربي الشهيرة (للمقارنة)

الفصل السادس

* مميزات العمارة في عصر الموحدين

أبحاث هذا الفصل :

التخطيط العام ونسب الوحدات.

الصحون.

اتساع بلاط المحراب وأسكوبه.

الأكتاف والعقود.

ملامح التأثيرات الشرقية.

الفصل السادس

مميزات العمارة في عصر الموحدين

ونستطيع الآن أن نستشف الخصائص المعمارية لعصر الموحدين ومميزاتها بعد أن اجتمعت لتلك العمائر عبقرية الهندسة المغربية الموحدية في الاتقان والعظمة واستعمال أساليب جديدة منبثقة من علم الحيل لإنجاز التصميمات الهندسية المعبرة عن المبادىء والاتجاهات الحضارية المغربية فقد لاحظ المؤرخ الفرنسي أندريه جوليان أن الحضارة الأندلسية اتسمت بطابع رائع عندما صادفت ازدهار النظام الذي حققه الموحدون وأرسى قواعد الاشعاع الحضاري لعدة قرون على أساس من المبادىء الذاتية والثقافية الفكرية الغارقة في أعماق الجبال المغربية، كما أشار روبير منتاني إلى نجاح الانتصارات الموحدية في نشر تلك المعالم الحضارية بالنواحي الأطلسية التي لم يسبق للعناصر الأجنبية أن تسربت إلى حواجزها المنيعة[1].

التخطيط العام ونسب الوحدات :

وأول تلك المميزات وأهمها وأكثرها شمولا لمن يمعن النظر في الدراسة المقارنة لمساجد الاسلام، أن مساجد الموحدين كانت أنسب مساجد تعبر عن القيمة الدينية لأجزاء المسجد[2] من حيث التخطيط العام ونسب الصحون إلى بيوت الصلاة وطول جدار القبلة بالنسبة للعمق وتوزيع المجنبات ونسبها المتناسقة وعلوها وتصميماتها الداخلية التي حققت أهدافا عملية كبرى. فتخطيط مساجد الموحدين يتميز بتحقيق الانتظام والتقابل الدقيق في التصميم بعد أن كانت مساجد المرابطين غير منتظمة المساحة سابقا (أشكال 66 – 74 – 87 – 93 – 105).

الصحون :

ويؤكد اتساع الصحن في مسجد تينمل (عبد المؤمن بن علي سنة 548 هـ) شكل الصحن في مسجد تازة الموحدي (عبد المؤمن بن علي) الذي ورث الشكل من مساجد المرابطين بفاس والجزائر الذي يعتبر مسجد قرطبة نموذجها[3] الأول (Prototype) إذا ما

(1) عبد العزيز بنعبد الله : معطيات الفن الاسلامي في المغرب، بحث عرض بالمؤتمر السابع للآثار أبو ظبي سنة 1974.
(2) تيراس : الفن الأندلسي المغربي ص 310 – 311.
(3) مارسيه : العمارة الاسلامية ص 200.

استثنيا حالات خاصة أراد بها مهندسو الموحدين فرض أنفسهم على تاريخ العمارة الاسلامية بخلق أكثر من صحن واحد بالمسجد، كما حدث بمسجد القصبة وحسان بالرباط والصحون الجانبية لمسجد سلا الأعظم التي تذكر بزيادات مسجد ابن طولون بالقاهرة.

تحقيق التقابل :

لقد تحق التقابل والتطابق في تخطيط الصحون وبيوت الصلاة بعدة أساليب من بينها نقل جميع الملحقات إلى خارج المسجد. فقد كانت تخطيطات المساجد السابقة بالغرب الاسلامي عديمة الانتظام فقيرة في التجهيز والترتيب، ولم تصل مساجد عظيمة كالقيروان وتلمسان والقرويين إلى تحقيق التقابل المطلق (Symétrie absolue)، وحتى مسجد قرطبة فإنه على الرغم من وحدته الجمالية قد أصبح بعد توسعة المنصور بناء بدون محاور (désaxé).

ومع أن الموحدين بنوا مساجد جامعة عظمى دون توقف حتى داخل المدن القديمة، فقد حققت جميعها كمسجد تازة الأول والكتبية ومسجد حسان تقابلا مطلقا من الداخل والخارج وبدت أكثر فخامة وانتظاما من المساجد السابقة (شكل 66 – 93 – 105).

اتساع بلاط المحراب وأسكوبه وأسباب ذلك :

وكان اتساع بيت الصلاة عند الموحدين عن العمق[1] متمشيا مع القاعدة الاسلامية الأولى. ويتميز التخطيط بعدة أمور خاصة، أولها اتساع كل من بلاط المحراب وأسكوبه حتى اتخذ تخطيط العقود والبلاطات ببيت الصلاة شكلا أسماه المستشرقون (Mosquée en T) وشبهوه بنسر كبير ناشراً جناحيه، جسمه في بلاط المحراب وجناحاه في الأسكوب ورأسه في حنية المحراب، تأكيدا لشكل الصليب المأخوذ من تخطيط الكنائس. وقد ناقشنا ذلك الادعاء طويلا وأوضحنا أن أول سعة لبلاط المحراب حدثت في زيادة الأغالبة بجامع القيروان عندما أرادوا بناء قبة أما المحراب استلزمت الغاء صف الأعمدة الأوسط لاحداث قاعدة مربعة تقوم عليها القبة بينما كان أسكوب المحراب أكثر سعة منذ صدر الاسلام لتحقيق أغراض دينية. وهكذا كان اتساع بلاط المحراب حاجة دفعت إليها ضرورة معمارية بحتة أدت إلى خلق عنصر جديد في التخطيط الاسلامي[2] انتشر بالمغرب والأندلس ومساجد الاسلام بالمشرق كذلك.

---

(1) تيراس نفس المصدر : ص 228.

(2) عثمان عثمان : الآثار الاسلامية بالمغرب العربي وحرب المستشرقين الحلقات المشار اليها بدعوة الحق ابتداء من يونيو 1974.

وقد عرضت ذلك مفصلا بندوة الهندسة المعمارية الاسلامية لدول البحر الأبيض المتوسط بوزارة الثقافة المغربية عام 1980 وثار جدال طويل بيننا وبين الأعضاء الأوروبيين المنتمين لمذهب المدرسة الاستعمارية وقد أيد الأستاذ الرئيس محمد الفاسي آراءنا بكل أمانة وموضوعية.

وفضلا عن هذا تمتاز بيوت الصلاة بمساجد الموحدين بوجود ثلاث أو خمس قباب على أسكوب المحراب أمام جدار القبلة : وكان البلاط المحوري في مساجد الأغالبة بالقيروان والزيتونة مركز الاهتمام ابتداء من القبة المقامة عليه أمام المحراب وقد أثر ذلك التنظيم كما رأينا على مساجد المرابطين حيث تجد قبتين تحدان بلاط المحراب شمالا وجنوبا بينما أصبحت البلاطة الرئيسية المتجهة نحو المحراب في الاضافة المرابطية بالقرويين عبارة عن صف من القباب المقربصة المتابعة. ثم تطور الحال في عمارة الموحدين الذين بحثوا عن إبراز قيمة المحراب و حائط القبلة فخصصوا له أسكوبا متميز السعة ترتكز عليه بلاطات المصلى مع تزويده بثلاث قباب أو خمس : (أشكال 74 – 105).

ومما تجدر ملاحظته، أن البلاطات الجانبية التي تقع على تقاطعها مع أسكوب القبلة قباب، تتسع أيضا عن بلاطات المسجد الأخرى تأكيدا لفكرتنا الأولى حول سبب اتساع بلاط المحراب.

ويكتنف محاريب الموحدين من الجانبين بابان يخصص أحدهما للمنبر والآخر للامام.

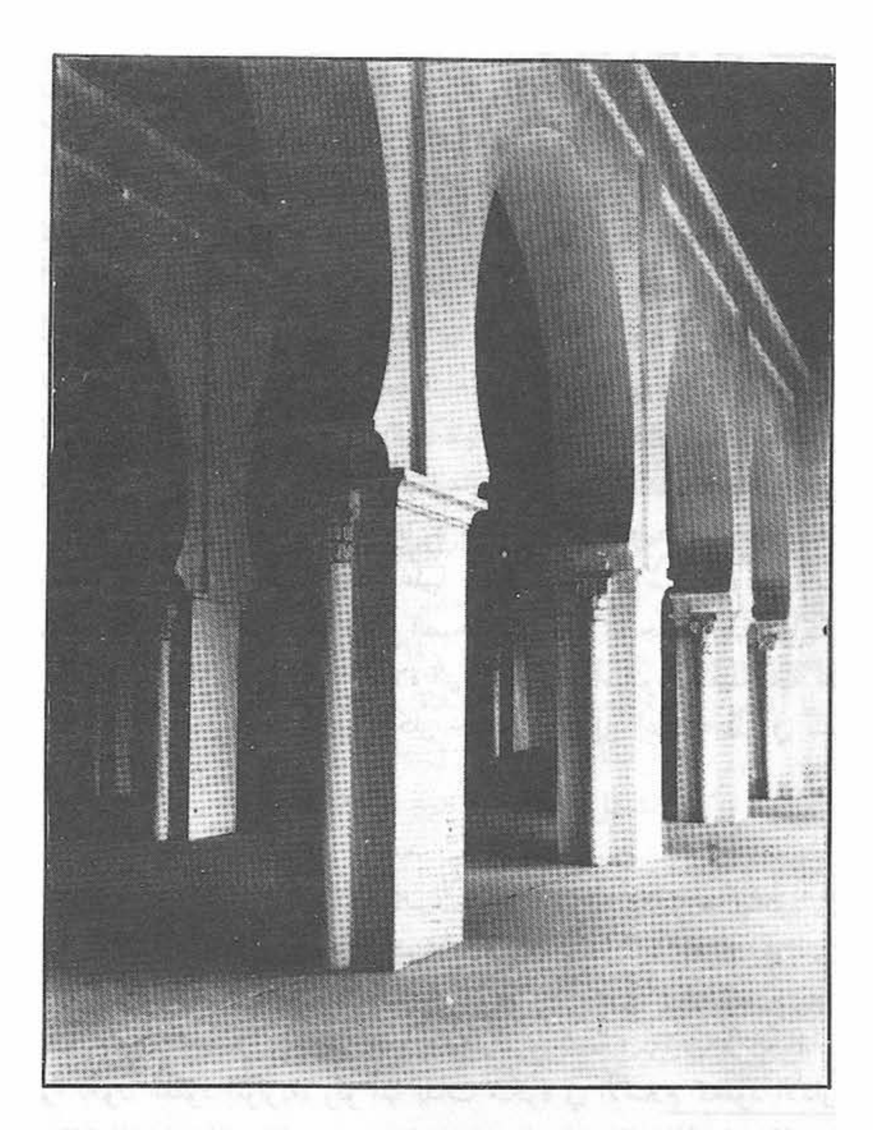
وتتسم عمارة الموحدين أخيرا بتطعيم مساجدهم بتخطيطات جديدة وطرز مبتكرة ومستحدثة تدعو أحيانا إلى الحيرة في تفسيرها كما هو الشأن في تخطيط مسجد حسان وتوزيع صحونه الداخلية حول بيت للصلاة يفتح عليها بعقود وأقواس وسط بناء المسجد على نحو لم يعرف من قبل (شكل 93)، وشأن توزيع الصحون الغريب بمسجد القصبة بمراكش (شكل 87)، ومثل البلاطات الجانبية في بيت الصلاة التي تلتقي مع أسكوب القبلة بقبة خاصة بها، وغير ذلك من الحالات التي نتجت عن أفكار جديدة أدت إلى إعادة النظر في نسب البناء وأبعاده وتعديل معطيات سابقة.

الأكتاف والعقود :

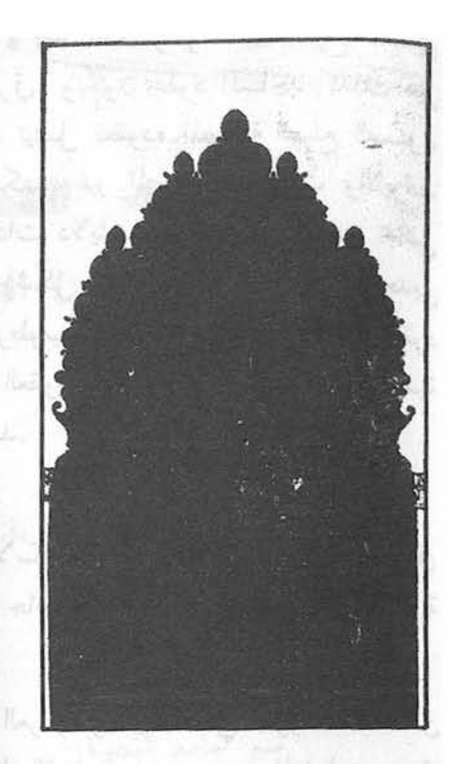
كما تتميز بيوت الصلاة عندهم بغابة من الأكتاف المستطيلة يلتصق بجانبها نصف عمود لحمل عقود المسجد (شكل 110)، وقد مر بنا أن أول استخدام الأكتاف بمساجد المغرب ظهر منذ أيام المرابطين.

وكانت عقود الموحدين عمودية على اتجاه القبلة لتحقيق الاضاءة الكافية في بيت الصلاة، نظرا لكون العقود الموازية، ولو أنها بدأت مبكرة في الاسلام كعقود الأدارسة، غير أنها تكون عائقة للاضاءة اذا ما اتسعت مساحة بيت الصلاة ذلك الاتساع الذي نراه عند الموحدين. وعقود الموحدين داخل بيت الصلاة والأبواب ذات الفتحات الكبيرة وأقواس الصوامع كانت دائما من النوع المتجاوز[1] المنكسر (Outrepassé brisé) يسمى كذلك بحدوة

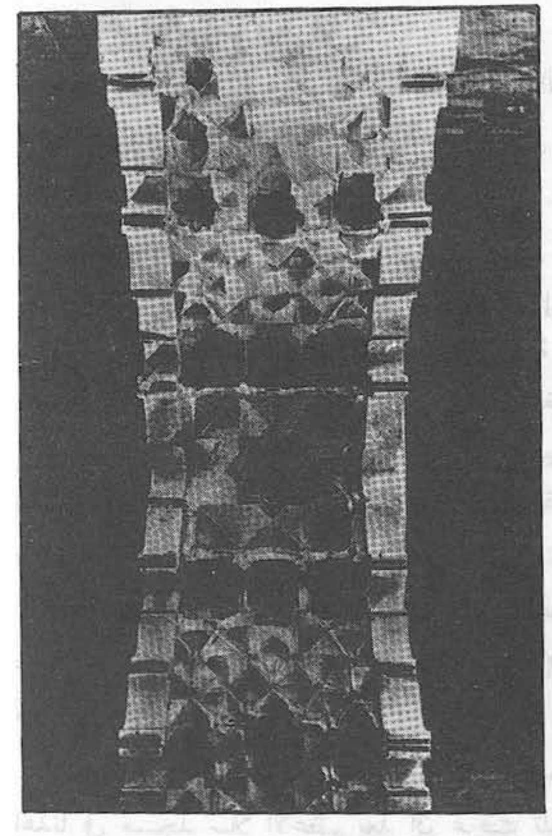
(1) تيراس : الفن الأندلسي المغربي ص 329.



شكل 110
عقود وأكتاف وأعمدة بيت الصلاة بجامع الكتبية



شكل 111
عقد رخوي LAMBREQUIN بجامع تينمل



شكل 112
عقد مفصص (Lobé) تتدلى منه الدلايات

الفرس المنكسر فعقد حدوة الفرس Fer à cheval brisé المنكسر وكذلك النوع المسمى (Déformé) كثير عند المرابطين والموحدين بتأثير شرقي، وتكون عقود المساجد كذلك على هيئة كتف ودرج[1] (فستون) كما نرى في مسجد تينمل فعقوده المصففة تصنع الفستون المذكور (شكل 111)، بينما استخدموا العقد المنكسر غير المتجاوز للفتحات والأبواب والممرات الصغيرة، وتكثر عندهم عقود مفصصة ذات دلايات (à stalactites) تحف بجانبي اسطوانة المحراب كما نرى هنا بجامع الكتبية بمراكش (شكل 112)، وقد شاع عند الموحدين العقد المصقول (Arc lisse) يغطى فوق الآجر بالمرطوب (الملاط) دون الجص في العقود الخارجية المعرضة للشمس والمطر ويغطى بالجص في العقود الداخلية. وكانت العقود الموحدية عامة مرتفعة إذا ما قورنت بعقود المرينيين فيما بعد.

ملامح التأثيرات الشرقية :

وفي إطار الوحدة الحضارية لعالم العروبة والاسلام ودوام اتصال المغرب بالمشرق في مجالات السياسة والعمارة والفن تنتقل التأثيرات من جانب إلى آخر من جوانب الامبراطورية الفسيحة.

وهكذا استقطب الموحدون تأثيرات المشرق العراقية والايرانية التي تبلورت ابتداء من مسجد باب المردوم وعصر ملوك الطوائف باسبانيا إلى القرن السادس وعصر المرابطين، حيث بنى الموحدون منشآتهم غالبا بالآجر وفوقه زخرفة الجص مثل آثار العباسيين وغالبية المباني الفاطمية، كما كان تقدمهم في البناء بالتابية (البتن المغربي غير المسلح) قد دفعهم أكثر من ذي قبل إلى ضرورة تغطية تلك المسطحات بوسائل جديدة. وكانت ايران والعراق مصدر صناعة الخزف والتربيعات المزلجة التي نقلها الأغالبة إلى افريقية فعرفها الموحدون وكانوا أول من بسط يده في فنونها ورفعها على الصوامع المغربية[2].

وكانت تخطيطات بيوت الصلاة الأولى ذات الأسكوب الأول المتميز سعة وبلاط المحراب الفسيح (الذي بدأ في نظرنا بمسجد القيروان) ذات صلة بالتأثيرات الشرقية التي عرفت تطورا رائعا على يد الموحدين.

وتتأكد تلك الصلة مرة أخرى بادخال الموحدين للصحون الجانبية إلى مساجدهم كما شاهدنا في مسجد سلا الأعظم بعد أن عرفت تلك الصحون في سوسة والقاهرة.

---

(1) مارسيه : العمارة الاسلامية ص 232.

(2) نقصد بذلك صوامع المغرب الأقصى، فقد وجدت أمثلة سابقة بصومعة قلعة بني حماد، راجع تفصيل ذلك بكتابنا الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى.

الفصل السابع

الفنون التطبيقية في عهد الموحدين

أبحاث هذا الفصل :

الزخرفة المعمارية.

خاصية الزخرفة المعمارية.

الخشب :

مقصورة الكتبية.

منبر الكتبية.

منبر جامع القصبة.

العملة :

ثريات الموحدين والتحف المعدنية.

الثريا الكبرى بجامع القرويين.

الثريا الصغرى.

ثريات الموحدين بجامع الأندلسيين بفاس.

ثريا الموحدين بجامع مكناس.

نافورة البيلة بصحن القرويين.

الزليج والفخار والخزف :

ظهور الزليج في الصومعة المغربية ودراسة الفخار والخزف.

الرخام والخصة الحسناء وفن النقش على الحجر.

العنصر الثعباني أو الملفوف.

النسيج :

النقوش الخطية وفن الكتاب

أولا : النقوش الخطية.

علامة الموحدين الحمد لله وحده.

ثانيا : فن الكتاب.

ثالثا : فن صناعة المصاحف القرآنية :

مصاحف مغربية مبكرة.

الخطاطون والمزوقون.

كتابة المصاحف الموحدية.

تسفير المصاحف وربعة المرتضى الموحدي.

الفصل السابع

الفنـــون التطـبيقيـــة

الزخرفة المعمارية :

بنى الموحدون جدران مساجدهم الداخلية بالآجر المغطى بزخارف جصية شأن العمارة العباسية والفاطمية. وإذا كان الأندلس يفضل الرخام، فإن المغرب يفضل الجص في النقش والزخرفة. ولهذا اشتملت الزخرفة الجصية في المغرب على ملكات الفن المغربي وكان للزخرفة النباتية مكان الصدارة تليها الزخرفة الهندسية (أشكال 113 - 122).

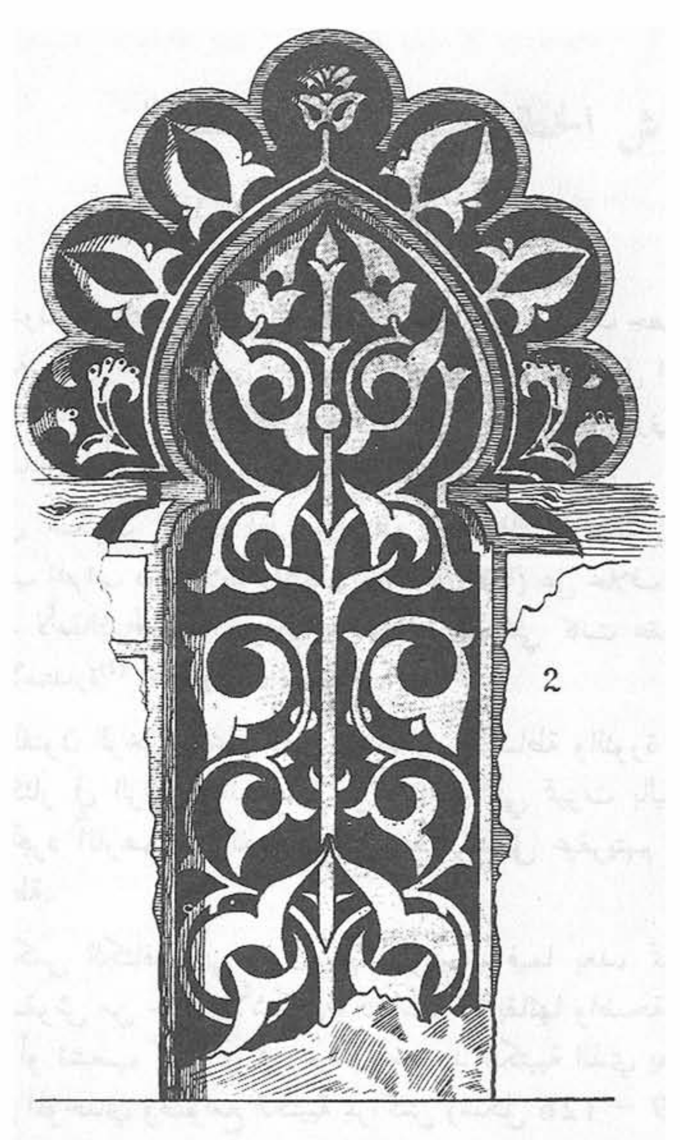
وتتركز في أسكوب المحراب أغنى زخارف المسجد[1] بالاضافة إلى القباب التي خصوا بها أسكوب المحراب دون بلاطه (أشكال 123 - 125) على خلاف ما نلاحظه عند المرينيين فيما بعد لأسباب فنية كما عنوا بزخارف المحاريب التي كانت عقودها من النوع المتجاوز كامل الاستدارة[2] (Plein cintre outrepassé).

وتتسم الفنون الزخرفية على عصر الموحدين بالبساطة والثورة على الاسراف والبعد عن الاكثار في الزخرفة انسجاما من حياتهم التي تميزت بالبساطة على أن ذلك لا يعني تجرد آثارهم من الفن الزخرفي ففيها تتجلى عبقريتهم في الجمع بين الفخامة والبساطة.

وعلى عكس الكثافة التي غرق فيها المرينيون فيما بعد، تميزت الزخرفة الموحدية بثراء النقوش من حيث الأشكال والتقاسيم مع بقائها واضحة المظهر خفيفة المس دون غلو أو تشعب كما نرى في محراب مسجد الكتبية الذي يعكس أساليب الزخرفة في الفن الموحدي وصوامع الكتبية بمراكش (شكل 126 - 129) وحسان بالرباط والخيرالدا باشبيلية، وكلها صوامع تم تشييدها في وقت واحد تقريبا عام 593 هجرية متفقة في الشكل متنوعة في التفاصيل الزخرفية ومواد البناء، فصومعة المسجد الأعظم باشبيلية (الخيرالدا) مبنية من الآجر، ومعظم صومعة جامع القصبة من الآجر، بينما بنيت حسان والكتبية من الحجارة. وقد استمدت تلك الصوامع

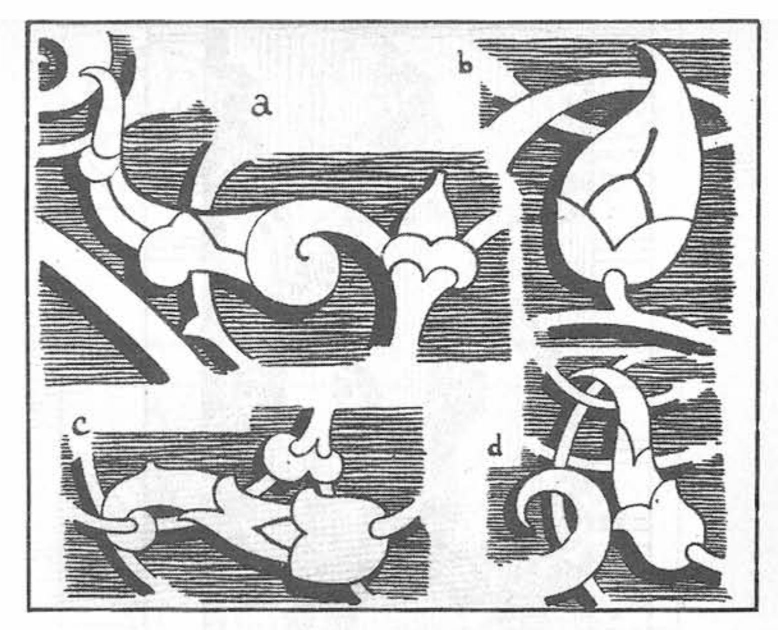
(1) ماسلوف : مساجد فاس وشمال المغرب المقدمة ص 16.

(2) راجع العمارة الاسلامية لمارسيه حول محراب توزر Tozeur الموحدي جنوب القطر التونسي.

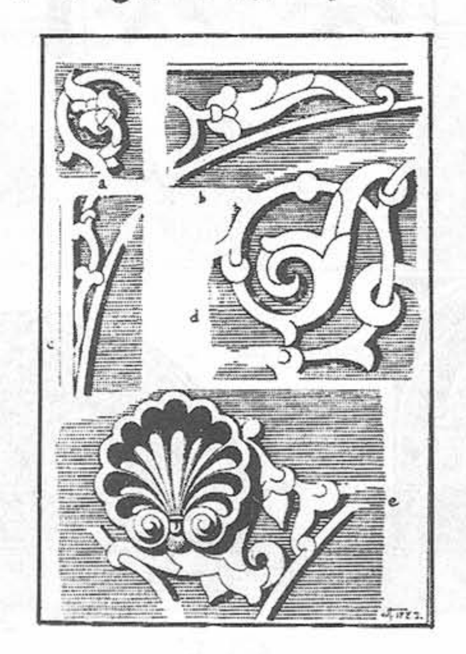


شكل 113

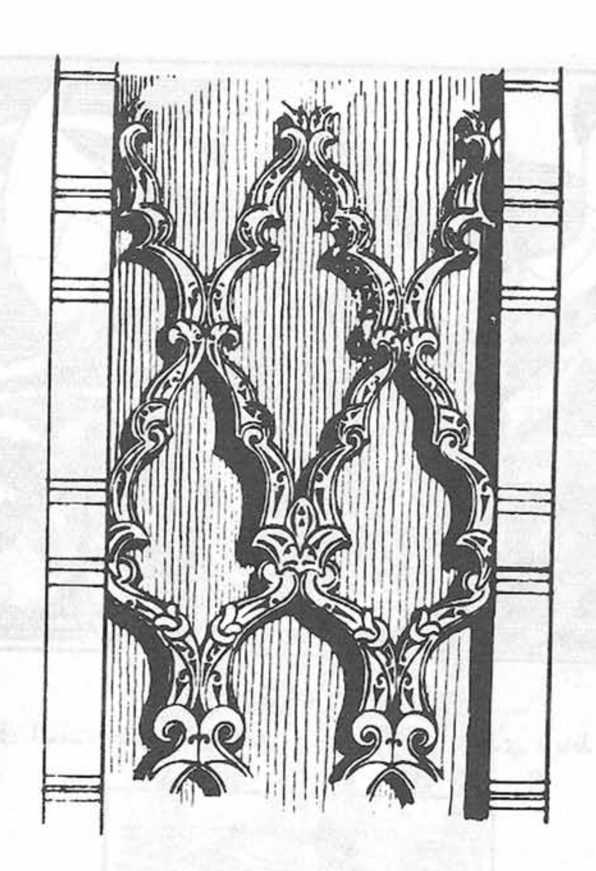
زخارف وتصميمات نباتية بصومعة مسجد الكتبية بمراكش



شكل 114
أوراق البالمت المنقوشة في الحجر بباب الرواح الموحدي برباط الفتح



شكل 115
أوراق البالميت (الورقة النخيلية Palme) والتعريشة النخيلية (Palmette) منقوشة في الحجر



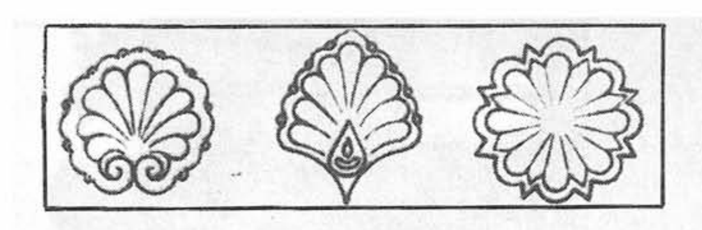
شكل 116
تضفيرات نباتية موحدية



شكل 118
زخارف نباتية مرابطية

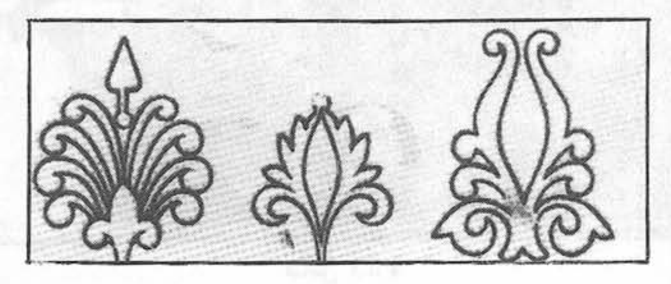


شكل 117
زخارف نباتية موحدية بصومعة الكتبية



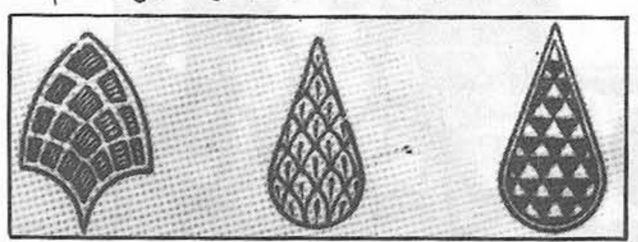
شكل 119

قوقعة coquille ذات ضلوع غائرة توجد بوسط بنيقات العقود



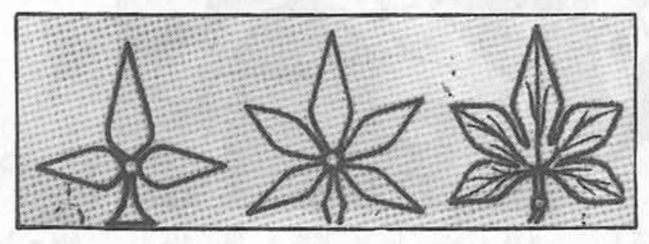
شكل 120

التعريشة النخيلية (PALMETTE) عرفت قبل الاسلام



شكل 121

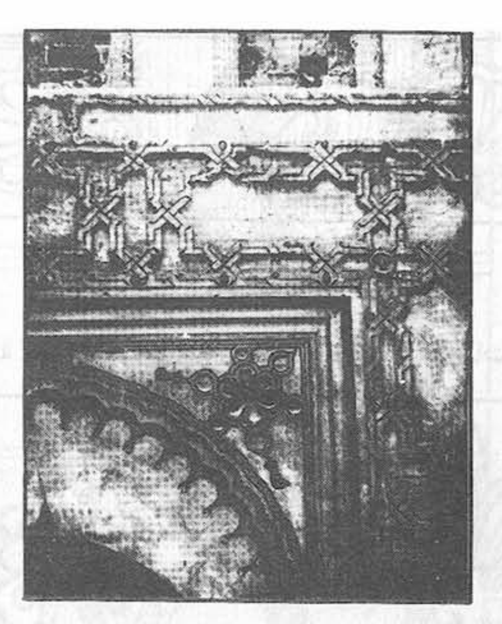
كيزان الصنوبر (CONES) ويبدو أنها تحوير هندسي لورقة الأكانتس



شكل 122

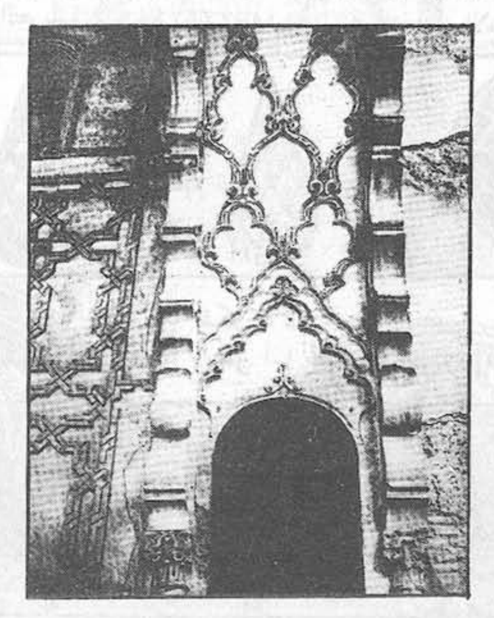
وريقات مقسومة أو مشقوقة (feuilles divisées)، عن ريكار

أشكال 263/261



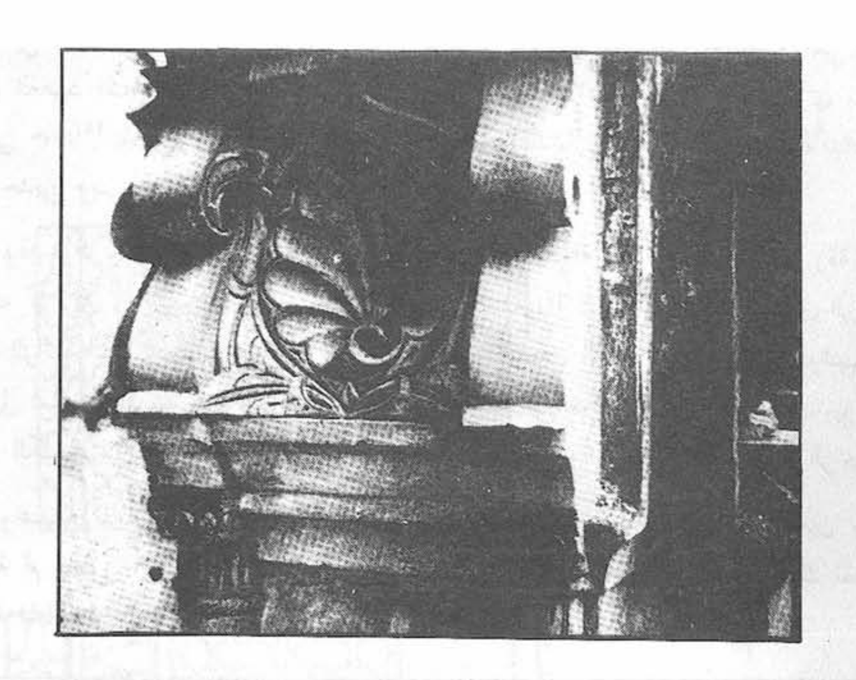
شكل 123

تفصيل زخارف واجهة المحراب بمسجد تينمل الموحدي



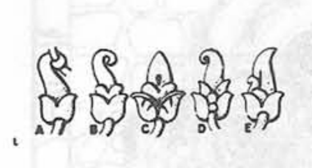
شكل 124

شبكة المعينات أو الصفحات الساتية بأشكال
هندسية بأسكوب القبلة بمسجد تينمل



شكل 125

تعريشة نخيلية تكون قوقعة







شكل 128

شكل 127

نماذج لبعض الزهيرات

هيئة وتصميم أوراق البالم في الفن المغربي

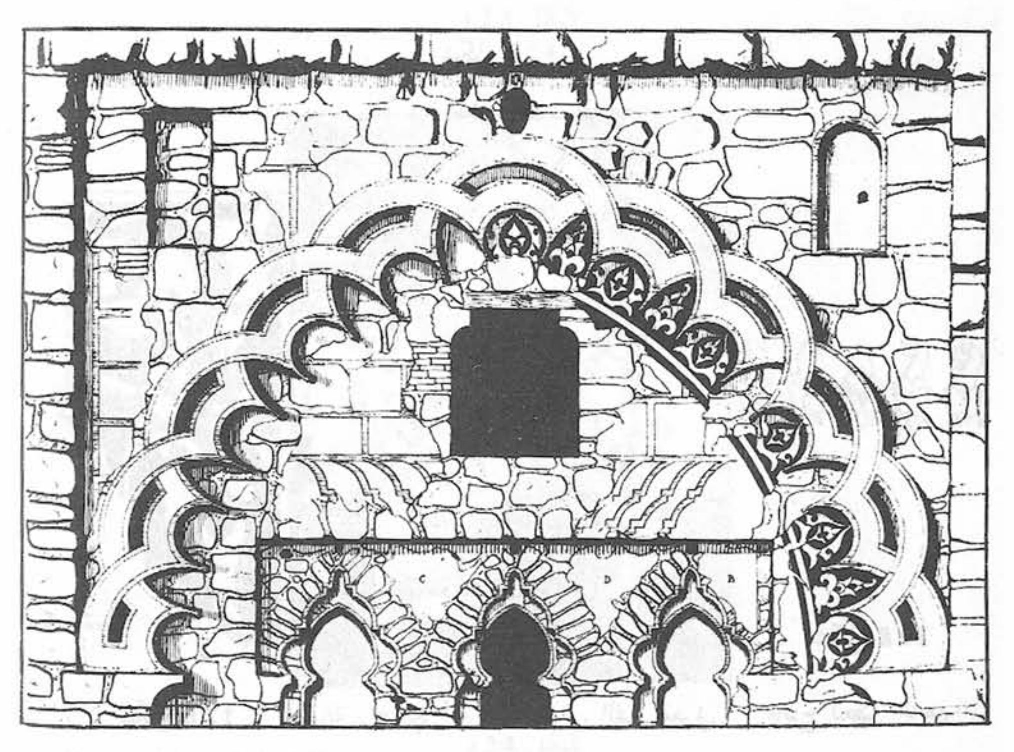
شكل 126

زخرفة مدهونة شديدة البساطة

حليتها من تعدد أنواع العقود والفتحات وكسوتها بشبكة المعينات المفصصة التي تعكس أشكال العقود المتقاطعة وهي ظاهرة فنية أرجعنا ظهورها الأول إلى الفن البربري بصومعة قلعة بني حماد[1] بالجزائر ثم وجدت ابداعها الصائب وانتشارها الدائم بالمغرب والأندلس على يد الموحدين وبني مرين فيما بعد.

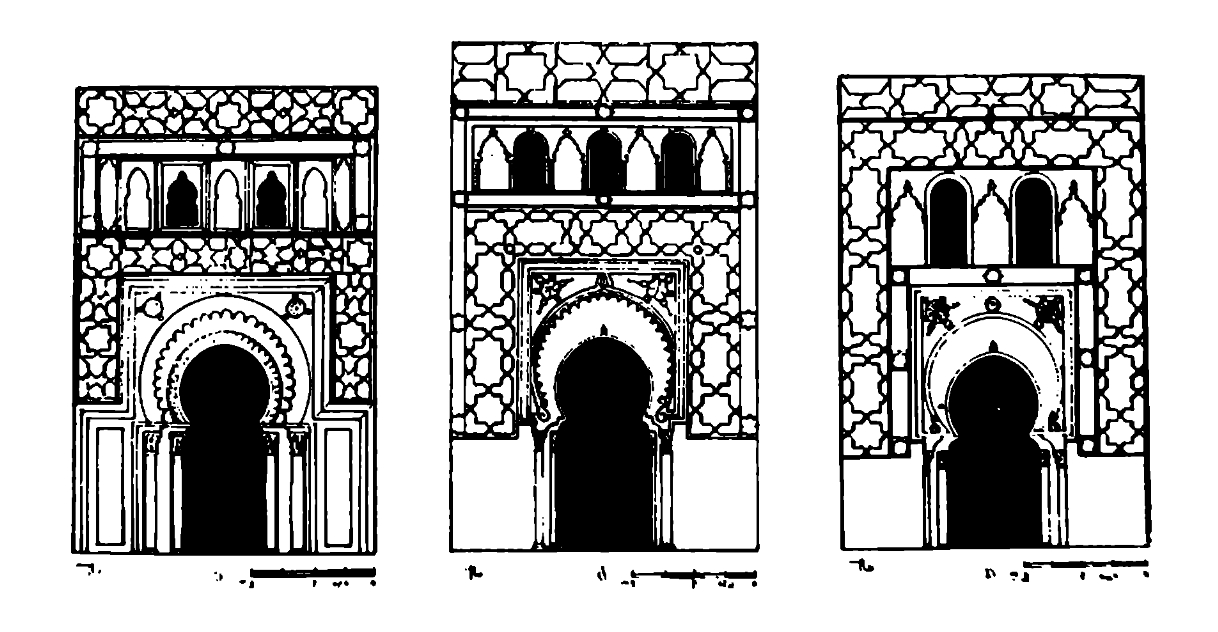
وقد ترك لنا الموحدون ثروة كبيرة من الجدران المزخرفة بعمائرهم تجمع بين رقة الانتاج وفخامته كما نرى في مسجد توزر بالجنوب التونسي سنة 590 للهجرة. فهناك نرى الزخارف الجصية الرائعة التي تكشف عن تخلي الموحدين عن التقشف الذي التزموه أوائل دولتهم وأنهم عادوا إلى أسلوب المرابطين بالاسرف في أنواع الزخرفة على عكس الحالة التي تخلف بها محراب مسجد الكتبية بمراكش 593 هجرية من حيث البساطة والبعد عن الاسراف الزخرفي.

وعندما نتابع ظهور زخارف جامع القصبة بمراكش والمسجدين الجامعين بالرباط واشبيلية ثم ظهور أبواب رباط الفتح وباب اكناو بمراكش، فاننا نستطيع ادراك تقدم فن الزخرفة المحفورة على الحجر تقدما عظيما في عصر الموحدين.



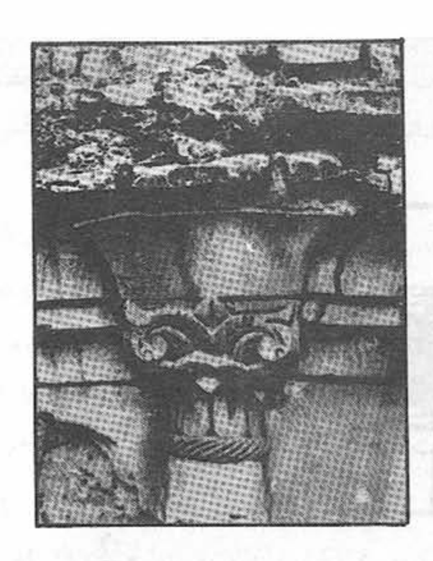
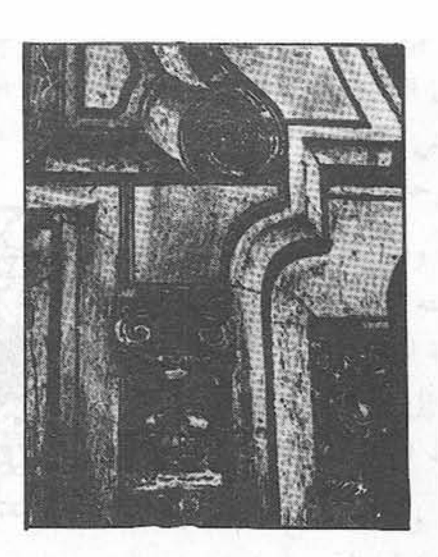
شكل 129

وضوح زخارف الموحدين دون تشعيب مع الثراء وحسن التقسيم



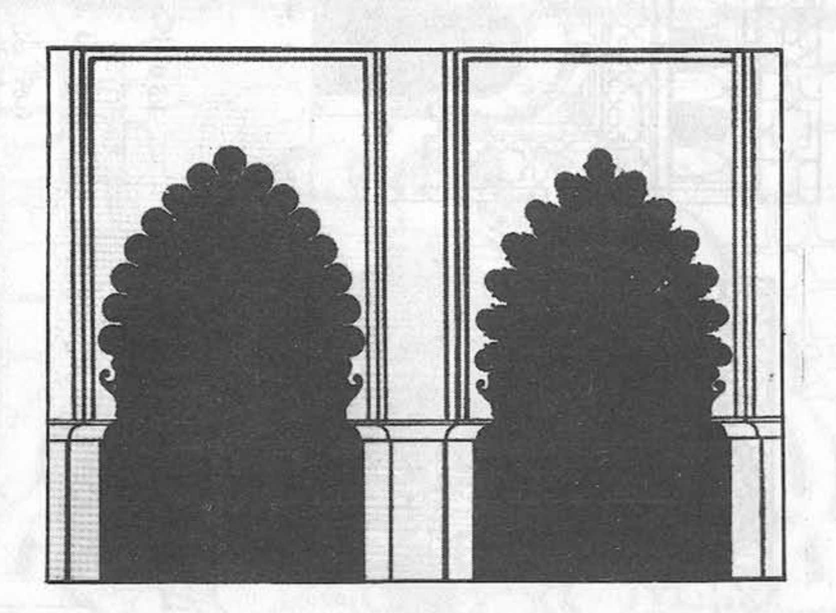
شكل 130

الافراط في ابراز خطوط الزخارف وتحديد فحواها في الكتبية (يسارا) وتينمل ثم الكتبية الثانية الحالية (إلى اليمين)

شكل 131

131 - تحديد خطوط الزخرفة نباتية كانت أو هندسية



شكل 132

اتقان تحديد العقود كما نرى في مسجد تينمل حيث العقد ذي الفصوص الثلاثية (TRILOBÉ) والعقود ذي الفصوص الكبيرة

خاصية الزخرفة الموحدية :

كان زهد وتقشف الموحدين صادق المبدأ ناجح التطبيق، ولهذا أوجد نوعا من البساطة حدت بفناني الطراز المغربي الأندلسي للاتجاه نحو الاجتهاد المفرط لضمان خطوط الزخارف وتحديد فحواها فقويت حاسة الاتقان عندهم وسمت الفنون والمنتجات بالكيف والقيمة (أشكال 130 – 132). وقد ساعد على ذلك توفر الوسائل المادية التي لم يسبق للأندلس ذاته أن يعرفها منذ عصر قرطبة الزاهر. وشهد المغرب والأندلس تلك المنجزات الضخمة والمجموعات الفنية التي أثرت عواصم العدوتين بمراكش والرباط واشبيلية بانبثاق الأساليب التقليدية للفن المغربي الأندلسي على عصر الموحدين بالمدن والبوادي حيث اجتمعت في الهندسة المعمارية وزخارفها رغبة في ضمان الجودة ودقة الوضوح والتعبير والاتقان مع حاسة العظمة[2].

---

(1) عثمان عثمان : الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى للوقوف على أصل الفكرة وتطورها.

(2) انظر بحث عبد العزيز بنعبد الله في مؤتمر الآثار السابع بأبي ظبي 1974 وانظر :

H. Terrasse et J.H. : Les Art déc. au Maroc, P. 65-73

الخشب

مقصورة الكتبية :

ومن آثار الفنون الطبيقية الشهيرة في عصر الموحدين منابر جامع الأندلسيين بفاس (شكل 133 - 134) والكتبية (شكل 135 - 143) والقصبة بمراكش (شكل 144 - 149) وأسقف جامع الكتبية (شكل 150) والمقصورة الخشبية بالمسجد الأعظم بحاضرة مراكش الذي بناه عبد المؤمن على أنقاض المسجد المرابطي[1] السابق وشاهدها المقري في مطلع القرن الحادي عشر، وقد تم صنعها من ستة أضلاع تتسع لأزيد من ألف مصل كما عند صاحب الحلل، وكانت تطلع بصفة ميكانيكية بمقدم الخليفة وتختفي تلقائيا بخروجه ويتحرك معها المنبر دون أن يحدثا حسا فإذا أخفيت المقصورة أرجعت البسط إلى مكانها.

وقد صنع المقصورة والمنبر على حركات هندسية تتحرك آليا الحاج يعيش المهندس باني جبل الفتح لعبد المؤمن الذي أطلق العنان للشعراء في وصف ذلك كله. وكات المنصور أكثر ما يكون طربا عند سماع وصف ابن مجبر :

طورا تكون بمن حوته محيطة — فكأنها سور من الأسوار
وتكون طورا عنهم مخبوؤة — فكأنها سر من الأسرار
وكأنهما علمت مقادير الورى — فتصرفت لهم على مقدار
فاذا أحسست بالأمير يزورها — في قومه قامت إلى الزوار

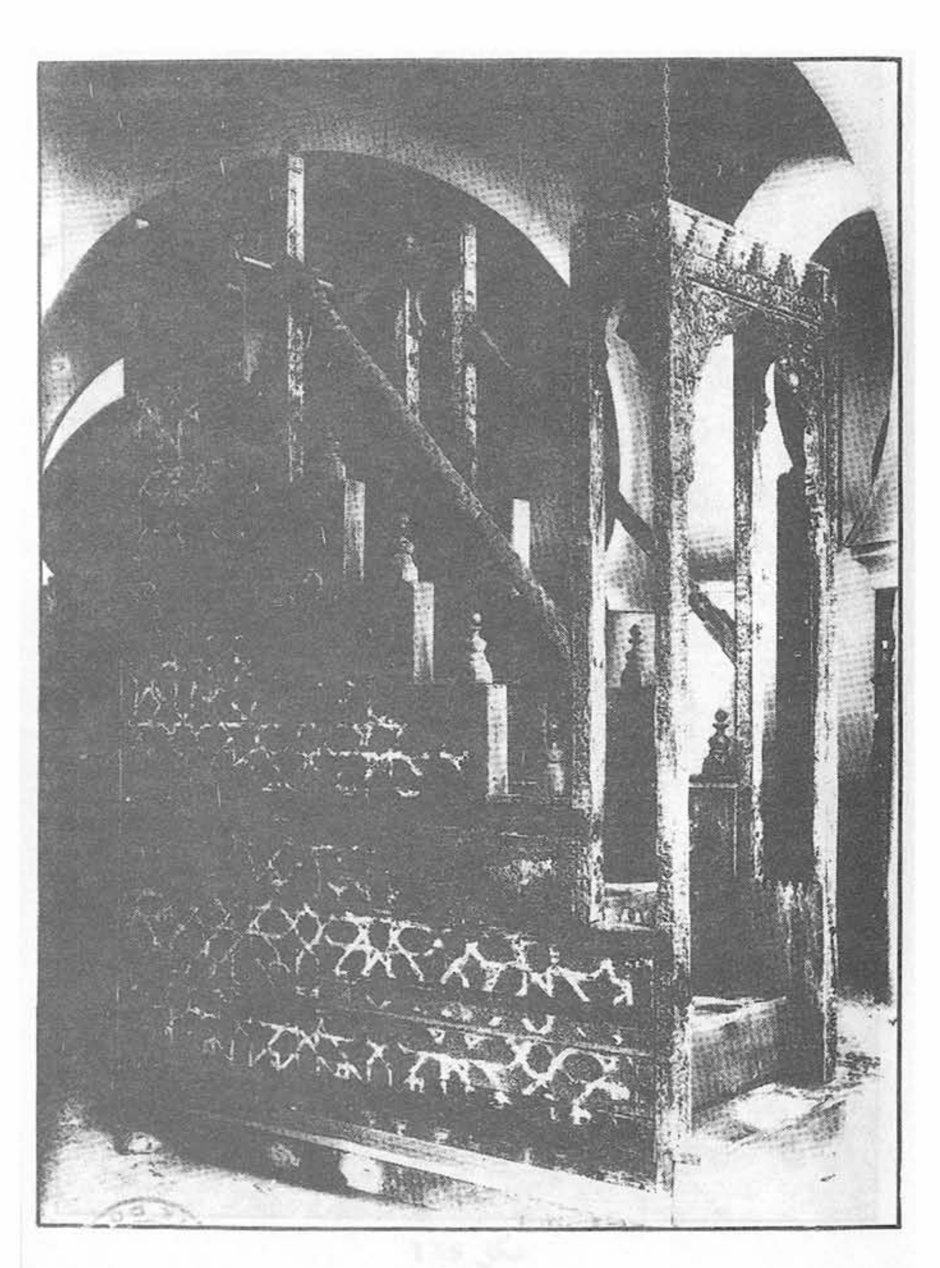
منبر الكتبية :

وقد أطنب المؤرخ ابن مرزوق في الاعجاب بمنبر الكتبية وسجل أن أجمل المنابر المعروفة هو منبر المسجد الجامع في قرطبة ومنبر جامع الكتبية (شكل 135 - 143) وأن أهل المشرق الاسلامي لم يحذقوا الحفر في الخشب كما حذفه أهل المغرب.

ولا شك أن منبر الكتبية[2] غني بحشواته ذات الرسوم النباتية الدقيقة والأشكال

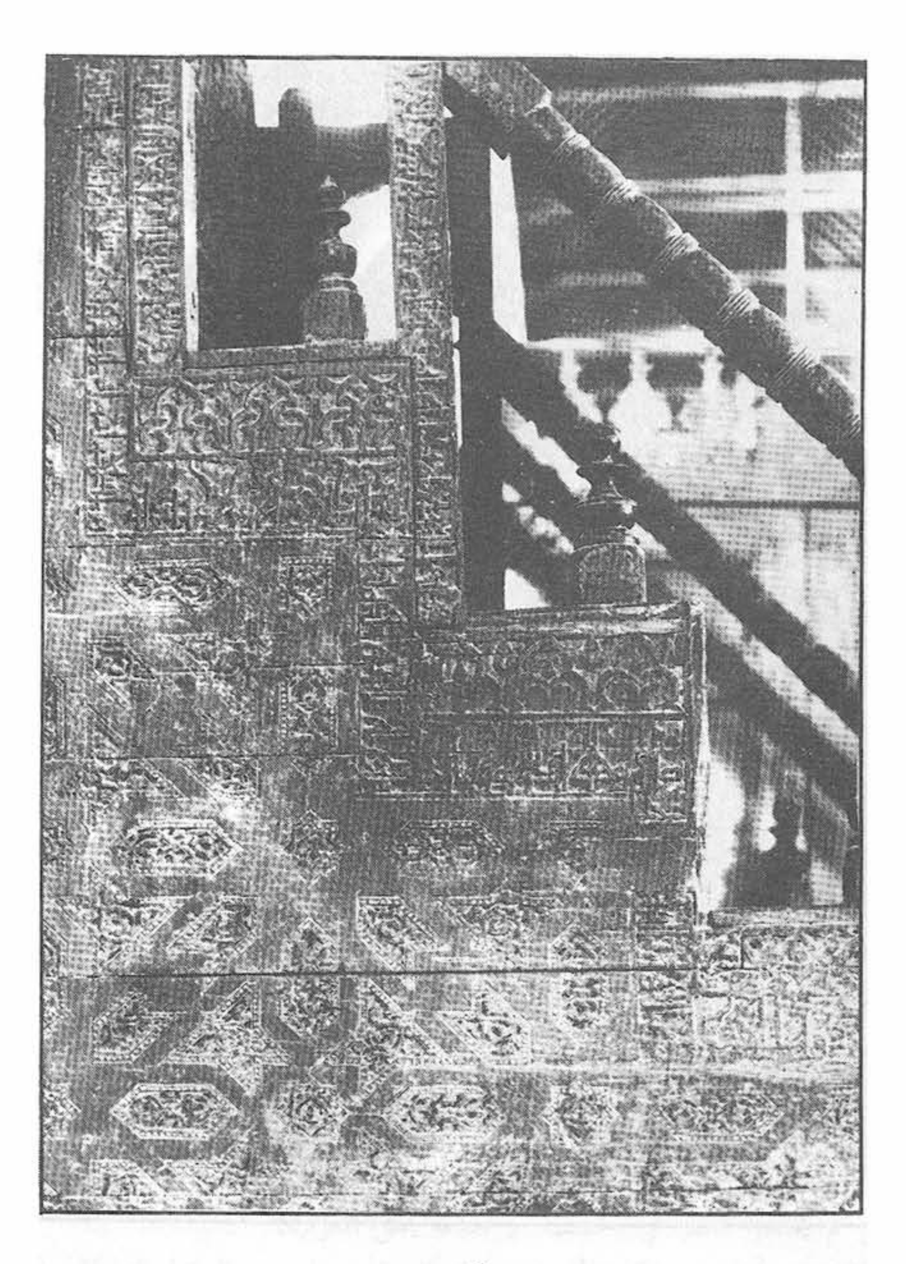
---

(1) ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ص 368/1 وما بعدها.
(2) أنظر شكل 150 بهذا الفصل لتصميم وزخرفة الأسقف الخشبية بجامع الكتبية.



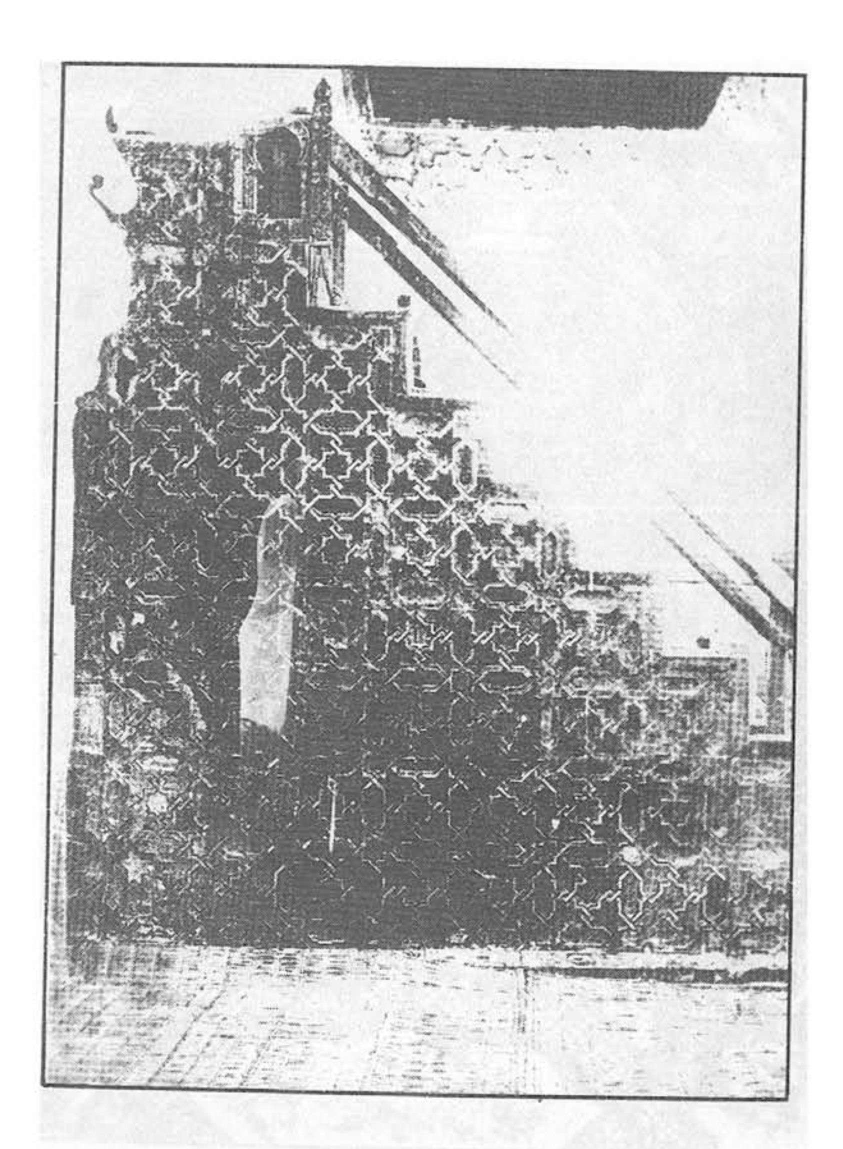
شكل 133

منبر الموحدين بجامع الأندلسيين بفاس



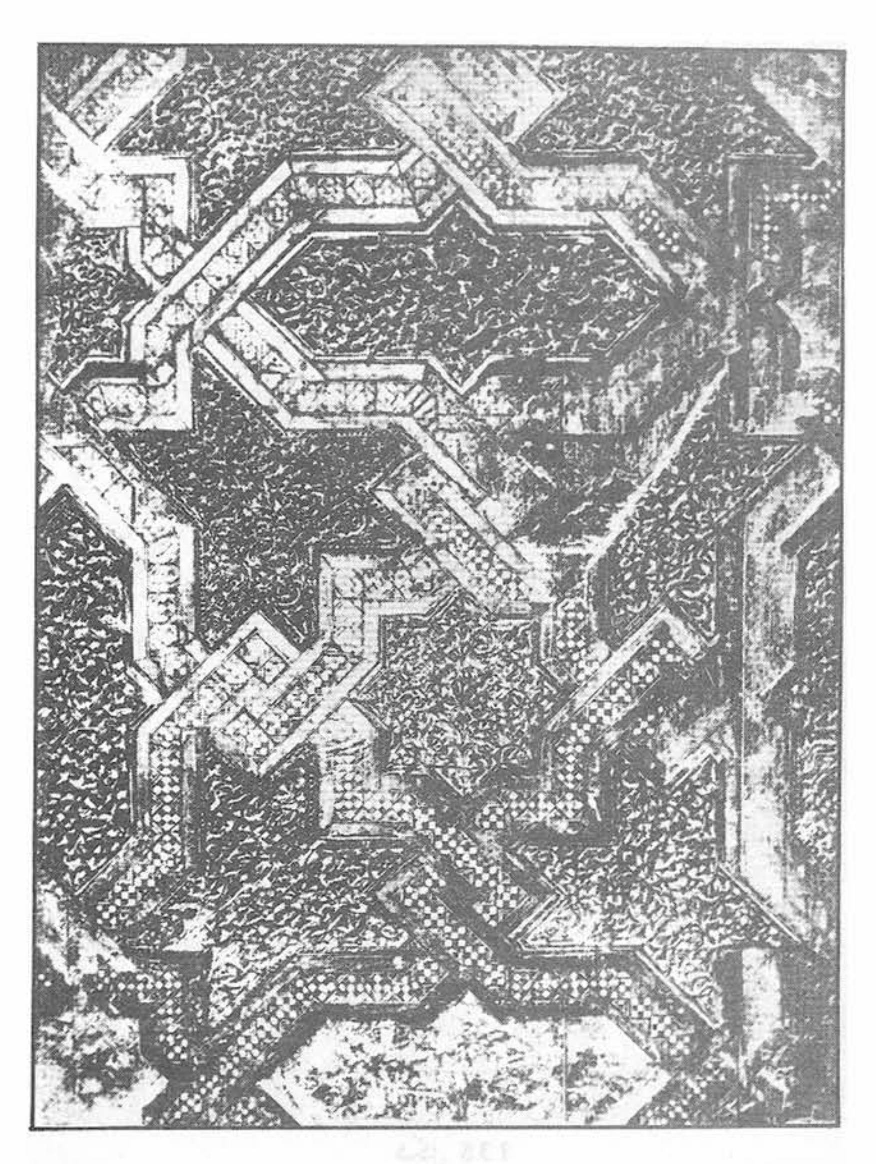
شكل 134

تفصيل من منبر الموحدين بجامع الأندلسيين بفاس



شكل 135

منبر الموحدين بجامع الكتبية بمدينة مراكش



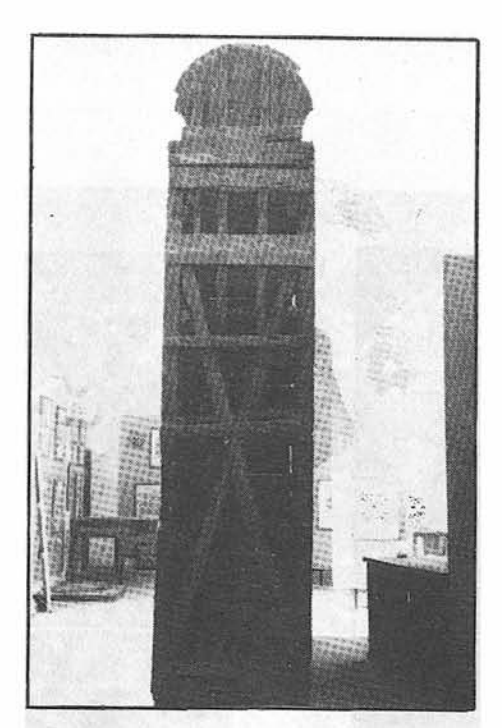
شكل 136
تفصيل من منبر الموحدين بجامع الكتبية يوضح فن الترصيع



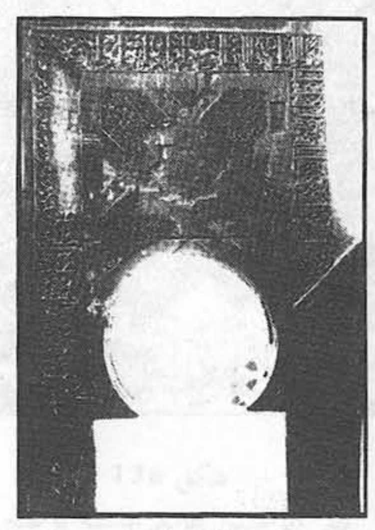


شكل 137

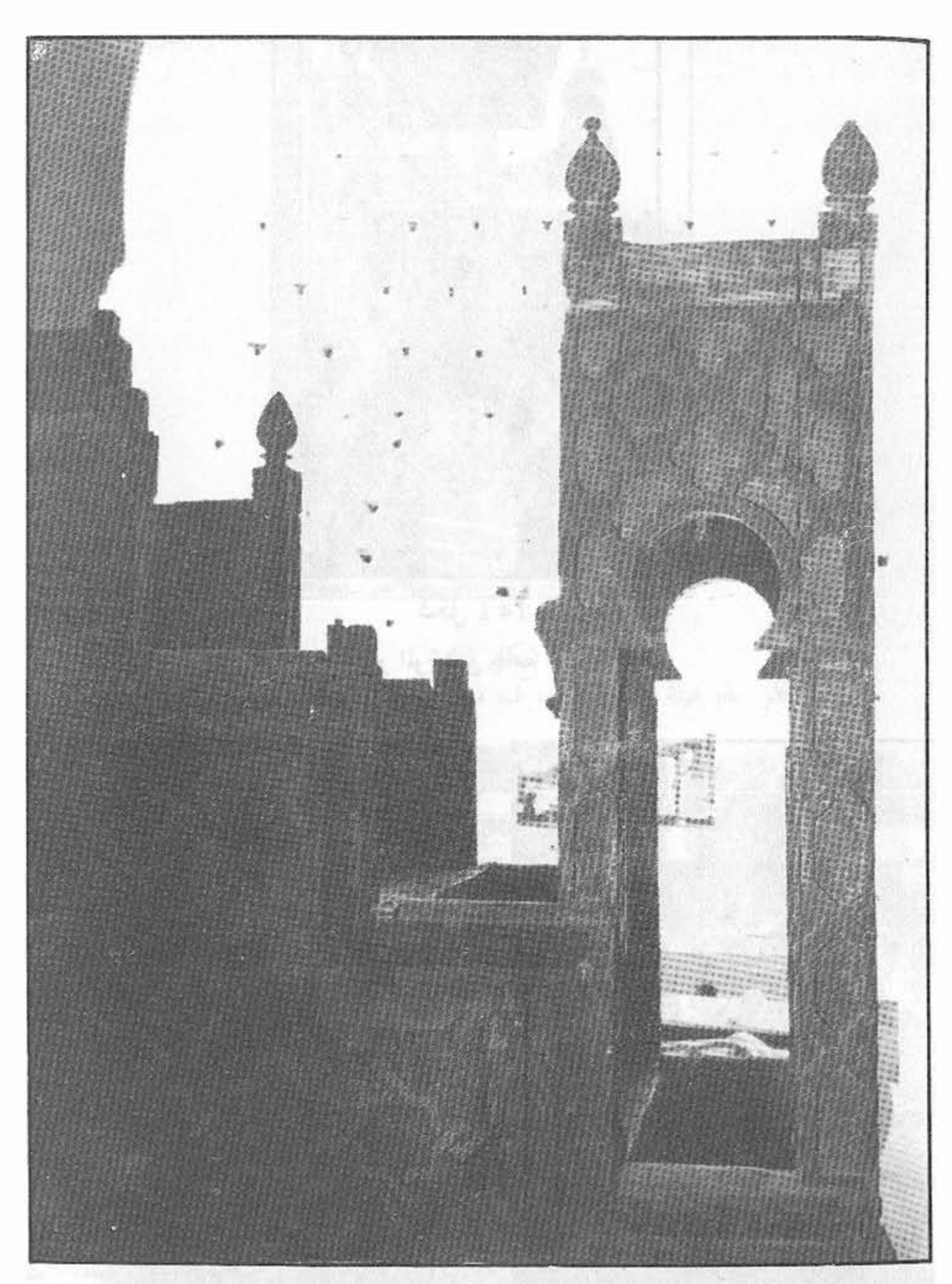
تفصيل من منبر الموحدين بجامع الكتبية يوضح تصميم زخارفه



شكل 138
تفصيل عمارة ظهر المنبر

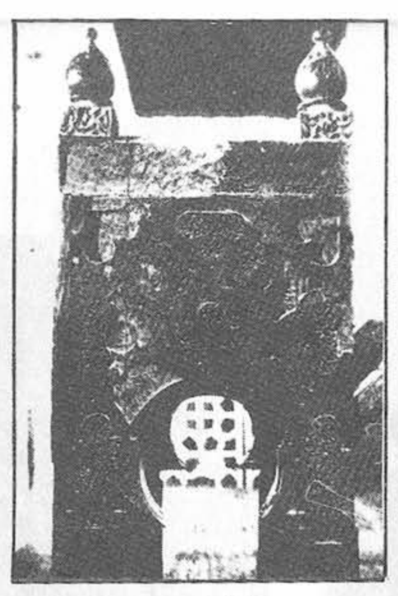


شكل 139
تفصيل من منبر الموحدين بالكتبية

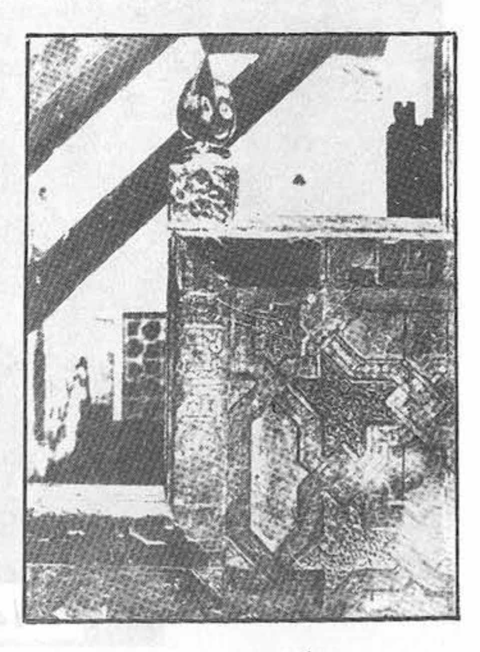


شكل 140

منبر الموحدين بجامع الكتبية بمراكش، ونرى في الشكل التقسيمات الهندسية المضفرة والترصيع متعدد الألوان وأسلوب حفر العناصر الزخرفية النباتية حفرا غائرا



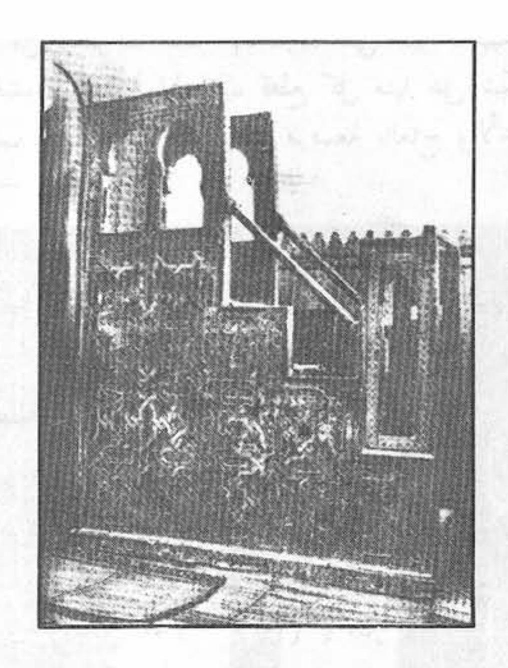
شكل 141
منبر الموحدين بجامع الكتبية



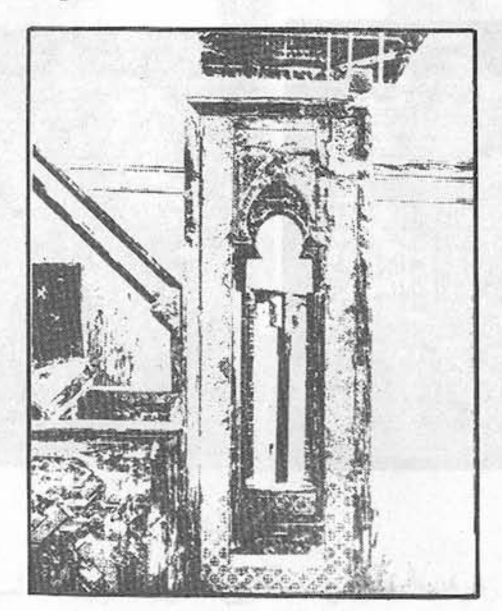
شكل 142
تفصيل من منبر جامع الكتبية بمراكش



شكل 143
تفصيل لزخارف منبر الموحدين بالكتبية



شكل 144
منظر عام لهيئة عمارة وزخارف منبر الموحدين بجامع قصبة مراكش



شكل 145
تفصيل من عمارة منبر الموحدين بجامع القصبة بمراكش

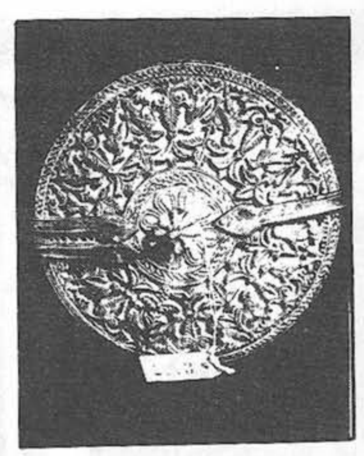
المتنوعة المتباينة مظهرا عن حشوات مصر المعاصرة. ففي منبر الكتبية نجوم مثمنة الأطراف، كما نرى أن معظم الحشوات مثلثة الجوانب قطع كل منها على شكل حرف M اللاتيني وكانت سدايب الخشب التي تحبس الحشوات مرصعة بالعاج والأخشاب النفيسة المتعددة الألوان (شكل 136 - 141).

وكان على المنبر كتابات عربية بالخط الكوفي البسيط المورق وتتركز الثروة الزخرفية إلى جانب النقوش العربية في رسوم الحشوات وقوامها المراوح النخيلية ذوات العروق الدقيقة المختلفة الأنواع من حشوة إلى أخرى.

منبر جامع القصبة :

وكان منبر جامع القصبة أصغر حجما (شكل 144) ولكنه لا يقل اتقانا وابداعا عن منبر الكتبية حيث تبدو رسومه على درجة كبيرة من الدقة في الحفر والوضوح الزخرفي (شكل 145 - 149)، وتمتاز زخارفه بعمق الحفر الذي يذكر بزخارف التحف العاجية في الفن الأندلسي (الأموي الغربي) (شكل 146 - 149) كما تمتاز بوضوح العروق في أوراقها ورسم كيزان الصنوبر (أشكال 152 - 154).

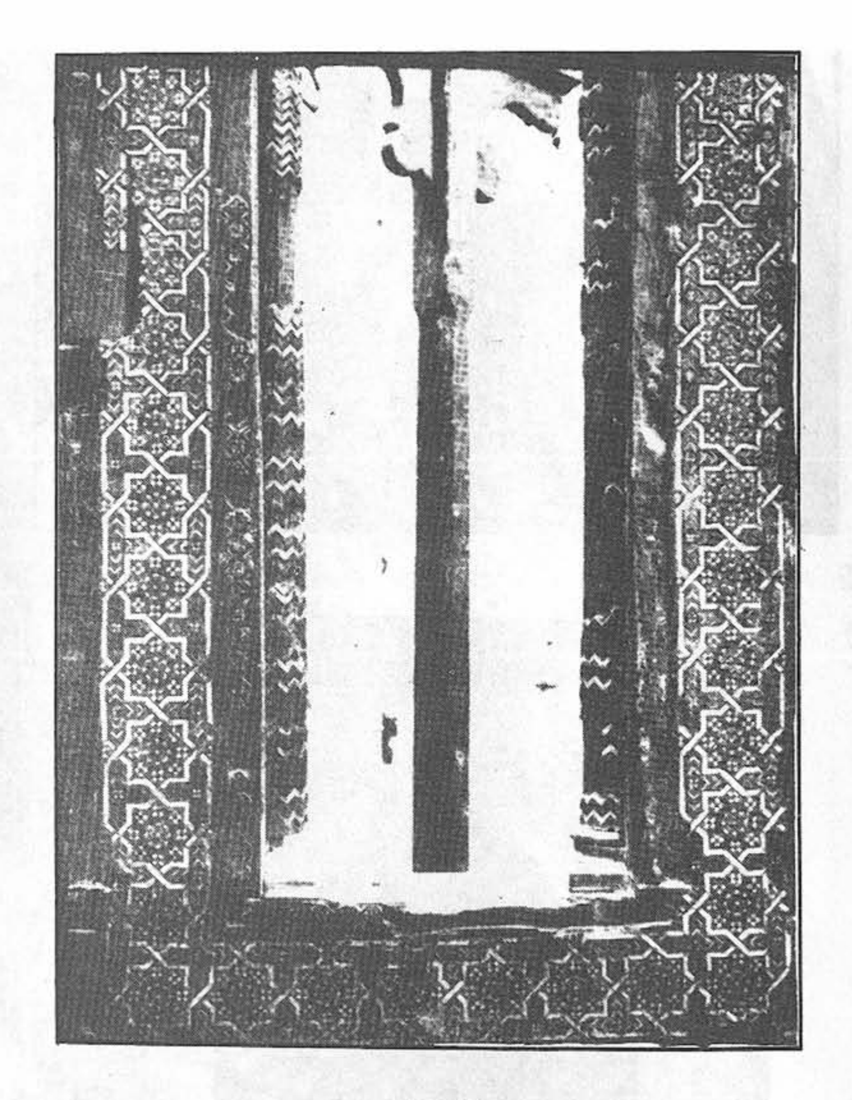




شكل 146

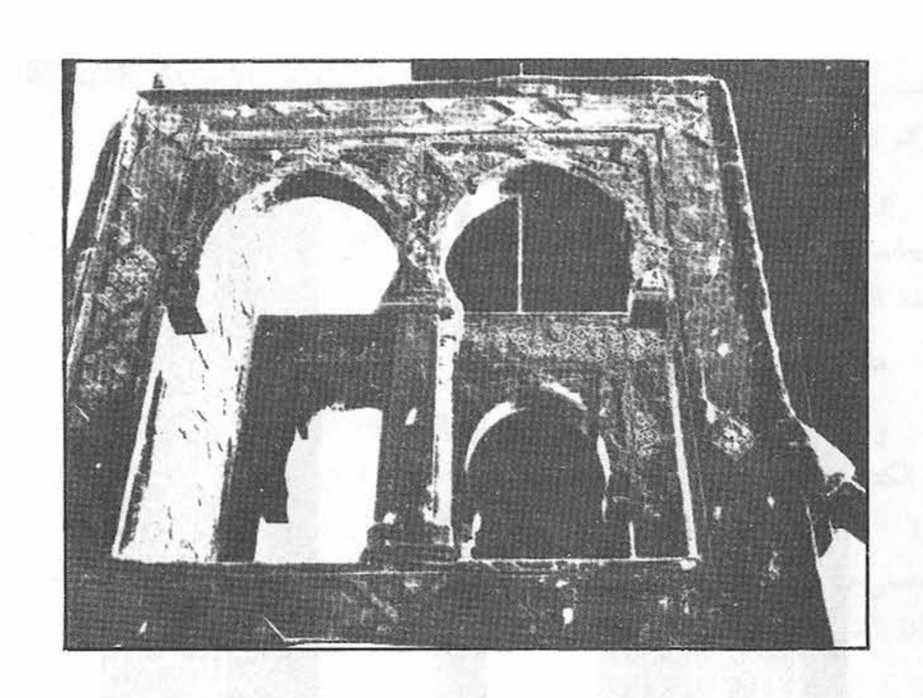
الحفر العميق بالعاج الأندلسي بعلبة أموية

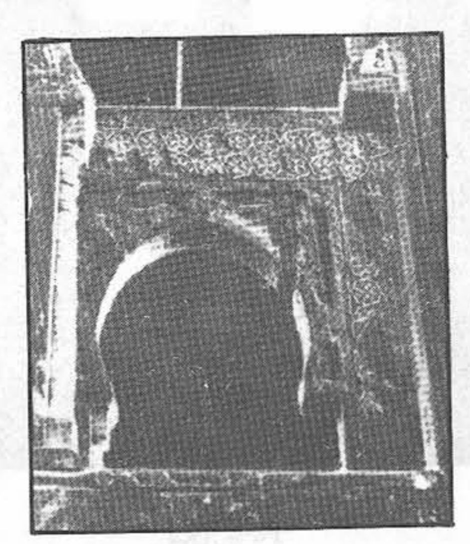
مؤرخة 964 م بمتحف الآثار بمدريد



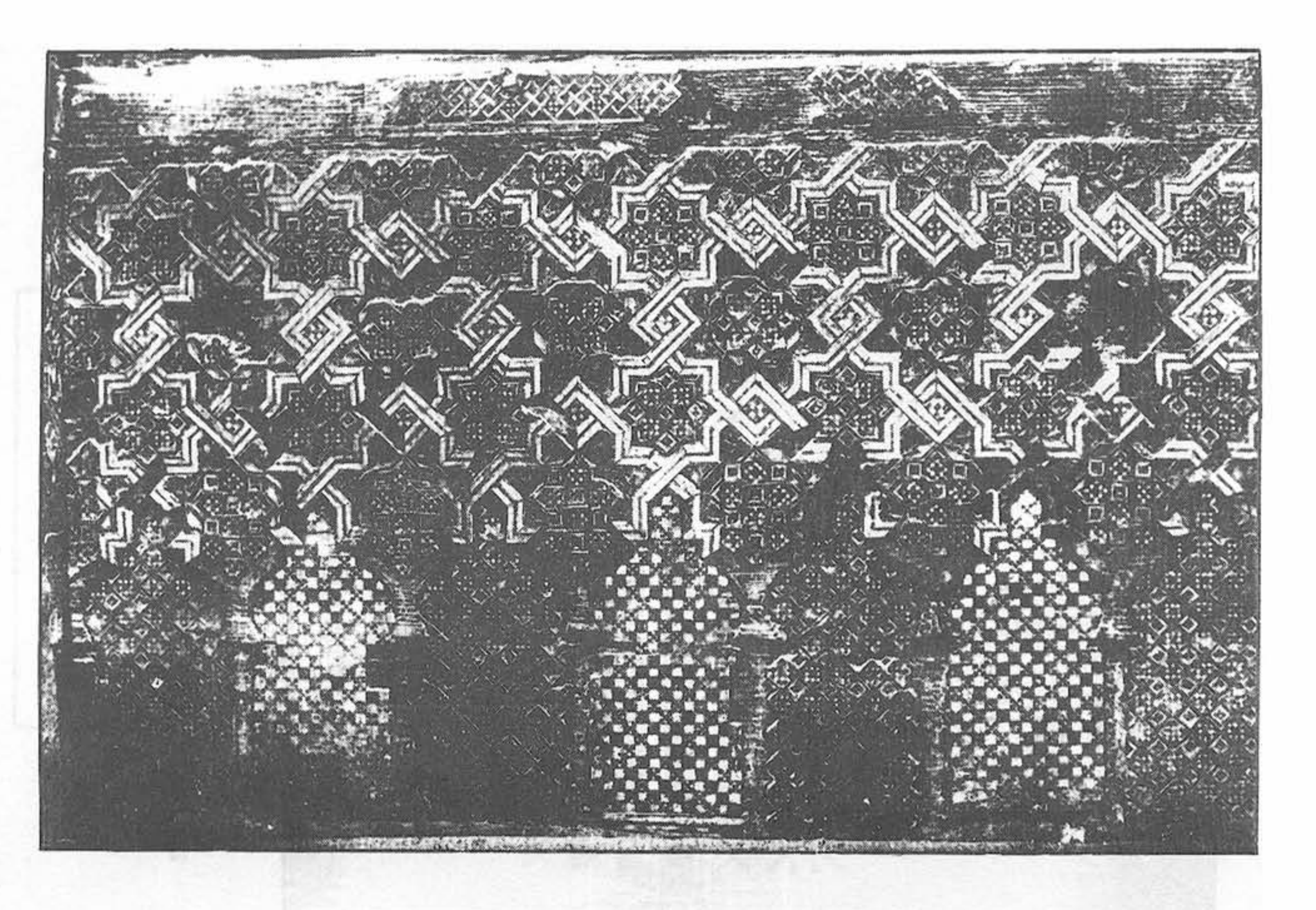
شكل 147

التقسيمات الهندسية والوحدات الزخرفية الكبيرة بالطراز المغربي الأندلسي من عصر الموحدين بمنبر جامع القصبة بمراكش



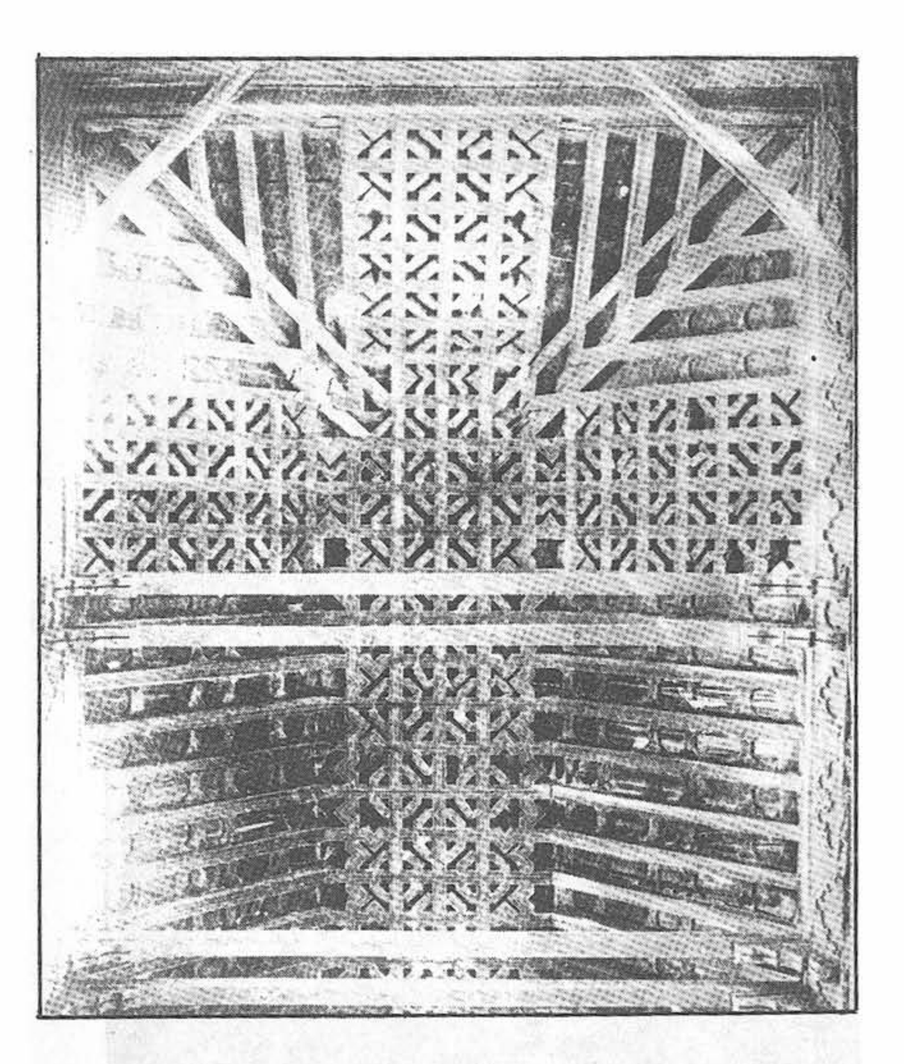


شكل 148
تفصيل من عمارة منبر الموحدين بجامع قصبة مراكش والترصيع بالعقود الداخلية بالوجه الداخلي

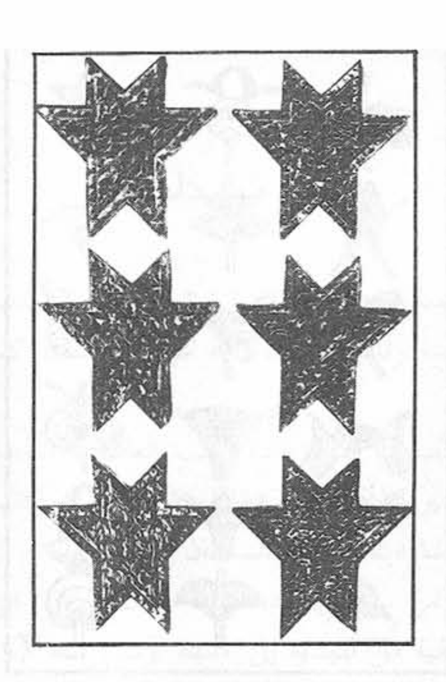


شكل 149

أعمدة محفورة في الخشب وتيجان وعقود تحصر مناطق زخرفية وارتقاء التضفيرات الهندسية

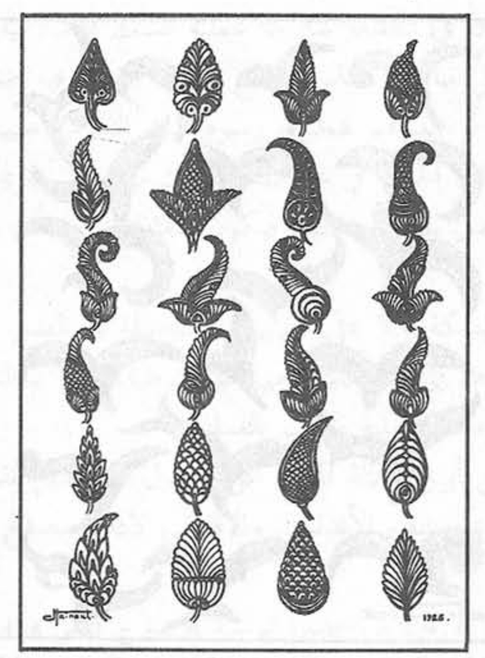


شكل 150
تصميم عمارة الأسقف الخشبية زخارفها ووحداتها المعمارية والزخرفية



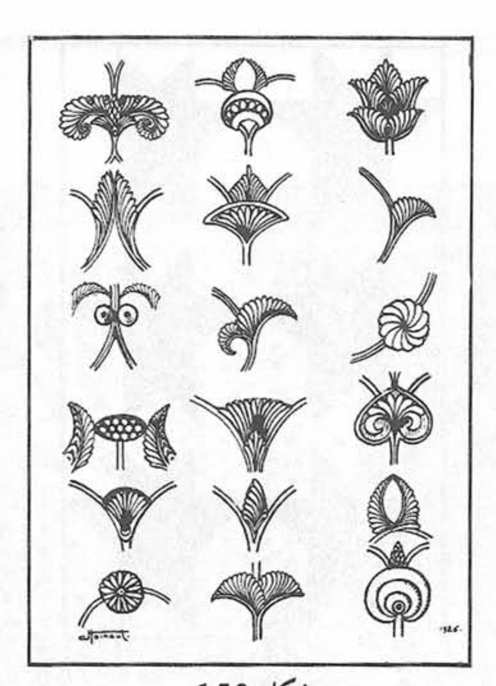
شكل 151

تفصيل لبعض نماذج من فن الحفر العميق بحشوات منبر الكتبية بمراكش



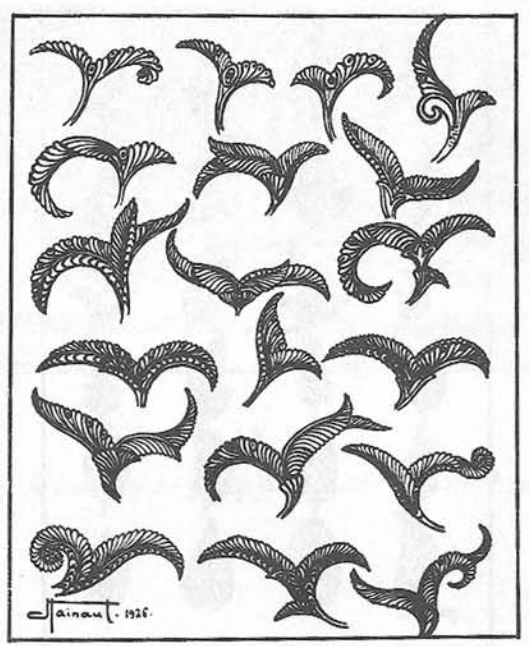
شكل 152

عينات ونماذج من أوراق البالميت البسيطة وكيزان الصنوبر



شكل 153

عينات ونماذج من العناصر الزخرفية النباتية والزهرية



شكل 154

عينات ونماذج من العناصر النباتية والزهرية المنقوشة بمنبر جامع القصبة بمراكش

العـــمـــلـــة

لا شك في أن دراسة العملة الاسلامية ترتبط أشد الارتباط بالنظام السياسي والوضع الاقتصادي للدولة الاسلامية وتلقي أضواء ثابتة على ذلك كله كمصدر حقيقي لا يتسرب إليه التحريف والتزييف.

ولهذا كانت دار الضرب تقوم عادة بقلب العاصمة ملحقة بديوان الخراج لاتصال مهمتها به ويتبع ناظرها الأمير مباشرة ويختار لها مهرة العمال وحذاقهم في اذابة المعادن وسبكها حيث كانت السكة من شارات الملك والسلطان الخاصة به.

ولهذا بادر عبد المؤمن بن علي بعد تغلب الموحدين على افريقية وتطهيرها من قوات النرمند ونقل عاصمة افريقية من المهدية إلى مدينة تونس سنة 555 هـ (1160 م)، باقامة مصالح الحكومة ودواوينها ودار الضرب بالعاصمة الجديدة داخل القصبة حيث استقرت من عصره إلى الآن[1].

ويقول ابن خلدون في المقدمة شارحا عملية السك الاسلامية «السكة هي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار أو الدرهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة، بعد أن يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد أخرى، وبعد تقدير أشخاص الدرهم والدينار بوزن معين يصطلح عليه، فيكون التعامل بها عددا، وإن لم تقدر أشخاصها يكون التعامل بها وزنا».

وقد أطلق لفظ السكة أولا على الحديدة المستعملة في الطبع ثم انصرف إلى النقوش الماثلة على الدنانير والدراهم إلى أن أطلق أخيرا على الوظيفة التي يناط بها النظر في ذلك كله واستيفاء شروط ومستلزمات عملية ضرب العملة.

وكانت العملة من أبرز الأدلة المادية على إدخال الموحدين تقاليدا ونظما جديدة في ربوع ممالك الاسلام الغربي بشقيه الأندلسي والافريقي لادارة مصالح البلاد عرفت بالتراتيب

(1) حسن حسني عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة التونسية بافريقية ج 1 ص 416 ص 428 نقود الأغالبة، ص 436 نقود الفاطميين، ص 444 دنانير المعز بن باديس، ص 450 نقود النرمد، ص 455/453 الموحدون في افريقية، 455 النقود الحفصية، ثم استمرار التقاليد الموحدية في عملة الحفصيين 457/455.

المخزنية، لقد بدلوا منذ أول نشأتهم شكل الدرهم الفضة وجعلوه مربع الشكل بعد أن كان مدورا ووضعوا دينارهم الذهب مدورا يحمل في وسطه مربعا ترسم داخله الكتابة[1].

وقد ذكر ابن خلدون مبدأ ذلك في باب السكة بالمقدمة «ولما جاءت دولة الموحدين كان مما سن[2] لهم اتخاذ سكة الدرهم مربع الشكل، وان يرسم في دائرة الدينار مربع في وسطه، ويملأ من أحد الجانبين تهليلا وتحميدا، ومن الجانب الآخر كتبا في السطور باسمه...»[3].

ولم تحمل عملة الموحدين عادة تاريخ الضرب ولا اسم المكان الذي سبكت فيه، وهو أمر مغاير لتقاليد العملة الاسلامية، وقلما نجد اسم المدينة بحروف ضئيلة بآخر الكتابة[4] على الرغم من انتشار التقاليد الموحدية في سك العملة على عهدهم ثم طوال عهد الحفصيين بتونس وبني عبد الواد بتلمسان والمرينيين بالمغرب الأقصى وبني نصر بغرناطة.

لقد كانت عملة الحفصيين موحدية شكلا كما نرى في دينار أبي زكرياء أولا سلاطينهم :

الوجه الأول، الدائرة : بسم الله الرحمن الرحيم ــ صلى الله على سيدنا محمد ــ والهكم اله واحد ــ لااله الا هو الرحمن الرحيم.

الوجه الأول، بوسط المربع : الواحد الله ــ محمد رسول الله ــ المهدي خليفة الله.

الوجه الثاني، الدائرة : الأمير الأجل ــ أبو زكرياء يحيى ــ بن أبي محمد ــ بن أبي حفص.

الوجه الثاني، بالمربع : أبو محمد عبد المؤمن ــ بن علي أمير المؤمنين ــ الحمد لله رب العالمين.

أما الدراهم الحفصية فكانت كلها مربعة وعليها :

الوجه الأول : لا اله الا الله ــ الأمر كله لله لا قوة الا بالله.

الوجه الثاني ثلاثة أسطر : الله ربنا ــ محمد رسولنا ــ المهدي امامنا[5].

ومن دراسة بريت حول العملة المغربية يتضح أن عملة الموحدين الفضية بدأت أولا مستديرة كعملة المرابطين وتحمل اسم عبد المؤمن بن علي فوق أحد الوجهين وعبارة (الحمد لله رب العالمين) على الوجه الآخر أما العملة الفضية[6] المربعة فقد ظهرت بعد ذلك متأخرة

---

(1) حسن حسني عبد الوهاب : نفس المصدر ص 454.

(2) يعني المهدي بن تومرت.

(3) يعني المهدي.

(4) نفس المصدر ص 455.

(5) نفس المصدر ص 455 – 457.

(6) J.D. Brethes : Contribution à l'histoire du Maroc, P. 144

في عهد عبد المؤمن بن علي، ولتخليد ذكرى المهدي بن تومرت ضربت العملة المربعة بدون اسم وتحمل عبارة (المهدي امامنا). وقد استمر التعامل بتلك العملة المربعة إلى آخر عهد المرينيين بل ان الأسر التالية استمرت تحتفظ بالشكل المربع في العملة الفضية حتى عصر السلطان محمد الشيخ السعدي.

ويبدو أن الموحدين لم يضربوا عملة برونزية فقد كانت العملة الذهبية والفضية ذات قيمة متميزة، وكان وزن المثقال أو الدينار الموحدي ما بين 4.4 جراما 4.6 جراما ويبلغ قطره حوالي 28 مليمترا وتتميز عملتهم[1] الذهبية برسم دائرة على كل من الوجهين من خطين أحدهما يتكون من نقط متصلة وقد نقش مربع داخل الدائرة حيث يشتمل كل ضلع من المربع على ثلاثة خطوط متوازية أحدها منقط وتحتفظ تلك العملة دائما بامامة المهدي واسم السلطان والنسب واللقب وكان اسم المصنع يكتب أحيانا صغيرا أسفل المربع دون ذكر التاريخ.

ويحل حرف أو حرفان رمزيان محل اسم المصنع بصفة استثنائية على كل من الوجهين وذلك على نصف الدينار الموحددي.

ويذكر التاريخ أن واحدا فقط وهو أبو العلا ادريس بن منصور قد شذ والغى المهدي من عملته ولكن ذلك لم يؤكده دليل كاف لندرة عملة ذلك الأمير.

وكانت المصانع المعروفة بضرب العملة الذهبية للموحدين في مدن سلا ورباط الفتح ومراكش وفاس وبوجي وسبتة ومكناسة وسجلماسة واشبيلية وقرطبة.

مر بنا أن العملة الفضية في بداية عصر الموحدين كانت مستديرة الشكل على غرار عملة المرابطين وكانت تحمل أولا اسم عبد المؤمن بدون ذكر امامه المهدي وبدون اسم المصنع، لقد كانت الدراهم تزن حوالي 1,75 جراما بقطر 17 مليمترا.

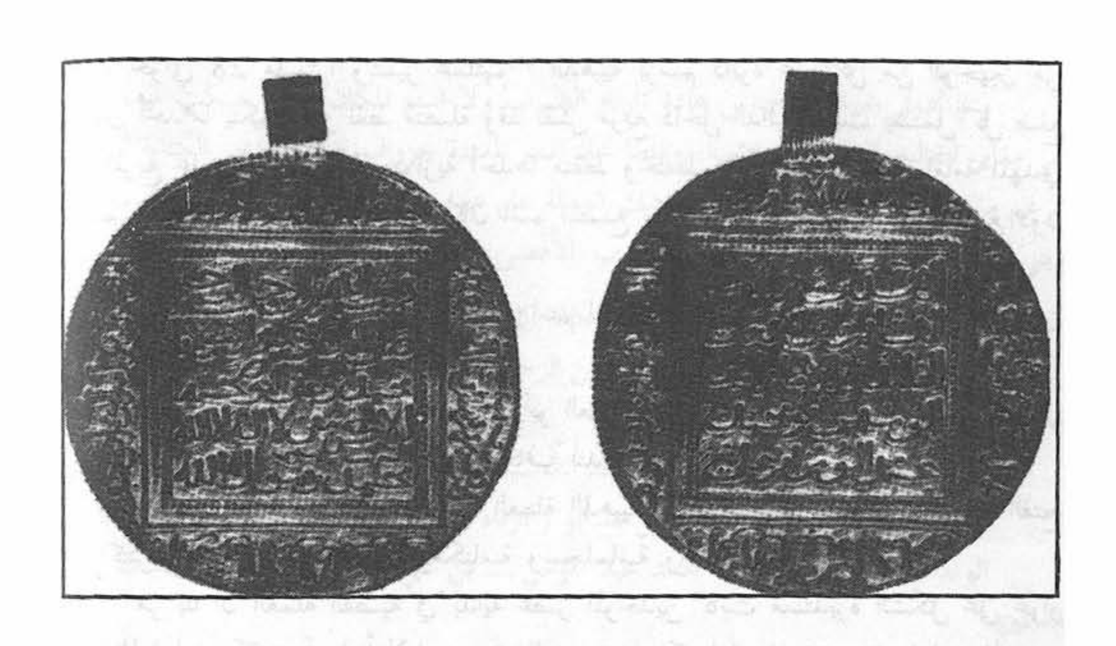
وبعد ذلك ضربت مصانع الموحدين عملة جديدة فضية مربعة الشكل باسم عبد المؤمن ابن علي تزن 1,5 جراما وكان طول ضلع مربعها حوالي 13 مليمترا. أما صانع الموحدين[2] المعروفة بضرب تلك العملة فكانت في اشبيلية وبلنسية وخاين وقرطبة ومنورقة ومرسية وغرناطة ودانية باسبانيا، وفي افريقيا بوجي وتلمسان ورباط الفتح وسبتة وسجلماسة وفاس ومراكش ومكناس وتونس وجربة.

ويذكر ابن أبي زرع أنه كان في مدينة فاس على عهد المنصور وابنه الناصر داران للسكة، واحدة في كل عدوة، وكان بها اثني عشر عاملا لتسبيك الحديد والنحاس. (أشكال 155 - 158)

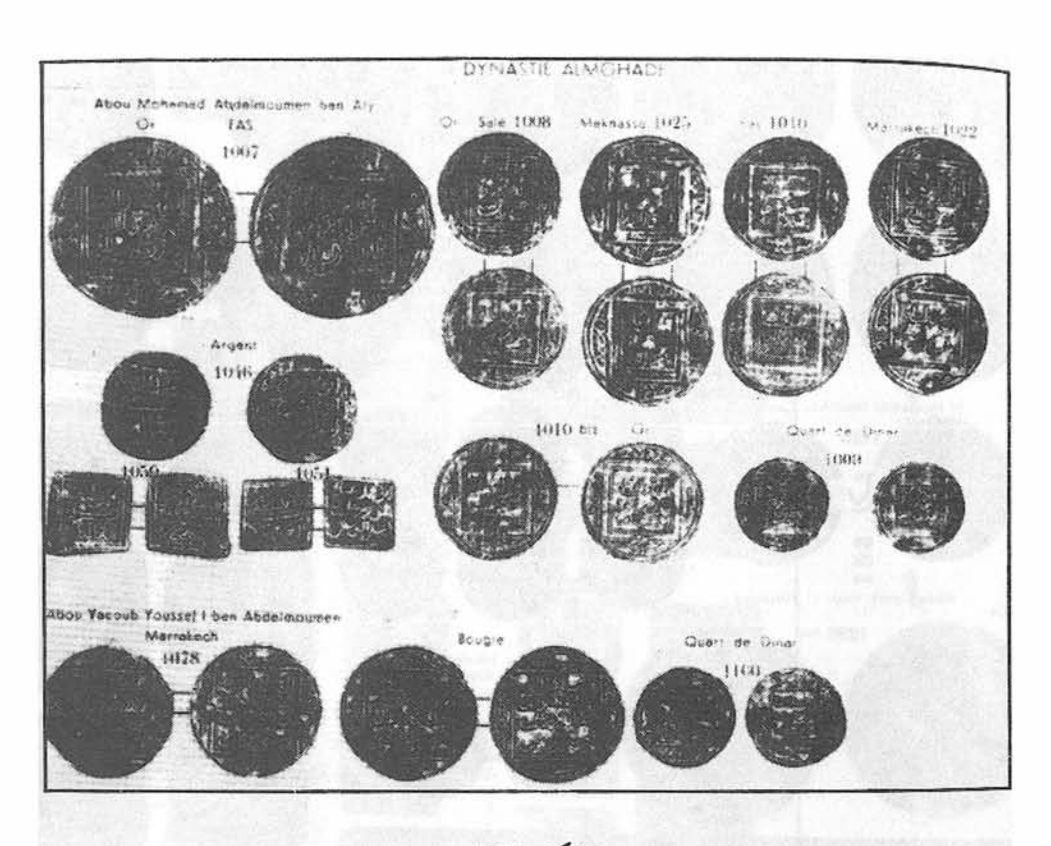
---

(1) نفس المصدر ص 144 - 145.

(2) نفس المصدر ص 146.

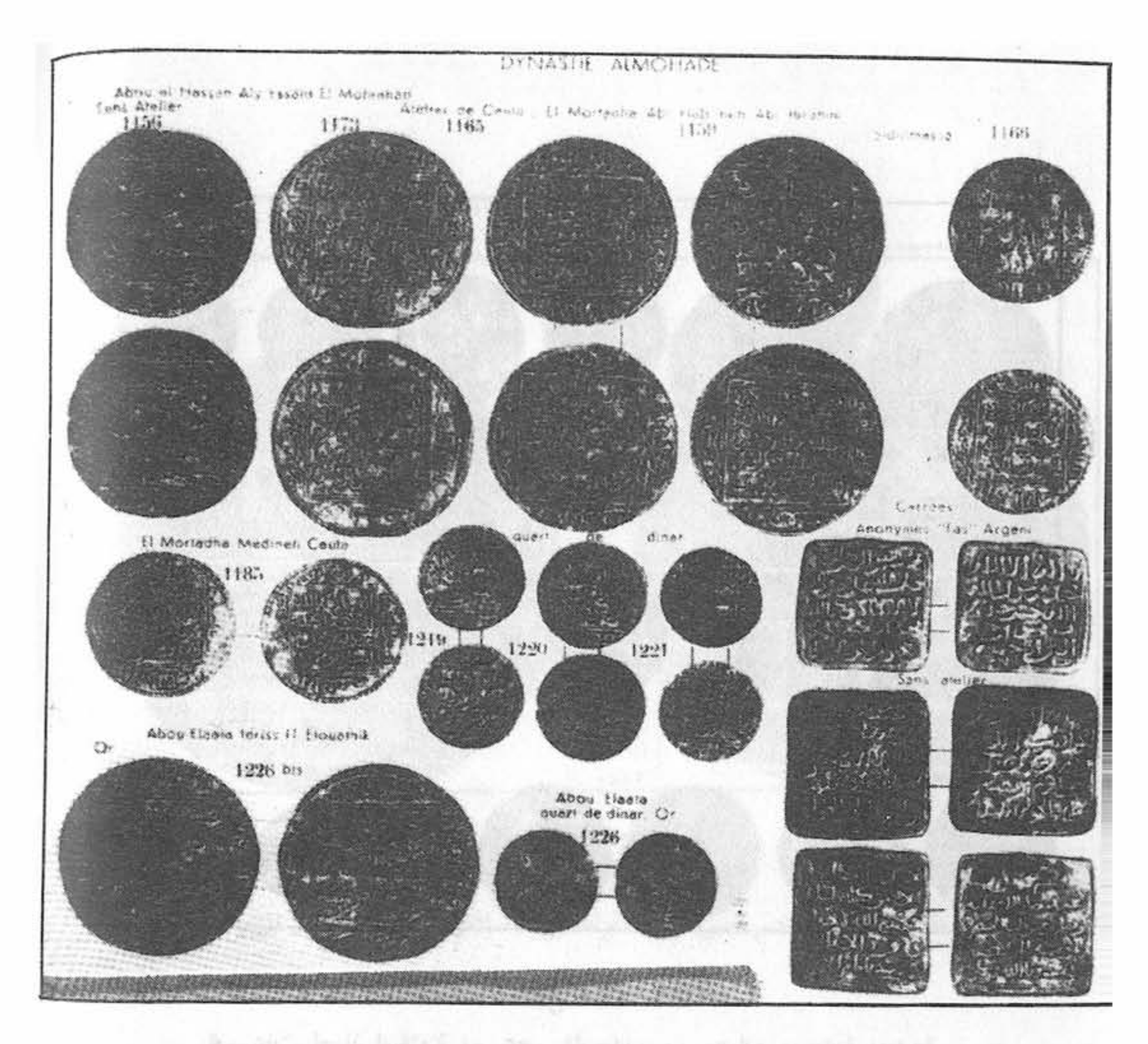


شكل 155
تفصيل لعملة إسلامية من عصر امبراطورية الموحدين الاسلامية تحمل اسم عبد المؤمن بن علي



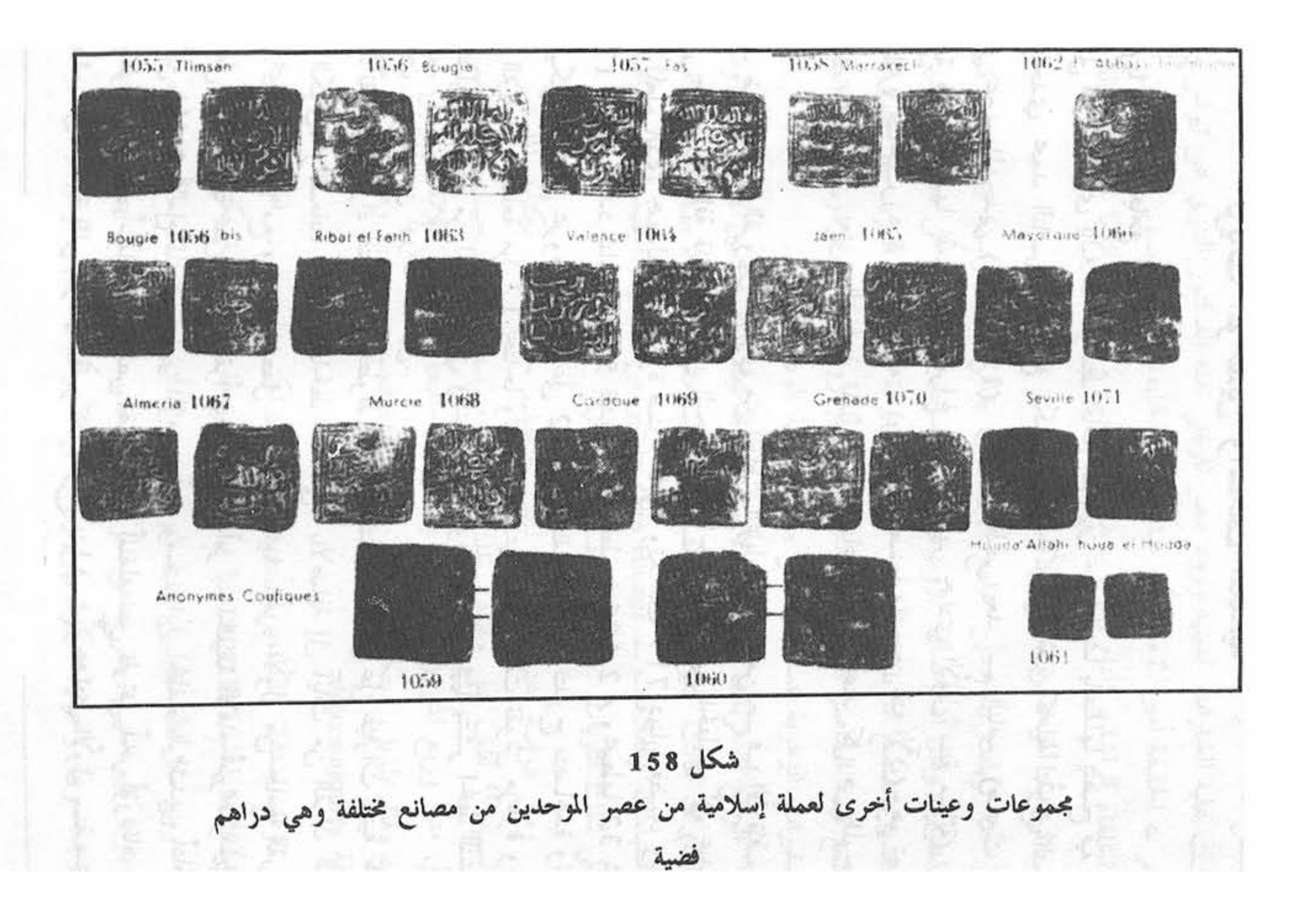
شكل 156

مجموعات لعملة إسلامية من عصر الموحدين من مصانع موحدية متعددة



شكل 157

مجموعات أخرى وعينات لعملة إسلامية مغربية من أيام الموحدين يرجع ضربها إلى مصانع مختلفة



شكل 158

مجموعات وعينات أخرى لعملة إسلامية من عصر الموحدين من مصانع مختلفة وهي دراهم فضية

ثريات الموحدين والتحف المعدنية

الثريا الكبرى بجامع القرويين :

تحمل الثريا الكبرى بالبلاط الأوسط بجامع القرويين حاليا نقشا بأسفلها يتضح فيه اسم العاهل الموحدي محمد الناصر[1] وتاريخ مكان صنعها كوثيقة حية كاملة لتأريخ التحف المعدنية على عصر الموحدين (شكل 159). ونقرأ في النص بعد اسم الناصر (صنعت هذه الثرية بمدينة فاس حرسها الله، وكان الفراغ منها في شهر جمادى الأولى سنة ستمائة). وقد ذكر تلك الثريا صاحب زهرة الآس بقوله : (وفيها من الصنعة ما يعجز عنه الآن) وهو تصريح بالغ الأهمية بالنسبة لمن يعنى بالدراسة المقارنة في صناعة المعادن عند كل من الموحدين والمرينيين.

وقد صنعت ثريا القرويين الكبرى من أنقاض الثريا الزناتية ومن صرف الأوقاف بعد الصهر من جديد وباضافة قدر مهم من النحاس باقتراح من القاضي الخطيب أبي عبد الله ابن موسى المعلم الذي جمع لصنعها مهرة صناع فاس، وتكلفت 717 دينارا فضية، ويفوق وزنها 17,5 قنطارا وعدد قناديلها 520 قنديلا ويبلغ قطرها 2,125 م ومحيطها 32 شبرا. ويتكون هيكل الثريا من مخروط يحتوي على 12 طوقا متفاوتة السعة تتدرج متصاعدة وتظهر من داخل الثريا قبة مضلعة من 12 جناحا وتتصل قاعدتها بمساند ذات نقوش مزهرة وتحيط بأسفلها زخارف منوعة من الخط الكوفي والنجوم والعقود المفصصة بينما ينتشر الخط النشخي بالداخل بين زخرفة من أوراق النخيل.

وقد نقشت بأجزاء مختلفة منها خطوط كوفية ونسخية تشتمل على عبارات دينية كالعزة لله بالخط الكوفي، والسعادة والاقبال بالخط النسخي، بالاضافة إلى آيات من القرآن الكريم أوردها الدكتور التازي مع وصف مفصل لجميع أجزائها بالجزء الأول من جامع القرويين كما نقش على ساق الثريا نص تاريخي نقرأ فيه (هذا ما أمر به الخليفة الامام أمير المؤمنين أبو عبد الله ابن الخليفة الامام المنصور أمير المؤمنين أبو يوسف ابن الخلفاء الراشدين أدام الله تأييدهم وعزهم). وجاء أسفل ذلك النص نقش قرآني أسفله نص تاريخي آخر أوردناه سابقا (صنعت هذه الثرية بمدينة فاس حرسها الله وكان الفراغ منها في شهر جمادى الأولى سنة ستمائة).

---

(1) محمد المنوني : فاس معلمة، مجلة الفنون الرباط نوفمبر 1973.

الثريا الصغرى :

أما الثريا الصغرى فقد كانت ناقوسا بكنيسة وبزة غنمه الموحدون في معاركهم بالأندلس ضد المشركين سنة 576 هـ ثم أغلقت فتحته وأضيفت إليه ثلاث حاملات للقناديل ونقشت عليه العبارات الدينية وزود بنص تاريخي نقله الدكتور التازي عن تيراس ونصه (هذا ما أمر به الخليفة أمير المؤمنين أبو عبد الله بن الخليفة الامام المنصور أمير المؤمنين أبو يوسف ابن الخلفاء الراشدين أدام الله تأييدهم ونصرهم) وهذه هي الثريا الصغرى بالقرويين.

ثريات الموحدين بجامع الأندلسيين :

أما ثريات الموحدين بجامع الأندلسيين بفاس فقد درسها تيراس في كتابه (جامع الأندلسيين) وقال أن أعمال البرونز وثريات مسجد الأندلسيين من عصر الموحدين والمرينيين والسعديين تسمح لنا بدراسة تطور صناعة وزخرفة البرونز في المغرب على طول عدة قرون، وأوضح قيمة العناصر النباتية المنقوشة ولاحظ أو روقة البالمت المزدوجة تصنع تضفيرا يذكر بالتضفيرات الزهرية بمسجد تينمل وباب قصبة الودايا بالرباط.

الواقع أن ثريات الموحدين الأربع المعروفة بجامع الأندلسيين في بلاطه الأوسط (بلاط المحراب) قد عانت كثيرا وتبدلت هيأتها (فالصينيات (Les Plateaux) قد أعيد صنعها جميعا كما استبدلت (العلاقات — Les Hamps) وكثير من الأجزاء الرئيسية بحيث أصبح المظهر الأصلي لتلك الثريات بعيدا عن الصورة الحقيقية.

ومن دراسة هنري تيراس لتلك التحف حسبما نشر بكتابه المذكور عن جامع الأندلسيين[1] نقف على وصف تلك الثريات متوسطة الحجم حيث يبلغ أقصى الارتفاع حوالي مترا وربع المتر (1,30 م)، ولا زال بأحدها علاقة من ثلاثة فصوص معدنية رائعة الصنع وقائم طويل، ويتكون بدنها من هيئة زهرة السوسن Tulipe وقد زينت برسوم زخرفية مضافة décors ajourés.

وقد استدار بالصحن plateau الذي يرتكز عليه البدن اطار من شبه الشرفات المسننة DENTÉ MERLONS كما يبدو لنا في لوحة الثريا الثانية بكتاب هنري تيراس.

ومن ملاحظة تفاصيل تلك الثريا يتضح لنا أن وجه الصحن الأدنى (تجاه الأرض) قد زين بثراء كبير حيث يتفرع عن المركز اثني عشر قضيبا نحاسيا يتجه نحو الحافة الخارجية منتهيا بمجموعة زخرفية تتكون من زوج من الأوراق النخيلية المزدوجة المتدابرة.

(1) H.Terrasse : La Mosque des Andalous à Fès, P. 31-32 et Fig. XLI + XLII

ومن ملاحظة التفاصيل الزخرفية يتضح لنا كذلك أن كل قسم من الأقسام المحصورة بين الأشرطة النحاسية (الاشعاعية المتفرعة من المركز) قد رين بزخارف دقيقة قوامها عناصر نباتية وزهرية Motif Floral على هيئة أوراق نخيلية مزدوجة des Palmes doubles رسمت على هيئة تضفيرات تملؤها أوراق نخيلية مزدوجة أخرى. ومن الجدير بالذكر أن تلك النماذج تذكرنا بالتضفيرات الزهرية بتينمل وبعض عناصر باب الودايا.

ومن المؤسف أن بعض البقايا الكتابية التي كانت محفورة بتلك الثريا لا تكفي لقراءة النقوش الخطية الكاملة حيث تدل الحالة الراهنة على أن تلك الثريا كانت تتوفر على نقشين بالخط النسخي المغربي يدوران بحافة صحن تلك الثريا.

وقد توفرت ذات الثريا على قاعدة يمكن أن تجلس عليها وهي قاعدة هندسية الشكل سداسية الهيئة تعتبر في نفس الوقت قاعدة تجلس عليها قبة إشعاعية بديعة التنسيق كمرحلة انتقال بين هذه القاعدة وبين مركز الصحن الموزعة عليه اثني عشر قضيبا نحاسيا سبق وصفها.

ويخلص هنري تيراس من دراسته تلك إلى أن تركيب تلك الثريا وزخارفها يجعلان منها مثالا أقدم عهدا من الثريات المرينية المعروفة بجامع تازة وبمدرسة العطارين حيث تتوفر لديه عدة أسباب تجعله ينسب ثريا جامع الأندلسيين موضوع دراستنا إلى عصر الموحدين وإلى عصر الخليفة الناصر على وجه الخصوص.

ثريا الموحدين بجامع مكناس :

وترجع إلى عصر الناصر الموحدي كذلك الثريا الكبرى بالجامع الأعظم من مدينة مكناس ولا زال منقوشا بدائرتها السفلى نص تأسيسي على نحو النص السابق في الأهمية نقرأ فيه (صنعت هذه الثرية بمدينة فاس حرسها الله لجامع مكناسة شرفه الله بذكره وكان الفراغ من عملها في العشرين من شهر ذي القعدة عام أربعة وستمائة[1].

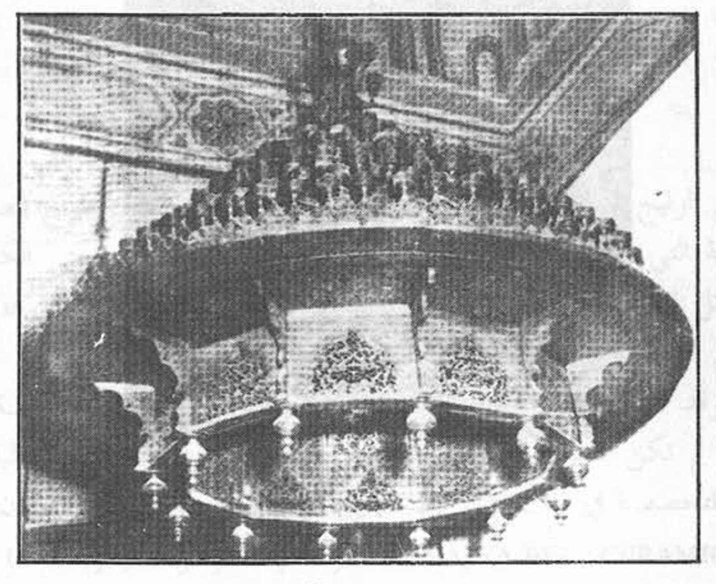
نافورة البيلة بصحن القرويين :

وكان من روائع التحف المعدنية كذلك في عصر الموحدين تلك النافورة التي زودت بها بيلة الصحن بجامع القرويين فقد كانت من نحاس أحمر مموه بالذهب الخالص وقامت على ساق من نحاس أحمر مموه بالذهب ومزين بالنقوش، وكان الساق مقسوما نصفين يصعد الماء في النصف القائم من الساق فيفور في وسط الخصة بواسطة تفاحة مذهبة فيملأ الخصة لينحدر في النصف الثاني من الساق بتصميم دقيق ورد ذكره مفصلا في الجزء الأول من جامع القرويين نقلا عن زهرة الآس.

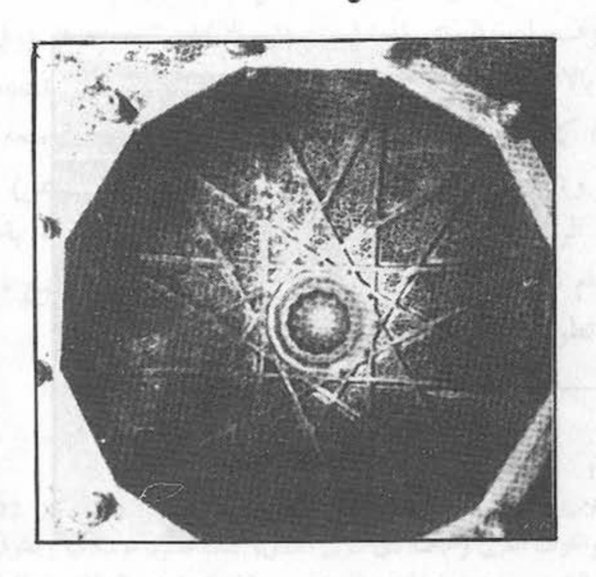
---

(1) راجع كذلك بحث التازي حول الحروف المنقوشة بالقرويين بكتاب الجامعة العربية المذكور حول المؤتمر الثالث للآثار بالبلاد العربية.

ويذكر ابن أبي زرع كما مر بنا أنه كان في مدينة فاس على عهد المنصور وابنه الناصر داران للسكة وكان بها اثني عشر معملا لتسبيك الحديد والنحاس.



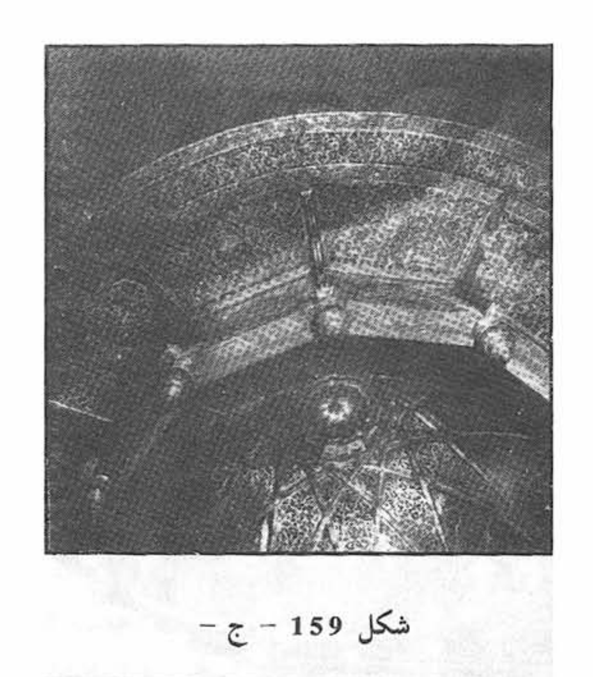
شكل 159 – أ –



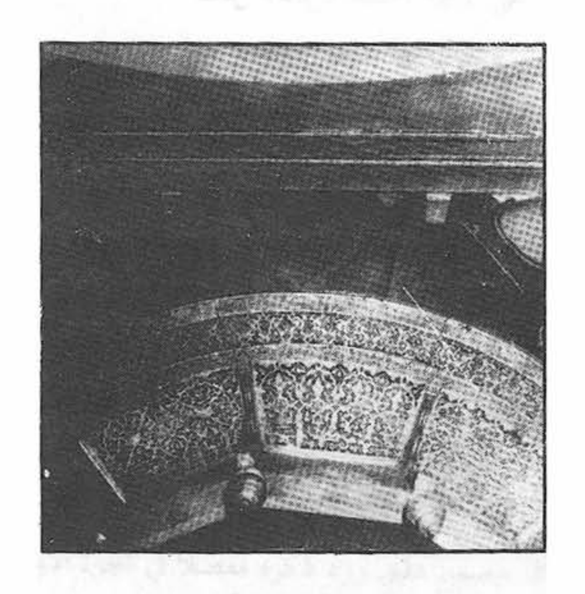
شكل 159 – ب –

شكل 159

تفصيل للهيئة العامة لعمارة الثريا الموحدية الكبرى بجامع القرويين



شكل 159 – ج –



شكل 159 – د –

ظهور الزليج في الصومعة المغربية ودراسة الفخار والخزف

بدأ فن الزليج على عصر الموحدين يلعب دوره الزخرفي على سطوح الصوامع نفسها بتلك الأشرطة التي كان قوامها الزليج الأخضر والأزرق بأعلى صومعتي الكتبية والقصبة بمراكش (شكل 160)، وسوف نرى فيما بعد تلك البداية في أقصى تطورها على صوامع بني مرين من حيث الزخارف وطريقة الصنع.

هذا، وقد ظهرت حتى الآن بعض الدراسات التي وجهت عناية خاصة نحو الفخار والخزف وإن لم تكن كافية أو كاملة وشاملة، فمن بين الدراسات الكلاسيكية نجد القليل من الأبحاث المتخصصة في ذلك المجال مثل الدراسة التي وضعها الفرد بل بعنوان خزف فاس (A.BEL : CERAMIQUE de FES) ودراسة جايو بعنوان الزخرفة الزهرية[1] (H. Gayot : Le Décore Floral) ودراسة بتلر عن الخزف الاسلامي (Buttler : Islamic potterie) حيث خصص قسما لدراسة الخزف ذي البريق المعدني[2] (في الانجليزية Lustre) (وفي الفرنسية Reflet Métalique) وذلك بالاضافة إلى دراسة ميجون بكتابة الفن الاسلامي (G. MIGEON : Manuel d'art Musulmane) كما درس دلبي فخار مدينة سلا وأرخ لبعضه فأرجعه إلى القرنين الخامس والسادس للهجرة ولاحظ بعض الدلائل المتواترة ككتابة كلمة (اليمن) بالالف فوق النون الأخيرة والزخرفة الرئيسية القائمة على التعريشة المتكررة المطبوعة بالخاتم (شكل 161 + 162) واستخدام الكأس المزدوجة في القرن السادس[3] وقام بوضع دراسة مقارنة لبعض قطع سلا وفخار تطوان المؤرخ بالقرن السادس الهجري[4].

---

(1) طبعة 1955.

(2) صفحات 106/85.

(3) كتابنا الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى، ص 88 الدراسية (أشكال 22 و33).

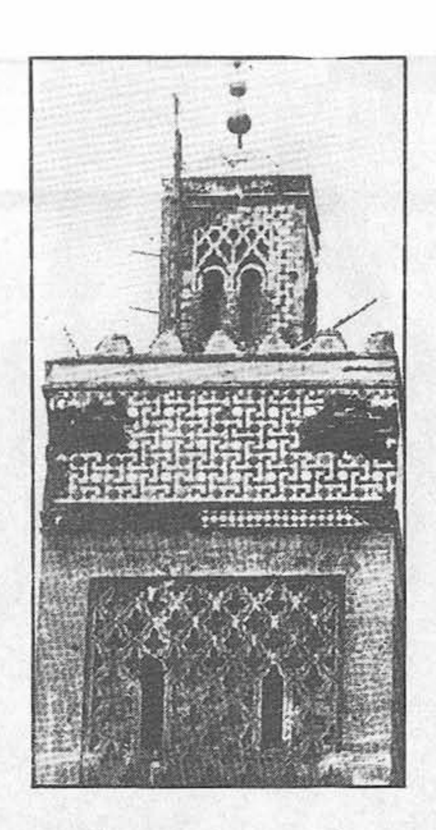
(4) عن دراسة الفخار والخزف المغربي وخاصة ذي البريق المعدني، كتابنا الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى الفصل الثالث ص 69 صعوبة دراسة الخزف المغربي، ص 70 الدراسات السابقة واضافتنا اليها ص 81 ايضاحات فنية ودراسات ميدانية، ص 95 فخار سلا، ص 98 فخار مراكش، ص 100 خزف وفخار فاس، ص 101 صناعة خزف فاس ذي البريق المعدني، ص 102 مشكل الخزف ذي البريق المدني وتأريخه واكتشافنا لنماذج مغربية قديمة. وانظر دراستنا (نقص الدراسات في الخزف الاسلامي المغربي) كتاب مؤتمر الآثار الخامس بالبلاد العربية أبريل 1969 المنشور 1971 ص 754 – 764 + 3 لوحات.

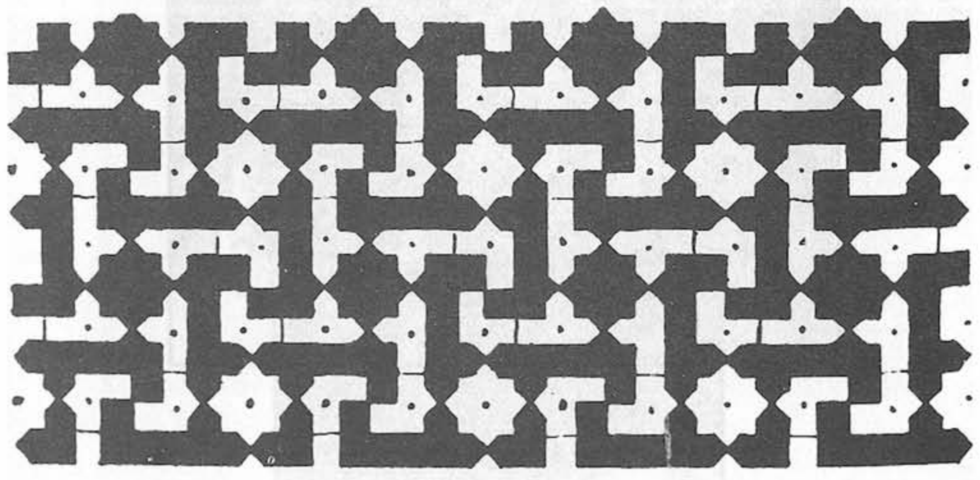
هذا، وقد اتضح أمام جايو H. Gayot من تحليل زخارف فخار فوهات الآبار (Margelle de Puits) المعثور عليه بمنطقة الرباط وسلا أن زخارف البدن الخارجية كانت عادة عبارة عن وحدة مكررة من أصل زخرفي واحد يغلب على الظن أنها كانت عبارة عن وضع حلزونين متعاكسين كأساس لصنع التعريشة النخيلية (Palmette)، وأن تلك التعريشة تحولت إلى شكل القوقعة (Coquille) فانعكاس ورقتين من أوراق السعف النخيلية تصنع التعريشة، وعندما توضع زهرة داخل التعريشة يمكن الحصول على رسم قوقعة زخرفية.

وقد قمت سنة 1957 بدراسات ميدانية بسلا وشالة ومراكش وفاس وتطوان لتصحيح وتحقيق بعض الدراسات المتعلقة بالفخار والخزف المغربي ومنه فخار مؤرخ من عصر الموحدين حتى القرن السادس الهجري[1] صححنا قراءة علماء الأسبان له ونشرنا اسم المعلم والمصنع (دار الحاج بلقين 586 هـ) بكتابنا الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى (شكل 163 أ + ب)

---

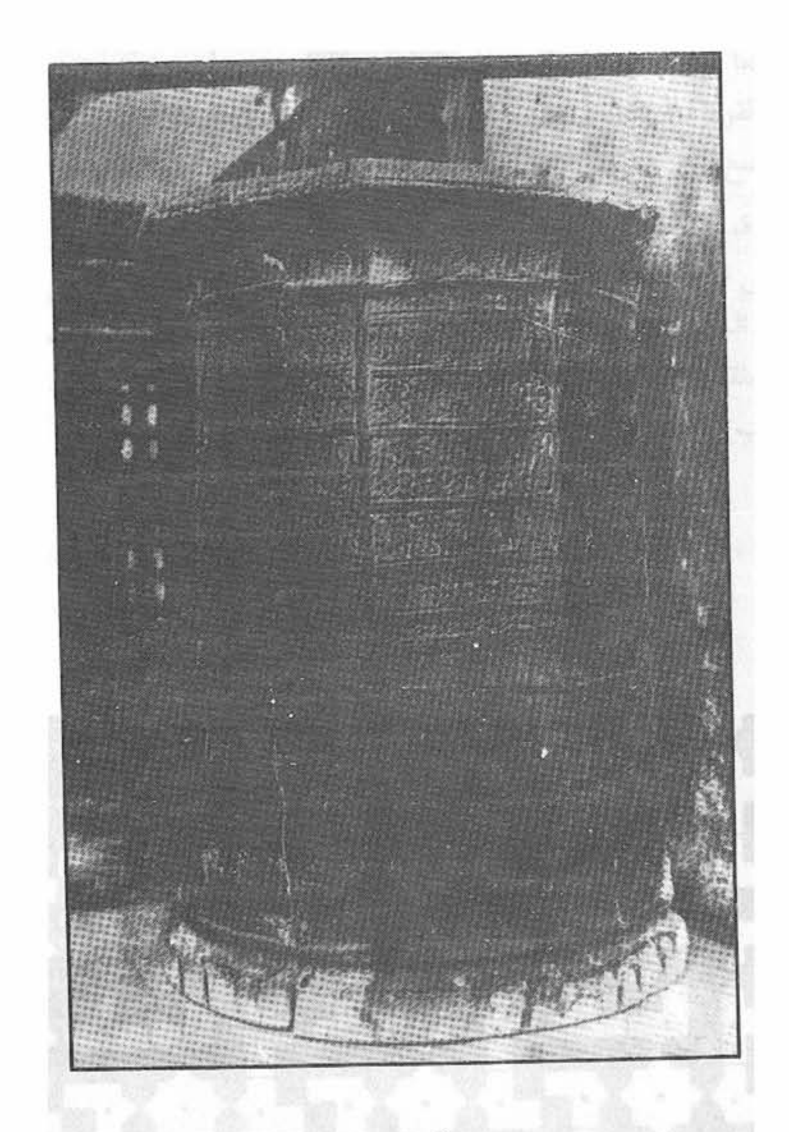
(1) كتابنا الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى (نقش متحف تطوان المؤرخ) ص 131 وما بعدها (وأشكال 49 - 53).





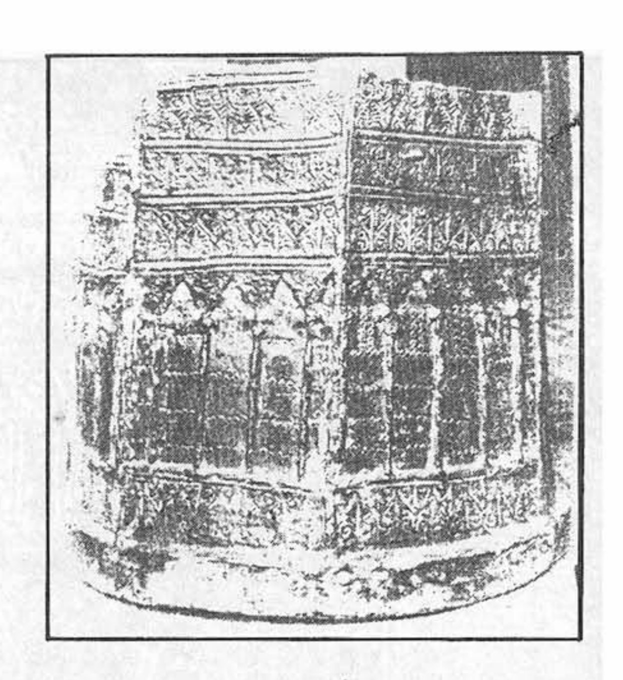
شكل 160

زخارف هندسية (نجمة وقمرشون وركاب قديم) في الزليج بأعلى صومعة مسجد القصبة



شكل 161

فوهة بئر من الفخار من سلا أرخها دلبي من القرن السادس الهجري



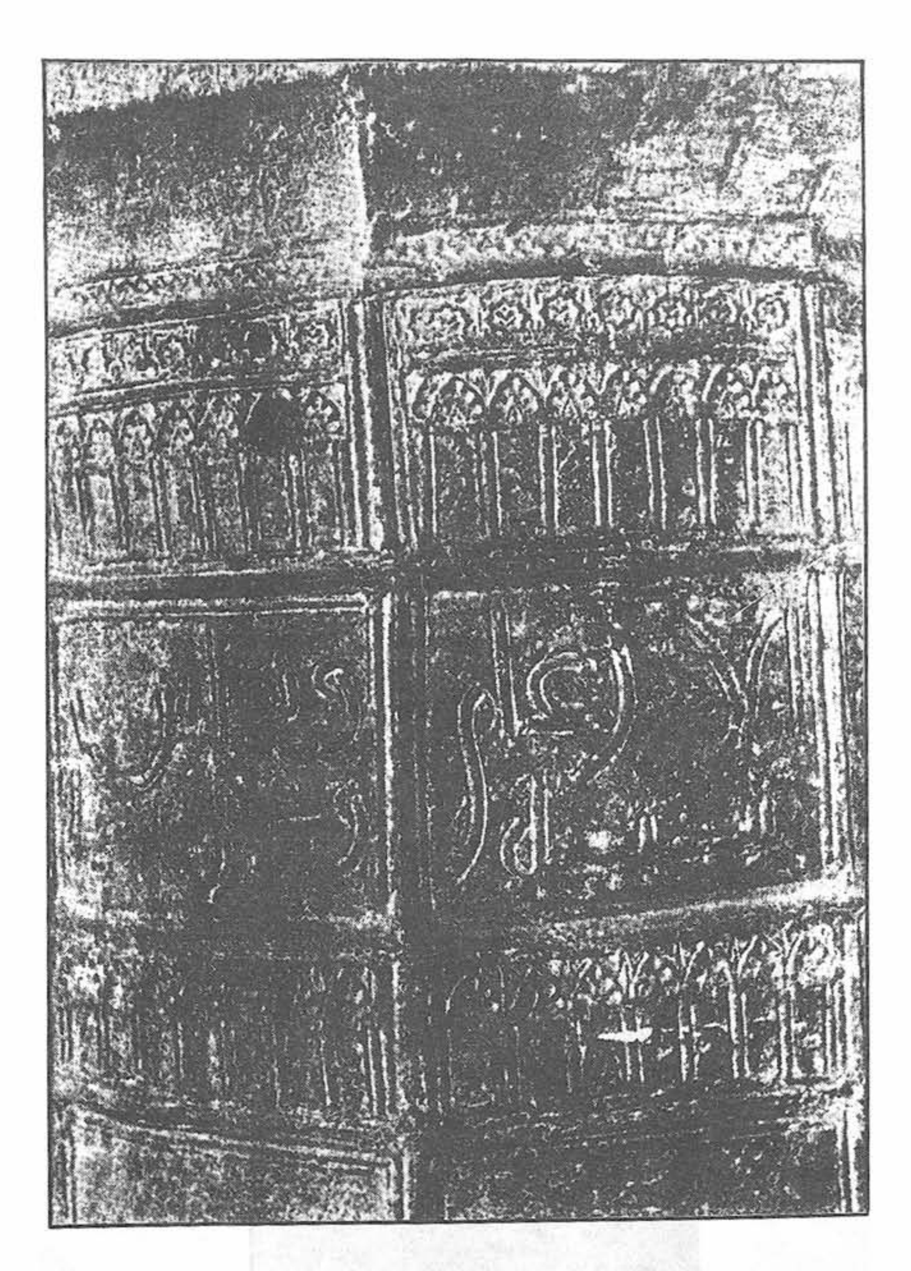
شكل 162

نلاحظ استخدام التعريشة المتكررة المطبوعة بالخاتم



شكل 163 أ

فوهة بئر توجد حاليا بمتحف مدينة تطوان (شمال المغرب الأقصى)



شكل 163 ب

نقرأ تاريخ (وثمانين وخمس ميا)

الرخام والخصة الحسناء وفن النقش على الحجر

ذكر الدكتور عبد الهادي التازي معتمدا على المصادر الأولى عدة أمثلة لفن الرخام الموحدي بجامع القرويين كالخصة الحسناء والشباك المرخوم وأنابيب الرخام التي يصب منها الماء في البيلة(1).

وكانت الخصة تتكون من البيلة والنافورة التي تمج الماء وقد سماها الدكتور عبد الهادي التازي بالفسقية، وقد شغلت تلك المجموعة الفنية موقعا بالركن الشرقي لصحن جامع القرويين وقد صممها المهندس أبو عمران موسى بن حسن بن أبي شامة وأنفق عليها من ماله الخالص أبو الحسن السجلماسي بعد استشارة الفقيه أبي محمد يشكر الجورائي إمام القرويين وكملت في شهر جمادى الأخيرة من سنة 599 هـ.

ولا زالت البيلة في موقعها وعلى حالها إلى اليوم ملتصقة بالجدار مستطيلة الشكل، في سعتها ثلاثة أشبار وفي عمقها مثل ذلك، وقد صنعت من رخام أبيض يتميز بالحسن والصفاء.

وكان الشباك المرخوم الذي يعلو البيلة (شكل 164) من المرمر الخالص ويتركب من ثلاث قطع تشتمل الأولى عام 48 خاتما والثانية من 32 خاتما والأخيرة تشتمل على 44 خاتما وقد نقش تحته في الحجر بالخط المغربي نقش تاريخي بعد آيات قرآنية نقرأ نص التأسيس فيه (كمل في شهر جمادى الأخيرة سنة تسع وتسعين وخمسمائة).

وركبت أسفل ذلك خمسة أنابيب من ألواح الرخام يصب منها الماء في البيلة ثم ينحدر من البيلة في عشرين ثقبا بكل من الجهتين اليمنى واليسرى إلى النافورة(2) «الفسقية» النحاسية ذات التصميم الهندسي البديع(3).

وقد بلغ فن النحت في الحجر أيام الموحدين درجة عالية من الاتقان والاتزان والوضوح والجلال كما نرى في أبواب الموحدين الشهيرة برباط الفتح ومراكش (أشكال 165 - 168).

---

(1) والبيلة تعني حوض الرخام وأصلها اسباني كما أوضح الأستاذ عبد الوهاب بن منصور محقق كتاب زهرة الآس.
(2) جامع القرويين ج 1 ص 78 - 79 وراجع 147 الأصل في زهرة الآس.
(3) أنظر تفصيل التصميم عند التازي ص 79 والأصل في زهرة الآس.

ويقول هنري تيراس في كتابه المسمى (الفن الأندلسي المغربي) أن الفن الفيزووقوطي (باسبانيا قبل الاسلام) كان يبشر بمولد الفنون الأندلسي في العصور الوسطى[1] وأن اسبانيا سوف تظل وفية للزخرفة المحفورة (décor sculpté) بل انها سوف تقوم بجهود لاحيائها[2]، ويشير في موضع آخر إلى أسلوب الفن الفيزووقوطي حيث زخرفة الأكانتس (acanthe) المتفتحة نوعا في حين تكون التعريشة النخيلية (Palmette) متصلبة أحيانا أخرى على هيئة المروحة[3].

وعندما بدأ تيراس دراسة الأصول التاريخية والتحول الفني لتيجان القرن السادس الهجري أشار إلى أن فن الموحدين شكل تيجانه من الأكانتس المسطحة والأوراق النخيلية (Palmes) (أشكال 169 – 170).

لقد أوضح هنري تيراس كذلك أن تيجان الأعمدة كانت تعتبر من أكثر العناصر الزخرفية اعتناء في مسجد تينمل[4] وأنها كانت موحدة الأسلوب تقريبا ببلاط المحراب وقد تكون معقوفة باعمدة أسكوب القبلة وهي انصاف تيجان تتوج الأعمدة الملتصقة على غرار أسلوب بناء الدعائم أو الأكتاف (بدل الأعمدة) بالآجر.

وأضاف تيراس عند دراسة تيجان جامع تينمل[5] أن عدة تيجان متنوعة الشكل كانت تعرف مثالها الأول (Prototype) في مسجد تازة (شكل 171) حيث تعود أصولها الفنية إلى طراز تيجان قرطبة وتلمسان[6]، ولاحظ أن ورقة الأكانتس كانت أقل أهمية بينما تنوعت السعفة النخيلية (Palme) (أشكال 172 – 173) كما تجمعت أحيانا على هيئة سلسلة.

ولعله من المفيد أن نلفت النظر إلى بعض الأعمدة المجلوية من الأندلس والتي أعيد استخدامها أيام الموحدين ببعض مساجد مراكش الجامعة وذلك لعدم الخلط بين الآثار التاريخية القائمة حاليا بموقع واحد، وحتى يمكن المقارنة من ناحية أخرى مع أعمدة وتيجان موحدية تستعمل جنبا إلى جنب مع تلك الأعمدة الأموية الأندلسية بجامعي الكتبية والقصبة بمراكش (شكل 174 – 180).

---

(1) H. TERRASSE : L'ART HISPANO MAURESQUE

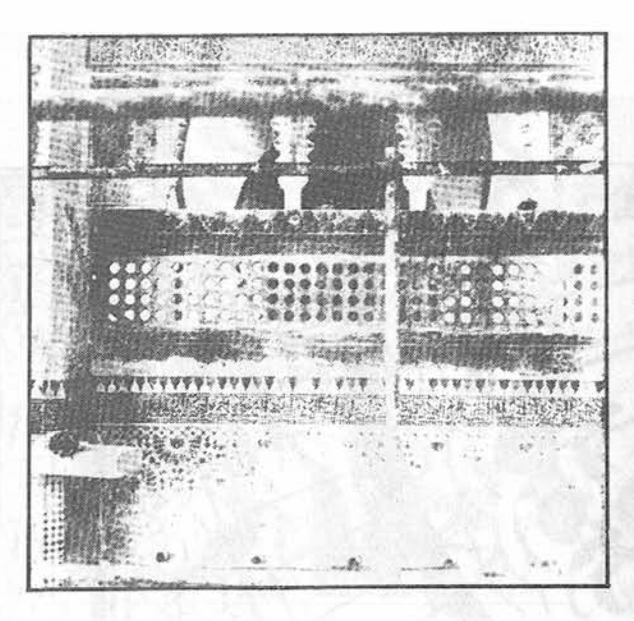
(2) نفس المصدر ص 42.

(3) نفس المصدر والصفحة.

(4) نفس المصدر ص 71.

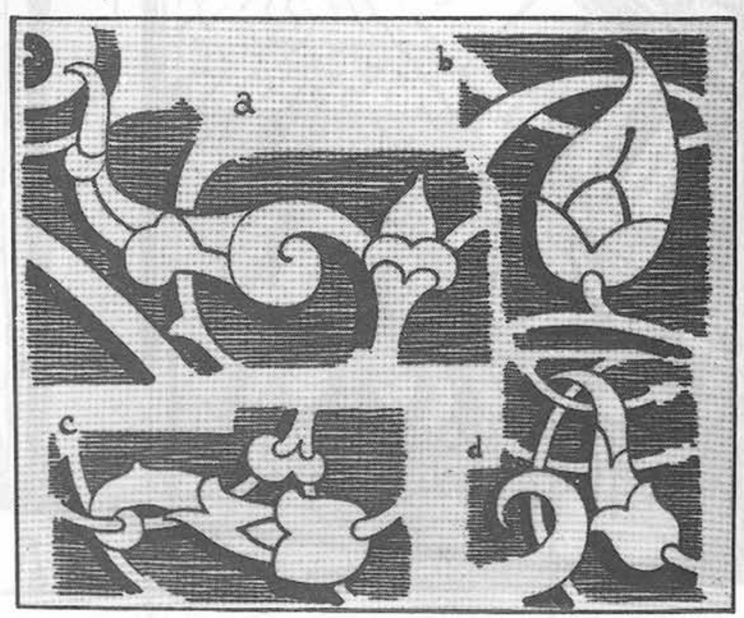
(5) لدراسة تيجان أعمدة مسجد تينمل راجع :
G. Marçais : L'Archit. Mus. d'Occi. P. 236.

(6) هنري تيراس : الفن الأندلسي المغربي ص 74.



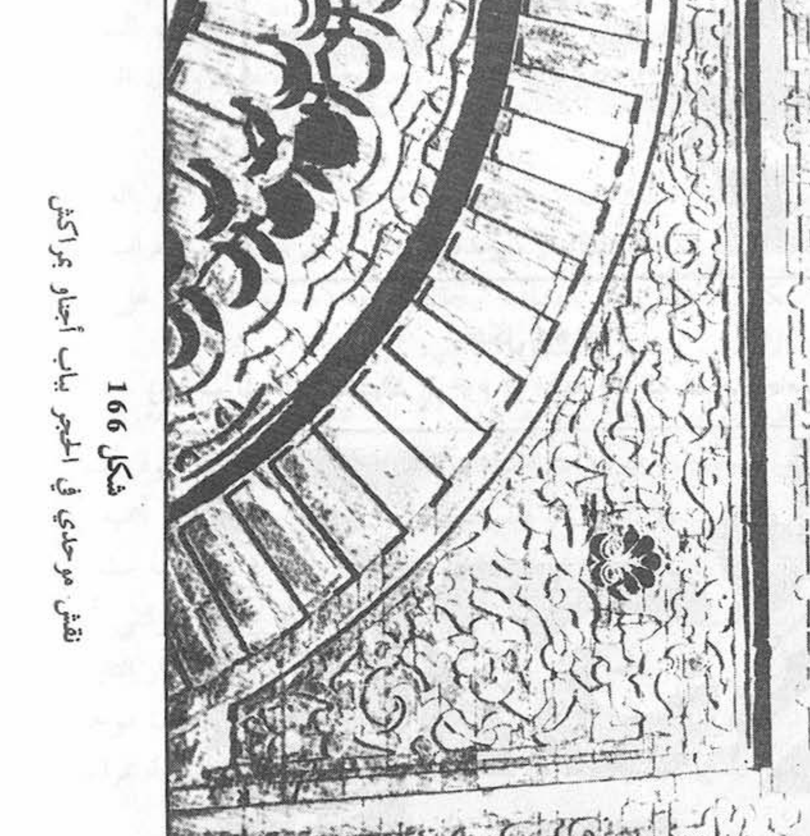
شكل 164

زخارف الموحدين بالشباك المرخوم في الجهة الشرقية لصحن جامع القرويين



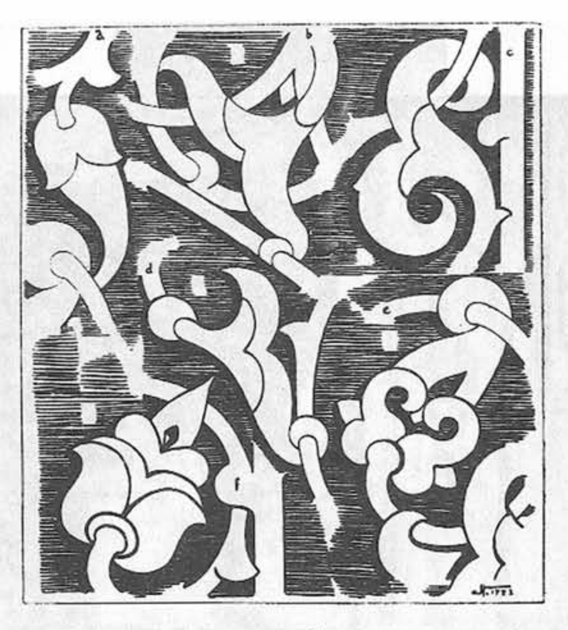
شكل 165

نقش الموحدون أوراق البالميت المزدوج (palme double) بكل وضوح واتزان في الحجر بباب الرواح برباط الفتح

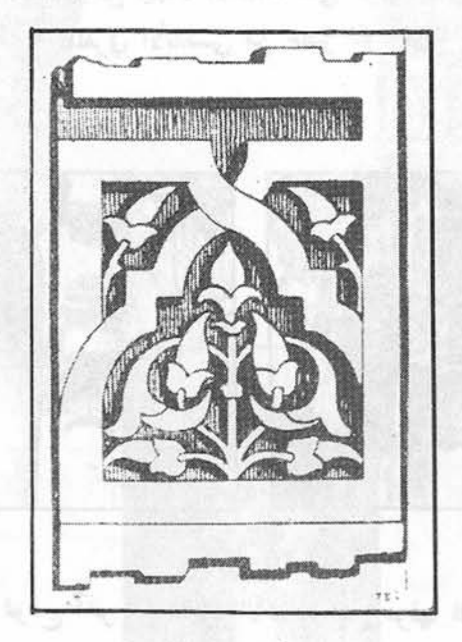


شكل 166

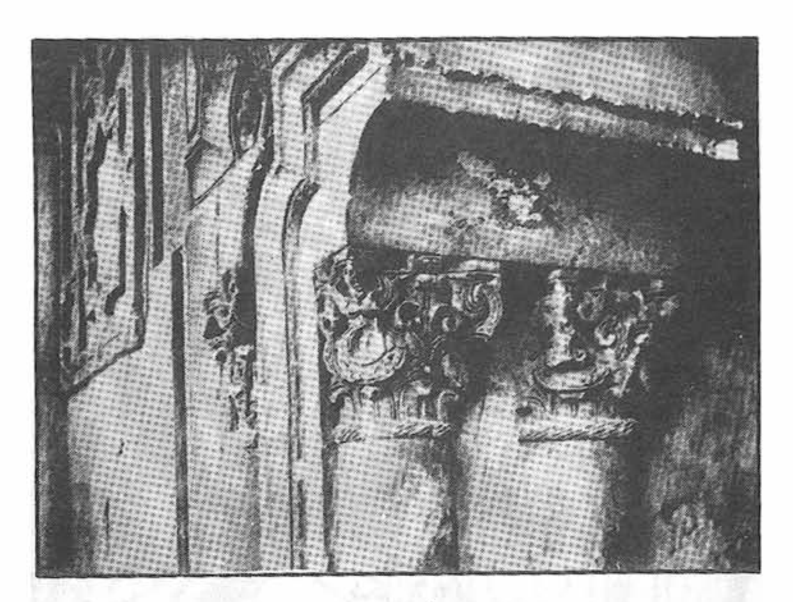
نقش موحدي في الحجر بباب أجناو بمراكش



شكل 167
أوراق الباليت البسيطة والمزدوجة (palme double) والزخرفة الكأسية

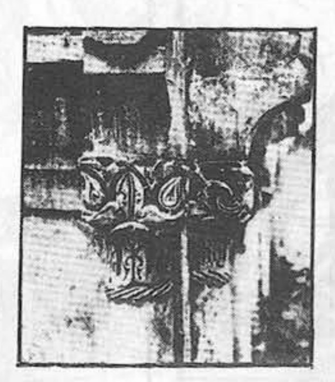


شكل 168
المجموعة الزخرفية الموحدية منقوشة في الحجر بباب أجناو بمراكش

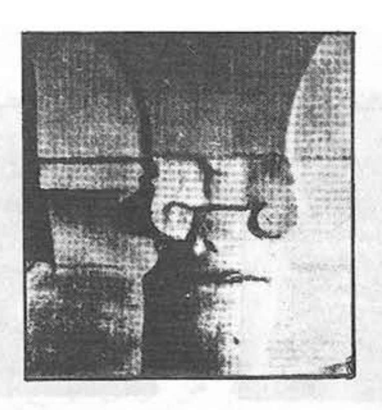


شكل 169
نموذج من تيجان الأعمدة التي عرفها الطراز
المغربي الأندلسي من عصر الموحدين

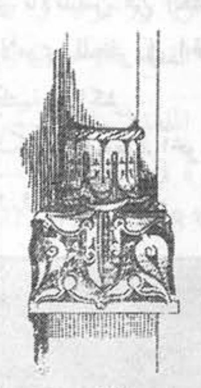




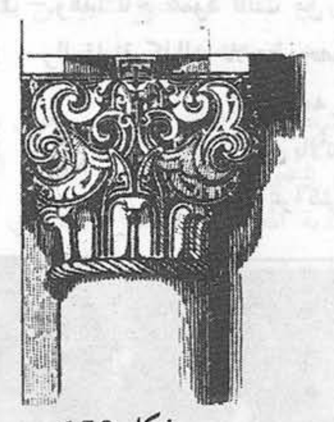
شكل 170
نموذج آخر من تيجان الأعمدة التي عرفها الطراز
المغربي الأندلسي من عصر الموحدين



شكل 171
تاج عمود من مسجد تازة من أمثلة الطراز
المغربي الأندلسي من عصر الموحدين



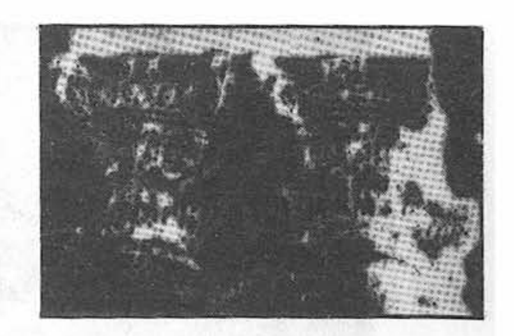
شكل 172
تاج عمود من مسجد تينمل

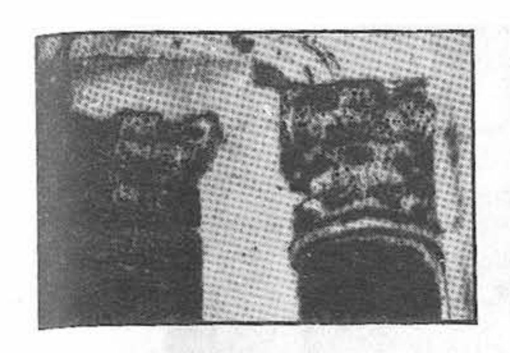


شكل 173
تاج عمود آخر من مسجد تينمل



شكل 174
للمقارنة نتأمل تاج عمود أندلسي من العصر الأموي





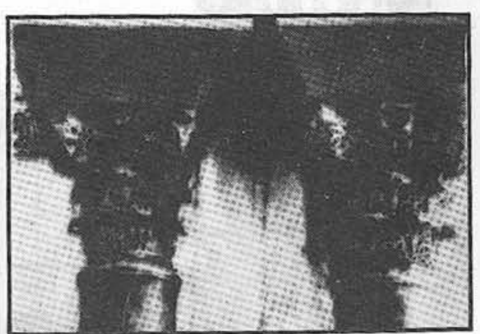
شكل 175 شكل 176 شكل 177 شكل 178

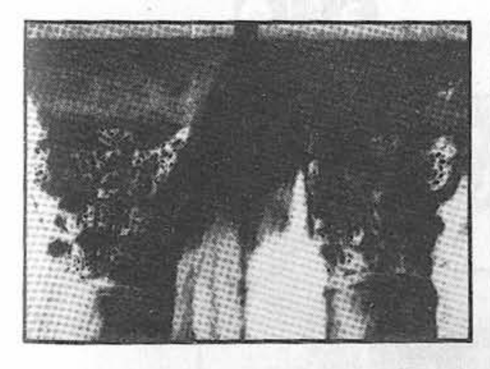
175 – للمقارنة نرى تاج عمود آخر من الفن الأموي بالأندلس أعيد استخدامه بجامع الكتبية

176 – وهذا تاج عمود ثالث من فن النحت في الحجر بالأندلس من العصر الأموي

177 – وللمقارنة كذلك نلاحظ خصائص فن الأندلس الأموي للحفر في الحجر بتاج عمود أعيد استخدامه هو الآخر بجامع الكتبية بمراكش

178 – ومن نفس العصر الأموي بالأندلس نرى في هذا الشكل تاج عمود آخر أعيد استخدامه بجامع الكتبية بمراكش إلى جوار عمارة وروافع الموحدين





شكل 179 شكل 180

تاجان اندلسيان من العصر الأموي أعيد استخدامهما بجامع القصبة الموحدي بمراكش

تاجان آخران من الفن الأموي الأندلسي أعيد استخدامهما بجامع قصبة مراكش الموحدي

العنصر الثعباني (أو الملفوف)

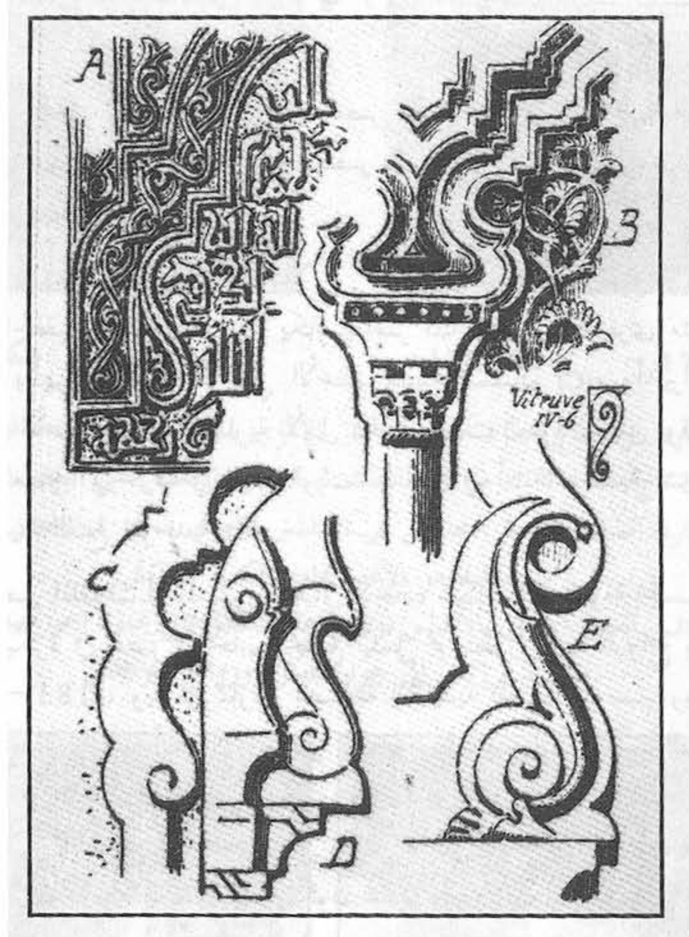
يذكرنا فن الحفر في الحجر والرخام بعنصر معماري قديم ظهر بعمارة المرابطين أولا ثم أخذ يتطور في عمارة الموحدين ألا وهو العنصر الثعباني أو الملفوف المعروف في الاصطلاح الفرنسي باسم (Motif Serpentiforme).

ونرى في الشكل رقم (181) مثالا من تونس يرجع إلى القرن الخامس (A) ومثالا آخر من قصر الجعفرية بسراقسطة (B) يكاد يعاصر المثال الأول. ثم نرى مثالا مغربيا من عصر المرابطين يظهر بالمسجد المرابطي الأعظم بمدينة تلمسان (C)، وأخيرا يتخطى هذا العنصر المعماري الأصل وظيفته المعمارية الأولى (لحمل منابت العقود لينطلق فوقه قوس العقد) ليصبح عنصرا معماريا وزخرفيا في نفس الوقت كما نرى في أمثلة موحدية نشير من بينها إلى باب الرواح بمدينة الفتح الموحدية (E).

لكن العنصر الملفوف أو المسمى بالثعباني لاتخاذه شكل حية ملفوفة الجسم حول رأسها يعرف مرحلة مبكرة في عصر الموحدين بجامع تينمل ثم يتطور بباب الرواح وجامع الكتبية (أشكال 182 – 183)، ويذكر ممارس الصناعة التقليدية المغربية بروسبير ريكار في كتابه الصغير (حجما) القيم (نوعا) أن ذلك العنصر كان يوضع عند منابت العقود الضخمة متعددة الفصوص (LOBÉ) منذ القرن الخامس الهجري ويأخذ في التطور إلى أن يصل إلى باب قصبة الودايا الموحدي إلى تضخم في الحجم يجعل ذلك العنصر يشغل بذاته مساحة الفص الأول الذي ينطلق منه تصميم العقد المفصص ويكون عادة على هيئة ورقة مزدوجة كما هو واضح من الشكل (184).

---

(1) P. RICARD : Pour Comprendre l'ART de l'Islame



شكل 181

تطور العنصر الثعباني (او الملفوف) بافريقية وتلمسان ورباط الفتح

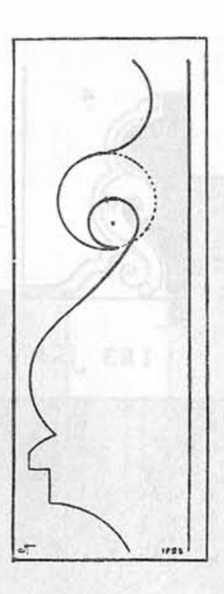
A — القيروان

B — سرقسطة

C — قلعة بن حماد

D — المسجد الأعظم بتلمسان

E — باب الوداية برباط الفتح



شكل 182 أ

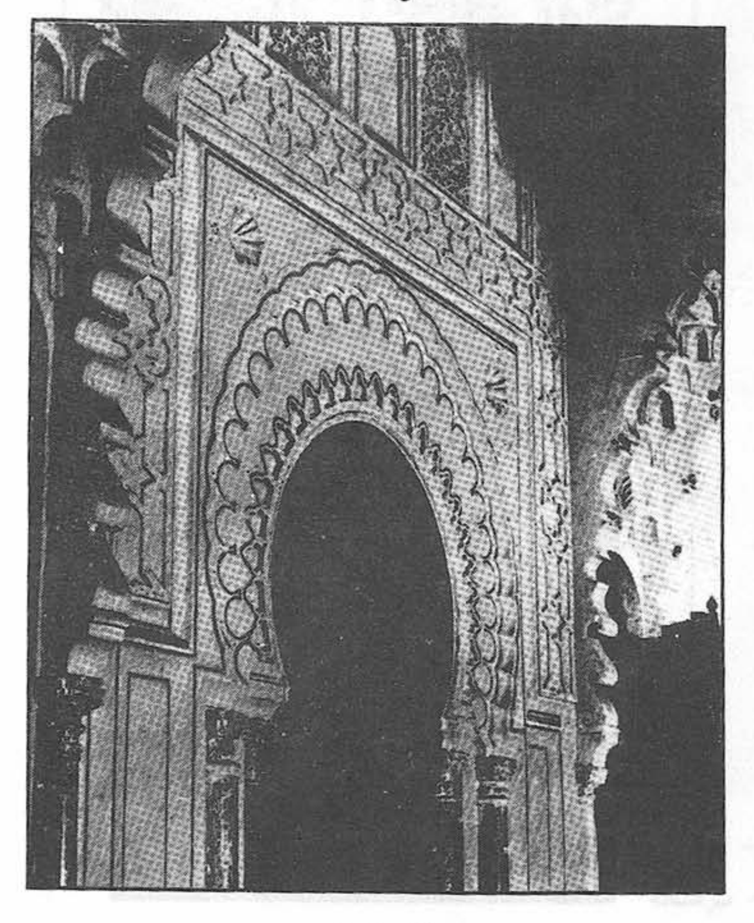


شكل 182 ب

(أ،ب) العنصر الثعباني في مرحلة موحدية مبكرة بجامع تينمل (أ) ثم الوجه الداخلي لباب الرواح بالرباط (ب)

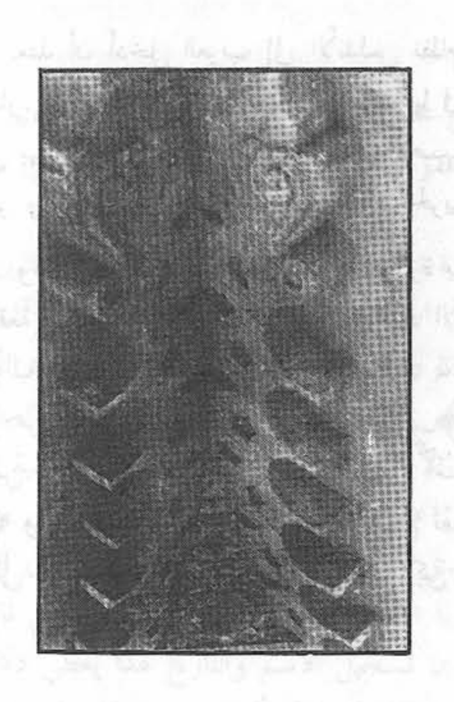


شكل 183 أ

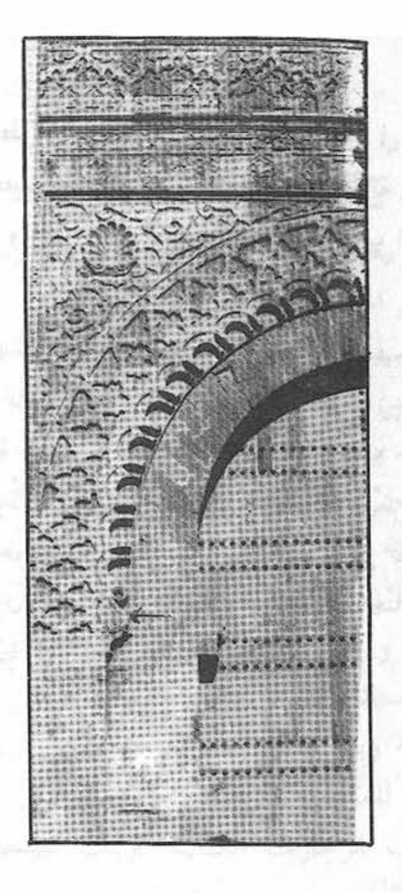


شكل 183 ب

(أ،ب) العنصر الثعباني من عصر الامبراطورية الموحدية بصومعة جامع الكتبية بمراكش ثم جوار المحراب



شكل ب



شكل أ

شكل 184

(أ،ب) العنصر الثعباني بمدخل قصبة الودايا المشيد في عصر ازدهار الطراز المغربي الأندلسي أيام الموحدين (أ) ثم محفوراً حفراً عميقا بأحد أركان القاعة الداخلية (ب)

النسيج

منذ أن أدخل العرب إلى الأندلس نظام الطراز تميزت المرية بقصب السبق في هذا المضمار. وقد أشار الادريسي إلى أنه كان بها في عصر المرابطين من طرز الحرير ثمانمائة طراز (يعمل بها الحلل والديباج والسقلاطون والأصبهاني والجرجاني والستور المكللة والثياب المعينة والخمر والعتابى والمعاجر وصنوف أنواع الحرير).

ومن نماذج الأقمشة الموحدية المشهورة بالأندلس علم أو ستار خيمة غنمه المسيحيون في واقعة العقاب عام 609 هـ وهو محفوظ الآن بأحد أديرة مدينة برغش[1] قوام زخرفته رسوم نباتية وهندسية تشبه رسوم الصفحات لمذهبة في بداية المخطوطات النفيسة وعليه خمسة أسطر من الكتابة الكوفية[2] نصها العلوي ﴿أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ بِاسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ والأوسط ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ والأيسر ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ﴾ والسفلى ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ﴾.

---

(1) درسته خلال أبحاثي الميدانية بمتحف مدينة بوغش عام 1959.

(2) دكتور زكي محمد حسن : فنون الاسلام، نفس الطبعة ص 392 وشكل 320.

النقوش الخطية وفن الكتاب

1 - النقوش الخطية :

تنوعت خطوط الموحدين المنقوشة على مختلف المواد التي تخلفت من عصرهم، وقد قام بريطبييس[1] بوضع دراسة هامة حول مجموعة النقود الموحدية والمرينية تفيد في معرفة نقوش الموحدين الخطية على العملة.

وكانت عملة الموحدين المربعة المشهورة تنقش غالبا بخط الرقعة وهو الخط اللين أي المنحني (Cursive) حيث كان خط الرقعة هو الخط الوحيد على دينار عبد المؤمن[2].

وقد حفلت الثريا الكبرى التي زود بها الموحدون جامع القروين بنماذج من الخط الكوفي والنسخي حيث ظهر الخط الكوفي في النصوص القرآنية والدينية والخط النسخي بالعبارات الدعائية. وفي الافريز الثاني من الثريا نقشت الآيات القرآنية بخط مجوهر على أرضية نباتية قوامها رسم الزهور وأوراق النخيل، كما نقش على ساق الثريا نصها التاريخي الذي مر بنا ذكره ويرجع إلى عصر الخليفة الناصر الموحدي (وكان الفراغ منها في شهر جمادى الأولى سنة ستمائة) ونقش اسم الخليفة ذاته على الثريا الصغرى بجامع القرويين بعد تحويل ناقوس كنيسة وبذة الذي أسره الموحدون إلى ثريا. إن تسجيل الاسم والتاريخ هذا يعطي دلالات كبيرة للمؤرخ الذي يعثر على نص عربي صريح منقوش فوق أثر مسيحي وقد طمست مع الأسف الزخارف الكتابية لثريات الموحدين بجامع الأندلسيين وأصبح من غير الممكن قراءتها[3].

ومما تبقى من نقوش الموحدين على الخشب نص تاريخي وجد على عنزة جامع الأندلسيين حيث يقيم الامام والمصلون صلوات المغرب والعشاء أيام الصيف بصحن المسجد[4] وقد نشر كولان ذلك النص الذي يشتمل على تاريخ الفراغ من صنع تلك العنزة (وكان الفراغ منها في شهر محرم عام ستة وستمائة[5].

---

(1) ضمن مجموعة دراسات ونصوص عربية، مدريد 1915 ص 11 - 114.

(2) G.Marçais : Man, d'Art Mus. V. I, P. 403

(3) H.Terrasse : La Mosquée des Andalous à Fèz P. 32

(4) نفس المصدر ص 32.

(5) بمقدمة نفس المصدر : Les Inscriptions hist. de la Mosquée par G.S. Collin

ومن عصر الموحدين كذلك تبقت نقوش عربية رائعة على أبواب وصوامع مدنهم الكبرى كالرباط ومراكش نراها على أبواب الرواح والودايا وباب قصبة أجناو (أشكل 185 – 190 – 191 – 192 للمقارنة) ومما هو جدير بالذكر أن نقاشي تلك الكتابات ظلوا أوفياء لظاهرة الشطف[1] (Biseau) بحيث لم يستخدموا مطلقا تلك الزهور النهائية بالحروف (Fleuron Terminal) التي حلت محل الشطف منذ القرن الثالث في نقوش القيروان ورأينا صداها يتردد في تلمسان سنة 530 بالذات حيث ظهرت زهور من فصين (deux Lobes) ترتقي زاوية الشطف على غرار نقوش القيروان التي وضعت ثلاثة فصوص مكان الشطف.

وقد نشر الدكتور التازي نقش الشباك المرخوم في الحجر بصحن القرويين بالخط المغربي[2] ونصه ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وَانَّ مِنَ الحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارَ وَانَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ المَاءَ، وَانَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ، كمل في شهر جمادى الأخيرة سنة تسع وتسعين خمسمائة). ويتضمن النقش كما نرى آيات قرآنية ثم نصا تاريخيا تأسيسيا يرجع إلى عصر الموحدين (شكل 193).

ومن نقوش الموحدين على الفخار درس العلماء الاسبان نقشا تاريخيا على فوهة بئر (Margelle de puit) جلبت من سبتة وحفظت بمتحف تطوان.

ونظرا لأهمية العثور على مثال مؤرخ من الفخار الموحدي انتقلت إلى دراسة ذلك النقش على الطبيعة ونشرت تصحيحا لدراسة علماء الاسبان وقراءة النقش الصحيحة[3]. ويوجد النقش الكتابي بالخط النسخي المغربي على السطح الخارجي للبدن المثمن ونصه بعد تصحيحنا لدراسة علماء الاسبان له (هذا ما عمل، في دار الحاج، بلقين يوم، الـ...، سلخ...، شهر ربيع الآخر، ستة وثمانين وخمس مائة) (شكل 163 : أ، ب، ج).

وقد نقش النص بآلة حادة في الفخار بخط نسخي كبير يحقق الوضوح دون الرشاقة والجمال، بحروف كبيرة خالية من التعقيد واسعة العروات واضحة البداية والنهايات.

ومن الجدير بالملاحظة هنا أن النقش تضمن اسم الصانع واسم المصنع (دار الحاج بلقين) مما يؤكد مسألتين، الأولى اهتمام كبار الصناع في عصور ازدهار الحضارة الاسلامية بالمغرب شأن إخوانهم بالمشرق على تسجيل أسمائهم على منتجات مصانعهم، أما المسألة الثانية فهي

---

(1) G. Marçais : Manuel d'Art Mus. P. 406

(2) جامع القرويين ج 1 ص 79.

(3) كتابنا دراسات في الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى. نقش متحف تطوان، أنظر النص واللوحات ووصف القطعة ذاتها.

الاشارة إلى حجم المؤسسة التي أنتجت التحفة باسم (دار) بدل (مصنع). ان ذلك بالاضافة إلى ذكر التاريخ (586) يشير بالتأكيد إلى نوعية تلك الصناعة وأسلوب النقش على الفخار في عصر يعقوب المنصور الموحدي الذي حكم بين سنتي 580 و595. كما يشير بالذات إلى عصر العظمة المغربية في السياسة والجهاد فقد جاز المنصور إلى الأندلس عام 585 وهاجم شنترين وتمكن قائده بقرطبة من الاستيلاء على مدينة شلب سنة 586 المتفقة مع تاريخ النقش المذكور وقبل تاريخ غزوة الأرك بخمس سنوات حيث حقق المنصور شهرته الكبيرة في تاريخ الجهاد الاسلامي.

علامة الموحدين الحمد لله وحده

يقول ابن خلدون أن الموحدين اتخذوا (الحمد لله وحده) علامة لهم اقتداء بالمهدي حيث وجدوها في بعض مخاطباته.

ففي رسالة أمير المؤمنين عبد المؤمن إلى ولده يوسف وإلى اشبيلية (الذي استنجد بوالده الفاتح بافريقية) وردت علامة الموحدين (الحمد لله وحده) في الرسالة المؤرخة سنة 555 هجرية وبأولها (بسم الله الرحمن الرحيم[1] صلى الله على محمد وآله وسلم والحمد لله وحده...)

على أن الموحدين قد وقع اتفاقهم عليها سنة 561 من هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام تبعا لما ذكره صاحب كتاب المن بالامامة مؤرخ دولة الموحدين تحت عنوان الاتفاق على أن يكتب الأمير الرضى أبو يعقوب ابن أمير المؤمنين رضي الله عنهما العلامة المباركة وهي (والحمد لله وحده) بخط يده.

ذلك أن ابن صاحب الصلاة يورد لنا جميع تفاصيل الرسالة الموجهة من يوسف سلطان الموحدين بمراكش إلى جميع البلاد بالعدوة والأندلس يأمر فيها... الجمعة الثالث من شهر رمضان المعظم سنة احدى وستين وخمس مائة يتصدرها (بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم والحمد لله وحده)[2].

---

(1) كتاب المن بالامامة تحقيق الدكتور عبد الهادي التازي ص 127 – 131 وتعليق 1 ص 131.

(2) المن بالامامة ص 302.

2 - فـــن الــكـتـــاب

كما كان للخلفاء العباسيين بيت للحكمة في بغداد على عصر الخليفة المأمون، كان للموحدين ما يعرف ببيت الطلبة في قاعدة ملكهم مراكش بمثابة مجمع علمي، ذلك أن الموحدين كانوا يطلقون اسم الطلبة على أرباب العلم عامة وأهل الحديث خاصة ويخصصون وظيفة يسمى صاحبها رئيس الطلبة وهي وظيفة لا يتولاها غير الجهابذة من العلماء المشهود لهم بالكفاية العالية أمثال المحدث ابن القطان والقاضي ابن المالقي. كما كان لخزانة الكتب عندهم أهمية خاصة بحيث لا يتولاها إلا الأفذاذ من العلماء أمثال القاضي أبو محمد بن الصقر الذي ذاع صيته وحسن نظره في كثير من الفنون واستنسخ للخزانة الموحدية كثيرا من المجلدات العلمية وزودها بالمؤلفات الغريبة التي جمعها من سائر الجهات.

وفي عصر أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن جمعت لخزانة الموحدين الألوف المؤلفة من الكتب حتى أصبحت خزانتهم تضاهي مكتبة الحكم المستنصر بالله فقد روى عبد الواحد المراكشي ما حكاه له عبد الملك الشذوني أحد علماء الطب وأحكام النجوم كيف وقعت له كتب كثيرة في صنعة الأحكام إلى أن بلغ خبرها أمير المؤمنين فأرسل في طلبها وعوضه عنها ولاية ضخمة ما كان يحدث نفسه بها[1].

وتتجلى عناية الموحدين بفنون الكتاب ومختلف صناعاته في الرواية المفصلة والوصف الدقيق الذي ورد في رسالة ابن طفيل وزير السلطان الموحدي عبد المؤمن حول قصة المصحف العثماني الامام الذي أهداه أهل قرطبة إلى أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي[2].

وتتضمن رسالة ابن طفيل ذكر أنواع الصناعات والصناع والمواد والحيل والأساليب التي جمعها الموحدون في فنون الكتاب ممثلة في المصحف العثماني الامام كما يستخلص من العبارات التي نقتبسها من الرسالة المذكورة.

---

(1) النبوغ المغربي ج 1 صفحات 135، 136، 138.

(2) عن أخبار المصحف العثماني في المغرب، أنظر المعجب لعبد الواحد المراكشي ص 253 حيث يصف موكب عبد المؤمن بن علي والمصحف العثماني محمول على ناقة حمراء عليها من الحلي النفيس وثياب الديباج الفاخرة ما يعدل أموالا طائلة، وانظر الاستقصا للسلاوي 2 – 112.

يقول ابن طفيل (ثم انهم أدام الله سبحانه تأييدهم ـــ يقصد الخليفة أمير المؤمنين ـــ لما أرادوا من المبالغة في تعظيم المصحف المذكور... شرعوا في انتخاب كسوته وأخذوا في اختيار حليته، وتأنقوا في استعمال أحفظته، وبالغوا في استجادة أصونته، فحشروا له الصناع المتقنين... فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة ومهرة كل طائفة من المهندسين والصواغين والنظامين والحلائين والنقاشين والمرصعين والنجارين والزواقين والرسامين والمجلدين وعرفاء البنائين... فاشتغل أهل الحيلة الهندسية بعمل أمثلة مخترعة وأشكال مبتدعة، وضمنوها من غرائب الحركات وخفى امداد الأسباب بالمسببات... والهمة العلية... تترقى فوق معارجهم... وتنيف على ما ظنوه الغاية القصوى من لطيف مدارجهم... كسى كله بصوان واحد من الذهب والفضة... من ظاهره وباطنه لا يشبه بعضها بعضا، قد أجرى فيه من أنواع الزجاج الرومي ما لم يعهد له في العصر الأول مثال... وله مفاصل تجتمع إليها أجزاؤه وتلتئم وتتناسق عجائبه وتنتظم، قد أميلت للتحرك أعطافها وأحكم انشاؤها على البغية وانعطافها، ونظم على صحيفته وجوانبه من فاخر الياقوت ونفيس وعظيم الزمرد ما لم تزل الملوك السالفة... تتنافس في افراده...

وأتى هذا الصوان الموحدي رائق المنظر... فحين تمت خصاله واستركبت أوصاله وحان ارتباطه بالمصحف العظيم واتصاله، رأوا ـــ يعني أمير المؤمنين ـــ أن يتلطف في وجه يكون به هذا الصوان المذكور طورا متصلا وطورا منفصلا وياتي به للمصحف الشريف العظيم أن يبرز تارة للخصوص مبتذلا وتارة للعموم متجملا...

وكسى المصحف العزيز بصوان من السندس الأخضر، ذي حلية عظيمة خفيفة تلازمه في المغيب والمحضر، ورتب ترتيبا يتأتى معه أن يكسى بالصوان الأكبر فيلتئم له التئاما...

وصنع له محمل غريب الصنعة بديع الشكل والصبغة دو مفاصل ينبو عن دقتها الادراك، ويشهد بها الارتباط بين المفصلين ويصح الاشتراك، مغشى كله بضروب من الترصيع، وفنون النقش البديع، في قطع الابنوس والخشب الرفيع... مدار بصنعة قد أجريت في صفائح الذهب...

وصنع لذلك المحمل كرسي يحمله عند الانتقال... مرصع مثل ترصيعه الغريب... وصنع لذلك كله تابوت يحتوي عليه احتواء المشكاة على أنوارها... مكعب الشكل سام في الطول، حسن الجملة والتفصيل، جار مجرى المحمل في التزيين والتجميل، وله في أحد غواربه باب ركبت عليه دفتان قد أحكم ارتاجهما ويسر بعد الابهام انفراجهما ولانفتاح هذا الباب وخروج الكرسي من تلقائه وتركيب المحمل عليه، ما دبرت الحركات الهندسية، وتلقيت التنبيهات القدسية وانتظمت العجائب المعنوية والحسية...

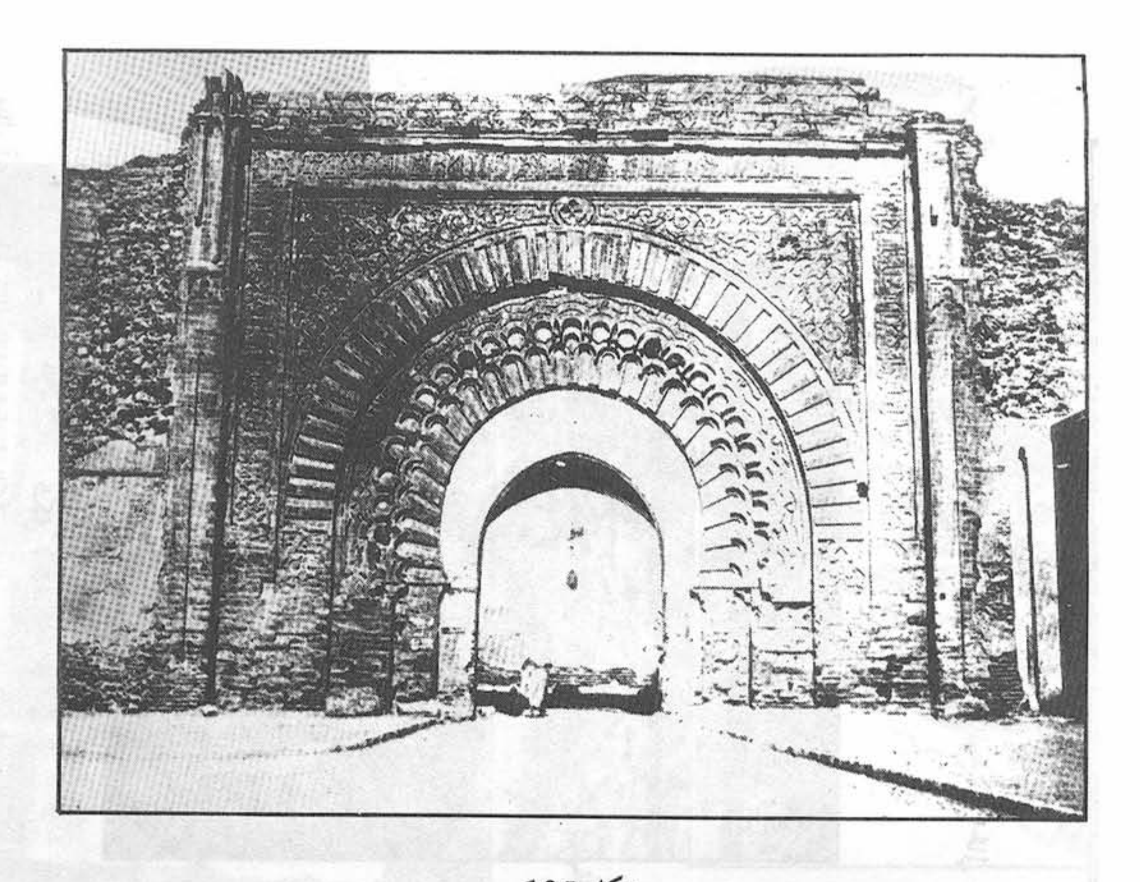
وذلك أن بأسفل هاتين الدفتين فيصلا فيه موضع قد أعد له مفتاح لطيف يدخل فيه فإذا دخل ذلك المفتاح فيه وأديرت به اليد انفتح الباب بانعطاف زائدة الدفتين إلى داخل الدفتين من تلقائهما، وخرج الكرسي من ذاته بما عليه إلى أقصى غايته.

وفي خلال خروج الكرسي يتحرك عليه المحمل حركة منتظمة مقترنة بحركة يأتي بها من مؤخر الكرسي زحفا إلى مقدمة فإذا كمل الكرسي بالخروج وكمل المحمل بالتقدم عليه، انغلق الباب برجوع الدفتين إلى موضعهما من تلقائهما دون أن يمسهما أحد، وترتيب هذه الحركات الأربع على حركات المفتاح فقط دون تكلف شيء آخر. فإذا أدير المفتاح إلى خلف الجهة التي أدير إليها أولا، انفتح أولا الباب وأخذ الكرسي في الدخول والمحمل في التأخر عن مقدم الكرسي إلى مؤخرة، فإذا عاد كل إلى مكانه انسد الباب بالدفتين أيضا من تلقائه... وصحة هذه الحركات اللطيفة على أسباب ومسببات غائبة عن الحس في باطن الكرسي، وهي مما يدق وصفها ويصعب ذكرها، أظهرتها بركات هذا الأمر السعيد وتنبيهات سيدنا ومولانا الخليفة...)[1].

وقد عثر في جامع الكتبية بمراكش بين مجموعة من الكتب الدينية على غلاف معروض الآن في المكتبة العربية بمدرسة ابن يوسف بمراكش ويحمل تاريخ صنعه 654 هجرية. ويلفت نظرنا في هذا المثال أن لوح الخشب الذي كان يستخدم في التغليف قد استبدل بالورق المقوى تبعا للأسلوب الذي بدأ في الانتشار إلى اليوم، كما نلاحظ أن طريقة التذهيب تتفق مع ما جاء بمخطوط عمدة الكتاب فهي تقوم على أساس لصق صفائح رقيقة من الذهب على الجلد بواسطة آلة ساخنة، ولعل ذلك يكون أول مثال لاستخدام التذهيب بهذه الطريقة. ومن أبرز زخارف هذا المثال العناصر الهندسية ومن بينها نجمة ذات ثمانية رؤوس.

---

(1) عبد الله كنون : النبوغ المغربي ج 1 ص 140 وما بعدها.



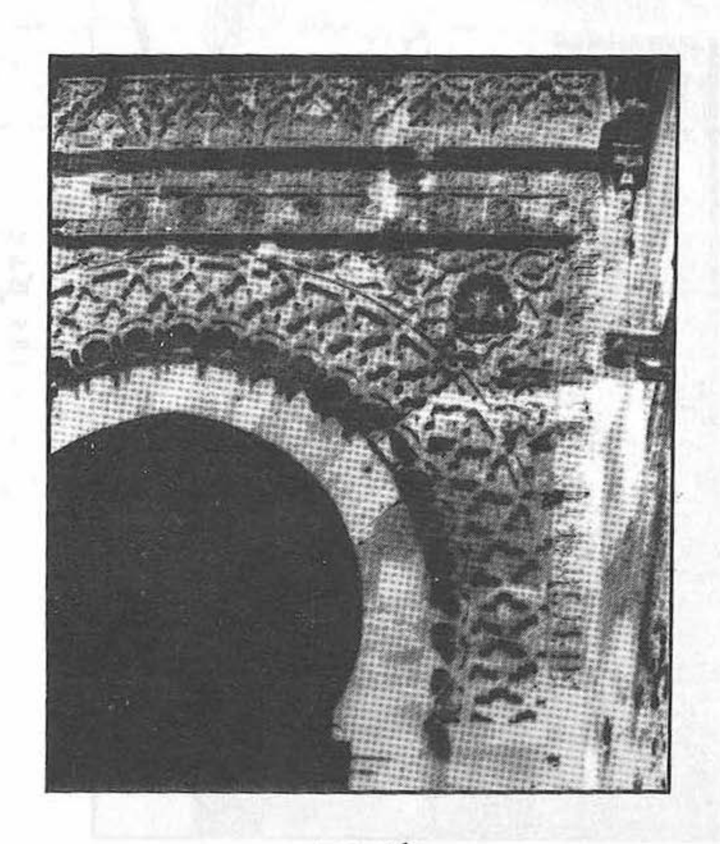
شكل 185

مثال من الخط الكوفي في الطراز المغربي الأندلسي من عصر الموحدين نراه محفورا بباب أجناو بمراكش يعكس علينا جلاء الخطوط والتركيز على صفاء المساحة الزخرفية



شكل 186

ومن آثار قصبة الوداية (الموحدية) نقف على مثال للخط الكوفي الموحدي الخالي من التعقيد الزخرفي والمتناظر في نفس الوقت



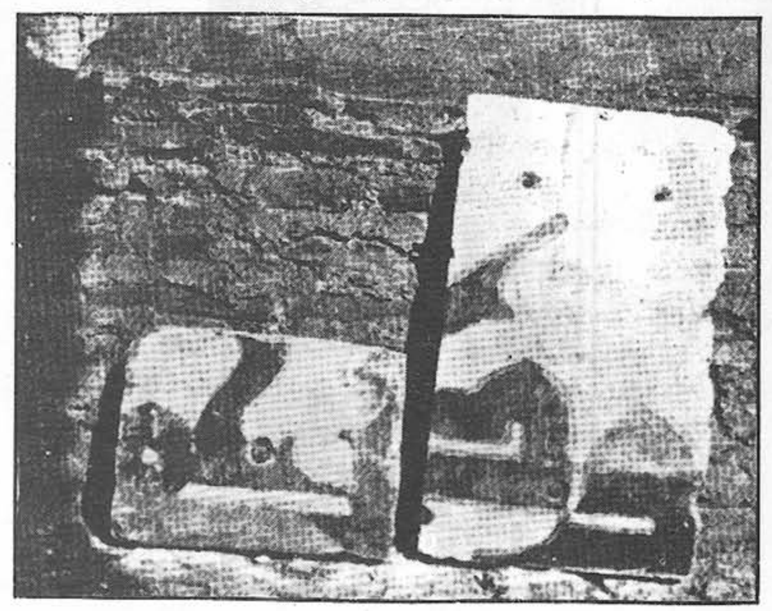
شكل 187

مثال آخر من قصبة الوداية للخطوط الكوفية التي تبرز شدة الحرص على جلاء الخط والميل إلى استخدام التوريق البسيط مع قلة التعقيد وتفضيل شطف هامات الحروف بمساحات واضحة خالية من التقسيم أو الوريقات التي سبقت إلى الظهور بافريقية



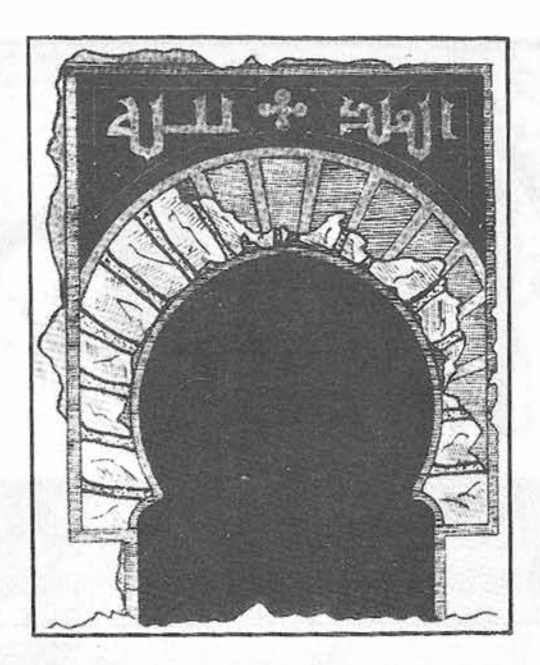
شكل 188

(العزة لله) نقرأها بالخط الكوفي الموحدي داخل منطقة زخرفية ضمن تنوع أساليب الكتابة بصومعة الكتبية بمراكش كما نراها بالواجهة الجنوبية الغربية



شكل 189

بقايا نقش كتاي في الزليج بصومعة مسجد القصبة بمراكش



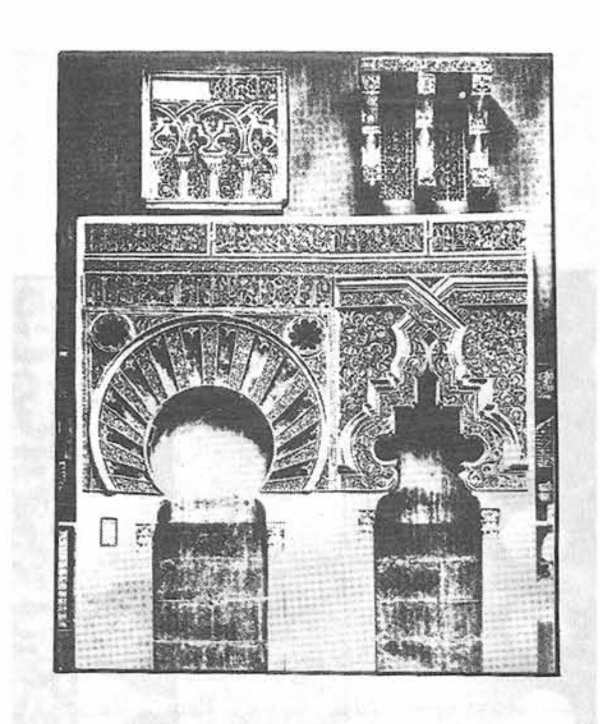
شكل 190

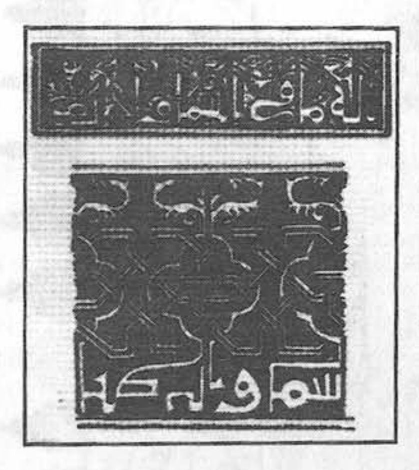
أسلوب تنظيم الحجارة المنحوتة (المنجورة) بصنج عقود فتحات صومعة جامع الكتبية بمراكش



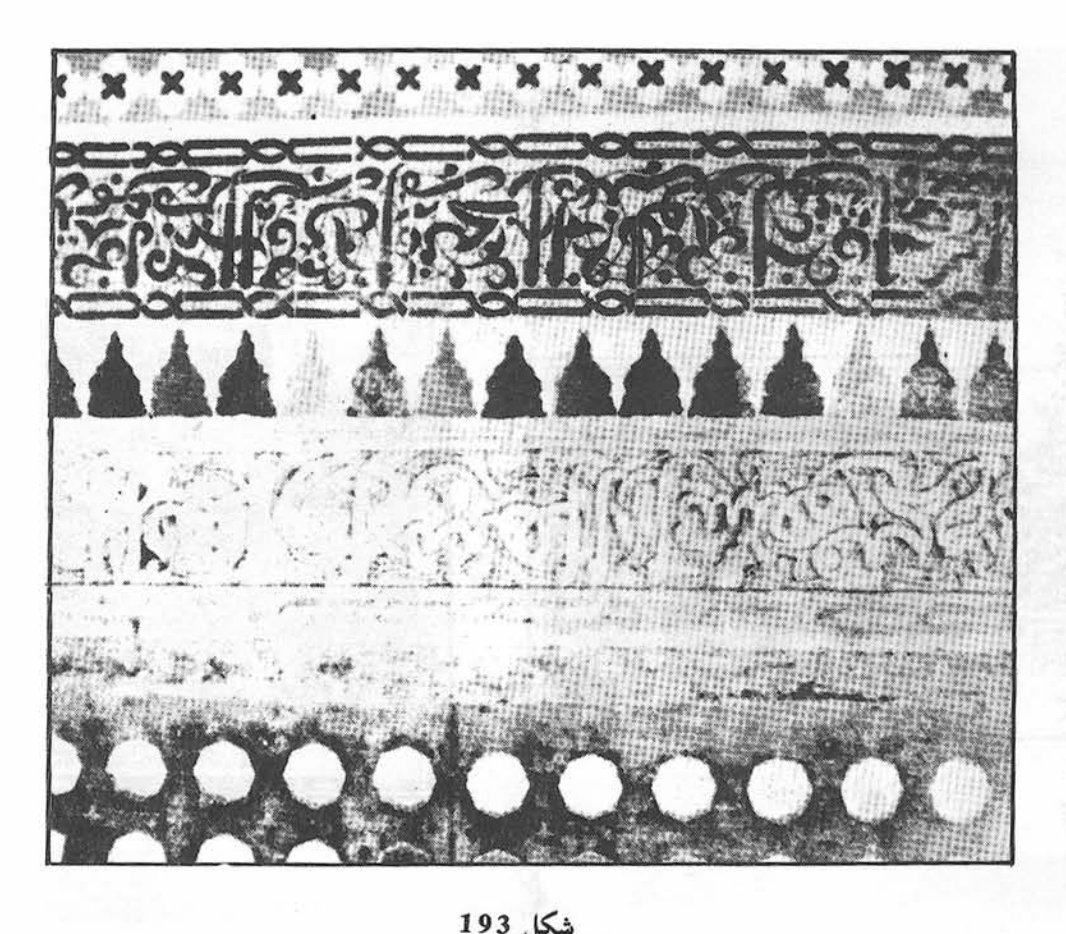
شكل 191

للمقارنة نستعرض إلى الأسفل مثالا للخط الكوفي من مدينة توزر





شكل 192
مثال من الخط المورق أسفله كوفي مضفر بأشكال هندسية



شكل 193

نقش بالخط النسخي المغربي الأندلسي من عصر الموحدين

3 - فن صناعة المصاحف القرآنية

لاشك أن الفنون الخطية وفنون التزويق لمصاحف القرآن الكريم والتسفير لقيت في المغرب اهتماما كبيرا يتناسب وسرعة انتشار الاسلام وتفوقه الباهر بالعدوتين المغرب والأندلس وخاصة ببلاد المغرب الأقصى الذي كان محور الجهاد الأول لنشر عقيدة الاسلام شمالا بالأندلس، كما كان ولا زال صاحب الزعامة الروحية والريادة الدينية جنوبا بمجالات الصحراء الجنوبية إلى قلب القارة الافريقية.

لقد كان موضوع (الوراقة المصحفية) محل اعتناء مشكور من جانب الأستاذ محمد المنوني الباحث المغربي الدقيق الذي كرس حياته للعمل في التنقيب عن التراث بين نفائس المخطوطات بزوايا المكتبات العامة والخزانات الخاصة إلى أن انتهى به المقام بالخزانة الملكية بالرباط ولهذا وجدنا من المفيد تقديم موجز شامل لنواحي الفنون المصحفية التي ظهرت بدراسة صديقنا المنقب الأستاذ المنوني.

مصاحف مغربية مبكرة :

لقد بدأت دراسته للمصاحف المغربية باشارة إلى نماذج مصحف كان عند قاضي فاس عبد الله بن محمد الهواري الفاسي المتوفى عام 401 هـ ومصحف يقال أنه مكتوب بخط محمد المهدي بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية المتوفى عام 524 هـ وهو المصحف الموحدي الذي كان يصحب المواكب الموحدية خلف المصحف العثماني بالاضافة إلى ربعات قرآنية كانت بجامع القرويين أواخر القرن السادس الهجري.

الخطاطون والمزوقون :

وفي مستهل دراسة الأستاذ المنوني نجد عناية خاصة باخبار الخطاطين والمزوقين للمصاحف القرآنية إبان عصر الامبراطورية الموحدية سواء بالمغرب الأقصى أو الجزائر والأندلس. ومن الشخصيات البارزة في ذلك المجال أشار الباحث المغربي إلى زمرة هامة منها : أبو اسحاق ابراهيم بن فتوح بن مكحول الاشبيلي ثم الفاسي المتوفي نحو عام 570 هـ كان يضبط المصاحف بمدينة فاس، وأبو عبد الله بن حريز المعروف بابن تاخميست الفاسي المتوفى عام 608 هـ، ومحمد بن عبد الله بن سهل الأنصاري البلنسي المعروف بابن غطوس المتوفى

نحو عام 610 هـ تنافس الملوك على اقتناء انتاجه لبراعة الخط وجودة الضبط ذاعت شهرته بالمشرق العربي فكان يضع المسك في الدواة ولا يهدى مصحفه إلا بمائتي دينار، وكان لكل ضبط عنده لون لا يخل به فاللازورد للشدات والجزمات والأخضر للهمزة المكسورة والأصفر للهمزة المفتوحة.

وكان ممن أشار اليهم الأستاذ المنوني محمد بن ابراهيم المهري الاشبيلي الأصل نزيل مراكش المعروف بأبي عبد الله الاصولي المتوفى عام 612 هـ ومحمد بن محمد بن يحى بن خشين الأندلسي المتوفى حوالي عام 630 هـ ذكر ابن الأبار أنه لم يكن أحد يدانيه في المعرفة بكتابة المصاحف ونقطها ورسمها مع حسن الخط والاتقان.

لقد بلغت عناية الموحدين بكتابة وإنتاج المصاحف القرآنية أن الخليفة الموحدي عمر المرتضى بن السيد أبي ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن المتوفى عام 665 هـ كتب بخطه ربعة قرآنية كاملة في عشرة أجزاء بخط مغربي مبسوط جيد الوضع والضبط (مع كتابة خواتم الأجزاء بالخط الشرقي الثلثي وكتابة توقيعات وقفها بخط شرقي نسخي)[1] محسنا للكتابة بالطريقتين المغربية والمشرقية.

ومن عصر الموحدين أشار الأستاذ المنوني إلى عدة مصاحف وأجزاء كتبت في الأندلس منها مصحف على ورق الغزال كتب بمدينة بلنسية عام 559 هـ يوجد اليوم بمكتبة المعهد العالي بتطوان ومصحف على الرق من عام 573 هـ وصل إلى الممكتبة الزيدانية بمكناس ومنها إلى المكتبة الملكية بالرباط ومصحف على الرق من عام 598 هـ بالخزانة العامة بالرباط حاليا تحت رقم ج 934 ثم ربعة قرآنية كتبت في مالقة على الورق عام 620 هـ توجد اليوم بمكتبة ابن يوسف بمراكش وجزء من ربعة كتبت على الورق باشبيلية عام 632 هـ بنفس المكتبة بمراكش وأجزاء من ربعة أندلسية أخرى بمكتبة ابن يوسف بمراكش تحت رقم 431، والملاحظ مع الأسف خلو تلك المصاحف والأجزاء من أسماء كاتبيها[2].

كتابة المصاحف الموحدية :

(كانت المصاحف المغربية الأولى غالبا ما توافق قراءة الامام حمزة ثم استقرت على قراءة الامام نافع من رواية تلميذه ورش وكانت في الغالب بالخط الكوفي. وأقدم المصاحف القديمة المعروفة مكتوبة بخط أندلسي أو مغربي وأكثرها بحروف عريضة وخطوط مبسوطة جيدة، وقد تشدد المغاربة في التزام قواعد الرسم العثماني واستنكروا كتابة المصحف الشريف حسب القواعد العامة للاملاء)[3] لا سيما والقاعدة تقول بأن خطين لا يقاس عليهما خط المصحف وخط العروضيين.

(1) محمد المنوني، تاريخ المصحف الشريف بالمغرب، دعوة الحق يونيو ويوليوز 1981 ص 11.
(2) نفس المصدر ص 12.
(3) نفس المصدر ص 15.

ويذكر الأستاذ المنوني ألوان المداد فيقول أن (الكتابة كانت في الغالب بالحبر الأسود الحالك أو البهت أو بمحلول قشر الجوز وقد يصنع الحبر من مادة عطرة... من فتيت المسك وعطر الورد وربما أضيف لهما الزعفران الشعرى... وكانت الحمرة للحركات والتنوين والتشديد والتخفيف والسكون والوصل والمدة والصفرة للهمزة خاصة... وعلى ذلك مصاحف أهل المدينة... والخضرة للابتداء بألفات الوصل... ولا يجوز النقط بالسواد لما في ذلك من التغيير لصورة الرسم، وعلى هذه الطريقة جرى شكل أكثر المصاحف المغربية القديمة الموحدية والمرينية والسعدية، حيث يرسم التشديد والسكون بلون الزرقة أو الخضرة...)[1]، و (قد كانت بعض المصاحف المغربية يتخلل كتابتها مزج بخط دقيق عقب كل طائفة من الآيات، لبيان كيفية رسم تلك الآيات مع بيان الهجاء حسب رسم المصحف العثماني... ومن ذلك جزآن قرآنيان بخزانة القروين... وهناك مصاحف مغربية أخرى رسم بين سطورها... بلون مغاير رموز إحدى القراءات السبع، ولا يتعدى المعروف منها الآن العصر العلوي...)[2].

تسفير المصاحف الموحدية وربعة المرتضى الموحدي :

بعد دراسة الأستاذ محمد المنوني لفن الخط والزخرفة بالمصاحف المغربية المبكرة والمعروفة من عصر الموحدين نجده يستوفي دراسته بفن تسفير المصاحف القرآنية أيام الموحدين. ومما يزيد في أهمية الدراسة المذكورة ودقتها اشارة الباحث المغربي إلى تأليف بعنوان (التيسير في صناعة التسفير) وضع برسم يعقوب المنصور الموحدي، ويعني المؤلف في الكتاب المذكور بنوعي تسفير المصاحف في حالتي استعمال اللوح في التسفير والمصاحف غير الملوحة، وقد عرفت الخزانات المغربية والمتاحف نماذج منها درس بعضها بروسبير ريكار الذي نشر نتائج دراسته في المجلد 17 من مجلة الهسبريس[3].

وقد مر بنا وصف كسوة المصحف العثماني الذي استجلبه عبد المؤمن من جامع قرطبة وقد ورد ذكره مفصلا بنفح الطيب ونقلنا تفاصيله عن النبوغ المغربي كما خصه بالذكر ابن صاحب الصلاة مؤلف المن بالامامة فقال (... والمصحف المكرم منظم حول حفاظه بالجوهر النفيس والياقوت الأحمر... الغريب، والزمرد الأخضر النفيس العجيب، قد جلبت أحجار الياقوت والزمرد والجوهر... ونظم بها حفاظ هذا المصحف المكرم، وكلل بها جوانبه...)[4].

---

(1) مفس المصدر والصفحة.

(2) نفس المصدر ص 16.

(3) محمد المنوني، تاريخ المصحف الشريف، دعوة الحق نفس العدد ص 18 وتعليق 42.

(4) المنوني، نفس المصدر ص 18 وتاريخ المن بالامامة نشر التازي ص 439 – 440.

أما ربعة المرتضى الموحدي، فقد كتبها الخليفة الموحدي بخطه، ويطلق اسم (الربعة) على التابوت الذي توضع فيه بعض أجزاء من المصحف (بخلاف المصحف المجموع في سفر واحد) وقد نقل الأستاذ المنوني عن أبي حامد الفاسي أن (المراد بالربعة هو الصندوق المربع الشكل من خشب مغشى بالجلد ذو صفائح وحلق يقسم داخله بعدد أجزاء المصحف... واطلاقها على المصحف مجاز...)[1].

وتتألف ربعة المرتضى من عشرة أجزاء بكل جزء ستة أحزاب كانت موجودة كاملة بمكتبة ابن يوسف بمراكش حتى عام 1149 هـ ثم تفرقت والمعروف منها الآن تسعة أجزاء بين كامل وناقص، وهي مكتوبة على ورق جيد بقلم غليظ وخط مغربي يميل للأندلسي، مبسوط مليح يضرب حبره للسواد مع تنويع ألوان الشكل (... وعناوين السور بالخط الكوفي داخل اطار مستطيل، مزخرف بمحلول الذهب المرسوم بالمداد والملون بالأحمر والأزرق، وقد طوقت هوامش الكتابة بتراجم مذهبه ملونة ومتنوعة الأشكال، وكتب على أرضها الحمراء بالخط الكوفي عناوين التجزئات القرآنية المختلفة بالنسبة للأخماس والأعشار... ويلاحظ أن بعض الأجزاء مكسوا بسفره الموحدي الأصلي كما يوجد على الجزأين الأول والرابع وثيقة عدلية بوقفية هذه الربعة من طرف ناسخها عمر المتضى على جامع السقاية بمراكش ــ جامع علي ابن يوسف ــ بتاريخ رجب عام 656 بتوقيع المرتضى بخط شرقي نسخي...)[2].

وحول دراسة هذه الربعة واستقصاء أخبار أجزائها دارت بحوث طويلة وصرفت جهود هادفة كثيرة من جانب الباحث المغربي الأستاذ محمد المنوني وفي بحثه الكامل الشامل لتاريخ المصحف الشريف بالمغرب ما يشفي الغلة ويفتح أبوابا واسعة للمتخصصين.

---

(1) المنوني، نفس المصدر ص 17 وتعليق 40.

(2) نفس المصدر ص 19 وكتابه العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين.

العمارة والفنون في الشعر العربي

المنار والمسجد والمدينة والأسطول في الشعر العربي :

أنشد لسان الدين عند اقترابه من مدينة مراكش :

حتى إذا ما المنار[1] الفرد لاح لنا   صحت أبشرى يامطابا جاءك الفرج

واعتبر لسان الدين بما صار اليه حال مراكش بعد الموحدين عندما وقف على مصانعها وقصورها وقصبتها فقال :

بلد قد غزاه صرف الليالي   وأباح المصون منه مبيح

فالذي خر من بناه قتيل   والذي خر منه بعد جريح

كم معان غابت بتلك المغاني   وجمال أخفاه ذاك الضريح

ولا شك عندنا في أن قيمة وصف المآثر المخربة لا تقل عن قيمة وصفها سالمة للتعرف على حالها في عصر الشاعر المنشد، وهذا هو وصفه الدقيق لمبان سقطت جميعها ومبان سقط بعضها.

وفي أرجوزة السيد بن علي الدكالي السلاوي في مخطوط اتحاف أشراف الملأ[2] نجد ذكر وتاريخ مدينة الرباط ووصف معالمها المعمارية واتساعها وعدد أعمدتها ونذكر منها :

وبالرباط خطة تاشفين   قصبة بربوة تزين

فكان أول اختطاطه يعرف   لدى رباط الفتح وهو أنصف

كما ابتنى المعقل عبد المؤمن   ثم الرباط بعده بزمن

أنشأ يوسف أساسه وتم   لعهد يعقوب المحترم

إلى أن يذكر مساحة مسجد حسان بالرباط وأعمدته وصومعته في قوله :

وعددها من المئين أربع   وفي المنار عبرة تجتمع

وصف المنظر الاستبصار   وفي بديع وصفه اعتبار

---

(1) لا شك أنه يقصد منارة الكتبيين لشهرتها، ومع هذا فشقيقتها عمارة وزخرفة وتاريخا هي منارة جامع القصبة بمراكش من عصر الموحدين كذلك.

(2) كان رحمه الله مؤرخا شاعرا معاصرا لا زالت معظم كتبه مخطوطة أنظر المخطوط المذكور بقسم الوثائق والمخطوطات بالرباط رقم 11 صفحات 7، 8، 11، 12.

ومما قيل في وصف السفن المغربية نقدم أبياتا من قصيدة محمد بن غالب البلنسي المعروف بالرصافي وكان مستوطنا مالقة يمدح عبد المؤمن بن علي[1] أمير الموحدين :

ذو المنشآت الجواري في اجــرتها — شكــل الغدائــر في سدل وتضفير

أعدى المياه وأنفـاس الريــاح لها — ما في سجاياه من لين وتعــطير

من كل عـذراء حبلى في تـرائبها — ردعان مــن عــنبر ورد وكافــور

نجاها بين أيــد مــن مجاذفهـــا — يغرقن في مثل ماء الورد من جور

وربما خــاضت التيـــار طائـــرة — بمثـل أجنحـة الفُتْـحِ الكــواسير

كــأنما عبرت تختـــال عائمـــة — في زاخر من يدى يمناه مـعصور

حتى رمت جبل الفتحين من كثب — بساطـع[2] مــن سقـــاه غير مبهور

لله ما جبـل الفتـحين مـن جبــل — معظم القـدر في الأجيـال مذكـور

ويدخل في وصف السفن المغربية كذلك ما رواه ابن صاحب الصلاة عن عبور السيد الأعلى أبي حفص إلى أخيه السيد أبي سعيد ولقائهما بجبل الفتح جبل طارق عام 560 هجرية وانشاد أبي عمر بن حربون قصيدة حسنة من أولها إلى آخرها نذكر منها :

يامن رأى الفلك فوق الموج طافية — كما كفأت قبابا وسطها العمــد

يــنساب منهن في أعلى غواربـــه — أساود سكـــنت أجوافهـــا أسد

بحر كان أبــا حــفص بصهوتـــه — لقمان والمركب الجاري بـه لبــد

تعجبوا مـن غـراب فـوق غاربــه — نهلان ذو الهضبات الشم أو أحد

وبشر العجم أن العرب قد دلفت — على العــراب وأن الملتقـــى صدد

---

(1) المعجب ص 219، وقد أوردنا ذلك لكون صناعة السفن تعتبر من الصناعات الهامة في العصر الاسلامي.

(2) اشارة إلى أنواع القذائف التي تغلبت على تحصينات جبل طارق.

دليل المصادر والمراجع الرئيسية لدراسة الطرازالمغربي الأندلسي لعصر المرابطين والموحدين وبني مرين

أولا : المراجع العربية

1 - القرآن الكريم : كتاب الله العزيز.

2 - ابن أبي زرع : الأنيس المطرب روض القرطاس، نشر دار المنصور الرباط.

3 - ابن الأحمر : روضة النسرين في دولة بني مرين، باريس 1917 م.

4 - ابن الأثير : الكامل في التاريخ، مصر 1301 هـ.

5 - ابن الزيات التادلي : التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أدولف فور، الرباط 1958.

6 - ابن القاضي : جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام بمدينة فاس، فاس 1309 هـ.

7 - ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة، بيروت 1960.

8 - ابن جبير : رحلة ابن جبير، بيروت 1964.

9 - ابن حيان : المقتبس.

10 - ابن عذارى : البيان المغرب في أخبار المغرب، 1948.

11 - ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الترجمة الفرنسية لجودفروى باريس 1927.

12 - إبراهيم جمعة : قصة الكتاب العربية، سلسلة إقرأ القاهرة 1947 (عدد 53).

13 - إبراهيم حركات (دكتور) : المغرب عبر التاريخ، جزآن.

14 - أبو العباس أحمد الناصري السلاوي : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى الدارالبيضاء 1955.

15 - أبو العباس المقري : نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، الطبعة الأولى 1949.

16 - أحمد فكري (المرحوم الدكتور) : المسجد الجامع بالقيروان، القاهرة 1936.

17 - ـــــ : مسجد الزيتونة بتونس، القاهرة 1952.

18 - ـــــ : مدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها.

19 - ـــــ : مساجد القاهرة ومدارسها، القاهرة 1962 - 1966.

20 - أرنست كونل : الفن الاسلامي، تعريب أحمد موسى.

21 - البيدق (آبو بكر الصنهاجي) : أخبار المهدي بن تومرت.
22 - الحسن الوزاني (ليون الافريقي) : وصف افريقيا، الترجمة الفرنسية جزآن باريس 1958.
23 - الخطيب بن مرزوق : المسند الصحيح الحسن، مخطوط رقم (111) بالخزانة العامة بالرباط ومقتطفات ليفي بروفنسال بالهسبريس ومخطوط الاسكوريال (1666 ف ر)
24 - الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم (2691 الف).
25 - القلقشندي : صبح الأعشى، القاهرة 1914.
26 - السيد بن علي الدكالي (مؤرخ مرحوم) : اتحاف أشراف الملا، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم (11).
27 - ـــ : الدرة اليتيمة، مخطوط الخزانة العامة بالرباط (ميكروفيلم رقم 11).
28 - ـــ : حدائق الأزهار، تفصيل ما أجمله في الأتحاف، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم (د 1320).
29 - السيد عبد العزيز سالم (دكتور) : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، 1962.
30 - ـــ : العمارة الحربية في الأندلس، مصر، دائرة معارف الشعب 64.
31 - ـــ : المغرب الكبير، الجزء الثاني العصر الوسيط، الاسكندرية 1966.
32 - بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية.
33 - جمال محرز (المرحوم الدكتور) : الرسوم الجدارية الاسلامية في البرطل الحمراء.
34 - جوميث مورينو : الفن الاسلامي في اسبانيا، الترجمة العربية، مصر 1968.
35 - حسن أحمد محمود (دكتور) : قيام دولة المرابطين.
36 - حسن حسني عبد الوهاب (المرحوم) : ورقات في الحضارة التونسية بافريقية، جزآن تونس 1965 - 1966.
37 - حسين مؤنس (دكتور) : مجموعة رسائل مرابطية، معهد الدراسات الاسلامية مدريد 1954.
38 - ديماند (م.س) : الفنون الاسلامية، تعريب أحمد محمد موسى، القاهرة 1953.
39 - زاهية راغب الدجاني : المدارس النظامية، مجلة العربي يونيو 1971.
40 - زكي محمد حسن (المرحوم الدكتور) : فنون الاسلام، طبعة أولى القاهرة 1948.
41 - ـــ : الفن الاسلامي : في مصر، القاهرة.
42 - ـــ : ترجمة الجزء الثاني من كتاب تراث الاسلام وضع كريستي وأرنولد.
43 - سعد زغلول عبد الحميد (دكتور) : تحقيق كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف موحدي مجهول، نشر جامعة الاسكندرية بمصر.
44 - سيد أحمد نقشبندي : الدينار الاسلامي في المتحف العراقي، بغداد 1953.

45 – عباس الجراري (دكتور) : تطور الأدب الأندلسي في عهد المرابطين، مجلة المناهل الرباط عدد 16 ديسمبر 1979.
46 – عبد الله السويسي : تاريخ رباط الفتح، 1979 (نقل عنا نتائج اكتشافاتنا الأثرية المنشورة دون الاشارة إلى مرجعه ودون كفاية في مجال الدراسة الأثرية يشاركه مقدم الكتاب في المسؤولية)
47 – عبد الله السقاط : الزاوية المغربية، مجلة دعوة الحق الرباط أبريل 1987.
48 – عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة.
49 – ــــ : كتاب العبر وديوان المبتدء والخبر.
50 – عبد العزيز بن عبد الله : نقد منهجية تيراس، بجريدة العلم الرباط 2 فبراير 1952.
51 – ــــ : مظاهر الحضارة المغربية جزآن، الدارالبيضاء 1957 – 1958.
52 – ــــ : الفن المغربي في خمسة قرون، مجلة التربية الوطنية الرباط أكتوبر 1959.
53 – ــــ : معطيات الفن الاسلامي في المغرب، بحث لمؤتمر الآثار السابع لجامعة الدول العربية بأبي ظبي 1974.
54 – عبد القادر زمامة : معالم وأعلام من فاس القديمة، مجلة البحث العلمي الرباط أبريل 1975.
55 – عبد الله كنون (المرحوم) : النبوغ المغربي جزآن.
56 – عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القاهرة 1964.
57 – ــــ : الآثار الأندلسية الباقية، القاهرة 1961.
58 – عبد الملك بن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالامامة، تحقيق عبد الهادي التازي، بيروت 1964
59 – عبد الهادي التازي (دكتور) : جامع القرويين 3 أجزاء بيروت.
60 – ــــ : الحروف المنقوشة بالقرويين، كتاب المؤتمر الثالث للآثار بالبلاد العربية، طبع القاهرة 1960.
61 – عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، القاهرة 1949.
62 – عبد الرحمن السهيلي (دفين مراكش 583 هـ) : تاريخ في دولة الموحدين
63 – عبد الرحمن بن محمد الجيلالي : تاريخ الجزائر العام، الجزائر 1971.
64 – عبد الوهاب بن منصور (مؤرخ المملكة المغربية المعاصر) : قبائل المغرب، جزء أول الرباط 1968.
65 – عثمان عثمان إسماعيل (دكتور) : نقص الدراسات في الخزف الاسلامي المغربي، كتاب المؤتمر الخامس للآثار بالبلاد العربية، طبع القاهرة 1969.
66 – ــــ : شالة وقيمتها التاريخية، كتاب الجامعة العربية للمؤتمر الثالث للآثار،طبع القاهرة 1960.
67 – ــــ : القاهرة المغربية، تحقيق موقع صراع ابي الحسن المريني وولده أبي عنان، مجلة التربية الوطنية الرباط يونيو 1960.

68 – ــــ : على هامش نداء اليونسكو لانقاذ آثار مدينة فاس، تصويبات لأخطاء معاصرة بالمدرسة البوعنانية ومتحف البطحاء بفاس، دعوة الحق بالرباط اعداد يوليو 1980 ونوفمبر 1980.
69 – ــــ : الفن الاسلامي وروافده شرقا وغربا، مجلة المتحف العربي الكويت أكتوبر 1987.
70 – ــــ : عمارة ومميزات أبواب الموحدين برباط الفتح، مجلة المتحف العريق يناير 1987.
71 – ــــ : تاريخ العمارة والفنون بالمغرب الأقصى بمجلة المنهل السعودية، جدة يوليو / أغسطس 1985.
72 – ــــ : تعالوا معنا إلى المغرب، دراسة تاريخية، مجلة المنهل جدة مارس/أبريل 1988.
73 – ــــ : فلسفة المرابطين ومؤثرات الفن الاسلامي في الطراز المغربي الأندلسي مجلة المنهل جدة يوليو 1989.
74 – ــــ : مظاهر الحضارة المعمارية والفنون في شعر ابن زيدون مجلة المنهل جدة اعداد سبتمبر/أكتوبر 86 ونوفمبر 86 ويناير 87 وفبراير 87 وأبريل 87.
75 – ــــ : أقدم مسجد عتيق برباط الفتح، مجلة دعوة الحق الرباط أكتوبر 1984 ونوفمبر 1985.
76 – ــــ : حيوية فنون المغرب، بكتاب متنوعات محمد الفاسي نشر جامعة محمد الخامس 1967.
77 – ــــ : ملوك المغرب ورجاله يسجلون انتصارات الاسلام بالأندلس، جريدة الأنباء 74/8/20
78 – ــــ : الآثار الاسلامية بالمغرب العربي وحرب المستشرقين، مجلة دعوة الحق الرباط، سلسلة في أربع حلقات ابتداء من يونيو 74.
79 – ــــ : تاريخ شالة الاسلامية، دار الثقافة بيروت 1975.
80 – ــــ : حفائر شالة الاسلامية، دار الثقافة بيروت 1977.
81 – ــــ : دراسات جديدة في الفنون الاسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى، دار الثقافة بيروت 1977.
82 – ــــ : تاريخ العمارة الأثرية والفنون الاسلامية بالمغرب الأقصى 5 أجزاء.
83 – ــــ : المغرب إسلام وحضارة، 20 حلقة عن آثار وفنون المغرب، جريدة الأنباء الرباط 1980.
84 – ــــ : الحضارة أصل وصورة 21 حلقة عن آثار وفنون المغرب، جريدة الأنباء الرباط 1980.
85 – ــــ : الموحدون أصحاب مدرسة في الفن والعمارة، ستة أبحاث مسهبة جريدة العلم الرباط أكتوبر 1980 (على هامش ندوة الهندسة المعمارية لبلدان البحر الأبيض المتوسط بوزارة الثقافة بالرباط.
86 – ــــ : قول في الآثار الاسلامية 20 حلقة بجريدة الميثاق الوطني الرباط ديسمبر 1980 ويناير 1981.

87 - ــــــ : مشرق الحضارة بالمغرب الأقصى 30 حلقة عن تاريخ العمارة والفنون المغربية، جريدة الميثاق الوطني العدد الأسبوعي 1982/1981.
88 - ــــــ : الحياة الثقافية بالمغرب، نشر وزارة الاعلام الرباط مارس 1879. الفصل المتعلق بالآثار والمباني التاريخية والمتاحف ومركز احصاء التراث
89 - ــــــ : أصحاب الميمنة، سيرة أبطال الايلام بالمغرب من الأصول والمصادر، (منذ عصر القادة الفاتحين إلى عصر الأشراف العلويين) دار الكتاب الدارالبيضاء.
90 - ــــــ : إنصاف ابن خلدون من تهمة التهجم على العرب، مجلة المنهل، وزارة الثقافة الرباط عدد أول.
91 - علي الجزنائي : جنى زهرة الآس، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية الرباط 1967.
92 - فاطمة العلوي : الطرز المغربي الأصيل.
93 - قاسم الزهيري : تأثير الحضارة المغربية على دول افريقيا، سلسلة بجريدة العلم الرباط 28/23 مارس 1963.
94 - لسان الدين بن الخطيب : ريحانة الكتاب، معلوماته عن عن زاوية النساك.
95 - ــــــ : تاريخ المغرب العربي (قسم من كتاب أعمال الأعلام) تحقيق محمد ابراهيم الكتاني وزميله.
96 - ــــــ : تاريخ اسبانيا الاسلامية (قسم من كتاب أعمال الأعلام) تحقيق ليفي بروفنسال، بيروت 1956.
97 - ليفي بروفنسال : الاسلام في المغرب والأندلس، تعريب السيد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين، القاهرة 1956.
98 - ــــــ : مجموعة رسائل موحدية، الرباط 1941.
99 - محمد الفاسي (أستاذ رئيس الجامعة ووزير) : تصدير كتابنا تاريخ شالة الاسلامية.
100 - ــــــ : شاعر الخلافة الموحدية، الرباط 1957.
101 - ــــــ : نشأة الدولة المرينية ومميزات العصر المريني، سلسلة محاضرات عامة، جامعة محمد الخامس يناير 1961.
102 - ــــــ : الأرقام العربية الحقيقية، مجلة المنهل، جدة مارس 1987.
103 - محمد المنوني : فاس معلمة، مجلة فنون، وزارة الثقافة الرباط نوفمبر 1973.
104 - ــــــ : منشآت مرينية، مجلة المناهل الرباط ديسمبر 1979.
105 - ــــــ : وصف المغرب أيام أبي الحسن المريني، مجلة البحث العلمي الرباط عدد 1.
106 - ــــــ : فاس الجديد مقر الحكم المريني، مجلة البحث العلمي الرباط عدد 11 و12.
107 - ــــــ : دور الأوقاف المغربية في التكامل الاجتماعي، مجلة دعوة الحق الرباط يوليو 1983.
108 - ــــــ : ورقات عن الحضارة المغربية.

109 – محمد العرائشي : خزانة الجامع الكبير بفاس، دعوة الحق الرباط مارس 1984.
110 – محمد ابن أبي شنب : نشر حوادث مجهولة المؤلف باسم (الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، الجزائر 1920.
111 – محمد ابن أحمد المطري : التعريف بما آنست الهجرة من معالم الهجرة، تحقيق محمد ابن عبد المحسن الخيال.
112 – محمد بن جعفر بن ادريس الكتاني : سلوة الانفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من صلحاء فاس.
113 – محمد بوجندار (المؤرخ المرحوم) : شالة وآثارها، الرباط 1340 هـ.
114 – ـــــ : مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح، الرباط 1925 م.
115 – ـــــ : قصبة الرباط التاريخية، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم (د 1047).
116 – محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، نشر دار الكتب المصرية.
117 – يحيى بن خلدون : تاريخ بني عبد الواد ملوك تلمسان.

ثانيا : المراجع الأجنبية :

118 Allain (Ch.) et Deverdin (G.) : Les portes anciennes de Marrakech. Ds. Hesp. T. XLIV 1957.
119 Bargès : Tlemcen, Paris 1859.
120 Basset (H.) : Salih ben Tarif. Encycl de l'Islam, Paris 1925, P. 117.
121 ------ : Un aquedec Almohade à Rabat Ds. Revue Afr. LXIV 1923.
122 ------ ; Une primitives Mosquée de la Koutoubia à Marrakech Ds. Comptes rendus de l'acad. des Inscrip. et belles lettres 1923.
123 Basset (H.) et Provençal (L.) : Chella une Nécropoles Mérinide. Paris 1923.
124 ------ : l'Inscription funéraire d'Aboul Hassan à Marrakech, Hesp. 1922.
125 Bel (A.) : Les premiers Emirs Mérinides et l'Islam, Paris 1937.
126 ------ : Contribution à l'étude des dirhams de l'époque Almohade, Hesp. 1933.
127 ------ : Les Inscriptions Arabes de Fès, Paris 1919.
128 ------ : Almovides et Almohades, Encycl. de l'Islam.
129 ------ : L'épigraphie dans la décoration des médersa mérinides de Fès. Acte du congrés d'histoire de l'art, Paris 1921.
130 ------ : Les Industries de la céramiques à Fès, Paris 1918.
131 ------ : Ali ben Yusif, Ds. Encycl. de l'Islam T.I, P.292.
132 Berchem (Max Van) : L'art Musulman au musée de Tlemcen, Journal des savants 1906, P.410 - 425.
133 ------ : L'épigraphie Musulmane en Algérie, Ds. R. Afri 1905.
134 Bertaux (E.) : L'art Mudejar, les survivances de l'art Musulman dans l'art Chrétien d'Espagne (R. des cours et conférences) 1912 - 1913.
135 Beylie (général léen de) : la kalaa de Béni-Hammad, Paris 1909.
136 Blachère (R.) : Quelque détails sur la vie privée de sultan Mérinide Abi el Hassan; Ds. memorial H. basset T.I
137 Borely (J.) : La Mosquée de Hassan à Rabat a-t-elle été achevée ? Ds. France-Maroc Juin 1925.
138 ------ : Tinmel douze carnets de notes, geuthner 1934.
139 Brémond (G.) : Berbères et Arabes 1950.
140 Brèthes (J.D) : Contribution à l'histoire du Maroc par les recherches numismatiques, Casablanca 1939.
141 Brosslard : Inscriptions Arabes de Tlemcen; Ds. R. Afri III.
142 BUTLER : Islamic Pottery, London 1926.
143 Caillé (J.) : La Mosquée de Hassan à Rabat.
144 ------ : La ville de Rabat 3 Vol.
145 Calvert (A.F.) : The Alhambra, London New-york 1907.
146 Campardou (J) : Inscription du lustre de la Mosquée de Taza, Ds D'Afrique Française sept 1913.
147 Canard (M.) : Les relations entre les Mérinides et les Memlouks au XIV S. Ds. Annales de l'institut des études orientales V, P. 41 - 81.
148 Catalogue Raisonné du Musée de la ville d'ORAN.
149 Circourt (de) : Histoire des mores Medejares et des Morisques ou des Arabes d'espagne sous domination chrétienne, paris 1946.
150 COLIN (G.) : Tit, encycl. de l'Islam T.N 1930.

151 Cour (A.) : Cataloque des manuscrits de la médersa de Tlemcen, Alger 1907.
152 ------ : Les derniers Merinides, Bul de la Soc. de géog, d'Alger; 1905.
153 Creswell (K.A.C.) : Early Muslim architecture Oxford 1932 - 40.
154 Delaroziere (J) et Henri Bresselette : La grande noria et L'aqueduc de vieux mechouar à Fès - Djedid Ds (Soc, de l'Afrique du nord) Rabat Avril 1938, Alger 1939.
155 Delpy (A.) : Note dure une exposition temporaires de céramiques Musulmanes archaique trouvés au Maroc (Cahier des arts et tech. d'Afri - du nord) 1951.
156 Dernade (L.) : Les portes de Fès, france - Maroc 1922.
157 Desus Lamare (L.) : Le anza. 5[e] congrés inter, d'arch. alger Avril 1930.
158 Dieulafoy (L.C.) : La Mosqué de Hassan, 1919.
159 Deverdum (G.) : deux tahbis Almohades. Hesp, 1954.
160 ------ : Etude épigraphique D.S. Publ, de l'inst, des H.E.M. T.L.I.V. 1957.
161 ------ : Inscriptions Arabes de Marrakech. Rabat 1956.
162 Devonshir, Mrs R.L : Madrassas and Mderssas, Burlington Magazine XLIX, P 111.
163 Diez (E.) : Manara (Minaret). encycl, de l'islam 1929.
164 Doutte (E.) : La Mosquée de Tinmal Ds, J. Asiati, 1902.
165 ------ : Bibliographie des Inscriptions Mérinides de Chella, Ds. Marrakech - paris 1925.
166 Gallotti (J.) : Le lanternon du minaret de la koutoubia à Marrakech, Hesp. 1923.
167 Gayot (H.) : Le décor floral de L'islam occidental.
168 Galvin (L.) : La Meghreb central à l'époque des Zirides, paris, 1957.

أبحاث موضوعية وهامة لتوضيح العلاقات الفنية.

169 Gomez Moreno (M.) : L'entrecroisement des arcades dans l'architecture, Arabe. (acte de congrés d'hostoire de l'art) Paris 1921.
170 Guichard : La Giralda du Magreb. France - Maroc 1921.
171 Houdas (O.) : essai sur l'écriture Maghrebine du nouveaux mélanges orientaux de l'école des langues orientales vivantes Paris 1886.
172 Joudia Hassar : note à propos d'un bronze arabe trouvé au chella, (B.A.M) T.X, p, 173 + 15 Pl.
173 Julien (Ch.A.) : histoire de l'Afrique du nord 2[e] Vol. Paris 1956.
174 Kunnel (E,) : Vom Maurischen Ornament. Ds. kunst and kunstler, XXII p 94 - 103.
175 ------ : Maurisch kunst 1924.
176 Lavoix (H.) : catalogue des monnaies de la bibliothèque nationale (France) 1887 - 1892.
177 le Tourneau (R.) : Fès avant le protectorat, Casablanca 1943.
178 Maitret (capitaine) : la fortification Nord Afri. Ds, Archives Berbère 1916.
179 Marçais (G.) : l'architecture Musulmane d'occident, Paris 1955.
180 ------ : Manuel d'art Musulman, 1926.
181 ------ : Tlemcen, paris 1950.
182 ------ : l'art de l'islam, 1946.
183 ------ : les échanges artistiques entre l'Egypte et les pays Musulmans occidenteaux, Hesp, XIX 1934.
184 ------ : remarques sur les méderssa funéraire en berberie, à propos de la tachfinia de Tlemcen, le Caire 1937.
185 ------ : Mérinides, Ds. encycl. de l'islam.
186 Marçais (W. et G) : Les monuments Arabes de Tlemcen, paris 1903.
187 Maslow (B.) : Les mosquées de Fès et du nord du Maroc, 1934.

188 ------ : La quobba Barudiyyin, Al Andalous XIII 1948.
189 Meunié (J.) et Allain (C.) : La forteresse Almorovides de Zagora, Hesp, T. XLIII 1936.
190 Michaux - Bellaires (E) : A Propos d'une inscription mérinide à Al - Kasr - Al kebir Hesp 1927.
191 Migeon (C.) : Les arts Musulmans 1926.
192 ------ : Manuel d'art Musulman 1927.
193 Mission Sc du Maroc : Rabat et sa région 4 Vol Paris 1918.
194 Otte - Dorn (kattarina) : lart de l'Islam. traduit de l'Allemand par Jean - Pierre Simon Hollande 1967.

المرابطون ص 124، الموحدون والطراز المغربي الأندلسي ص 125 تخطيط المسجد بشكل حرف T بالمغرب يرجع إلى طراز القيروان ص 125 قصور المرابطين والموحدين ص 126 دار الامارة بمراكش (قصر المرابطين) تجاور آثاره موقع الكتبية.

195 Paul Pascon : Description des Mudd et Sa Maghrebins. Hesp - Tamuda 1975 T. XVI, P 88.
196 Pauty (E.) : Le plan de l'université quarawiyin à Fès. Hesp 1923.
197 ------ : Vue d'ensemble sur les hammams de Rabat - Salé.
198 Pool (stanly - lane) : the Moors in Spain, london 1889.

نقله إلى العربية علي الجارم (العرب في إسبانيا)

199 Provençal (L.) : Inscriptions Arabes de l'Espagne Paris - leyde 1931.
200 ------ : Le titre souverin des Almoravides. Ds. Arabica II, 1955.
201 ------ : La civilisation Arabe en Espagne, le Caire 1938.
202 ------ : Grenade Musulmane, (Annales universitaires de l'Algérie, Alger 1937.
203 Raguenet (A.) : Petits édifices historique, Paris 1931.

عن صوامع مسجد المنصورة وسيدي الحلوي ومسجد ابي الحسن بتلمسان.

204 Ricard (P.) : Corpus de tapis Marocains.
205 ------ : L'horloge de la médersa Bou - Anania de Fès.Ds Bull. Sco.Géo. de L'Alger XXIX, P 248 - 254.
206 ------ : Fès et ses environs, Paris 1920.
207 ------ : Pour comprendre l'art Musulman dans L'Afrique du nord et en Espagne, Paris 1924
208 ------ : Note sur la mosqué de tinmel, Hesp 1923.
209 ------ : L'évolution de l'architecture et de la décoration, France - Maroc, IV (chronique de Fès) P 157.
210 Ricard (P) et delpy (A) : note au sujet de vielles portes de maisons Marocains Hesp, XV 1932.
211 ROY (B.) etPoinssot (R) : Inscriptions Arabes et kairouan, (bull, de H.E.T) Vol. II, Paris 1950.
212 Saladin (Henri) : Manuel d'art Musulman, L'architecture I, Paris 1907 (Medersa du Maroc P. 185 - 309).
213 Terrasse (Henri) : La MOsquée des Andalous à fès - Paris 1942.

(Les boiseries بحث في أشغال النجارة)

214 ------ : L'Art Hispano - Mauresque Paris 1932.

215 ------ : La forteresse Almoravide d'Amergo.
216 ------ : Le Jama Al-Gnaiz à la mosquée d'al quarawiyin, Hesp, XIX 1934.
217 ------ : L'influence de l'Afriquiya sur l'archit. Mus. du Maroc avant les almoravides Revue Afri. 1938.
218 ------ : Trois bains Mérinides au Maroc Ds Al-Andalous XVII 1950.
219 ------ : Les monuments Almoravides de Marrakech acte de XXI[e] congrés int. de Orient. Paris 1949.
220 ------ : La grande Mosquée de Taza 1943.
221 ------ : Les portes de L'arsenal de alé, Hesp. 1922.
222 ------ : Minbars anciens du Maroc (Mélanges d'histoire et archéologie de l'occident Musulman) Alger 1958.
223 ------ : Ville impèriales du Maroc, Grenoble 1937.
224 ------ : Une porte Mérinides de Fès-Djdid (instit. d'études orient.) 1947.
225 Terrasse (H.) et Basset (H.) : Sanctuaires et forteresse Almohades, Paris 1932.
226 Terrasse (H) et Hainaut (J.) : Les arts décoratifs au Maroc, Paris 1925.
227 Terrasse (M) : Le mobilier liturique Mérinides, (B.A.M.)T.X, P. 185 - 198 + 13 PL.

معالم وتطور العمارة الإسلامية بإمارات ودول المغرب العربي وإسبانيا المسلمة

المغرب الأدنى إفريقية تونس	المغرب الأوسط (الشرقي) قسنطينة	المغرب الأوسط (الغربي) الجزائر وهران تلمسان	المغرب الأقصى	إسبانيا المسلمة
الفتح الإسلامي عصر القادة الفاتحين وعصر الولاة التابعين للخليفة الأموي بدمشق ثم العباسي ببغداد				
تأسيس المسجد الجامع بالقيروان تأسيس ضريح سيدي عقبة بن نافع جامع الزيتونة بتونس				
بنو الأغلب عمران القيروان وتوسعة مسجدها الجامع وتأسيس العباسية ورقادة ومدينة سوسة	**الخوارج الرستميون (أباضية)** تأسيس تاهرت، بناء سدراتة	**بنو مدرار** خوارج بناء سجلماسة	**دولة الأشراف الأدارسة** تأسيس مدينة فاس بعدوتيها وجامعيها القرويين والأندلس. تأسيس مسجد شالة العتيق بعد تقسيم المملكة في عهد الإمام محمد بن المولى إدريس الثاني (1).	**الأمويون الغربيون** إمارة عبد الرحمن الداخل ثم خلافة قرطبة ثم دولة تابعهم الحاجب المنصور بن أبي عامر، قرطبة وجامعها ومدينة الزهراء.
العبيديون الفواطم بناء المهدية وجامعها والأسوار المسيلة		**زناتة** بناء افكان	**الزناتيون : المغراويون والمكناسيون وبنو يفرن** تأسيس مدينة وجدة، عمارة مسجد شالة العتيق وبناء صومعته (2)	**عصر ملوك الطوائف** قصر الجعفرية بسراقسطة وعمارة بني هود بطليطلة وآثار بني عباد بإشبيلية
بنو زيري (صنهاجة) تأسيس مدينة أشير	**بنو حماد (صنهاجة)** بناء القلعة ودار البحر الحمادي ومسجد القلعة ومنارها تأسيس مدينة بجاية	مسجد جزائر بني مزغنة مسجد ندرومة وتلمسان الأعظم	**المرابطون (صنهاجة)** توسعة جامع القرويين وعمارته العامة النهائية	
النورماند عمارة وفنون صقلية	**الموحدون (امبراطورية تضم دول المغرب العربي والأندلس)**		تأسيس جامع تينمل، جامع الكتبية بمراكش ومناره، قصبة مراكش وجامعها ومناره، تأسيس قصبة المهدية نواة رباط الفتح. مسجد حسان ومناره، تأسيس مدينة رباط الفتح، أسوار وأبواب تاريخية شهيرة بالعمارة الإسلامية : كباب أجناو بمراكش وأبواب الرواح والودايا وباب العلو وباب الأحد برباط الفتح.	جامع قصبة اشبيلية ومناره (الجيرالدا) أبراج وأسوار وحصون
الحفصيون قصور ومساجد ومدارس ودور لسك العملة		**بنو زيان (بنو عبد الواد ملوك تلمسان)** مسجد بلحسن بتلمسان وصومعة المسجد المرابطي الأعظم بتلمسان	**بنو مرين الزناتيون ورثة الموحدين** مدارس فاس ومكناس وسلا ومراكش، تأسيس فاس الجديد أسوار وقباب شالة وتوسيع مسجد الأدارسة بها وبناء زاوية أبي سعيد وزاوية المدخل بشالة (3) تأسيس مدن وصوامع وإقرار معالم الطراز المغربي الأندلسي بالمملكة المغربية إلى اليوم.	**بنو نصر (بنو الأحمر)** قصر الحمراء بجميع مرافقه بغرناطة
نيابات (ولايات) العصر العثماني عهد البيلربكوات البدايات الباشوات			**الوطاسيون أتباع المرينيين**	نهاية عصر إمارات ودول المسلمين وبداية حكم النصارى (نهاية نشاط الطراز المغربي الأندلسي) وبداية ظهور طراز المدجنين
مساجد وقصور	مساجد وقصور قسنطينة	مساجد وقصور الجزائر	**الأشراف السعديون** قبور الأشراف السعديين بمراكش وقصر البديع بمجزأته العلمية بها، مساجد كثيرة (بمراكش وفاس) وقصور ومصانع للسكر	
الاستعمار الفرنسي منشآت عصرية			**الأشراف العلويون** قصور ومساجد ومؤسسات وأسوار مكناس (الإسماعيلية) قصبة مهدية سبو، فنادق فاس ومساجدها العلوية ومساجد مراكش ورباط الفتح كجامع السنة وجامع مولاي سليمان والجامع الكبير، قصر الباهية بمراكش.	
			الحماية الفرنسية (لم تشيد ما شيدته ببقية شمال إفريقيا)	
الجمهورية التونسية منشآت عصرية	**الجمهورية الجزائرية** منشآت عصرية		**المملكة المغربية** عصر الاستقلال والانبعاث (دولة محمد الخامس والحسن الثاني) شيدت المملكة مجموعة سدود تاريخية وفريدة، دار السلام وقصور الرباط، تأسيس مساجد ومدن وموانئ جديدة ومؤسسات عصرية وجامعات، تشييد الحسن الثاني لضريح محمد الخامس بالرباط العمل الفني النموذجي لعصر الأشراف العلويين. مسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء.	

خريطة تطور أشهر معالم العمارة الإسلامية بالمغرب الإسلامي دون التقيد بمقياس رسم معين لمدد سنوات الحكم المعاصرة فيما بينها

(1) بعد اكتشافاتنا الأثرية. كتابنا تاريخ شالة الإسلامية وكتابنا حفائر شالة الإسلامية وكتاب الفنون الإسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى

(2) بعد اكتشافاتنا الأثرية. كتابنا تاريخ شالة الإسلامية وكتابنا حفائر شالة الإسلامية وكتاب الفنون الإسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى

(3) بعد اكتشافاتنا الأثرية. كتابنا تاريخ شالة الإسلامية وكتابنا حفائر شالة الإسلامية وكتاب الفنون الإسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى

دليل مقابلة التاريخ الهجري بالتاريخ الميلادي

الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي
1	16 يوليوز 622	35	11 يوليوز 655	69	6 يونيو 688	103	1 يوليوز 721
2	5 يوليوز 623	36	30 يونيو 656	70	25 يونيو 689	104	21 يونيو 722
3	24 يونيو 624	37	19 يونيو 657	71	15 يونيو 690	105	10 يونيو 723
4	13 يونيو 625	38	9 يونيو 658	72	4 يونيو 691	106	29 مايو 724
5	2 يونيو 626	39	29 مايو 659	73	23 مايو 692	107	19 مايو 725
6	23 مايو 627	40	17 مايو 660	74	13 مايو 693	108	8 مايو 726
7	11 مايو 628	41	7 مايو 661	75	2 مايو 694	109	27 أبريل 727
8	1 مايو 629	42	26 أبريل 662	76	21 أبريل 695	110	16 أبريل 728
9	20 أبريل 630	43	15 أبريل 663	77	10 أبريل 696	111	5 أبريل 729
10	9 أبريل 631	44	4 أبريل 664	78	30 مارس 697	112	26 مارس 730
11	29 مارس 632	45	24 مارس 665	79	20 مارس 698	113	15 مارس 731
12	18 مارس 633	46	13 مارس 666	80	9 مارس 699	114	3 مارس 732
13	7 مارس 634	47	3 مارس 667	81	26 فبراير 700	115	21 فبراير 733
14	25 فبراير 635	48	20 فبراير 668	82	15 فبراير 701	116	10 فبراير 734
15	14 فبراير 636	49	9 فبراير 669	83	4 فبراير 702	117	31 يناير 735
16	2 فبراير 637	50	29 فبراير 670	84	24 يناير 703	118	20 يناير 736
17	23 يناير 638	51	18 يناير 671	85	14 يناير 704	119	8 يناير 737
18	12 يناير 639	52	8 يناير 672	86	2 يناير 705	120	29 ديسمبر 737
19	2 يناير 640	53	27 يناير 672	87	13 ديسمبر 706	121	18 ديسمبر 738
20	21 ديسمبر 640	54	16 ديسمبر 673	88	12 ديسمبر 707	122	7 ديسمبر 739
21	10 ديسمبر 641	55	6 ديسنبر 674	89	1 ديسمبر 708	123	26 نوفمبر 740
22	30 نوفمبر 642	56	25 نوفمبر 675	90	20 نوفمبر 709	124	15 نوفمبر 741
23	1 نوفمبر 643	57	14 نوفمبر 676	91	9 نوفمبر 709	125	4 نوفمبر 742
24	7 نوفمبر 644	58	3 نوفمبر 677	92	29 أكتوبر 710	126	25 أكتوبر 743
25	28 أكتوبر 645	59	23 أكتوبر 678	93	19 أكتوبر 711	127	13 أكتوبر 744
26	17 أكتوبر 646	60	13 أكتوبر 679	94	7 أكتوبر 712	128	3 أكتوبر 745
27	7 أكتوبر 647	61	1 أكتوبر 680	95	26 سبتمبر 713	129	22 سبتمبر 746
28	25 سبتمبر 648	62	20 سبتمبر 681	96	16 سبتمبر 714	130	11 سبتمبر 747
29	14 سبتمبر 649	63	10 سبتمبر 682	97	5 سبتمبر 715	131	31 سبتمبر 748
30	4 سبتمبر 650	64	30 اغسطس 683	98	25 اغسطس 716	132	20 اغسطس 749
31	24 اغسطس 651	65	18 اغسطس 684	99	14 اغسطس 717	133	9 أغسطس 750
32	2 اغسطس 652	66	8 اغسطس 685	100	3 اغسطس 718	134	30 أغسطس 751
33	2 اغسطس 653	67	28 يونيو 686	101	24 يوليوز 719	135	18 يوليو 752
34	22 يوليوز 654	68	18 يونيو 687	102	12 يوليوز 720	136	7 يوليو 753

الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي
137	27 يوليو 754	174	20 مايو 790	212	2 أبريل 827	249	24 فبراير 863
138	16 يونيو 755	175	10 مايو 791	213	22 مارس 828	250	13 فبراير 864
139	5 يونيو 756	176	28 مايو 792	214	11 مارس 829	251	2 فبراير 865
140	25 مايو 757	177	18 أبريل 793	215	25 فبراير 830	252	22 يناير 866
141	14 مايو 758	178	7 أبريل 794	216	18 فبراير 831	253	11 يناير 867
142	4 مايو 759	179	27 مارس 795	217	7 فبراير 832	254	1 يناير 868
143	22 أبريل 760	180	16 مارس 796	218	27 يناير 833	255	20 ديسمبر 868
144	11 أبريل 761	181	5 مارس 797	219	16 يناير 834	256	9 ديسمبر 869
145	1 أبريل 762	182	22 فبراير 798	220	5 يناير 835	257	29 نوفمبر 870
146	21 مارس 763	183	12 فبراير 799	221	26 ديسمبر 836	258	18 نوفمبر 871
147	10 مارس 764	184	1 فبراير 800	222	14 ديسمبر 836	259	7 نوفمبر 872
148	27 فبراير 765	185	20 يناير 801	223	3 ديسمبر 837	260	27 أكتوبر 873
149	16 فبراير 766	186	10 يناير 802	224	23 نوفمبر 838	261	16 أكتوبر 874
150	6 يناير 767	187	30 ديسمبر 802	225	12 نوفمبر 839	262	6 أكتوبر 875
151	26 يناير 768	188	20 ديسمبر 803	226	31 أكتوبر 840	263	24 سبتمبر 876
152	14 يناير 769	189	8 ديسمبر 804	227	20 أكتوبر 841	264	13 سبتمبر 877
153	4 يناير 770	190	27 نوفمبر 805	228	10 أكتوبر 842	265	3 سبتمبر 878
		191	17 نوفمبر 806				
154	24 ديسمبر 770	192	6 نوفمبر 807	229	30 سبتمبر 843	266	23 أغسطس 879
155	13 ديسمبر 771	193	25 أكتوبر 808	230	18 سبتمبر 844	267	12 أغسطس 880
156	2 ديسمبر 772	194	15 أكتوبر 809	231	7 سبتمبر 845	268	1 أغسطس 881
157	21 نوفمبر 773	195	4 أكتوبر 810	232	28 أغسطس 846	269	21 يوليو 882
158	[illegible] نوفمبر 774	196	23 سبتمبر 811	233	17 أغسطس 847	270	11 يونيو 883
159	31 أكتوبر 775	197	12 سبتمبر 812	234	5 أغسطس 848	271	29 يونيو 884
160	19 أكتوبر 776	198	1 سبتمبر 813	235	26 يوليوز 849	272	18 يونيو 885
161	9 أكتوبر 777	199	22 أغسطس 814	236	15 يوليوز 850	273	8 يونيو 886
162	28 سبتمبر 778	200	11 أغسطس 815	237	5 يوليوز 851	274	28 ماي 887
163	17 سبتمبر 779	201	30 يوليوز 816	238	23 يونيو 852	275	16 ماي 888
164	6 سبتمبر 780	202	20 يوليوز 817	239	12 يونيو 853	276	6 ماي 889
165	26 أغسطس 781	203	9 يوليوز 818	240	2 يونيو 854	277	25 أبريل 890
166	15 أغسطس 782	204	28 يونيو 819	241	22 ماي 855	278	15 أبريل 891
167	5 أغسطس 783	205	17 يونيو 820	242	10 ماي 856	279	3 أبريل 892
168	24 يوليو 784	206	6 يونيو 821	243	30 أبريل 857	280	23 مارس 893
169	14 يوليو 785	207	27 مايو 822	244	19 أبريل 858	281	13 مارس 894
170	3 يوليو 786	208	16 مايو 823	245	8 أبريل 859	282	2 مارس 895
171	22 يونيو 787	209	4 مايو 824	246	28 مارس 860	283	19 فبراير 896
172	11 يونيو 788	210	24 أبريل 825	247	17 مارس 861	284	8 فبراير 897
173	11 مايو 789	211	13 أبريل 826	248	7 مارس 862	285	28 يناير 898

الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي
286	17 يناير 899	324	30 نوفمبر 935	362	12 أكتوبر 972	400	25 أغسطس 1009
287	7 يناير 900	325	19 نوفمبر 936	363	2 أكتوبر 973	401	15 أغسطس 1010
288	26 ديسمبر 900	326	8 نوفمبر 937	364	21 سبتمبر 974	402	4 أغسطس 1011
289	16 ديسمبر 901	327	29 أكتوبر 938	365	10 سبتمبر 975	403	23 يوليوز 1012
290	5 ديسمبر 902	328	18 أكتوبر 939	366	30 أغسطس 976	404	13 يوليو 1013
291	24 نوفمبر 903	329	6 أكتوبر 940	367	19 أغسطس 977	405	3 يوليو 1014
292	13 نوفمبر 904	330	26 سبتمبر 941	368	9 أغسطس 978	406	21 يونيو 1015
293	2 نوفمبر 905	331	15 سبتمبر 942	369	29 يوليو 979	407	10 يونيو 1016
294	22 أكتوبر 906	332	4 سبتمبر 943	370	17 يوليو 980	408	30 ماي 1017
295	12 أكتوبر 907	333	24 أغسطس 944	371	7 يوليو 981	409	20 ماي 1018
296	30 سبتمبر 908	234	13 أغسطس 945	372	26 يونيو 982	410	9 ماي 1019
297	20 سبتمبر 909	335	2 أغسطس 946	373	15 يونيو 983	411	27 أبريل 1020
298	9 سبتمبر 910	336	23 يوليوز 947	374	4 يونيو 984	412	17 أبريل 1021
299	29 أغسطس 911	337	11 يوليو 948	375	24 ماي 985	413	6 أبريل 1022
300	18 أغسطس 912	338	1 يوليو 949	376	13 ماي 986	414	26 مارس 1023
301	7 أغسطس 913	339	20 يونيو 950	377	3 ماي 987	415	15 مارس 1024
302	27 يوليوز 914	340	9 يونيو 951	378	21 أبريل 988	416	4 مارس 1025
303	17 يوليوز 915	341	29 مايو 952	379	11 أبريل 989	417	22 فبراير 1026
304	5 يوليوز 916	342	18 مايو 953	380	31 أبريل 990	418	11 فبراير 1027
305	24 يونيو 917	343	7 مايو 954	381	20 مارس 991	419	31 يناير 1028
306	14 يونيو 918	344	27 أبريل 955	382	9 مارس 992	420	20 يناير 1029
307	3 يونيو 919	345	15 أبريل 956	383	26 فبراير 993	421	9 يناير 1030
308	23 مايو 920	346	4 أبريل 957	384	15 فبراير 994	422	29 ديسمبر 1030
309	12 مايو 921	347	25 مارس 958	385	5 فبراير 995	423	19 ديسمبر 1031
310	1 مايو 922	348	14 مارس 959	386	25 فبراير 996	424	7 ديسمبر 1032
311	21 أبريل 923	349	3 مارس 960	387	14 يناير 997	425	26 نوفمبر 1033
312	9 أبريل 924	350	20 فبراير 961	388	3 يناير 998	426	16 نوفمبر 1034
313	29 مارس 925	351	9 فبراير 962	389	23 ديسمبر 998	427	5 نوفمبر 1035
314	19 مارس 926	352	30 يناير 963	390	13 ديسمبر 999	428	25 أكتوبر 1036
315	8 مارس 927	353	19 يناير 964	391	1 ديسمبر 1000	429	14 أكتوبر 1037
316	25 فبراير 928	354	7 يناير 965	392	20 نوفمبر 1001	430	3 أكتوبر 1038
317	14 فبراير 929	355	28 ديسمبر 965	393	10 نوفمبر 1002	431	23 سبتمبر 1039
318	3 فبراير 930	356	17 ديسمبر 966	394	30 أكتوبر 1003	432	11 سبتمبر 1040
319	24 يناير 931	357	7 ديسمبر 967	395	18 أكتوبر 1004	433	31 أغسطس 1041
320	13 يناير 932	358	25 نوفمبر 968	396	8 أكتوبر 1005	434	21 أغسطس 1042
321	1 يناير 933	359	14 نوفمبر 969	397	27 سبتمبر 1006	435	10 أغسطس 1043
322	22 ديسمبر 933	360	2 نوفمبر 970	298	17 سبتمبر 1007	436	29 يوليو 1044
323	11 ديسمبر 934	361	24 أكتوبر 971	399	5 سبتمبر 1008	437	19 يوليو 1045

الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	اهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي
438	8 يوليو 1046	478	29 أبريل 1085	518	19 فبراير 1124	558	10 ديسمبر 1162
439	28 يونيو 1047	479	18 أبريل 1086	519	7 فبراير 1125	559	30 نوفمبر 1163
440	16 يونيو 1048	480	8 أبريل 1087	520	27 يناير 1126	560	18 نوفمبر 1164
441	5 يونيو 1049	481	27 مارس 1088	521	17 يناير 1127	561	7 نوفمبر 1165
442	26 مايو 1050	482	16 مارس 1089	522	6 يناير 1128	562	28 أكتوبر 1166
443	15 مايو 1051	483	6 مارس 1090	523	25 ديسمبر 1128	563	17 أكتوبر 1167
444	3 مايو 1052	484	23 فبراير 1091	524	15 ديسمبر 1129	564	5 أكتوبر 1168
445	23 أبريل 1053	485	12 فبراير 1092	525	4 ديسمبر 1130	565	25 سبتمبر 1169
446	12 أبريل 1054	486	1 فبراير 1093	526	23 نوفمبر 1131	566	14 سبتمبر 1170
447	2 أبريل 1055	487	21 يناير 1094	527	12 نوفمبر 1132	567	4 سبتمبر 1171
448	21 مارس 1056	488	11 يناير 1095	528	1 نوفمبر 1133	568	23 أغسطس 1172
449	10 مارس 1057	489	31 ديسمبر 1095	529	22 أكتوبر 1134	569	12 أغسطس 1173
450	28 فبراير 1058	490	19 ديسمبر 1096	530	11 أكتوبر 1135	570	2 أغسطس 1174
451	17 فبراير 1059	491	9 ديسمبر 1097	531	29 سبتمبر 1136	571	22 يوليو 1175
452	6 فبراير 1060	492	28 نوفمبر 1098	532	19 سبتمبر 1137	572	10 يوليو 1176
453	26 يناير 1061	493	17 نوفمبر 1099	533	8 سبتمبر 1138	573	30 يوليو 1177
454	15 يناير 1062	494	6 نوفمبر 1100	534	28 أغسطس 1139	574	19 يونيو 1178
455	4 يناير 1063	495	26 أكتوبر 1101	535	17 أغسطس 1140	575	8 يونيو 1179
456	25 ديسمبر 1063	496	15 أكتوبر 1102	536	6 أغسطس 1141	576	28 مايو 1180
457	13 ديسمبر 1064	497	5 أكتوبر 1103	537	27 يوليو 1142	577	17 مايو 1181
458	3 ديسمبر 1065	498	23 سبتمبر 1104	538	16 يوليو 1143	578	7 مايو 1182
459	22 نوفمبر 1066	499	13 سبتمبر 1105	539	4 يوليو 1144	579	26 أبريل 1183
460	11 نوفمبر 1067	500	2 سبتمبر 1106	540	24 يونيو 1145	580	14 أبريل 1184
461	31 أكتوبر 1068	501	22 اغسطس 1107	541	13 يونيو 1146	581	4 أبريل 1185
462	20 أكتوبر 1069	502	11 أغسطس 1108	542	2 يونيو 1147	582	24 مارس 1186
463	9 أكتوبر 1070	503	31 يوليو 1109	543	22 مايو 1148	583	13 مارس 1187
464	29 سبتمبر 1071	504	20 يوليو 1110	544	11 مايو 1149	584	2 مارس 1188
465	17 سبتمبر 1072	505	10 يوليو 1111	545	30 أبريل 1150	585	19 فبراير 1189
466	6 سبتمبر 1073	506	28 يونيو 1112	546	20 أبريل 1151	586	8 فبراير 1190
467	27 أغسطس 1074	507	18 يونيو 1113	547	8 أبريل 1152	587	29 يناير 1191
468	16 أغسطس 1075	508	7 يونيو 1114	548	27 مارس 1153	588	18 يناير 1192
469	5 أغسطس 1076	509	27 مايو 1115	549	18 مارس 1154	589	7 يناير 1193
470	25 يوليو 1077	510	16 مايو 1116	550	7 مارس 1155	590	27 ديسمبر 1193
471	14 يوليو 1078	511	5 مايو 1117	551	25 فبراير 1156	591	16 ديسمبر 1194
472	4 يوليو 1079	512	24 أبريل 1118	552	13 فبراير 1157	592	6 ديسمبر 1195
473	22 يونيو 1080	513	14 أبريل 1119	553	2 فبراير 1158	593	24 نوفمبر 1196
474	11 يونيو 1081	514	2 أبريل 1120	554	23 يناير 1159	594	13 نوفمبر 1197
475	1 يونيو 1082	515	22 مارس 1121	555	12 يناير 1160	595	3 نوفمبر 1198
476	21 مايو 1083	516	12 مارس 1122	556	31 ديسمبر 1160	596	23 أكتوبر 1199
477	10 مايو 1084	517	1 مارس 1123	557	21 ديسمبر 1161	597	12 أكتوبر 1200

الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي
598	1 أكتوبر 1201	636	14 أغسطس 1238	674	27 يونيو 1275	712	9 مايو 1312
599	20 سبتمبر 1202	637	3 أغسطس 1239	675	15 يونيو 1276	713	28 أبريل 1313
600	10 سبتمبر 1203	638	23 يوليو 1240	676	4 يونيو 1277	714	17 أبريل 1314
601	29 أغسطس 1204	639	12 يوليو 1241	677	25 مايو 1278	715	7 أبريل 1315
602	18 أغسطس 1205	640	1 يوليو 1242	678	14 مايو 1279	716	26 مارس 1316
603	8 أغسطس 1206	641	21 يونيو 1243	679	3 مايو 1280	717	16 مارس 1317
604	28 يوليو 1207	642	9 يونيو 1244	680	22 أبريل 1281	718	5 مارس 1318
605	16 يوليو 1208	643	29 مايو 1245	681	11 أبريل 1282	719	22 فبراير 1319
606	6 يوليو 1209	644	19 مايو 1246	682	1 أبريل 1283	720	12 فبراير 1320
607	25 يونيو 1210	645	8 مايو 1247	683	20 مارس 1284	721	31 يناير 1321
608	15 يونيو 1211	646	26 أبريل 1248	684	9 مارس 1285	722	20 يناير 1322
609	3 يونيو 1212	647	16 أبريل 1249	685	27 فبراير 1286	723	10 يناير 1323
610	23 مايو 1213	648	5 أبريل 1250	686	16 فبراير 1287	724	30 ديسمبر 1323
611	13 مايو 1214	649	26 مارس 1251	687	6 فبراير 1288	725	8 ديسمبر 1324
612	2 مايو 1215	650	14 مارس 1252	688	25 يناير 1289	726	8 ديسمبر 1325
613	20 أبريل 1216	651	3 مارس 1253	689	14 يناير 1290	727	27 نوفمبر 1326
614	10 أبريل 1217	652	21 فبراير 1254	690	4 يناير 1291	728	17 نوفمبر 1327
615	30 مارس 1218	653	10 فبراير 1255	691	24 يناير 1291	729	5 نوفمبر 1328
616	19 مارس 1219	654	30 يناير 1256	692	12 سبتمبر 1292	730	25 أكتوبر 1329
617	8 مارس 1220	655	19 يناير 1257	693	2 ديسمبر 1293	731	15 أكتوبر 1330
618	25 فبراير 1221	656	8 يناير 1258	694	21 نوفمبر 1294	732	4 أكتوبر 1331
619	15 فبراير 1222	657	29 ديسمبر 1258	695	10 نوفمبر 1295	733	22 سبتمبر 1332
620	4 فبراير 1223	658	18 ديسمبر 1259	696	30 أكتوبر 1296	734	12 سبتمبر 1333
621	24 يناير 1224	659	6 ديسمبر 1260	697	19 أكتوبر 1297	735	1 سبتمبر 1334
622	13 يناير 1225	660	26 نوفمبر 1261	698	9 أكتوبر 1298	736	21 أغسطس 1335
623	2 يناير 1226	661	15 نوفمبر 1262	699	28 سبتمبر 1299	737	10 أغسطس 1336
624	22 ديسمبر 1226	662	4 نوفمبر 1263	700	16 سبتمبر 1300	738	30 يوليو 1337
625	12 ديسمبر 1227	663	24 أكتوبر 1264	701	5 سبتمبر 1301	739	20 يوليو 1338
626	30 نوفمبر 1228	664	13 أكتوبر 1265	702	26 أغسطس 1302	740	9 يوليو 1339
627	20 نوفمبر 1229	665	2 أكتوبر 1266	703	15 أغسطس 1303	741	27 يونيو 1340
628	9 نوفمبر 1230	666	22 سبتمبر 1267	704	4 أغسطس 1304	742	17 يونيو 1341
629	29 أكتوبر 1231	667	10 سبتمبر 1268	705	24 يوليو 1305	743	6 يونيو 1342
630	18 أكتوبر 1232	668	31 أغسطس 1269	706	13 يوليو 1306	744	26 مايو 1343
631	7 أكتوبر 1233	669	20 أغسطس 1270	707	3 يوليو 1307	745	15 مايو 1344
632	26 سبتمبر 1234	670	9 أغسطس 1271	708	21 يونيو 1308	746	4 مايو 1345
633	16 سبتمبر 1235	671	29 يوليو 1272	709	11 يونيو 1309	747	24 أبريل 1346
634	4 سبتمبر 1236	672	18 يوليو 1273	710	31 مايو 1310	748	13 أبريل 1347
635	24 أغسطس 1237	673	7 يوليو 1274	711	20 مايو 1311	749	1 أبريل 1348

الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي
750	22 مارس 1349	788	2 فبراير 1386	826	15 ديسيمبر 1422	864	28 أكتوبر 1459
751	11 مارس 1350	789	22 يناير 1387	827	5 ديسمبر 1423	865	17 أكتوبر 1460
752	28 فبراير 1351	790	11 يناير 1388	828	23 نوفمبر 1424	866	6 أكتوبر 1461
753	18 فبراير 1352	791	31 ديسمبر 1388	829	13 نوفمبر 1425	867	2 سبتمبر 1462
754	6 فبراير 1353	792	20 ديسمبر 1389	830	2 نوفمبر 1426	868	5 سبتمبر 1463
755	26 يناير 1354	793	9 ديسمبر 1390	831	22 أكتوبر 1427	869	3 سبتمبر 1464
756	16 يناير 1355	794	29 نوفمبر 1391	832	11 أكتوبر 1428	870	24 أغسطس 1465
757	5 يناير 1356	795	17 نوفمبر 1392	833	30 سبتمبر 1429	871	13 أغسطس 1466
758	25 ديسمبر 1356	796	6 نوفمبر 1393	834	19 سبتمبر 1430	872	2 أغسطس 1467
759	15 ديسمبر 1357	797	27 أكتوبر 1394	835	9 سبتمبر 1431	873	22 يوليو 1468
760	3 ديسمبر 1358	798	16 أكتوبر 1395	836	28 أغسطس 1432	874	11 يوليو 1469
761	23 نوفمبر 1359	799	5 أكتوبر 1396	837	18 أغسطس 1433	875	30 يونيو 1470
762	11 نوفمبر 1360	800	24 سبتمبر 1397	838	7 أغسطس 1434	876	20 يونيو 1471
763	31 أكتوبر 1361	801	13 سبتمبر 1398	839	27 يوليو 1435	877	8 يونيو 1472
764	21 أكتوبر 1362	802	3 سبتمبر 1399	840	16 يوليو 1436	878	29 مايو 1473
765	10 أكتوبر 1363	803	22 أغسطس 1400	841	5 يوليو 1437	879	18 مايو 1474
766	28 سبتمبر 1364	804	11 أغسطس 1401	842	24 يونيو 1438	880	7 مايو 1475
767	18 سبتمبر 1365	805	1 أغسطس 1402	843	14 يونيو 1439	881	26 أبريل 1476
768	7 سبتمبر 1366	806	21 يوليو 1403	844	2 يونيو 1440	882	15 أبريل 1477
769	28 أغسطس 1367	807	10 يوليو 1404	845	22 مايو 1441	883	4 أبريل 1478
770	16 أغسطس 1368	808	29 يونيو 1405	846	12 مايو 1442	884	25 مارس 1479
771	5 أغسطس 1369	809	18 يونيو 1406	847	1 مايو 1443	885	13 مارس 1480
772	26 يوليو 1370	810	8 يونيو 1407	848	20 أبريل 1444	886	2 مارس 1481
773	15 يوليو 1371	811	27 مايو 1408	849	9 أبريل 1445	887	20 فبراير 1482
774	3 يوليو 1372	812	16 مايو 1409	850	29 مارس 1446	888	9 فبراير 1483
775	23 يونيو 1373	813	6 مايو 1410	851	19 مارس 1447	889	30 يناير 1484
776	12 يونيو 1374	814	25 أبريل 1411	852	7 مارس 1447	890	18 يناير 1485
777	2 يونيو 1375	815	13 أبريل 1412	853	24 فبراير 1449	891	7 يناير 1486
778	21 مايو 1376	816	3 أبريل 1413	854	14 فبراير 1450	892	28 ديسمبر 1486
779	10 مايو 1377	817	23 مارس 1414	855	3 فبراير 1451	893	17 ديسمبر 1487
780	30 أبريل 1378	818	13 مارس 1415	856	23 يناير 1452	894	5 ديسمبر 1488
781	19 أبريل 1379	819	1 مارس 1416	857	12 يناير 1453	895	25 نوفمبر 1489
782	7 أبريل 1380	820	18 فبراير 1417	858	1 يناير 1454	896	14 نوفمبر 1490
783	28 مارس 1381	821	8 فبراير 1418	859	22 ديسمبر 1454	897	4 نوفمبر 1491
784	17 مارس 1382	822	28 يناير 1419	860	11 ديسمبر 1455	898	23 أكتوبر 1492
785	6 مارس 1383	823	17 يناير 1420	861	29 نوفمبر 1456	899	12 أكتوبر 1493
786	24 فبراير 1384	824	6 يناير 1421	862	19 نوفمبر 1457	900	2 أكتوبر 1494
787	12 فبراير 1385	825	26 ديسمبر 1421	863	8 نوفمبر 1458	901	21 سبتمبر 1495

الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي
902	9 سبتمبر 1496	940	23 يوليو 1533	978	5 يونيو 1570	1016	28 أبريل 1607
903	30 أغسطس 1497	941	13 يوليو 1534	979	26 مايو 1571	1017	17 أبريل 1608
904	19 أغسطس 1498	942	2 يوليو 1535	980	14 مايو 1572	1018	16 أبريل 1609
905	8 أغسطس 1499	943	20 يونيو 1536	981	3 مايو 1573	1019	26 مارس 1610
906	28 يوليو 1500	944	10 يونيو 1537	982	23 أبريل 1574	1020	16 مارس 1611
907	17 يوليو 1501	945	30 مايو 1538	983	12 أبريل 1575	1021	4 مارس 1612
908	7 يوليو 1502	946	19 مايو 1539	984	31 مارس 1576	1022	21 فبراير 1613
909	26 يونيو 1503	947	8 مايو 1540	985	21 مارس 1577	1023	11 فبراير 1614
910	14 يونيو 1504	948	27 أبريل 1541	986	10 مارس 1578	1024	31 يناير 1615
911	4 يونيو 1505	949	17 أبريل 1542	987	28 فبراير 1579	1025	20 يناير 1616
912	24 مايو 1506	950	6 أبريل 1543	988	17 فبراير 1580	1026	9 يناير 1617
913	13 مايو 1507	951	25 مارس 1544	989	5 فبراير 1581	1027	29 ديسمبر 1617
914	2 مايو 1508	952	15 مارس 1545	990	26 يناير 1582	1028	19 ديسمبر 1618
915	21 أبريل 1509	953	4 مارس 1546	991	25 يناير 1583	1029	8 ديسمبر 1619
916	10 أبريل 1510	954	21 فبراير 1547	992	14 يناير 1584	1030	26 نوفمبر 1620
917	31 مارس 1511	955	11 فبراير 1548	993	3 يناير 1585	1031	16 نوفمبر 1621
918	19 مارس 1512	956	30 يناير 1549	994	23 ديسمبر 1585	1032	5 نوفمبر 1622
919	9 مارس 1513	957	20 يناير 1550	995	12 ديسمبر 1586	1033	25 أكتوبر 1623
920	26 فبراير 1514	958	9 يناير 1551	996	2 ديسمبر 1587	1034	14 أكتوبر 1624
921	15 فبراير 1515	959	29 ديسمبر 1551	997	20 نوفمبر 1588	1035	3 أكتوبر 1625
922	5 فبراير 1516	960	18 ديسمبر 1552	998	10 نوفمبر 1589	1036	22 سبتمبر 1626
923	24 يناير 1517	961	7 ديسمبر 1553	999	30 أكتوبر 1590	1037	12 سبتمبر 1627
924	13 يناير 1518	962	26 نوفمبر 1554	1000	19 أكتوبر 1591	1038	31 سبتمبر 1628
925	3 يناير 1519	963	16 نوفمبر 1555	1001	8 أكتوبر 1592	1039	21 أغسطس 1629
926	23 ديسمبر 1519	964	4 نوفمبر 1556	1002	27 سبتمبر 1593	1040	10 أغسطس 1630
927	12 ديسمبر 1520	965	24 أكتوبر 1557	1003	26 سبتمبر 1594	1041	30 يوليو 1631
928	1 ديسمبر 1521	966	14 أكتوبر 1558	1004	6 سبتمبر 1595	1042	19 يوليو 1632
929	20 نوفمبر 1522	967	3 أكتوبر 1559	1005	28 أغسطس 1596	1043	8 يوليو 1633
930	10 نوفمبر 1523	968	22 سبتمبر 1560	1006	14 أغسطس 1597	1044	20 يونيو 1634
931	29 أكتوبر 1524	969	11 سبتمبر 1561	1007	4 أغسطس 1598	1045	17 يونيو 1635
932	18 أكتوبر 1525	970	31 أغسطس 1562	1008	24 يوليو 1599	1046	5 يونيو 1636
933	8 سبتمبر 1526	971	21 أغسطس 1563	1009	13 يوليو 1600	1047	26 مايو 1637
934	27 سبتمبر 1527	972	9 أغسطس 1564	1010	2 يونيو 1601	1048	15 مايو 1638
935	15 سبتمبر 1528	973	29 يوليو 1565	1011	21 يونيو 1602	1049	4 مايو 1639
936	5 سبتمبر 1529	974	19 يوليو 1566	1012	11 يونيو 1603	1050	23 أبريل 1640
937	25 أغسطس 1530	975	8 يوليو 1567	1013	30 مايو 1604	1051	12 أبريل 1641
938	15 أغسطس 1531	976	26 يوليو 1568	1014	19 مايو 1605	1052	1 أبريل 1642
939	3 أغسطس 1532	977	16 يونيو 1569	1015	9 مايو 1606	1053	22 مارس 1643

الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي
1054	10 مارس 1644	1093	10 يناير 1682	1132	14 نوفمبر 1719	1171	15 سبتمبر 1757
1055	27 فبراير 1645	1094	31 ديسمبر 1682	1133	2 نوفمبر 1720	1172	4 سبتمبر 1758
1056	17 فبراير 1646	1095	20 ديسمبر 1683	1134	22 أكتوبر 1721	1173	25 أغسطس 1759
1057	6 فبراير 1647	1096	8 ديسمبر 1684	1135	12 أكتوبر 1722	1174	13 أغسطس 1760
1058	27 يناير 1648	1097	28 نوفمبر 1685	1136	1 أكتوبر 1723	1175	2 أغسطس 1761
1059	15 يناير 1649	1098	17 نوفمبر 1686	1137	20 سبتمبر 1724	1176	23 يوليو 1762
1060	4 يناير 1650	1099	7 نوفمبر 1687	1138	9 سبتمبر 1725	1177	12 يوليو 1763
1061	25 ديسمبر 1650	1100	26 أكتوبر 1688	1139	29 أغسطس 1726	1178	1 يوليو 1764
1062	14 ديسمبر 1651	1101	15 أكتوبر 1689	1140	19 أغسطس 1727	1179	20 يونيو 1765
1063	2 ديسمبر 1652	1102	5 أكتوبر 1690	1141	7 أغسطس 1728	1180	9 يونيو 1766
1064	22 ديسمبر 1653	1103	24 سبتمبر 1691	1142	27 يوليو 1729	1181	30 مايو 1767
1065	11 نوفمبر 1654	1104	12 سبتمبر 1692	1143	17 يوليو 1730	1182	18 مايو 1768
1066	31 أكتوبر 1655	1105	2 سبتمبر 1693	1144	6 يوليو 1731	1183	7 مايو 1769
1067	20 أكتوبر 1656	1106	22 أغسطس 1694	1145	24 يونيو 1732	1184	27 أبريل 1770
1068	9 أكتوبر 1657	1107	12 أغسطس 1695	1146	14 يونيو 1733	1185	16 أبريل 1771
1069	29 سبتمبر 1658	1108	31 يوليو 1696	1147	3 يونيو 1734	1186	4 أبريل 1772
1070	18 سبتمبر 1659	1109	20 يوليو 1697	1148	24 مايو 1735	1187	25 مارس 1773
1071	6 سبتمبر 1660	1110	10 يوليو 1698	1149	12 مايو 1736	1188	14 مارس 1774
1072	27 أغسطس 1661	1111	29 يونيو 1699	1150	1 مايو 1737	1189	4 مارس 1775
1073	16 أغسطس 1662	1112	18 يونيو 1700	1151	21 أبريل 1738	1190	21 فبراير 1776
1074	5 أغسطس 1663	1113	8 يونيو 1701	1152	10 أبريل 1739	1191	19 فبراير 1777
1075	25 يوليو 1664	1114	28 مايو 1702	1153	29 مارس 1740	1192	30 يناير 1778
1076	14 يوليو 1665	1115	17 مايو 1703	1154	19 مارس 1741	1193	19 يناير 1779
1077	4 يوليو 1666	1116	6 مايو 1704	1155	8 مارس 1742	1194	8 يناير 1780
1078	23 يونيو 1667	1117	25 أبريل 1705	1156	25 فبراير 1743	1195	28 ديسمبر 1780
1079	11 يونيو 1668	1118	15 أبريل 1706	1157	15 فبراير 1744	1196	17 ديسمبر 1781
1080	1 يونيو 1669	1119	4 أبريل 1707	1158	3 فبراير 1745	1197	7 ديسمبر 1782
1081	21 مايو 1670	1120	23 مارس 1708	1159	24 يناير 1746	1198	26 نوفمبر 1783
1082	10 مايو 1671	1121	13 مارس 1709	1160	13 يناير 1747	1199	14 نوفمبر 1784
1083	29 أبريل 1672	1122	2 مارس 1710	1161	2 يناير 1748	1200	4 نوفمبر 1785
1084	18 أبريل 1673	1123	19 فبراير 1711	1162	22 ديسمبر 1748	1201	34 أكتوبر 1786
1085	7 أبريل 1674	1124	9 فبراير 1712	1163	11 ديسمبر 1749	1202	13 أكتوبر 1787
1086	28 مارس 1675	1125	28 يناير 1713	1164	30 نوفمبر 1750	1203	2 أكتوبر 1788
1087	16 مارس 1676	1126	17 يناير 1714	1165	20 نوفمبر 1751	1204	21 سبتمبر 1789
1088	6 مارس 1677	1127	7 يناير 1715	1166	8 نوفمبر 1752	1205	10 سبتمبر 1790
1089	23 فبراير 1678	1128	27 ديسمبر 1715	1167	29 أكتوبر 1753	1206	31 أغسطس 1791
1090	12 فبراير 1679	1129	16 ديسمبر 1716	1168	18 أكتوبر 1754	1207	19 أغسطس 1792
1091	2 فبراير 1680	1130	5 ديسمبر 1717	1169	7 أكتوبر 1755	1208	9 أغسطس 1793
1092	21 يناير 1681	1131	24 نوفمبر 1718	1170	26 سبتمبر 1756	1209	29 يوليو 1794

الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي
1210	18 يوليو 1795	1248	31 مايو 1832	1286	13 أبريل 1869	1324	25 فبراير 1906
1211	7 يوليو 1796	1249	21 مايو 1833	1287	3 أبريل 1870	1325	14 فبراير 1907
1212	26 يونيو 1797	1250	10 مايو 1834	1288	23 مارس 1871	1326	4 فبراير 1908
1213	15 يونيو 1798	1251	29 أبريل 1835	1289	11 مارس 1872	1327	23 يناير 1909
1214	5 يونيو 1799	1252	18 أبريل 1836	1290	1 مارس 1873	1328	13 يناير 1910
1215	25 مايو 1800	1253	7 أبريل 1837	1291	18 فبراير 1874	1329	2 يناير 1911
1216	14 مايو 1801	1254	27 مارس 1838	1292	7 فبراير 1875	1330	22 ديسمبر 1911
1217	4 مايو 1802	1255	17 مارس 1839	1293	28 يناير 1876	1331	11 ديسمبر 1912
1218	23 أبريل 1803	1256	5 مارس 1840	1294	16 يناير 1877	1332	30 نوفمبر 1913
1219	12 أبريل 1804	1257	23 فبراير 1841	1295	5 يناير 1878	1333	19 نوفمبر 1914
1220	1 أبريل 1805	1258	12 فبراير 1842	1296	26 ديسمبر 1878	1334	9 نوفمبر 1915
1221	21 مارس 1806	1259	1 فبراير 1843	1297	15 ديسمبر 1879	1335	28 أكتوبر 1916
1222	11 مارس 1807	1260	22 يناير 1844	1298	4 ديسمبر 1880	1336	17 أكتوبر 1917
1223	28 فبراير 1808	1261	10 يناير 1845	1299	23 نوفمبر 1881	1337	7 أكتوبر 1918
1224	16 فبراير 1809	1262	30 ديسمبر 1845	1300	12 نوفمبر 1882	1338	26 سبتمبر 1919
1225	6 فبراير 1810	1263	20 ديسمبر 1846	1301	2 نوفمبر 1883	1339	15 سبتمبر 1920
1226	26 يناير 1811	1264	9 ديسمبر 1847	1302	21 أكتوبر 1884	1340	4 سبتمبر 1921
1227	16 يناير 1812	1265	27 نوفمبر 1848	1303	10 أكتوبر 1885	1341	24 أغسطس 1922
1228	4 يناير 1813	1266	17 نوفمبر 1849	1304	30 سبتمبر 1886	1342	14 أغسطس 1923
1229	24 ديسمبر 1813	1267	6 نوفمبر 1850	1305	19 سبتمبر 1887	1343	2 أغسطس 1924
1230	14 ديسمبر 1814	1268	27 أكتوبر 1851	1306	9 سبتمبر 1888	1344	22 يوليو 1925
1231	3 ديسمبر 1815	1269	15 أكتوبر 1852	1307	27 أغسطس 1889	1345	12 يوليو 1926
1232	21 نوفمبر 1816	1270	4 أكتوبر 1853	1308	17 أغسطس 1890	1346	1 يوليو 1927
1233	11 نوفمبر 1817	1271	24 سبتمبر 1854	1309	7 أغسطس 1891	1347	20 يونيو 1928
1234	31 أكتوبر 1818	1272	13 سبتمبر 1855	1310	26 يوليو 1892	1348	9 يونيو 1929
1235	20 أكتوبر 1819	1273	1 سبتمبر 1856	1311	15 يوليو 1893	1349	29 مايو 1930
1236	9 أكتوبر 1820	1274	22 أغسطس 1857	1312	5 يوليو 1894	1350	19 مايو 1931
1237	28 سبتمبر 1821	1275	11 أغسطس 1858	1313	24 يونيو 1895	1351	7 مايو 1932
1238	18 سبتمبر 1822	1276	31 يوليو 1859	1314	12 يونيو 1896	1352	26 أبريل 1933
1239	7 سبتمبر 1823	1277	20 يوليو 1860	1315	2 يونيو 1897	1353	16 أبريل 1934
1240	26 أغسطس 1824	1278	9 يوليو 1861	1316	22 مايو 1898	1354	5 أبريل 1935
1241	16 أغسطس 1825	1279	29 يونيو 1862	1317	12 مايو 1899	1355	24 مارس 1936
1242	5 أغسطس 1826	1280	18 يونيو 1863	1318	1 مايو 1900	1356	14 مارس 1937
1243	25 يوليو 1827	1281	6 يونيو 1864	1319	20 أبريل 1901	1357	3 مارس 1938
1244	14 يوليو 1828	1282	27 مايو 1865	1320	10 أبريل 1902	1358	21 فبراير 1939
1245	3 يوليو 1829	1283	16 مايو 1866	1321	30 مارس 1903	1359	10 فبراير 1940
1246	22 يونيو 1830	1284	5 مايو 1867	1322	18 مارس 1904	1360	29 يناير 1941
1247	12 يونيو 1831	1285	24 أبريل 1868	1323	8 مارس 1905	1361	19 يناير 1942

الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي	الهجري	مقابلة فاتح محرم للتاريخ الميلادي
1362	8 يناير 1943	1377	29 يوليوز 1957	1392	16 فبراير 1972	1407	6 سبتمبر 1986
1363	28 ديسمبر 1943	1378	18 يوليوز 1958	1393	4 فبراير 1973	1408	26 أغسطس 1987
1364	17 ديسمبر 1944	1379	7 يوليوز 1959	1394	25 يناير 1974	1409	14 أغسطس 1988
1365	6 ديسمبر 1945	1380	26 يونيو 1960	1395	14 يناير 1975	1410	4 أغسطس 1989
1366	25 نوفمبر 1946	1381	15 يونيو 1961	1396	3 يناير 1976	1411	24 يوليو 1990
1367	15 نوفمبر 1947	1382	4 يونيو 1962	1397	23 ديسمبر 1976	1412	13 يوليوز 1991
1368	3 نوفمبر 1948	1383	25 مايو 1963	1398	12 ديسمبر 1977	1413	2 يوليو 1992
1369	24 أكتوبر 1949	1384	13 مايو 1964	1399	2 ديسمبر 1978	1414	21 يونيو 1993
1370	13 أكتوبر 1950	1385	2 مايو 1965	1400	21 نوفمبر 1979	1415	10 يونيو 1994
1371	2 أكتوبر 1951	1386	22 أبريل 1966	1401	9 نوفمبر 1980	1416	31 مايو 1995
1372	21 سبتمبر 1952	1387	11 أبريل 1967	1402	30 أكتوبر 1981	1417	19 مايو 1996
1373	10 سبتمبر 1953	1388	31 مارس 1968	1403	19 أكتوبر 1982	1418	9 مايو 1997
1374	30 أغسطس 1954	1389	20 مارس 1969	1404	8 أكتوبر 1983	1419	28 أبريل 1998
1375	20 أغسطس 1955	13>	9 مارس 1970	1405	27 سبتمبر 1984	1420	17 أبريل 1999
1376	8 أغسطس 1956	1391	27 فبراير 1971	1406	16 سبتمبر 1985	1421	6 أبريل 2000

تاريخ
العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية
بالمغرب الأقصى

تم بعون الله تعالى الجزء الثالث

عصر دولة الموحدين، الطراز المغربي الأندلسي
الطور الثاني

ويليه بعون الله

الجزء الرابع
عصر دولتي المرينيين وبني وطاس

الإنتاج العلمي للمؤلف

كتب مطبوعة :

- تاريخ شالة الإسلامية دار الثقافة بيروت 1975
- حفائر شالة الإسلامية دار الثقافة بيروت 1975
- دراسات جديدة في الفنون الإسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى، دار الثقافة بيروت 1975
- قضية الصحراء المغربية ومصطلح البيعة، وزارة الأنباء الرباط 1975
- سيرة أبطال الإسلام في المغرب من الأصول والمصادر، دار الكتاب الدار البيضاء 1978
- تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، دار الهلال العربية الرباط 1992 الجزء الأول (عصر دولة الأدارسة وعصر أمراء زناتة).
- تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى ج 2 عصر دولة المرابطين.
- تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج 3 عصر دولة الموحدين.
- تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج 4 عصر دولتي المرينيين وبني وطاس.
- تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج 5 عصر دولتي الأشراف السعديين والعلويين.
- معجم ألفاظ القرآن الكريم في علوم الحضارة، الآثار والعمارة والفنون، دار الهلال العربية الرباط.

كتب نشرت حلقات بالصحف والمجلات :

- مظاهر الحضارة المعمارية والفنون في شعر ابن زيدون، مجلة المنهل السعودية جدة.
- الهجرة النبوية الكبرى بيننا وبين فيلسوف الغرب المعاصر توينبي، جريدة الأنباء الرباط.
- عروبة القدس وعمارة قبة الصخرة، جريدة الأنباء الرباط.
- موجز تاريخ العمارة والفنون بالمغرب (روائع المغرب)، جريدة الميثاق الوطني الرباط.
- الآثار الإسلامية بالمغرب العربي وحرب المستشرقين، مجلة دعوة الحق الرباط.

كتب تحت الطبع :

ضريح محمد الخامس وتأسيس مدينة الرباط وعمارة جامع حسان، الوثائق الملكية الرباط.

كتب معدة للطبع :

- دفاعا عن حضارة الإسلام في المغرب.

- ثلاثون شمعة في عرس المسيرة الخضراء.

كتب ودراسات تعد للطبع :

- ثلاثة معالم مغربية : المرابطون وفاس وجامع القرويين.
- ثلاثة منابر مغربية بجوامع الأندلسيين وبوعنانية فاس وجامع تازة.
- حضارة الرستمين وغيبتها عن كتاب (أعمال الأعلام) لابن الخطيب.
- صومعة الكتبية في دراسات المستشرقين.

مطبعة المعارف الجديدة
الرباط 947-08/09/15/38

رقم الإيداع القانوني

1992/89:



الرباط، 21 زنقة ديكارت حي الليمون تلفون : 99-60-70 فاكس : 707751

تصحيح وضع الشكل 172 الوارد بصفحة 291



شكل 172
تاج عمود من مسجد تينمل

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
6	13	بالمغرب	بالغرب	66	16	الوزان :	الوزاني
8	6 أسفل	إن	أن	71	7	والمغرب[4].	والمغرب[4]،
8	5 أسفل	الهام.	الهام	71	9	ماثرة	مأثرة
8	1 أسفل	باحياء،	باحياء	75	8	الأندلس[3]	الأندلس[3])
9	3	أألف	وألف	84	أخير	ذى	دى
11	6	رخبيا	رحيباً	98	أسفل	أن	إن
12	12	وحمايات	وحمامات	99	5	منهم	اللاجئين
16	4 أسفل	قضية	قصبة	125	11	حقها	حققها
40	3	يَسْتَضْعِفُونَ	يُسْتَضْعَفُونَ	125	18	أربعة	أربعة صفوف
40	13	يُنَبِّئْكَ	يُنَبِّئُكَ	151	10	غرولة[3]	غبولة[3]
40	16	لَبُوسٌ	لَبُوسٍ	159	3 أسفل	ورع	زرع
43	4	يستطيء	يستضيء	163	16	يثغر	بثغر
44	5	الددولة	الدولة	166	3	أنها أنها	أنها
45	8 هامش	أعمالها	أعماله	181	2	يتازة	بتازة
46	16	بَعْضُكُمْ	بَعْضَكُمْ	209	4	غربيا	غريبا
49	14	ينو	بنو	232	1	استثنيا	استثنينا
50	9	للاسلام.	للإسلام	239	4 أسفل	تم.	تم
58	8 هامش	عبدذ	عبد	275	15	العلاقات	العلاَّقات
61	8	بالعهدذ	بالعهد	310	شكل 193	تعليق يسار القارىء	تعليق يمين القارىء
63	3	إليالأندلس	إلى الأندلس	320	5	العريق	العربي
65	2	وبناء	وبنَّاء	321	5	الايلام	الإسلام



تعريف بالمؤلف

– الدكتور عثمان عثمان إسماعيل من مواليد 1925 م بالإسكندرية باب المغرب.

– حصل على درجة الليسانس مع مرتبة الشرف بأول فوج لقسم الآثار الإسلامية بالجامعات العربية، جامعة الاسكندرية سنة 1950.

– حصل على الدبلوم العالي في التربية وعلم النفس، الإسكندرية 1951.

– انفرد بين خريجي أقسام الآثار بالحصول على دبلوم الدراسات العليا المعادل للماجستير في الآثار الإسلامية من معهد الآثار العالي بجامعة القاهرة 1956.

– حصل على درجة الدكتوراه بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى في الحضارة والآثار الإسلامية المغربية من جامعة الإسكندرية 1965.

– تبنت رئاسة جامعة محمد الخامس بين عامي 1958 و1963 أبحاثه ودراساته واكتشافاته لعمل أول حفائر أثرية علمية لمتخصص عربي داخل تراب المملكة المغربية.

– شارك بحكم الوظيفة والتخصص بين عامي 1958 و1963 في جميع مؤتمرات الآثار الدورية بالمغرب التي أقرت جميعها نتائج أبحاثه واكتشافاته.

– شارك بعدة أبحاث تخصصية في آثار وفنون المغرب العربي بعدد من مؤتمرات جامعة الدول العربية والجامعات العربية.

– ظهر له ثلاثة عشر كتابا مطبوعا وأكثر من أربع مائة بحث ومقال وبرنامج متلفز ومذاع حول حضارة وآثار الإسلام بالمغرب.

– أستاذ التاريخ والآثار بجامعة محمد الخامس بالرباط منذ العام الدراسي 58/57.

– أستاذ الحضارة والفن الإسلامي بجامعة وهران بالجمهورية الجزائرية 73/70.

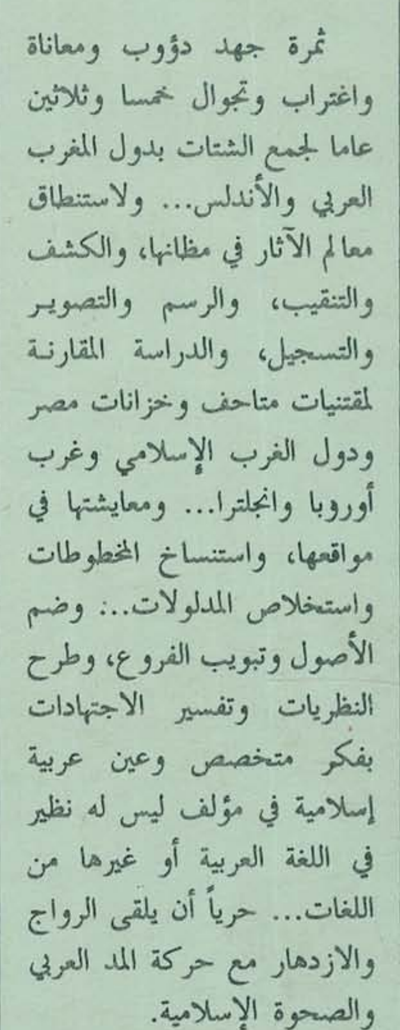
– أستاذ بالتعليم العالي المغربي مفتش عام مساعد للمباني التاريخية والآثار 1973.

– أستاذ جامعي رئيس مشرف على الأبحاث بالمملكة المغربية 1982.

– عضو اتحاد المؤرخين العرب.







هذا الكتاب

ثمرة جهد دؤوب ومعاناة واغتراب وتجوال خمسا وثلاثين عاما لجمع الشتات بدول المغرب العربي والأندلس... ولاستنطاق معالم الآثار في مظانها، والكشف والتنقيب، والرسم والتصوير والتسجيل، والدراسة المقارنة لمقتنيات متاحف وخزانات مصر ودول الغرب الإسلامي وغرب أوروبا وانجلترا... ومعايشتها في مواقعها، واستنساخ المخطوطات واستخلاص المدلولات..: وضم الأصول وتبويب الفروع، وطرح النظريات وتفسير الاجتهادات بفكر متخصص وعين عربية إسلامية في مؤلف ليس له نظير في اللغة العربية أو غيرها من اللغات... حرياً أن يلقى الرواج والازدهار مع حركة المد العربي والصحوة الإسلامية.



